

الشيخ محمد
حسن المظفر

فضائل
أُمِّ
المؤمنين
ولامته

٢

دار
أحياء
التراث
المري

فَضَائِلُ
أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمَامَتِهَا

مِنْ

دَلَائِلِ الصِّدْقِ

تَأْلِيفُ الْحُجَّةِ

الشيخ محمد حسين المظفر

مُتَرَجِّمٌ إِلَى الْعَرَبِيِّ
فَلَاوِيَاوَا لَنَدَاوَا لَنَدَاوَا

فضائل أمير المؤمنين وإمامته
من
دلائل الصدق

تأليف الحجة
السيد محمد حسين المنظر

الجزء الثاني



دار

أهباء التراث العربي

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد النبيين وآله المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

المسئلة الخامسة في الامامة (وجوب عصمة الامام)

قال المصنف فرس الله نفسه

(المسئلة الخامسة في الامامة) وفيها مباحث « الأول » في أن الامام يجب أن يكون معصوماً ، ذهبت الامامية إلى أن الأئمة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش من الصغر إلى الموت عمداً وسهواً ، لأنهم حفظوا الشرع والقوامون به ، حالهم في ذلك كحال النبي ، ولأن الحاجة إلى الامام إنما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم ورفع الفساد وحسم مادة الفتن وأن الامام لطف بمنع القاهر من التعدي ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرمات ويقيم الحدود والفرائض ويؤاخذ الفساق ويعزر من يستحق التميز فلو جازت عليه المعصية وصدرت عنه انتفت هذه الفوائد وافترق إلى إمام آخر وتسلسل ، وخالفت السنة في ذلك وذهبوا إلى جواز إمامة الفساق والعصاة والسراق كما قال الزنجشيري وهو من أفضل علمائهم (لا كالدوانيقي المتلصص) يشير به إلى المنصور ، فأى عاقل يرضى لنفسه الاتقياد الديني والتقرب إلى الله تعالى بامثال أوامر من كان يفسق طول وقته وهو غائص في القيادة وأزواج الفواحش وبمرض عن المطيعين المبالغين في الزهد والعبادة وقد أنكر الله تعالى بقوله : (أم من هو قاتل) أنه الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون إنما يتذكر (أولو الألباب) فالأشاعة لا يتمشى هذا على قواعدهم حيث جوزوا صدور القبايح عنه تعالى ومن جملتها الكذب فجاز الكذب في هذا القول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وأما الباقون فانهم جوزوا تقديم المفضول على الفضل فلا يتمشى هذا الإنكار على قولهم أيضاً فقد ظهر ان الفريقين خالفوا الكتاب العزيز .

وقال الفضل

اعلم ان مبحث الامامة عند الأشاعة ليست من اصول الديانات والعقائد بل هي عند الأشاعة من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين والامامة عند الأشاعة هي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الامة . وشروط الامام الذي هو أهل للامامة ومستحقها أن يكون مجتهداً في الاصول والفروع ليقوم بأمر الدين ، ذا رأي وبصارة بتدبير الحرب وترتيب الجيوش ، شجاعاً قويا القلب ليقوى على الذب عن الحوزة ، عدلاً لئلا يجور فان الفاسق ربما يصرف الأموال في أغراض نفسه والعدل عندنا من لم يباشر الكبائر ولم يصر على الصغائر ، عافلاً ليصلح للتصرفات الشرعية ، بالغاً لقصور عقل الصبي ، ذكراً إذ النساء ناقصات العقل والدين ، حراً قرشياً ، فن جمع هذه الصفات فهو أهل للامامة والزعامة الكبرى ، وأما العصمة فقد شرطها الشيعة الامامية والاسماعيلية واستدل عليها هذا الرجل بأن الحاجة إلى الامام بالامور المذكورة ، ولو جازت المعصية عليه وصدرت عنه انتفت هذه الفوائد ، ونقول ماذا يريد من العصمة ان أراد وجوب الاجتناب في جميع أحواله عن الصغائر والكبائر فلا نسلم لزوم ذلك لأن صدور بعض الصغائر المَعْفُو عنها لاجتنابها عن الكبائر لا يوجب أن لا يكون منتصفاً من الظالم للمعلوم وباقي الامور المذكورة ، وان أراد وجود ملكة مانعة من الفجور فنحن أيضاً نقول بهذه العصمة ووجوبها للامام لأننا شرطنا أن يكون عدلاً والعدل من له ملكة العصمة المانعة من الفجور ، وصدور بعض الصغائر عنه في بعض الأوقات لا يبطل ملكة العصمة لأن الملكة كيفية راسخة في النفس متى يراد صدور الفعل عنه صدر بلا مشقة وروية وكافة وصدور خلاف مقتضى الملكة لا يفي بوجود

المللثة لعوارض لا يخلو الانسان عنها كصاحب المللثة الخلقية من العفة والشجاعة قد يعرض له ما يعرضه إلى إصدار خلاف المللثة ومع ذلك لا نزول عنه المللثة فالعصمة بمعنى المللثة حاصلة للمجتنب عن الكبائر المصير في تركها وإن صدر عنه نادراً بعض الصغار فاندفع الاشكال ولم يلزم التسلسل كما ذكره ، وأما ما قال أن أهل السنة خالفوا ذلك وذهبوا إلى جواز إمامة السراق والفساق فأنت تعلم أن هذا من مفترياته لأن كتب أهل السنة مشحونة بالقول بوجود عدالة الأئمة فالفساق كيف يجوز أن يكون عندهم إماماً والحال أنه ضد العدل فلم أنه مفتر ككذاب ونعم ما قلت فيه شراً :

إذا مارأى طيباً في الكلام بقاذورة الكذب قد دنسه

يخلط بالظهر انجاسه فابن المطهر ما انجسه

وأقول

لا يخفى أن أصل الشيء أساسه وما يبني عليه فاصول الدين هي التي يبني عليها الدين وبالضرورة أن الشهادتين كذلك إذ لا يكون الشخص مسلماً إلا بها ، وكذلك الاعتراف بالامام لاكتتاب والسنة .

أما الكتاب فقوله تعالى : (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فإن الاستفهام فيه ليس على حقيقته لاستلزامه الجهل فلا بد أن يراد به الإنكار أو التوبيخ وكل منها لا يكون إلا على أمر محقق بالضرورة فيكون انقلابهم بعد موت النبي «ص» محققاً ، ولذا قال انقلبتم بصيغة الماضي تذكيراً على تحققه ، ومن المعلوم أن الصحابة بعد موت النبي «ص» لم يعدوا عن الشهادتين فيتمين أن يراد به أسراً آخر وما هو إلا إنكار إمامة أمير المؤمنين «ع» إذ لم يصدر منهم ما يكون وجهاً لانقلابهم عموماً غيره بالاجماع ، فإذا كان إنكار إمامته «ع» انقلاباً عن الدين كانت الامامة أصلاً من اصوله ، ولا ينافية أن الآية نزلت يوم أحد حيث أراد بعض المسلمين الارتداد فإن سببية نزولها في ذلك لا تمنع صراحتها في وقوع الانقلاب بعد النبي «ص» كما يقتضيه التردد في الآية بين الموت والقتل فإن ما وقع يوم أحد إنما هو لزعم القتل ، وقد فهم ذلك أمير المؤمنين «ع»

فيما رواه ابن عباس (١) قال : (كان علي «ع» يقول في حياة رسول الله «ص» ان الله تعالى يقول : أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم والله لا نتقلب على أعقابنا بمد إذ هدانا الله والله لمن مات أو قتل لاقنن على ما قاتل عليه حتى أموت والله اني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه فمن أحق به مني) .

واما السنة فنحن لا نذكر منها إلا أخبار القوم كمادتنا لتكون حجة عليهم (فنها) ماهو كالأية الشريفة في الدلالة على ارتداد الامة بعد النبي «ص» كروايات الحوض ، ولنذكر منها ماهو صريح بارتداد الامة إلا الزادر كرواية البخاري في كتاب الحوض عن النبي «ص» قال : (بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت أين قال إلى النار والله قلت وما شأنهم قال انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري ثم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم فقال هلم قلت أين قال الى النار والله قلت ما شأنهم قال انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلاأراه يخلص منهم إلا مثل حمل النعم) فهذه الرواية قد دلت على ارتداد الصحابة إلا القليل الذي هو في القلة كالنعم المهمل المتروكة سدى ، وقد عرفت ان الصحابة لم يرتكبوا ما يمكن أن يكون سبباً للارتداد غير إنكار إمامة أمير المؤمنين «ع» فلا بد أن تكون الامامة أصلاً من اصول الدين .

و (منها) الأخبار المستفيضة الدالة على أن من مات بلا إمام مات ميتة جاهلية ونحو ذلك ، فتكون أصلاً للدين ألبتة كرواية مسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب الامارة عن ابن عمر قال : (سمعت رسول الله «ص» يقول من خلع بدأ من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) وكرواية مسلم أيضاً في الباب المذكور والبخاري في ثاني أبواب كتاب الفتن عن النبي «ص» قال : (من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فانه من خرج من السلطان شراً مات ميتة جاهلية) وكرواية أحمد (٢) قال : (قال رسول الله من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية)

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٢٦ « كتاب معرفة الصحابة » .

(٢) مسنده ج ٤ ص ٩٦ .

إلى نحو ذلك مما لا يحصى .

و (منها) الأخبار الكثيرة التي ناطت الايمان بحب آل محمد « ص » والكفر ببعضهم فانها كناية عن الاعتراف بامامتهم وإنكارها للملازمة عادة بين حبهم الحقيقي والاعتراف بفضلهم وبعضهم وإنكاره ولا يراد الحب والبغض بنفسها إذ لا دخل لهما بما هي الايمان والكفر ، فلا بد أن يكونا كناية عن ذلك ، فلا بد أن تكون الامامة أصلاً ، فمن هذه الأخبار ما رواه في الكشف في تفسير قوله تعالى : (قل لأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) عن النبي « ص » في حديث طويل قال فيه : (ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً) ومثله عن تفسير الثعلبي ، وروى في كز العمال (١) عن النبي « ص » قال : (أساس الاسلام حيي وحب أهل بيتي) وروى أيضاً (٢) عن ابن عباس (ان النبي قال لعلي يوم المؤاخاة أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا انه ليس بعدي نبي ألا من أحبك حق (٣) بالأمن والايمان ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية) وروى أيضاً (٤) عن الطبراني والحاكم في المستدرک (٥) وأبي نعيم عن زيد بن أرقم (ان النبي « ص » قال : من أحب أن يحى حياتي ويموت موتي ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربي فليتولّ علي بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة) وروى بعده نحوه عن جماعة إلا أنه « ص » قال : (فليتولّ علياً وذريته من بعده فإنهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة) ويحتمل أن يريد النبي « ص » فيه بتولي علي الالتزام بولايته أي إمامته فيكون دالاً على المطلوب بالصراحة ، ومثله تولى أولاده في الحديث الأخير ، إلى غير ذلك من الأحاديث المستفيضة .

(١) ج ٧ ص ١٠٣ .

(٢) ج ٦ ص ١٥٤ ونحوه عن ابن عمر ج ٦ ص ١٥٥ .

(٣) ح ف خ ل .

(٤) ج ٦ ص ١٥٥ .

(٥) قد وجدت الحديث في مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٢٨ .

ويشهد لكون الامامة من اصول الدين ان منزلة الامام كالنبي في حفظ الشرع ووجوب اتباعه والحاجة اليه ورياسته العامة بلا فرق ، وقد وافقنا على انها أصل من اصول الدين جماعة من مخالفينا كالفياضي البيضاوي في مبحث الأخبار وجمع من شارحي كلامه كما حكاه عنهم السيد السعيد «ره» .

واعلم ان العصمة ملكة تقتضي عدم مخالفة التكليف اللزومية عمداً وخطأً مع القدرة على الخلاف وهي واجبة للثبوت للامام لامور :

(الأول) ما أشار اليه المصنف بقوله : لانهم حفظه الشرع الى آخره . وحاصله ان الامام حافظ للشرع كالنبي لأن حفظه من أظهر فوائد إمامته فتجب عصمته لذلك لأن المراد حفظه علماً وعملاً ، وبالضرورة لا يقدر على حفظه بتمامه إلا معصوم إذ لا أقل من خطأ غيره ، ولو اكتفينا بحفظ بعضه لكان البعض الآخر ملغى بنظر الشارع وهو خلاف الضرورة فإن النبي قد جاء لتعليم الأحكام كلها وعمل الناس بها على مرور الأيام وهذا الأمر لم يتعرض الخصم لجوابه .

(الثاني) ما ذكره المصنف بقوله : ان الحاجة الى آخره ، وتوضيحه ان الحاجة الى الامام في تلك الفوائد توجب عصمته وإلا لافتقر إلى إمام آخر وتسلل ، لأن غير المعصوم اما فاسق أو عادل وبالضرورة ان الفاسق لا تحصل منه تلك الفوائد ولو بالنسبة إلى نفسه فيحتاج إلى غيره والعادل كذلك لأن الصغار قد تحصل منه لأنها لا تنافي العدالة والكبرياء ربما تقع منه أيضاً ولو لأنه قد يفسق فيحتاج إلى إمام آخر يمنعه عن الصغار والكبرياء لو وقعت أو يحترز به عن وقوعها كما ان الخطأ غير مأمون عليه فيحتاج إلى إمام آخر يمنعه عما يخطأ به وان كان معذوراً فان معذوريته لا تصحح تفويت تلك الفوائد وإلا لما كانت موجبة للحاجة إلى الامام (فان قلت) الصغار مع ترك الكبرياء معفو عنها فلا يلزم المنع عنها والكبرياء لا تقع من العادل عمداً حتى يجب منعه ولو فرض وقوعها عمداً وجب عزله ونصب غيره واما وقوعها خطأ فهو وان لم يكن مأموناً منه لكن ربما لا يوجد فلا يلزم نصب آخر ولو وقعت نبيه من يرفع خطأه وان لم يكن إماماً (قلت) العفو عن الصغار لا يرفع حرمتها وإلا لما احتاجت إلى العفو

كما ان السهو عن السكبانر إنما يرفع العقاب فلا بد من الحاجة إلى من يرد فاعلمها واما السكبانر مع العمدة فلا يمتنع وقوعها من العادل إذ ربما تعرض له السكبانرة نادراً من دون أن تزول ملكته كما انه قد فسق وهو كثير والالتزام بوجوب عزله حينئذ غير متجه للأخبار السكبانرة الآتية ولا مكان أن لا يثبت فسقه عند كل أهل الحل والعقد أو يثبت ولكنهم مثله في الفسق أو لا يمكنهم عزله أو يحصل من عزله ضرر أعظم فتبتي الامة بامام فاسق لا يحصل منه محل الحاجة إلى الامام وهو ناشئ من عدم اعتبار العصمة والاكتفاء بالعدالة ولا سيما مع كون العدالة الواقعية عسرة الأحرار وإنما تثبت ظاهراً. إذ ربما كان العادل في الظاهر فاسقاً في الواقع فتبتي الامة من أول الامر بامام فاسق فلا يحصل محل الحاجة إلى الامام ولو بالنسبة إلى نفسه فيجب نصب إمام آخر على جميع الوجوه لثلاث تفوت الفوائد المطلوبة ويتسلسل ، واما دعوى ان الخطأ ربما لا يقع بخلاف المقطوع به عادة ولا ينكر المخالفون خطأ أئمتهم الثلاثة الاول فضلاً عن غيرهم ولو سلم عدم القطع به فمع فرض إمكانه عادة يجب نصب إمام آخر يحترز به عن الخطأ المتوقع لثلاث تفوت تلك الفوائد التي لا تتدارك مع الخطأ ولوتساعنا فيها لما رجب نصب الامام لأجلها ، قولكم ولو وقع نبيه من يرفع خطأه فلما اذا فات محل التدارك لم يبق محل للتنبيه وكذا لو لم يحضر من يصلح للتنبيه أو لم يصوب الامام رأيه فلا بد من إمام آخر ويتسلسل .

(الثالث) ان الامام لو عصى لوجب الانكار عليه والايذاء له من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو مفوت للغرض من نصبه ومضاد لوجوب طاعته وتعظيمه على الاطلاق المستفاد من قوله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) كما ستعرف .

(الرابع) انه لو صدرت المعصية منه لسقط محله من القلوب فلا تنقاد لطاعته فتنتفي فائدة النصب .

(الخامس) انه لو عصى لكان أدون حالا من أقل آحاد الامة لأن أصغر الصغار من أعلى الامة وأولاهها بمعرفة مناقب الطاعات ومثالب المعاصي أفصح وأعظم من اكبر

الكبير من أدنى الامة .

(السادس) قوله تعالى : (إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين) فانه دال على كون الامامة من عهد الله تعالى وعلى اعتبار عصمة الامام حين الامامة وقبلها لأن كل عاص ظالم لقوله تعالى : (ومن يتعد حدود الله فلاولئك هم الظالمون) وروى السيوطي في الدر المنثور بتفسير هذه الآية عن ابن اسحق وابن جرير وابن حاتم عن ابن عباس قال : (معناها انه كائن لا ينال عهده من هو في رتبة ظالم ولا ينبغي أن يولي شيئاً من أمره) وروى أيضاً عن وكيع وعبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد قال : (المعنى لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به) « فان قلت » إنما تدل الآية على العصمة حين تولي العهد واما قبله كما ادعيتموه أيضاً فلا لأن الظالم مشتق والمشتق حقيقة فيمن تلبس بالمبدأ بالحال « قلت » المراد بالحال حال ثبوت مبدأ المشتق للذات وتلبسها به والمبدأ هو الظلم لا نيل العهد فيكون الظالم عبارة عن الذات في حين الظلم وان كان زمانه ماضياً وهذا لا دخل له بحال ثبوت العهد .

(السابع) قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) فانه تعالى أوجب طاعة اولي الأمر على الاطلاق كطاعته وطاعة الرسول وهو لا يتم إلا بعصمة اولي الأمر فان غير المعصوم قد يأمر بمعصية ونهيه عن طاعته فيها فلو وجبت أيضاً اجتمع الضدان وجوب طاعته وحرمتها ولا يصح حمل الآية على ايجاب الطاعة له في خصوص الطاعات إذ مع منافاته لاطلاقها لا يجتمع ظاهرها من إفادة تعظيم الرسول واولي الأمر بمساواتهم لله تعالى في وجوب الطاعة إذ يقبح تعظيم العاصي ولا سيما المنغمس بأنواع الفواحش ، على ان وجوب الطاعة في الطاعات ليس من خواص الرسول واولي الأمر بل تجب طاعة كل أمر بالمعروف فلا بد أن يكون المراد بالآية بيان عصمة الرسول واولي الأمر وانهم لا يأمرون ولا ينهون إلا بحق ، وقد أقر الرازي في تفسيره بدلالة الآية على عصمة اولي الأمر ولكنه زعم ان المراد بهم أهل الاجماع ، وفيه مع ان المنصرف من اولي الأمر من له الزعامة ان ظاهر الآية إفادة عصمة كل واحد منهم لا مجموعهم لأن ظاهرها ايجاب طاعة كل واحد منهم ، على ان العمل بمقتضى الاجماع ليس من باب

الطاعة لهم لأن الاجماع من قبيل الخير الحاكي .

وأشكل الرازي على إرادة أئمتنا الأطهار من اولي الأمر بامور (الأول) ان طاعة الأئمة المعصومين مشروطة بمعرفتهم وقدرة الوصول اليهم فلو وجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم كان هذا تكليف مالا يطاق ولو وجب علينا طاعتهم اذا صرنا عارفين بهم وبمذاهبهم صار هذا الإيجاب مشروطاً ، وظاهر قوله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) يقتضي الاطلاق ، وفيه « أولاً » النقص بطاعة الله ورسوله « ص » وطاعة أهل الاجماع بناء على انهم المراد من اولي الأمر و « ثانياً » الحل بأن نقول ان وجوب طاعة الأئمة ليس مشروطاً بمعرفتهم وقدرة الوصول اليهم بل مطلقاً كطاعة الله ورسوله فيجب تحصيل معرفتهم ومذاهبهم مقدمة لطاعتهم ، فلا يلزم ما ذكره من تكليف مالا يطاق ولا صيرورة الإيجاب مشروطاً ومعرفة الأئمة ممكنة لوجود الأدلة على إمامتهم كما يمكن أخذ الأحكام عنهم كالنبي « ص » لوجود الرواة عنهم وان لم يصل المكلف إلى شخص الامام والنبي « ص » .

(الأمر الثاني) انه تعالى أمر بطاعة اولي الأمر واولو الأمر جمع وعندهم لا يكون في الزمان إلا إمام واحد وحمل الجمع على الفرد خلاف الظاهر ، وفيه ان المراد هو الجمع ولا يمكن بالمحاذرة التوزيع في الأزمنة ولا منافاة فيه للظاهر .

(الثالث) انه تعالى قال : (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) ولو كان المراد بأولي الأمر الامام المعصوم لوجب أن يقال : فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الامام ، وفيه ان الرد إلى اولي الأمر أيضاً مأمور به لكن اكتفى عن ذكرهم في آخر الآية بما ذكره في أولها من مساواة طاعتهم لطاعة الله ورسوله « ص » .

فاذا عرفت معنى العصمة وأدلة وجوبها عرفت ان الفضل قد خلط في معناها وأخطأ في تجويز الصغار على الامام حتى بالمحاذرة خصوص الدليل الثاني الذي اختص كلامه فيه ، إذ من جملة فوائد الامام وجهات الحاجة اليه منع المحرمات فلو فعلها هو احتاج إلى إمام آخر يمنعه ويتسلسل ، وان فرض حصول الفوائد الاخر منه من الانتصاف للمظلوم ونحوه ، على ان خلاف الانتصاف ربما يكون من الصغار فلا تحصل هذه الفائدة

وكذا جملة من غيرها من الفوائد ، ودعوى ان ترك الصغار اريس من محل الحاجة إلى الامام باطلة ضرورة ان تركها مطلوب للشارع ومن نظامه الشرعي المطلوب تنفيذه كما عرفت .

(بقي الكلام) فيما ذكره الخصم من شروط الامام فنقول اشتراطها جماعة منهم وخالف آخرون كما يدل عليه ما ذكره صاحب المواقف وشارحها فانها بعد ما ذكرنا اشتراط الاجتهاد في الاصول والفروع والشجاعة والبصارة بتدبير الحرب والسلام قالوا : (وقيل لا يشترط هذه الثلاثة لأنها لا توجد الآن مجتمعة واذا لم توجد كذلك فلما أن يجب نصب فاقدها فيكون اشتراطها عبثاً أو يجب نصب واجدها فيكون تكليفاً بما لا يطاق أو لا يجب هذا ولا ذاك فيكون اشتراطها مستلزماً للمفاسد التي يمكن دفعها بنصب فاقدها) انتهى ملخصاً ، وبمقتضى سكوت صاحب المواقف عن الرد على هذا الكلام يستفاد موافقته عليه وانه ممن لا يشترط هذه الثلاثة ، نعم أجاب عنه الشارح (باننا نختار عدم الوجوب مطلقاً لسكن اللامة أن ينصبوا فاقدها دفعاً للمفاسد) وفيه انهم اذا نصبوه فلما أن يجب ترتيب آثار الامامة عليه فحينئذ لم يكن وجه لاشتراطها وان لم يجب فلا فائدة فيه ، هذا ويمكن اجراء نحو هذا الكلام في جميع الشروط فتنتفي شرطيتها جميعاً ، ونقل السيد السعيد « ره » عن الاسفراني الشافعي في كتاب الجنائيات انه قال : (وتنعقد الامامة ببيعة أهل الحل والعقد) إلى أن قال : (وبالقهر والاستيلاء ولو كان فلسقاً أو جاهلاً أو أعجمياً) ونقل أيضاً عن صاحب الوقاية في فقه الحنفية انه قال : (لا يحد الامام حد الشرب لأنه نائب من الله تعالى) ونقل عن شارح العقائد النسفية انه قال : (لا ينزل الامام بالفسق والجور لأنه قد ظهر الفسق والجور من الأئمة والامراء بعد الخلفاء والسلف وكانوا ينقادون لهم وبقيمون الجمع والأعياد باذنه) فظهر من هذه الكلمات ونحوها انه لا يشترط عند كثير منهم تلك الشروط بل يظهر من كلام شارح العقائد النسفية دعوى الاجماع على عدم اعتبار العدالة في الامام دواماً ، والظاهر انه لا خصوصية للعدالة ولا للدوام بل لكل الشرائط كذلك ابتداء ودواماً لأنهم ينقادون لمن فقد أي شرط كان وبخاطبونه بامرة المؤمنين ومحرمون الخروج عليه ويقتلون النفوس بأمره وبقيمون الجمع والأعياد باذنه فلا بد أن تكون الشروط التي اشتراطوها شروطاً

صناعية جدلية لاعملية . فما نسبته المصنف اليهم من جواز إمامة السراق والفساق صحيح
ألبتة ولا سببا بعد انعقاد البيعة وهو الذي يقتضيه إنكار الحسن والتبجح العقليين كما
اقتضى أيضاً نفي وجوب أن يكون الامام أفضل من رعيته كما ستعرف .

ويصدق ذلك بحيث لا يبقى به ريب أصلاً أخبارهم الصحيحة عندهم التي عليها المعول
بينهم الآمرة بالسمع والطاعة لسلطين الجور والضلالة وقد سبق بعضها في صدر
المبحث التي منها مارواه مسلم عن ابن عمر انه قال بعد حادثة الحرة وفعل يزيد فيها الافعال
الشيعة (سمعت رسول الله « ص » يقول : من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة
لاحجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) و (منها) مارواه البخاري
في الباب الثاني من كتاب الفتن ومسلم في باب وجوب طاعة الامراء من كتاب الامارة
عن عبادة بن الصامت قال : (دعانا النبي « ص » فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه
على السمع والطاعة ولا تنازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم من الله فيه
برهان) و (منها) مارواه مسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب الامارة عن
حذيفة من حديث قال فيه النبي « ص » : (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا
يستنون بسنني وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جحائم الانس قال قلت كيف
أصنع يا رسول الله قال تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وبطنك وأخذ مالك)
و (منها) مارواه مسلم في باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول من كتاب
الامارة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن العاص من حديث عن النبي « ص »
قال فيه : (من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطمعه ان استطاع أن جاء آخر
ينازعه فأضربوا عنق الآخر) إلى أن قال عبد الرحمن : (فقلت له هذا ابن عمك معاوية
يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله تعالى يقول : (يأبها الذين
آمَنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض ولا تقتلوا أنفسكم)
قال فسكت ساعة ثم قال أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله) إلى غير ذلك من
أخبارهم المستفيضة المصرحة بأن من الأئمة أئمة جور وتجب طاعتهم وأقرارهم على أمرتهم
ومن خرج عن طاعتهم شراً مات ميتة جاهلية ، وما أطف ماشهد به عبد الرحمن وأقر

به عبدالله في حق معاوية وهو خيرة أئمتهم بمد الثلاثة فيما بشرهم به وبابنه يزيد .
 فمع هذه الأخبار ونحوها من الاخبار المعتبرة المول بها عندهم كيف تصح دعوى
 انهم يشترطون واقعا تلك الشروط في الامام ، فالظاهر ان من يشترطها إنما يريد بها دفع
 الاستبشاع والمحافظة على الخلفاء الثلاثة ببيان انهم ممن جمع هذه الشروط وإلا فما فائدة
 شروط لا يتبعونها في سلاطينهم ولا تنطبق عندهم على خليفة سوى الثلاثة إلا النزر
 اليسير ولذا عجزوا عن تطبيق حديث الاثني عشر خليفة على سلاطينهم ورووا ان ما بعد
 الثلاثين سنة ملك عضوض لا خلافة .

ولو سلم انهم يشترطونها واقعا فأكثرها لاغ اما لعدم اعتباره أو لعدم كفايته في
 الامام : فن الاول (البلوغ) فان الحق عدم اعتباره إذ ليست الامامة بأعظم من النبوة
 وقد أرسل الله عيسى ونبأ يحيى طفلين ، لكن لما جعلوا الامامة بالاختيار كان
 لاشرائهم البلوغ وجه ، ومن الثاني (العدالة) لما عرفت من عدم كفايتها عن العصمة
 وكذا (الشجاعة والعقل والبصيرة في تدبير الحرب والسلم) لما سيأتي في المبحث الآتي
 من اعتبار أفضلية الامام في جميع صفات الكمال ، فلا بد أن يكون أشجع الناس وأعقلهم
 وأبصرهم في الامور ولا يكفي ثبوت أصل الشجاعة والعقل والبصيرة فقط ، وكذا
 (الاجتهاد) ضرورة انه لا يكفي في النيابة عن الرسول بل لا بد أن يكون عالما بجميع
 أحكام الشريعة عالما يقينياً لأن الله سبحانه قد بلغ نبيه «ص» أحكاماً أمها وأجراها
 على امته إلى يوم الدين ولا شك ان الاجتهاد لا يوصل اليها دائماً لوقوع الخطأ فيه فلا
 يمكن أن لا يجعل الله لنا إماماً عالماً بجميع الاحكام ويحيلنا على من لا طريق له إلا الظن
 والظن لا يغني من الحق شيئاً ، على انه اذا أخطأ الامام في حكم أو موضوع فلما أن
 يلزم الناس السكوت عن خطأ فيلزم الاغضاء على الفبيح وربما يجتهد في تحايل الحرام
 وما يوجب الضرر والفساد فلا تحصل به الفائدة المطلوبة في الامام : واما أن يلزم رده
 وهو ربما يقع في الشقاق .

نعم بقية الشروط التي ذكرها صحيحة اما (الحرية) فلأن المملوكية نقص في
 الشأن والتصرف ، واما (القرشية) فلأنها وان لم يحكم بها العقل إلا انه لما اتفق ان

الأئمة من قریش ومن آل رسول الله صح جعلها شرطاً بهذا الاعتبار كما أخبر النبي «ص» (بأنه لا يزال هذا الأمر في قریش وان الأئمة اثني عشر) وأوجب التمسك بعترته كما ستعرف إن شاء الله تعالى ، وقد خالف عمر هذا الشرط وقول رسول الله «ص» إذ قال (لو كان سالم حياً ما جعلتها شوري) ونحوه في حق معاذ كما سيأتي في مطاعن الصحابة واما (الذكورة) فلا أن النفوس لا تنقاد غالباً إلى المرأة فلا يحصل منها الغرض من الامامة لسكن بعض القوم كابن حزم في الملل والنحل (ج ٤ ص ١١) اختار نبوة ام موسى ومريم وام اسحاق فيلزمه عدم اشتراط الذكورية في الامام للأولوية ، وتعليل الفضل بأن النساء ناقصات العقل والدين باطل إذ كم امرأة أعقل من أكثر الرجال بل بعضهم بالغات مرتبة العصمة والكمال كما ورد في أخبارنا في حق الزهراء وخديجة ومريم وآسية وروى مسلم في فضائل خديجة عن النبي «ص» قال : (كل من ارجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون) والظاهر انه قد سقط ذكر خديجة من الحديث وإلا فلا معنى لروايته في فضائلها ولا بد أن تكون الزهراء أكمل من هذه الثلاث لما رواه البخاري وغيره انها يدة نساء أهل الجنة كما ستعرف بل لا يبعد سقوط ذكر الزهراء كخديجة من الحديث وإنما جعلت شهادة المرأتين عن شهادة رجل واحد جريباً على الغالب من نقصان عقل المرأة ، واما ما ذكره من انهن ناقصات الدين فلا بنا في امامتهن لأنه مفسر في الأخبار بقعودهن عن الصلاة والصوم أيام الحيض والنفاس كما رواه البخاري في كتاب الحيض في باب ترك الحائض الصوم ، فقد ظهران جملة من كلمات القوم وصحاح أخبارهم تقتضي جواز إمامة الفساق والسراق كما ذكره المصنف « ره » .

(الامام أفضل من رعيته)

قال المصنف أعلى الله مقامه

﴿المبحث الثاني﴾ في ان الامام يجب أن يكون أفضل من رعيته ، اتفقت الامامية على ذلك وخالف فيه الجمهور فجزوا تقديم المفضول على الفاضل وخالفوا مقتضى العقل

ونص الكتاب فان العقل يقيح تقديم المفضل واهانة الفاضل ورفع مرتبة المفضل وخفض مرتبة الفاضل ، والقرآن نص على إنكار ذلك فقال تعالى : (أفن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون) وقال تعالى : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الالباب) وكيف ينقاد العلم الأزهد الأشرف حسباً ونسباً للأدون في ذلك كله .

وقال الفضل

المراد من كون الامام أفضل من الرعية ان كان كونه أحسب وأنسب وأشرف وأعرف وأعف وأشجع وأعلم فلا يلزم وجوبه عقلاً كما ادعاه على تقدير القول بالوجوب العقلي لأن صريح العقل يحكم بأن مدار الامامة على حفظ الحوزة والعلم بالرياسة وطريق التمشي مع الرعية بحيث لا يكون فظاً غليظاً منفراً ولا سهلاً يستولي عليه الرعية ويكون حامي الذمار وبكفيه من العلم ما يشترط القوم من الاجتهاد وكذا الشجاعة والقرشية في الحسب والنسب وان وجد في رعيته من كان في هذه الخصال أتم ولا يكون مثله في حفظ الحوزة فالذي يكون أعلم بتدبير حفظ الحوزة فالعقل يحكم بأنه هو الاولى بالامامة وكثير من المفضولين يكونون أصالح للامامة من الفاضلين إذ المعتبر في ولاية كل أمر والقيام به معرفة مصالحه ومفاسده وقوة القيام بولايته ورب مفضل في علمه وعمله وهو بالرياسة أعرف وبشرائطها أقوم وعلى تحمل أعبائها أقدر ، وان أراد بالافضل أن يكون أكثر ثواباً عند الله تعالى فهذا أمر يحصل له الشرف والسعادة ولا تعلق له بالرياسة والرياسة ، وان أراد بالافضل الاصالح للامامة لكونه أعلم بحفظ الحوزة وتدبير المملكة فلا شك انه أولى ولا يجب التقديم اذا حصل حفظ الحوزة بالأدون بل الاولى والانسب تقديم هذا اذا لم يسبق عقد بيعته فان سبق وكان في تغييره مظنة فتنة فلا يجوز التغيير ، هذا جواب ما استدلل به على هذا المطلب من لزوم القبح العقلي مع انا غير قائلين به ، واما ما استدلل به من الآية فهو يدل على عدم استواء العالم والجاهل وعدم استواء الهادي والمضل والمهتدي والضال ، وهذا أمر مسلم فذلك الفاضل الذي

لم يصّر إماماً وصار المفضل إماماً يترجح على المفضل بالعلم والشرف واسكن المفضل إذا كانت أحفظ لمصالح الحوزة وأصلح للإمامة فهو أحق بالإمامة والفاصل على فضله وشرفه ولا محذور في هذا ، ومن الأشاعة من فصل في هذه المسئلة وقال نصب الأفضل ان أثار فتنة لم يجب كما إذا فرض ان المسكر والرعيا لا يثقادون للفاضل بل للمفضل وإلا وجب .

وأقول

لا يخفى ان رياسة الامام رياسة دينية وزعامة الهية ونيابة عن الرسول في أداء وظائفه فلا تكون الغاية منها مجرد حفظ الحوزة وتحصيل الأمن في الرعية وإلا لجاز أن يكون الامام كافراً أو منافقاً أو أفسق الفاسقين اذا حصلت به هذه الغاية ، بل لابد أن تكون الغاية منها تحصيل مابة سعادة الدارين كالغاية من رسالة الرسول وهي لانتم إلا أن يكون الامام كالنبي معصوماً وأحرص الناس على الهداية وأقربهم للاتباع والارتفاع به في امور الشريعة والآخرة وأحفظهم للحوزة وحقوق الرعية وسياستها على النهج الشرعي فلا بد أن يكون فاضلاً في صفات الكمال كلها من الفهم والرأي والعلم والحزم والكرم والشجاعة وحسن الخلق والعفة والزهد والعدل والتقوى والسياسة الشرعية ونحوها ليسكون أقرب للاتباع له وتسليم النفوس له والافتقار لآثاره فيحصل لهم مع حفظ الحوزة السعادة بكمال الايمان وشرف الفضائل وخير الدارين وهي الغاية من رسالة الرسول فاتضح انه يجب أن يكون الامام أفضل من الرعية في جميع المحامد كما هو مراد المصنف ولعله مراد الفضل بالوجه الأول ، وحينئذ فلا يصح رده على المصنف بقوله : (لأن صريح العقل يحكم بأن مدار الامامة على حفظ الحوزة) الخ فان هذا وحده لا يكفي في نيابة الرسول ولا سيما اذا رأى الأمير ارتفاع ماله ونفوذه أمره بسحق الدين وقتل المؤمنين واخافتهم وتقريب الطالحين كما وقع في العصر الأول وعلى نحوه نالت المصور ، ومنه يعلم ان فرض كون المفضل في العلم والعمل أحفظ للحوزة خطأ لأن المطلوب هو الأحفضية على الوجه الشرعي وهي فرع الأعلمية والأعملية بوجود الحفظ الشرعية ،

هذا الأولى أن لا يذكر الفضل شرط أن لا يكون فظاً غليظاً ولا شرط أن لا يكون سهلاً ضعيفاً تستولي عليه الرعية فإن الأول مضر بامامة عمر والثاني بامامة عثمان ، وبما ذكرنا من وجوب كون الامام فاضلاً في جميع صفات الكمال يعلم انه لا يصح فرض كونه فاضلاً في صفة دون اخرى حتى تتصور المعارضة ويقال بتقديم صاحب الصفة التي هي أمس بالامامة كما فعل الفضل .

واعلم ان الامام اذا كان فاضلاً في صفات الكمال يلزم أن يكون أطوع لله وأكثر عملاً بالبر والخير فلا بد أن يكون أكثر ثواباً ، فينشد لو اريد بالأفضل الاكثر ثواباً من حيث لزومه للأفضل في صفات الكمال كان متجهاً ولم يرد عليه ما ذكره الفضل على انه غير مراد المصنف ، كما لا يريد ما احتمله الفضل ثالثاً لما عرفت من أن الصلوح للامامة عند المصنف إنما يكون بالعصمة والفضل بنسائر الصفات الحميدة لا بالأعلمية بحفظ الحوزة فقط ، على ان قوله : (لا يجب التقديم اذا حصل حفظ الحوزة بالأدون) ظاهر البطلان لأن العقل يبيح تقديم المفضول بالصلوح للامامة على الأفضل فيه ، فلا يصح حينئذ سبق العقد للمفضول حتى يكون في تغييره مظنة فتنة ، لكن القوم أنكروا الحسن والقبح العقليين ، وعليه فما معنى اشتراطهم اجتهاد الامام وعدالته إلى غيرها من الشروط المتقدمة سوى القرشية التي قالوا بورود الشرع بها .

واما ما أجاب به عن الآيتين فخطأ ظاهر إذ لا يراد بها مجرد نفي المساواة بين العالم والجاهل أو بين الهادي وغيره كما تخيله الفضل فإن نفي المساواة بينها ضروري غير محتاج إلى البيان ولا يمكن أن يقول عاقل بالمساواة حتى ينكر عليه ، بل المراد هو الانكار على عدم ترتيب أثر الفرق بينها وعدم اتباع الافضل كما هو صريح الآية الاولى إذ أنكرت على من لا يقول بأن الهادي أحق بالاتباع ممن لا يهتدي إلا أن يهدي ، ولا يخفى ان القوم لم يوجبوا تقديم الاعلم مع المساواة في الحفظ وكفاهم فيه مخالفة للكتاب العزيز ، هذا ولا يعتبر أن يكون الامام أشرف الناس في الجهات الدنيوية من الجاه والمال والسلطان وان كانت مقربة للاتباع لأن المطلوب هو الاتباع والايان الحقيقي لا مجرد الطاعة الظاهرية ، كما لا يعتبر أن لا يساويه أحد في صحة النسب وإنما يعتبر أن لا يفضل

فيه أحد إذ لاتنافي المساواة فيه حسن التبعة اذا كان أشرف حسباً ولذا جاز أن يكون للامام اخوة من امه وأبيه ، فتدبر وعلى الله التوفيق .

(طريق تعيين الامام)

قال المصنف قرسى الله رحمه

﴿المبحث الثالث﴾ في طريق تعيين الامام :ذهبت الامامية كافة إلى أن الطريق إلى تعيين الامام أمران (الأول) النص من الله تعالى أو نبيه أو إمام ثبتت إمامته بالنص عليه أو ظهور المعجزة على يده ، لأن شرط الامامة العصمة وهي من الامور الخفية الباطنة التي لا يعلمها إلا الله تعالى ، وخالفت السنة في ذلك وأوجبوا اطاعة أبي بكر على جميع الخلق في شرق الارض وغربها باعتبار متابعة عمر بن الخطاب له برضى أربعة : أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة وبشير بن سعد واسيد بن حضير لاغير ، فكيف لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ايجاب اتباع من لم ينص الله عليه ولا رسوله ولا اجتمعت الامة عليه على جميع الخلق لاجل مبايعة أربعة نفر بل ذهب الجويني وكان من اكثرهم علماً وأشدهم عناداً لأهل البيت عليهم السلام إلى أن البيعة تنعقد لشخص واحد من بني هاشم اذا بايعه رجل واحد لاغير ، فهل يرضى العاقل لنفسه الانقياد إلى هذا المذهب وان يوجب على نفسه الانقياد وبذل الطاعة لمن لا يعرف عدالته ولا يدري حاله من الايمان وعدمه ولا عاشره ليعرف جيده من رديه وحقه من باطله لأجل ان شخصاً لا يعرف عدالته بايعه ، وهل هذا إلا محض الجهل والحق والضلال عن سبيل الرشاد ، نعوذ بالله من اتباع الهوى وغلبة حب الدنيا ، ومن أغرب الأشياء وأعجبها بحث الاشاعة عن الامامة وفروعها وعن الفقه وتفصيله مع تجويز أن يكون جميع الخلق على الخطأ والزلل وأن يكون الله تعالى قد قصد اضلال العبيد بهذه الشرايع والاديان ، فانهم غير جازمين بصحتها ولا ظانين فانه مع غلبة الضلال والكفر وأنواع العصيان الصادرة منه تعالى كيف يظن العاقل أو يشك في صحة الشرايع بل يظن بطلانها

عندهم حلا على الغالب إذ الصلاح في العالم أقل القليل ، ثم مع تجوزهم أن يحرم الله علينا التنفس في الهواء مع الضرورة والحاجة اليه وعدم الغناء عنه من كل وجه ، ويحرم علينا شرب الماء السائغ مع شدة العطش والانتفاع بذلك الماء وعدم التضربه وانتفاء المفاسد كلها كيف يحصل الجزم بأنه يفعل اللطف بالعبد والمصلحة في إيجاب اتباع هذا الامام

وقال الفضل

اعلم ان الشخص بمجرد صلوحه للامامة وجمعه لشرائطها لا يصير إماماً بل لابد مع ذلك من أمر آخر ، وإنما تثبت بالنص من الرسول ومن الامام السابق بالاجماع ، وتثبت ببيعة أهل الحل والعقد عند أهل السنة والجماعة والمعتزلة والصالحية من الزيدية خلافاً للامامية من الشيعة فانهم قالوا لا طريق إلا النص .

(لنا) ثبوت إمامة أبي بكر ببيعة أهل الحل والعقد كما سيأتي بعد هذا مفصلاً في محاله ، وأما ما ذكر ان خلافة أبي بكر انعقدت ببيعة عمر ورضي أربعة فهذا أمر باطل يكذبه النقول المتواترة وإجماع الامة فإن خلافة أبي بكر انعقدت يوم السقيفة بمحضر من أرباب الحل والعقد وهم كانوا ذلك اليوم جماعة الانصار سيما الخزرج لأن المراد من أهل الحل والعقد امرء العساكر ومن لم يتم أمر الامارة والخلافة بغير رضام وكانوا في ذلك الوقت جماعة الانصار أهل الحل والعقد بهذا المعنى ، وهل يختلف رجل واحد من زمان الصحابة إلى اليوم من أرباب التواريخ ان أبا بكر لم يفارق السقيفة حتى بابعه جميع الانصار إلا سعد بن عباد وهو كان مريضاً ومات بعد سبعة أيام فكيف يقول ان خلافته انعقدت ببيعة عمر ورضي أربعة من الصحابة ، وهل هذا إلا افتراء باطل يكذبه جميع التواريخ المثبتة في الاسلام ، نعم البادي بالبيعة كان عمر بن الخطاب وتتابع الانصار وابعوه بعد تلجأج وتردد ومباحثة ، ولو كان الانصار سمعوا من رسول الله «ص» النص على خلافة علي فلم لم يجعلوه حجة على أبي بكر ولم لم يدفعوا خلافته بهذه الحجة ؟ أكانوا يخافون من أبي بكر وعمر وهم كانوا في عقر دارهم وقد اجتمعوا لنصب الامام من قومهم وكانوا زهاء الف أو زيادة وقالوا بعد المباحثة منا

أمير ومنكم أمير فلم لم يقولوا يا أبا بكر يا عمر ان العهد لم يطل وان رسول الله «ص» في غدير خم نص بخلافة علي فلم تبطلون قول رسول الله «ص» ولم لاتنقادون بقوله وكان أقل فائدة هذه المباحثة دفع البيعة عن أنفسهم ؛ ولم يجترئ أحد من الامامية أن يدعي ان الأنصار قالوا يوم السقيفة هذا القول ؛ فيامعشر العقلاء هل يمكن وجود النص في محضر جميع الناس ولم يحضر الأنصار ؛ وهل يمكن ان الأنصار الذين نصرروا الله ورسوله وتبوءوا الدار والايمان وارتكبوا عداوة العرب وقتل الأشراف في نصرته رسول الله «ص» كانوا ساكتين في وقت المعارضة ولم يذكروا النص أصلا مع ان عمر وأبا عبيدة الأزوم بقوله : (الأنمة من قريش) فلم لم يقولوا الامامة لعلي بنص من رسول الله «ص» يوم غدير خم ، والعاقل المسلم المنصف لو تأمل فيما قلنا من سكوت الأنصار وعدم الاستدلال في دفع بيعة أبي بكر بالنص على علي ؛ لجزم بعدم النص من رسول الله «ص» على احد ويعلم ان خلافة أبي بكر ثبتت ببيعة أرباب الحل والعقد ؛ ثم ماذكر هذا الرجل من أن الأشاعرة لا بقدرتون على هذا المبحث وتعجب من بحثهم في الامامة لقولهم بأن الله خالق كل شيء فهذا شيء ذكره ساراً وهو لا يعرف غير هذا وتصوير الحالات على رأيه الباطل الفاسد وقد بينا لك ان شيئاً مما ذكره لا يلزم الأشاعرة وكثرة التكرار من شأن الكوزيين وأمثاله .

وأقول

ينبغي هنا بسط المقال لتتضح الحال فنقول : استمر النزاع في أن تعيين الامام من الله تعالى أو باختيار الناس ذهبت الامامية إلى الأول واهل السنة إلى الثاني ، والحق هو الأول لامور : (الأول) قوله تعالى : وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة . (الثاني) ان الرجوع إلى الاختيار مفسد للامامة والامة والدين ولا سيما اذا اكتفيينا باختيار الواحد كما هو مذهب القوم كما ستعرف ان شاء الله تعالى لأن الاختيار ربما يؤدي إلى اختيار فاسق فعلا أو استقيالا فتفسد الامامة وتفسد الامة والدين بفساد الامام ولو من أجل ان الناس على دين ملوكهم وتبع لأهوائهم كما هو المشاهد .

(الثالث) ان الامة قد تختلف باختيار الاسام ولو لزعم كل طائفة ان امامة صاحبهم متعينة لاختلال شروطها في الغير أو لعدم معرفتهم به ولو لبعد الأماكن وكثرة المسلمين فيؤدي إلى امامة إمامين أو أكثر وإلى الحرب وفساد البلاد وضعف الاسلام ، ودعوى تعيين المتقدم كما زعمه في المواقف باطلة اذا فرض قول كل طائفة بعدم صلوح غير صاحبهم للإمامة ، مع انه قد يقع الاختلاف في المتقدم ، كما ان دعوى وجوب الانتظار إلى الاتفاق باطلة أيضاً لأن الانتظار يوجب إهمال أمر الامة زماناً أو أزمناً طويلة أو دائماً على ان ايجاب الانتظار منافي لاختيار عمر وأصحابه لأبي بكر وبيعهم له قبل اتفاق من في السقيفة فضلاً عن غيرهم بل مع تصريح الكثير أو الاكثر من أهل السقيفة بالخلاف (الرابع) ان تعيين الامام باختيار واحد إماماً كان أو غيره أو باختيار جماعة وان كانوا جميع أهل الحل والعقد حيف بمحقوق بقية المسلمين بلا سلطان جعله الله لاولئك عليهم ، ودعوى الاجماع ساقطة لانها ناشئة من فعل عمر ومن وافقه وهم مع عدم تحقق الاجماع بهم محل الكلام ، وكيف تمكن دعوى الاجماع على اعتبار اختيار الناس وقد خالف أمير المؤمنين الذي يدور معه الحق حيث دار وجماعة من الصحابة في بيعة أبي بكر وما خلفوا باختياره من اختاره إلى أن بايعوا بعد مدة طويلة بالاضطرار وبقي بعضهم على المخالفة حتى لحق بالملك القهار .

(الخامس) انه يمتنع أن يترك الله سبحانه اختياره للامام وبأمر الناس بأن يختاروه وهو أنظر لهم وأخبر إذ يوجب بالحكيم أن يترك أسهل الطريقين وأوصلها إلى المطلوب وبأمر بسلوك الطريق الصعب الذي لا يوصل إلى المطلوب أحياناً أو غالباً .

(السادس) ان التكليف بالاختيار ان تعاق بالناس جميعاً على نحو الاتفاق منهم فهو تكليف بما لا يطاق وان تعاق بهم على نحو يكفي البعض ويجب على الباقي القبول بشرط العلم بجماعية الامام للشرائط فهو ظاهر البطلان إذ يمتنع عادة معرفة الناس جميعاً بجماعيته حتى من حيث شهادة المختار أو المختارين له بها لأنهم إن لم يكونوا فساقاً فالعادة تقتضي بالجهل في عدالتهم عند الناس إلا البادر فيبقى الناس في هرج بلا إمام أزماناً طويلة أو إلى أن يموت ذلك الامام وربما تكون شهادتهم معارضة بشهادة آخرين

بعدم جامعيته فيزيد الهرج ، واما لو أوجبنا القبول مطلقاً فلا مرأ يظهر بطلاناً إذ يلزم تدوين الشخص بامامة إمام لا يعرف جامعيته بمجرد اختيار واحد أو جماعة لا يعرف عدالتهم أو يعرف فسقهم وهذا لا يقوله من يؤمن بالله وحكمته .

(السابع) ان الامام لا بد أن يكون معصوماً وأفضل الامة واكملهم صفات كما سبق ولا يعلمه الناس إلا بطريق النص من الله تعالى بلسان نبيه أو إمام آخر معصوم حاك عن الله ورسوله أو بأظهار المعجزة على يده ولو لم يكن الامام السابق معصوماً حاكياً عن الله تعالى لم ينفع نصه لاحتمال خطئه أو عمده إلى من لم يكن أهلاً للامامة اتباعاً للهوى أو حباً للرحيم ، ففي الحقيقة لم يوافقنا السنة على ثبوت الامامة بنص الامام السابق لأننا نريد بالسابق إماماً خاصاً وهم يريدون غيره .

(الثامن) ان نصب الامام واجب على الله تعالى فلا بد أن يكون الاختيار والتعيين منه تعالى وبدل على وجوبه عليه الكتاب والعقل ، اما (الكتاب) فقوله تعالى : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وبالضرورة ان نصب الامام رحمة وقوله تعالى : (ان علينا الهدى) ولارب ان نصب الامام من الهدى أو مقدمته فيجب ، وقوله تعالى : (وعلى الله قصد السبيل) ومن الواضح ان نصب الامام من قصد السبيل .

واما العقل فأمران (الأول) انه لا اشكال بأن الناس في كل وقت محتاجون إلى عالم بكل ما كلف الله تعالى به عباده وجاء به الرسول من عنده من حلال أو حرام ، فان حلال محمد حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة ، ولا يعلم بهذا العالم إلا الله تعالى فلا بد من نصبه له ولا يغني الاجتهاد عن العلم الواقعي لوقوع الخطأ فيه ، وكذلك هم محتاجون إلى عالم بكل حجة ودليل يثبت به الاسلام ليحتج به على كل بحسب فهمه وحاله ، ولو احتاج الثبوت إلى معجزة لزم أن يكون محلاً لأظهار الله لها على يده ، وإلا لا تقبلت حجج الله وبيداته لعدم كفاية معجزات النبي في الحجية بالنسبة إلى أكثر الناس المتأخرين لجهلهم بها أو بانحازها فيجب على الله تعالى نصب الامام العالم ببيداته القادر على إثبات دينه ولو بالمعجزة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (اللهم بلي لا تخلو الأرض من قائم لك بحجة اما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل

حججك وبيناتك) فلو لا نصب هذا الامام لكان لاكثر الكافرين والضالين الحجة على الله تعالى إذ يصح عذرهم بالجهل والغفلة الآتية بسبب عدم نصب الحجة عليهم ، فيقولون إنا كنا عن هذا غافلين ، ولا يضر في حججته استتاره لأنه بسببهم حيث أخاوه ففوتوا الخير عن أنفسهم ممن يخيفون الأنبياء ويشردونهم فلا تبطل حجج الله بذلك : واما قوله سبحانه : (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فلا يدل على عدم الحاجة إلى الامام لأن المراد البعدية بلحاظ ما جاؤا به ومما جاؤا به نصب الامام (الثاني) ان نصب الامام لطف والالطف واجب على الله عز وجل ، اما (الصغرى) فلأن اللطف هو ما يقرب إلى الطاعة ويبعد عن المعصية ولو بالاعداد وبالضرورة ان نصب الامام كذلك لما به من تنفيذ الأحكام ورفع الظلم والفساد ونحوها ولا ينافي اللطف في نصبه سلب العباد سلطانه أو غيبته لأن الله سبحانه قد لطف بهم بنصب مبدء لهم وهم فوتوا أثر اللطف عن أنفسهم ، وعورض هذا اللطف بلطف آخر حاصل بعدم الامام فان فاعل الواجب وتارك الحرام مع عدم الامام أقرب إلى الاخلاص لا تنفاه الخوف منه فيكون أكثر تواباً وبكون عدم الامام لطفأ ، بل قيل أن تفويت هذا الثواب مفسدة مانعة من وجوب نصب الامام ، وفيه ان هذا اللطف لا يصاح المعارضة لأنه لطف خاص بقليل من الناس ونصب الامام لطف عام ، على انا نمنع كونه لطفأ لعدم إحاطة غير الامام بمجاهات الاخلاص فلا يحصل الاخلاص التام بدون الامام للحاجة إلى تعليمه وإرشاده : مع ان من لا يخالف الاوامر والنواهي مع عدم الامام لا يتفاوت حاله في الاخلاص بين وجود الامام وعدمه ضرورة انه يوافق التكليف بالطبع والطوع لا بالخوف البتة بلا فرق بين حالتي وجود الامام وعدمه بل هو مع الامام أقرب إلى الاخلاص اقتداء به وسلوكاً لهجه : واما كون فوات المصلحة مفسدة فظاهر البطلان لو سلم فواتها على ان مقتضاه عدم جواز نصب الامام لعدم وجوبه فقط لما في نصبه من المفسدة فرضاً .

واما (الكبرى) فلأن ترك هذا اللطف من المولى اخلال بفرضه ومطلوبه وهو طاعة العباد له وترك معصيته فيجب نصب الامام على المولى لئلا يخل بمطلوبه ، لأن الناس غير معصومين والمفاسد بنصب المبدء للطاعة منتفية بالضرورة وإلا لما جاز نصبه

وهو خلاف الاجماع والضرورة ، على انه سبحانه أخير بأنه لطيف فيلزمه نصب الامام تصديقاً لاخباره ، وهو سبحانه لم يخاق جوارح الانسان إلا وجعل لها إماماً يهديها إلى أفعالها وأميراً يحكم في مشتهياتها وهو القلب كما أقر به عمرو بن عبيد لما سأله هشام ابن الحكم « ره » فكيف يترك الناس في حيرة الضلالة بلا إمام يهديهم سواء السبيل ويرفع مشتهياتهم وخلافهم مع انتشارهم في أطراف الارض واختلافهم بالطباع والاهواء وتباينهم بالمقاصد والآراء ويمكن ارجاع الدليلين العقليين إلى دليل واحد وهو كون الامامة لطفاً من جهتين جهة العلم وهي الأمر الأول وجهة السياسة وهي الأمر الثاني والالطف واجب .

فاذا عرفت انه لا يجوز الرجوع إلى اختيار الناس في تعيين الامام وانه يجب على الله سبحانه نصبه ظهر لك بطلان القول بثبوت الامامة ببينة أهل الحل والعقد وبطلان القول بجوب النصب شرعاً على الامة .

ومن طريق ما قيل في بطلان دعوى ان الامامة بالاختيار قول الشاعر العبدى :

وقالوا رسول الله ما اختار بعده إماماً ولكننا لأنفسنا اخترنا
أقنا إماماً إن أقام على الهدى أطلعنا وإن ضل الهداية قومنا
فقلنا إذن أنتم إمام إمامكم محمد من الرحمن نهم وما تنها
ولكننا اخترنا الذي اختار ربنا لما يوم خم ما اعتد بنا ولا حلنا
سبجهمنا يوم القيامة ربنا فتجزون ما قلتم ونجزى الذي قلنا
ونحن على نور من الله واضح فيارب زدنا منك نوراً وثبتنا

واستدل الاشاعرة على وجوب النصب على الامر شرعاً بثلاثة وجوه ذكر صاحب

المواقف وشارحها منها اثنين قال :

(الأول) انه تواتر إجماع المسلمين في الصدر الأول بعد وفاة النبي « ص » على امتناع خلو الوقت من خليفة وإمام حتى قال أبو بكر في خطبته المشهورة حين وفاته « ص » (ألا ان محمداً قد مات ولا بد لهذا الدين ممن يقوم به) فبادر الكل إلى قبول قوله ولم يقل أحد لاجابة إلى ذلك بل اتفقوا عليه وقالوا ننظر في هذا الامر وبكروا إلى سقيفة

بني ساعدة وتركوا أهم الاشياء وهودفن رسول الله «ص» واختلافهم في التعمين لا يقدح في ذلك ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر إلى زماننا هذا من نصب إمام متبع، انتهى وفيه مع ما عرفت من وجوب النصب على الله تعالى فلا محل لوجوبه على الامة شرعا، ان دعوى امتناع خلو الوقت عن إمام أع-م من وجوبه على الله سبحانه وعلى الامة شرعا أو عقلا، نعم لو صح ما نقله عن أبي بكر وقبول الصحابة له وقولهم ننظر في هذا الامر كان ظاهراً في وجوبه على الامة لسكن مع كونه أهم من الوجوب شرعا وعقلا كذب صريح إذ لم يقل أبو بكر لا بد لهذا الدين ممن يقوم به في خطبته التي رأيناها في كتبهم كتاريخي الطبري وابن الاثير وصحيح البخاري عند ذكر مناب أبي بكر ومستدرك الحاكم حيث ذكر خطبة أبي بكر «ص ٣٩٥ من الجزء الثاني» وغيرها من كتبهم، وما قال أحد بعد خطبة أبي بكر ننظر في هذا الامر ولا راحوا إلى السقيفة وفاء بالوعد وقياماً بواجب النصب شرعا، فإن روايتهم متظافرة في أن الانصار اجتمعوا في السقيفة لبيعة سعد ساعة موت النبي «ص» فعلم أبو بكر وأصحابه فذهبوا ينافسونهم في الامرة كما يدل عليه خطبة عمر التي بين فيها ان بيعة أبي بكر فلتة ورواها القوم منهم البخاري في باب رجم الحبلى من الزنا اذا احصنت من (كتاب المحاربين).

وكيف يمكن أن تكون مبادرتهم الى السقيفة أداء للوظيفة الشرعية والحال ان تجهيز النبي «ص» ومراعاة حرمة أهم الواجبات وتأخير دفنه تلك المدة اكبر الوهن به وبالاسلام ولا يضر تقديم تجهيزه بأمر الامامة ولا سيما بناء على حسن ظن القوم بالصحابة وحكمهم بعد انهم أجمع وصلابتهم في الدين كما تسمع، فلا ريب انهم لم يؤخروا دفن النبي «ص» بمبادرة لواجب البيعة وإنما أخروه منافسة في الدنيا وانتهازاً لفرصة مشغولية أمير المؤمنين «ع» بالنبي «ص» وعلمهم بأنه لا يترك النبي «ص» بلا دفن ويأتي لمزاحمتهم ولو كانوا بذلك الاهتمام في أداء واجب البيعة فما بال عمر أباح تأخير البيعة في الشورى ثلاثة أيام والنفر الذين اختارهم للشورى ستة وعيكنهم بت الامر في يوم واحد أو ساعة واحدة ولا سيما مع علمهم بالحال قبل موته.

ولو كانوا بذلك الاهتمام في أمر الامامة الالهية فلم يسألوا النبي «ص» نصب إمام لما أخبرهم بموته مراراً عديدة تصرّحاً وتلويحاً فيريحهم عن تكلف ذلك المهم ، ولم نسبوه إلى الهجر ومنعوه من كتابة مالا يضلون بعده ألم يحتملوا انه يريد نصب إمام فيريحهم عن ذلك الاهتمام ، ولم لم يعطها النبي «ص» بعض اهتمامهم وينصب لهم خليفة أو يشرع جواز ترك الاستخلاف بالقول وبحفظ حرمة وحرمة الاسلام ، ولم لم يكن عند أمير المؤمنين ذلك الاهتمام فيشاركونهم في أداء الواجب فيحصل لدفع النبي «ص» تعجيل وأما قولها : ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر إلى زماننا الح ، فغريب لأننا لم نر ولم نسمع انهم اهتموا لنصب إمام قايماً بالواجب ولذا لم يطلبوا إماماً جامعاً للشرائط التي ذكرها من العدالة والاجتهاد والقرشية ونحوها وإنما رأينا وسمعنا قيامهم برياسة من انتفت عنه الشرائط طلباً لأن ينالوا به شيئاً من الدنيا الدنية .

(الدليل الثاني) الذي ذكره المختار الاشاعرة ان في نصب الامام دفع ضرر مظنون ودفعه واجب إجماعاً .

وفيه ان الدفع به إنما يجب على الناس اذا لم يجب على الله تعالى أو أهمل أمر الامة وكلاهما باطل ، ولو سلمنا فلا مخرج للنبي «ص» عن وجوب دفع الضرر بالنصب فلا بد أن يكون قد نصب وإلا أخل بالواجب : على ان نصبهم للامام وان دفع ضرراً إلا أن نصب غير المعصوم يوجب ضرراً آخر ناشئاً من عهده أو خطاه فيضر بالدين والامة فيحرم فلا مناص من نصب الله سبحانه لمن يعلم عصمته .

وقد ذكر القوشجي دليلاً ثالثاً وهو ان الشارع أمر بإقامة الحدود وتجهيز الجيوش وسد الثغور ونحوها مما لا يتم إلا بإمام ولا يتم الواجب إلا به واجب .

وفيه مع توقفه على عدم الوجوب على الله سبحانه وتركه لنصب الامام وكلاهما باطل ان تلك الواجبات إنما تجب بشرط وجود الامام ومقدمة الواجب المشروط غير واجبة كالاستطاعة بالنسبة إلى الحج ولا سيما أن الاول وهو إقامة الحدود إنما يجب على الامام بل وكذا الاخيران : فكيف تجب مقدمتها وهي نصب الامام على غيره : اللهم إلا اذا خيف على بيضة الاسلام فإنه يجب الاخيران على الناس أيضاً فيجب عليهم النص

هنا خاصة ، ولو سلم وجوب تلك الامور على الناس وان النصب مقدمة وجود لها فكثير من الجمهور لا يقولون بوجوب مقدمة الواجب كما سيذكره المصنف « ره » في مسألة اصول الفقه .

فانضج بما بينا بطلان الرجوع الى اختيار الامة كلاً أو بعضاً وبطلان ايجاب النصب عليهم ، لسكن القوم مع اختيارهم لذلك اكتفوا ببيعة الواحد والاثنين في عقد الامة وايجاب اتباعه على الامة قال في المواظف وشرحها وها عنوان مذهبهم (واذا ثبت حصول الامامة بالاختيار والبيعة فاعلم ان ذلك لا يفتقر الى الاجماع من جميع أهل الحل والعقد إذ لم يتم عليه دليل من العقل والسمع بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد كاف في ثبوت الامامة ووجوب اتباع الامام على أهل الاسلام ، وذلك لعلمنا ان الصحابة مع صلابتهم في الدين وشدة محافظتهم على امور الشرع كما هو حقها اكتفوا في عقد الامامة بذلك المذكور من الواحد والاثنين كعقد عمر لابن بكر وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان ، ولم يشترطوا في عقدها اجتماع من بالمدينة من أهل الحل والعقد فضلاً عن اجماع الامة من علماء أمصار الاسلام ومجتهدى جميع أقطارها هذا ولم ينكر عليه أحد ، وعليه أي على الاكتفاء بالواحد والاثنين في عقد الامامة انطوت الاعصار بعدهم الى وقتنا هذا) .

وأنت اذا نظرت بعين الانصاف وسمعت باذن واعية وتدبرت فيما ذكرنا عرفت بطلان هذا الكلام ، ومن العجب دعواهما اكتفاء الصحابة في عقد الامامة ببيعة الواحد والاثنين ، ألم يعلم امتناع أمير المؤمنين وسيد المسلمين وجماعة من الصحابة عنبيعة أبي بكر وتخليفهم عنها زمناً طويلاً ولم يكتفوا ببيعة من بايعه من أهل السقيفة فضلاً عن عمر وحده ، ألم يسمعا تخلف سعد وابن عمر واسامة بن زيد ومحمد بن سلمة وأبي مسعود الأنصاري وغيرهم عنبيعة أمير المؤمنين «ع» مع مشاهدتهمبيعة أهل الحل والعقد له ، ألم يدريا انبيعة الاوس لابن بكر كانت حسداً للخزرج لالاكتفاء المذكور كما تشهد به مراجعة تاريخي الطبري وابن الاثير في كيفيةبيعة السقيفة وكذابيعة المهاجرين انما كانت حسداً وعداوة لأمير المؤمنين «ع» كما ستعرف ان شاء الله تعالى ،

وأنجب من ذلك دعوها انطواء الاعصار على ذلك فانما لم نسمع انه اتفق في زمان
اكتفاء الناس ببيعة الواحد والاثنين وان التكليف دعاهم إلى التسليم ، نعم سمعنا عهد
الملوك الخونة لأبنائهم الجهة الفسقة ؛ ولحكمه من نص الامام عندهم لامن محل الكلام ،
ومن المضحك انهم يصفون الصحابة بالصلابة في الدين في مثل المقام مما يحتاجون فيه إلى
إثبات صلابتهم ومحافظتهم على امور الشرع ويدعون في مقام آخر ان مبادرتهم إلى البيعة
وإعراضهم عن دفن سيد المرسلين خوفا من الفتنة وزوال أمر الاسلام فانهم اذا كانوا
بتلك الصلابة فاي خوف يخشى على الاسلام اذا بادروا لدفن نبيهم «ص» وأخروا البيعة
ساعة وتذاكروا في أثناء هذا الوقت بتعيين الأولي ؛ واذا كانوا بتلك الصلابة فكيف
خاف عمر من وجوه الصحابة أن يفسدوا اذا خرجوا في الجهاد وإمرة البلاد ، روى
الحاكم في المستدرک في مناقب أمير المؤمنين «ع» من كتاب معرفة الصحابة (ص ١٢٠
من الجزء الثالث) وصححه الذهبي في تاييده عن قيس بن أبي حازم قال : جاء الزبير
إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في الغزو فقال عمر اجلس في بيتك فقد غزوت مع
رسول الله «ص» قال فردد ذلك عليه فقال له عمر في الثالثة أو التي تليها اقمع في بيتك
فوالله اني لأجد بطرف المدينة منك ومن أصحابك ان تخرجوا فتفسدوا على أصحاب
محمد «ص» .

فقد ظهر من كلام الواقف وشرحها ان امامة أبي بكر انعمدت ببيعة عمر فوجب
اتباعه على أهل الاسلام قاطبة فكان مانسبه المصنف اليهم صدقا وإنما الفضل جاهل بمذهبه
وبمراد المصنف ، فالمصنف لم يرد إنكار بيعة الأنصار يوم السقيفة بل أراد اني كون
إمامة أبي بكر عن مشورة أهل الحل والعقد واجتماع رأيهم وإنما كان أصل انعقادها
ببيعة عمر ورضي أربعة ، ولذا كانت فلتة كما قاله عمر ومع ذلك أوجبوا طاعته على جميع
الخلق ، وهذا لا يستحل القول به من يؤمن بالله وعدله وحكمته .

على ان مادعاه الفضل من اتفاق أرباب التواريخ على ان أبا بكر لم يفارق السقيفة
حتى بايعه جميع الأنصار إلا سماعاً كذب صريح : قال ابن الأثير في كامله (ص ١٥٦
من الجزء الثاني) توفي رسول الله «ص» اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا

سعد بن عباد فبالغ ذلك أبا بكر فأثامهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فقال ما هذا فقالوا منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر منا الامراء « ومنكم الوزراء » ، ثم قال أبو بكر قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر وأبا عبيدة أمين هذه الامة فقال عمر أياكم يطيب نفساً أن يخلف قدمين قدمها النبي « ص » فبايعه عمر وبايعه الناس فقالت الأنصار أو بعض الأنصار لا نبايع إلا علياً) انتهى : ونحوه في تاريخ الطبري (ص ١٩٨ من الجزء الثالث) وقال ابن عبد البر في الاستيعاب بترجمة أبي بكر (يبيع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه رسول الله « ص » في سقيفة بني ساعدة ثم يبيع له البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم وتخلف عن بيعته سعد بن عباد وداثمة من الخزرج وفرقة من قريش) .

واما ما زعمه من ان أهل الحل والعقد كانوا ذلك اليوم جماعة الأنصار فازدراء بحق المهاجرين على كثرتهم وكثرة العلماء والامراء منهم .

ومن طريق الكذب ما قاله من موت سعد بعد سبعة أيام ، فانه لا يجامع اتفاق العلماء وانؤرخين على انه مات بحوران وقال اكثرهم مات في إمارة عمر ، قال ابن حجر في الإصابة في ترجمة سعد : (وقصته في تخلفه عن بيعة أبي بكر مشهورة وخرج إلى الشام فمات بحوران سنة ١٥ وقيل سنة ١٦) وروى الحاكم في المستدرک ص ٢٩٢ من الجزء الثالث (انه توفي بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف من خلافة عمر وذلك سنة ١٥ وروى أيضاً انه مات بحوران سنة ١٦) وقال الطبري في تاريخه ص ٢١٠ من الجزء الثالث : (كان سعد لا يصلي بهم ولا يجتمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بافاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر) وقال في الاستيعاب بترجمة سعد (وتخلف سعد بن عباد عن بيعة أبي بكر وخرج من المدينة ولم ينصرف اليها إلى أن مات بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف مضتا من خلافة عمر وذلك سنة ١٥ وقيل أربع عشرة وقيل بل مات بخلافة أبي بكر سنة ١١) وقال ابن الأثير في كامله في تاريخ سنة ١٤ (وفيها مات سعد بن عباد وقيل سنة ١٦ وقيل سنة ١٥) وقد ذكر ابن أبي الحديد نحوه ذلك في عدة مواطن من شرح النهج وذكره جماعة كثيرون لا يسع المقام استقصاءهم ،

وذكر ابن أبي الحديد ص ١٩٠ من المجلد الرابع : (ان أبا بكر وقال بعضهم عمر كتب إلى خالد بن الوليد بالشام ان يقتل سعداً ولكن له هو وآخر معه وقيل هو محمد بن مسلمة ليلاً فرمياه فقتلاه وألقياه في بئر هناك فيها ماء فهب صاحب خالد في ظلام الليل بديتين :

نحن قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباد

ورميناه بسهمين فلم نخطيء فؤاده

يرهم ان ذلك من شعر الجن) .

واما قوله : (ولو كان الأنصار سمعوا من رسول الله النص على خلافة علي فلم يجعلوه حجة على أبي بكر) ففيه انهم إنما لم يجعلوه حجة عليه لأنه حجة عليهم فانهم مثله كانوا يطلبون الامر وقد اجتمعوا لنصب إمام منهم كما ذكره الفضل ، وهم أول من أبطل قول النبي « ص » ونصه يوم الغدير ، لكن بعدما علموا أن قريشاً عمالأت على أمير المؤمنين وغضب حقه لما صدر منهم من الصحيفة الجائرة بمكة التي جعلوا أبا عبيدة أمينها فسموه أميناً لذلك ، ولما وقع منهم من القول البذيء في بعض خيامهم يوم الغدير ومن الفعل الفضيع ليلة الدباب في العقبة إذ هموا بقتل النبي « ص » ولنسبتهم الهجر اليه فمنعوه من تأكيد النص على أمير المؤمنين « ع » ، مضافاً إلى تصريح النبي « ص » بأن علياً لا يزال مظلوماً مقهوراً ، وإن الامة تغدر به ، فخاف الأنصار من ولاية أعداء أمير المؤمنين فأرادوا الاستقلال أو المشاركة ، ولا يبعد أن كثيراً من الأنصار احتجوا على أبي بكر بالنص على علي « ع » فلم يبال أبو بكر وأعوانه به كما يشهد له ما سبق عن الطبري وابن الأثير أن الأنصار أو بعضهم قالوا لا نبايع إلا علياً .

واما قوله : (وهل يمكن ان الأنصار الذين نصروا الله ورسوله) إلى آخره فلو سلم أنهم سكتوا ولم يذكروا النص على أمير المؤمنين « ع » فهو غير عجيب لا انقلابهم كغيرهم بعبد النبي « ص » كما دلت عليه الآية وأخبار الحوض وما رواه البخاري وغيره (ان النبي « ص » قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شيراً بشراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبتعموهم قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فن ؟) ونحوه كثير جداً

قال الأزري « ره » :

أتعجب من أصحاب أحمد إذ رضوا بتأخير ذي فضل وتقديم ذي جهل
فأصحاب موسى في زمان حياته رضوا بدلا عن باري الخلق بالمعجل
واما قوله : (مع ان عمر وأبا عبيدة ألزموهم بقوله (ص) : «لأنه من قرئش») ففيه
ان النبي (ص) وان قاله لـكن لم يلزمهم به كراهية للتعرض حينئذ لما فيه نص في الجملة
وإنما ألزموهم بقولهم : (ان يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قرئش هم أوسط العرب
نسباً وداراً) كما ذكره عمر في خطبته التي رواها البخاري في باب رجم الحبلى من
كتاب المحاربين أو نحو هذا القول ، ولم أعرف احداً روى انهم ألزموهم بقوله (ص)
(الأنفة من قرئش) وقد انكره السيد المرتضى قدس الله روحه غاية الانكار كما نقله
عنه ابن ابى الحديد ص ١٧ من المجلد الرابع ، نعم ورد في بعض روايات النعمان عن عكرمة
ابن ابى جهل وابن العاص روايه بعد السقيفة وانقضاء البيعة وتدم بعض الأنصار كما ذكره
ابن ابى الحديد في اوائل المجلد الثاني في منازعة جرت بين المهاجرين والأنصار .
واما ما أحال الفضل عليه من الجواب عن تعجب المصنف من بحث الأشاعرة عن
الامامة وفروعها فهو كالحالة الضمان على السراب كما اوضحناه فيما مر .

(تعيين امامة علي بدليل العقل)

قال المصنف أعلى الله مقامه

﴿ المبحث الرابع ﴾ في تعيين الامام . ذهب الامامية كافة إلى ان الامام بعد
رسول الله (ص) هو علي بن ابى طالب (ع) ؛ وقالت السنة انه ابو بكر بن ابى قحافة
ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن ابى طالب ، وخالفوا المعقول والمنقول ،
اما المعقول فهي الأدلة الدالة على إمامة امير المؤمنين (ع) من حيث العقل وهي من
وجوه (الأول) الامام يجب ان يكون معصوماً وغير علي لم يكن معصوماً بالاجماع
فتعين ان يكون هو الامام (الثاني) شرط الامام ان لا يسبق منه معصية على ما تقدم

والمشاخ قبل الاسلام كانوا يعبدون الأصنام فلا يكونون أئمة فتعين علي «ع» للمدم الفارق (الثالث) يجب أن يكون منصوفاً عليه وغير علي من الثلاثة ايس منصوصاً عليه فلا يكون إماماً (الرابع) الامام يجب أن يكون أفضل من رعيته وغير علي لم يكن كذلك فتعين «ع» (الخامس) الامامة رئاسة عامة وإنما تستحق بالزهد والعلم والعبادة والشجاعة والايمان وسيأتي أن علياً «ع» هو الجامع لهذه الصفات على الوجه الاكمل الذي لم يلحقه غيره فيكون هو الامام .

وقال الفضل

مذهب أهل السنة والجماعة ان الامام بالحق بعد رسول الله «ص» أبو بكر الصديق وعند الشيعة علي المرتضى ودليل أهل السنة وجهان (الأول) ان طريق ثبوت الامامة اما النص أو الاجماع بالبيعة ، اما النص فلم يوجد لما ذكرنا ولما سنذكر ونفصل بملههذاه واما الاجماع فلم يوجد في غير أبي بكر اتفاقاً من الامة (الوجه الثاني) ان الاجماع منعقد على حقيقة أحد الثلاثة : أبي بكر وعلي والعباس ، ثم انها لم ينازعا أبا بكر ولو لم يكن على الحق لنازعاه كما نازع علي معاوية لأن العادة تقضي بالمنازعة في مثل ذلك ولأن ترك المنازعة مع الامكان محل بالعصمة لأنه هو معصية كبيرة توجب انتلام العصمة وأنتم توجبونها في الامامة وتجعلونها شرطاً للصحة الامامة (فان قيل) لانسلم الامكان أي إمكان منازعتها أبا بكر (قلنا) قد ذهبتم وسلمتم ان علياً كان أشجع من أبي بكر وأصلب في الدين واكثر منه قبيلة وأعواناً وأشرف منه نسباً وأنتم منه حسباً ، والنص الذي تدعونه لاشك انه يبرأى من الناس وبسمع منهم والأنصار لم يكونوا يرجعون أبا بكر على علي والنبى «ص» ذكر في آخر عمره على المنبر وقال ان الأنصار كرشي وعييتي وهم كانوا الجند الغالب والعسكر ، وكان يذبحني ان النبي «ص» أوصى الأنصار بأبى بكر علي في أمر الخلافة وأن يحاربوا من يخالف نصه في خلافة علي ثم ان فاطمة مع علو منصبها وزوجته والحسن والحسين مع كونها سبطي رسول الله «ص» ولدها والعباس مع علو منصبه معه فانه روي انه قال لعلي امدد يدك إيايعلك حتى يقول الناس بايع عمر رسول الله

ابن عمه فلا يختلف فيك اثنان والزبير مع شجاعته كان معه قيل انه سلّ السيف وقال لا أرضى بخلافة أبي بكر وقال أبو سفيان أرضيتم يابني عبد مناف أن يلي عليكم تيمي والله لأملأن الوادي خيلاً ورجلاً ، وكرهت الأنصار خلافة أبي بكر ففعلوا منا أمير ومنكم أمير كما ذكرنا ولو كان علي إمامة علي نص جلي لأظهره قطعاً ولأمكنهم المنازعة جزماً كيف لا وأبو بكر شيخ ضعيف جبان لامال له ولا رجال ولا شوكة فأنى يتصور امتناع المنازعة معه ، وكل هذه الامور تدل على ان الاجماع وقع على خلافة أبي بكر ولم يكن نص على خلافة غيره وبإيعه علي حيث رآه أهلاً للخلافة عاقلاً صبوراً مدارياً شيخاً للإسلام ولم يكن غرض بين الصحابة لأجل السلطنة والزعامة بل غرضهم كان إقامة الحق وتقويم الشريعة ليدخل الناس كافة في دين الاسلام وقد كان هذا يحصل من خلافة أبي بكر فسلموا اليه الأمر وكانوا أعواناً له في إقامة الحق هذا هو المذهب الصحيح والحق الصريح الذي عليه السواد الأعظم من الامة وقد قال رسول الله (ص) عليكم بالسواد الأعظم .

واما ما استدل به من الوجوه العقلية على خلافة علي فالأول وجوب كون الامام معصوماً وقد قدمنا عدم وجوبه لا عقلاً ولا شرعاً ، وجواب الثاني عدم اشتراط أن لا تسبق منه معصية كما قدمنا ، وجواب الثالث عدم وجوب النص لأن الاجماع في هذا كالتص ، وجواب الرابع عدم وجوب كون الامام أفضل من الرعية كما ذكر اذا ثبت أفضلية علي كرم الله وجهه ، وجواب الخامس ان أوصاف الزهد والعلم والشجاعة والايمان كانت موجودة في المشايخ الثلاثة واما الأكلية في هذه الأوصاف فهي غير لازمة اذا كانوا أحفظ للحوزة .

وأقول

يرد على دليلهم الأول ان النص على خلافة علي واقع كما ستعرف وان الاجماع على بيعته أبي بكر لم يقع كيف ولم يبايعه زعيم الخزرج وسيدهم سعد بن عباد ولا ذووه إلى أن مات أبو بكر ، ولم يبايعه سيد المسلمين ومولاهم ومن يدور معه الحق حيث دار إلا

بعدما هجموا عليه داره وهموا باحراق بيته كما ستعرفه في مطاعن أبي بكر ، وكذا الزبير لم يبايع إلا بعد أن كسروا سيفه وأخذوه قهراً ، ولا المقداد إلا بعدما دفعوا في صدره وضربوه . وكذلك جملة من خيار المسلمين لم يبايعوا إلا بعد الغلبة والقهر كسلمان وأبي ذر وعمار وحذيفة وبريدة وأشباہهم ، وكذا كثير من سائر المسلمين في شرح النهج (ص ٢٣ من المجلد الأول) عن البراء بن عازب قال : (لم أزل محباً لبني هاشم فلما قبض رسول الله (ص) خفت أن تنالاً قريش على إخراج الأمر عنهم) إلى أن قال : (فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجاعة من أصحاب السقيفة وهم محتجزون بالآزر الصنعانية لا يمرن بأجد إلا خبطوه وقدموه فدوا يده فسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبي) الحديث ، إلى غير ذلك مما يدل على أن بيعة أبي بكر لم تتم إلا بالقهر والغلبة ولذا أخرجوا دفن النبي (ص) ثلاثة أيام ، فهل ترى مع هذا يصح لمسلم دعوى الاجماع ويجزم بوقوعه ولا يعتريه الريب فيه حتى يجعله مستنداً لذاته الذي يلقي الله عز وجل به .

هذا وقد يوجه الاستدلال بالاجماع بأمرين (الأول) عدم الاعتداد بخلاف البعض اذا حصل اتفاق الغالب ، وفيه ان اتفاق الغالب ليس باجماع حقيقة ولا حجة أصلاً لعدم الدليل وإلا لزمهم القول بانزال عثمان لاتفاق اكثر أهل الحل والعقد على عزله فقتل لامتناعه (الثاني) ما ذكره ابن أبي الحديد (ص ٢١٤ من المجلد الأول) قال : (احتج أصحابنا بالاجماع فاعتراض حججهم بخلاف سعد وولده وأهله اعتراض جيد وليس يقول أصحابنا هؤلاء شذاذ فلا تحفل بخلافهم وإنما المعتبر السكثرة التي بازائهم وكيف يقولون هذا وحججهم الاجماع ولا إجماع ولا يكنهم يجيبون عن ذلك بأن سعداً مات في خلافة عمر فلم يبق من يخالف في خلافته فأنعقد الاجماع عليها وبايع ولد سعد وأهله من قبل وإذا صححت خلافة عمر صححت خلافة أبي بكر لأنها فرع عنها ومحال أن يصح الفرع ويكون الأصل فاسداً) وفيه ان لو سلم الاجماع على خلافة عمر ورضى جميع الامّة فإمامته إنما تصح حين تحقق الاجماع لاقبله فتكون أصلاً برأسها لافرعاً كيف ودعوى لفرعية منافية لاستناد صحة إمامة عمر إلى الاجماع الحادث عليها ، نعم كانت فرعاً

عنها حيث كان الأصل والفرع فاسدين .

واما دليلهم الثاني ففيه انهم ان أرادوا ثبوت الاجماع على حقية أحد الثلاثة بمسود موت النبي «ص» وقبل بيعة أبي بكر فهو ممنوع لأن المسلمين أو أهل الحل والمقد منهم لم يجتمعوا حتى تعرف آراؤهم ومن اجتمع منهم في السقيفة كان بعضهم يرى ان سعداً حقيق بها فكيف يدعي الاجماع حينئذ على حقية أحد الثلاثة بالخصوص ، على اننا لم نسمع ان أحداً ذكر العباس حينئذ ، وأيضاً فذهب القوم ان كل من جمع العدالة والاجتهاد وغيرها من الصفات السابقة حقيق بالخلافة فما معنى الاختصاص بالثلاثة حتى يجمع عليه الصحابة ومجرد الترجيح لهم لا يقتضي الاختصاص بهم وعدم صلوح غيرهم للخلافة ، وان أرادوا ثبوت الاجماع بعد بيعة أبي بكر فهو ينافي مازعموه من الاجماع على أبي بكر خاصة ان اتفق زمن الاجماعين وإلا بطل الاجماع على حقية أحد الثلاثة سواء تقدم أم تأخر لأن الاجماع على تعيين واحد هو الذي يجب اتباعه فيكون الحق مختصاً بأبي بكر ولم يصح جعل الاجماع على حقية أحد الثلاثة دليلاً ثانياً ويحتمل بطلان الاجماع المتقدم وصحة المتأخر مطلقاً وهو الأقرب .

واما ما زعمه من إمكان منازعة أمير المؤمنين (ع) فمنوع إذ لا ناصر له إلا أقل القليل ولذا قال (ع) في خطبته الشقشقية : (فطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طغية صمياء) إلى غير ذلك من متواتر كلامه ، فان قريشاً أجمعت على إخراج الأمر من يده عداوة وحسداً له وطلباً بالتزات ، ألا ترى انه لم يكن معه في صفين من قريش إلا خمسة أو نحوهم ومع معاوية ثلاث عشرة قبيلة مع علمهم ببغي معاوية وعدم مشاهدتهم لما فعله أمير المؤمنين (ع) بأسلافهم إلا القليل فكيف بمن شاهدوا ، ولا يستبعد من قريش بغضه وعداوته فان النبي (ص) مع طهارته وعصمته وقداسة نفسه لم يطق رؤية وحشي قاتل حمزة (ع) وقد أسلم حتى قال : (ماتستطيع أن تغيب وجهك عني) كما في الاستيعاب ومسند أحمد (ص ٥٠١ من الجزء الثالث) فكيف بمن أفنوا أعمارهم بالكفر وربوا على عادات الجاهلية أن يروا صاحب تراتهم أيراً عليهم وحاكياً مطاعاً فيهم وفي غيرهم ولهم طريق إلى صرف الأمر عنه ، مضافاً إلى ان كل دم أرافه

أخوه وابن عمه إنما يعصبونه به على قواعد العرب وكل أمر صنعه بهم إنما يطلبونه منه لأنه أقرب الناس إليه وأخصهم به وأشدّهم مؤازرة له وأعظمهم اجتهداً في نصرته من يوم مبعته إلى يوم وفاته ؛ مضافاً إلى حسدهم لملوك قمامه وظهور فضله وتعظيم النبي (ص) إياه وتقريبه إليه بالأخوة والمصاهرة على بضعته سيدة النساء وتخصيصه له بالمنازل العظمى كالمباهلة به وبآله وجعله مولى كل مؤمن ومؤمنة ، إلى غير ذلك مما يظهر به مكانته السامية وشرفه الباهر عند الله وعند رسوله والناس . هذا مع رجاء كثير منهم للإمرة بعد أبي بكر فإنه إذا وليها أبو بكر وهو أدناهم شرفاً كانوا إليها أقرب وبها أطمع بخلاف ما لو وليها أمير المؤمنين (ع) فإنها تستقر في بيته ، كما يشهد له قول المغيرة لأبي بكر وعمر عند موت النبي (ص) وسعوها في قريش تتسع ؛ فقاما إلى السقيفة ، حكاه في شرح النهج (ص ١٨ من المجلد الثاني) عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، وما في كتاب السياسة والامامة في باب إمامة أبي بكر وإياه علي (ع) من بيعته من حديث قال فيه علي لعمر : (احلب حلباً لك شطره اشد له اليوم أمره لبرده عليك غداً) ومثله في شرح النهج (ص ٥ من المجلد الثاني) نقلاً عن الجوهري .

هذا حال قريش وأما الخزرج فقد كانوا أول الحال يطلبونها لأنفسهم وبعد أن صرفت عنهم وكبا جدهم ونبا جدهم لم تبق لهم قوة وهمة على العدول إلى أمير المؤمنين لا سيما مع صيورتهم محل التهمة .

وأما الأوس فقد كان همهم صرف الأمر عن الخزرج مع أن كثيراً منهم ومن الخزرج مبعوضون لأمر المؤمنين (ع) كاسيد بن حضير وبشير بن سعد .

وفوق ذلك كله قد سمعت إعلام الله سبحانه انقلاب الامة على أعقابها واخبار النبي بأنهم يتبعون سنن بني اسرائيل حذو النعل بالنعل وبأنهم يرتدون على أدبارهم القهقري ويصيرون إلى المار ولا يخلص منهم إلا مثل حمل النعم وبأن الامة ستقدر بأمر المؤمنين (١) إلى غير ذلك .

فكيف مع هذا كله يمكن لأمر المؤمنين (ع) منازعة القوم وإن كان أحسب

(١) روى ذلك الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٤٠ وصححه .

وأنسب وأكثر قبيلة وقائم الدين ، إذ ليس هو بأعظم من رسول الله صلى الله عليه وآله لما ترك الحرب بمكة وفي أوائل الهجرة ويوم صلح الحديبية ، وقد كان أكثر ناصراً من أمير المؤمنين (ع) ، على أن أمير المؤمنين قد نازعهم لكن بغير الحرب فقد امتنع مدة من بيعتهم حتى قهره وأرادوا حرق بيته وجمع أعواناً في داره حتى تهدم عمر ، وحمل الزهراء والحسين ليلاً مستنصرين بوجوه المسلمين فلم ينصروه كما رواه ابن قتيبة في كتاب السياسة والامامة (ص ١٣) ونقله ابن أبي الحديد عن الجوهرى (ص ٥ من المجلد الثاني) وذكره معاوية في كتابه المشهور إلى أمير المؤمنين قال : (واعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار وبداك في يد ابنك الحسن والحسين يوم يبيع أبو بكر الصديق فلم تدع من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك ومشيت اليهم بأسرائك وأدليت اليهم بابنك فلم يجيبك منهم إلا أربعة أو خمسة) وما زال أمير المؤمنين (ع) يقول : (لو وجدت أربعين رجلاً ذوي عزم منهم لناهضت القوم) كما ذكره معاوية في كتابه المذكور قال : (ومها نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيجك لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم) وروى ابن أبي الحديد نحوه عن نصر (ص ٣٢٧ من المجلد الاول) قال نصر ما حاصله : (لما استولى معاوية على الماء يوم صفين قال له ابن العاص : خل بينهم وبين الماء فإن علياً لم يكن ليظاً وأنت ريان وفي يده أعنة الخيل وأنت تعلم انه الشجاع المطرق وقد سمعته مراراً وهو يقول لو استمكنت من أربعين يعني في الامر الاول) .

ومما يبيننا من أحوال قريش والأَنْصار يعلم ما في قول الفضل : (ثم ان فاطمة مع علو منصبها زوجته) ومن العجب انه يرجو أن يكون وجود الزهراء والحسين (ع) مؤثراً في قوة أمير المؤمنين وتمسكه من أخذ الزعامة العظمى والامامة الكبرى وهي سلام الله عليها لم تقدر على أخذ فدك وهي مال يسير مع شأنها العظيم ومكانتها الرفيعة وحججها الرصينة وخطبها البليغة واستنصارها بمن يدعون الاسلام : ولو كانت فدك لهم وحقاً من حقوقهم لكان حقاً عليهم أن يعطوها إياها بمجرد إرادتها حفظاً لنبيهم في بضعته التي لم يخلف فيهم غيرها مع قرب وفاته فكيف يمكن أن يكون وجودها

لنفسه سبباً لقدرة أمير المؤمنين على إعادة الزعامة العظمى .

واما اتفاق العباس والزبير معه فلا يغني عنه شيئاً في مقابلة جمهور قريش كيف وقد كسروا سيف الزبير لما هم بهم فلم يدفع عن نفسه ضياءً ، وكذلك اتفاق أبي سفيان معه لاسيما وهو منافق لم يرد إلا الفتنة روى الطبري في تاريخه (ص ٢٠٣ من الجزء الثالث) وابن الأثير في كماله (ص ١٥٧ من الجزء الثاني) (ان أمير المؤمنين (ع) زجر أبا سفيان وقال والله ما أردت إلا الفتنة وانك والله طالما بنيت للإسلام شراً لا حاجة لنا في نصيحتك) ويدل على نفاقه انه لما رشوه صار تابعاً لهم روى الطبري ص ٢٠٢ من الجزء المذكور (انه لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان مالنا ولا أبي فصيل إنما هي بنو عبد مناف فقيل له انه قد ولي ابنك قال وصلته رحم) ونقل ابن أبي الحديد (ص ١٣٠ من المجلد الاول) عن الجوهرى (ان النبي بعث أبا سفيان ساعياً فرجع من سمائته وقد مات رسول الله (ص) فلقية قوم فسألهم فقالوا مات رسول الله فقال من ولي بعده قيل أبو بكر قال أبو فصيل قالوا نعم) إلى أن قال : (فكلم عمر أبا بكر فقال ان أبا سفيان قد قدم واننا لا نأمن شره فدفع له مافي يده فتركه فرضي) .

واما قوله : (وكرهت الانصار خلافة أبي بكر فقالوا منا أمير) فصحيح بالنسبة إلى أكثر الخزرج لكن كرهتهم لخلافته لانهم يريدونها لانفسهم لانصرة لامير المؤمنين ولذا قالوا منا أمير ومنكم أمير ومنه يعلم مافي قوله : (ولو كان على إمامته نص لا ظهوره) فان اظهارهم مناف لطلبهم الاسرة كما سبق ولم يبق بعد هذا الطلب مجال لاظهار النص لتسرع عمر إلى بيعة أبي بكر حتى وضحها عمر بأنها فلتة على انه لا يبعد ان كثيراً من الانصار أظهروه وأخفاه رواة القوم كما يرشد اليه ما نقلناه سابقاً عن الطبري وابن الاثير من انها روى ان الانصار أو بعضهم قالوا : (لا نباع إلا علياً) مع ان النص لما كان برأى من الناس ومسمع لا يحتاج إلى الاظهار لقرب عهد الغدير ونزول قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله) الآية ، لسكن الناس خالفوه على عمد انقلاباً منهم عن الدين وغدراً بوليهم ومولاهم واقتفاء لسنة بني اسرائيل .

فقد اتضح مما بينا ان مالفقه الفضل تبماً للمواقف لا ثبات إمكان المنازعة إنما هو

امور خيالية وأوهام كاذبة صورها الهوى والتعصب وإلا فالوجدان والأحداث شاهدان بخلافه حتى روى أحمد في مسنده (ص ٣٣٩ من الجزء السادس) عن أم الفضل قالت : (أتيت النبي في مرضه فجعلت أبكي فرفع رأسه فقال ما يبكيك قلت خفنا عليك وما ندري ما نلقى من الناس بعدك يا رسول الله قال أنتم المستضعفون بعدي) انظر إلى هذه الحرية كيف أدركت من الناس الشحنة والبغضاء لهم وطلب الترات منهم والنبي (ص) حي بينهم حتى بكت وقال لها النبي أنتم المستضعفون بعدي ، وأهل السنة رأوا مارأوا من اتفاق الكلمة على أهل البيت (ع) وهجوم من هجم على دارهم وارادتهم إحراقها عليهم وغضب بضعة الرسول حقها حتى ماتت غضبي ، ومع ذلك يزعمون أن أمير المؤمنين قوي الجانب بالمسلمين وكان يمكنه منازعة أبي بكر وما يابعه إلا طوعاً ، ولا ينافي ما قلنا جبن أبي بكر وضعفه وذلت في نفسه وبيته حتى عبر عنه أبو سفيان بأبي فضيل وقال انه من اردل بيت في قريش كما في الاستيعاب وغيره ، فانه إنما قوي على أمير المؤمنين بقريش وبعض الأنصار وما مكنتهم الله سبحانه من ذلك إلا فتنة لهم ولغيرهم كما قال سبحانه (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ثم إن أكثر هذه الامور أنني قرب بها وقوع الاجماع على أبي بكر بالاختيار ادل على خلافه كعدم ترجيح الانصار لأبي بكر على علي (ع) وكون العباس معه وسل الزبير سيفه في نصرته وتظاهر أبي سفيان بخلاف ابى بكر وذمه له فان هذه الامور ونحوها مقربة لسكونبيعة أبي بكر لم تكن عن رغبة بل لامور هناك تسخط الله ورسوله .

ومما ذكرنا يعلم ما في قوله : (وبابعه حيث رآه اهلاً للخلافة) وقد اشرنا الى كيفية البيعة مجملًا وستعرفها مفصلاً وكيف يقال انه يابعه طوعاً حيث رآه اهلاً للخلافة وآثار العداوة ظاهرة بينها وبين اتباعها الى يومنا هذا وهو عليه السلام لم يزل يتظلم منهم الى حين وفاته حتى قال في بعض كلامه : (اللهم انى استمديك على قريش ومن اعانهم فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي واجمعوا على منازعتي امراً هو لي ثم قالوا الا ان في الحق انأخذوه وفي الحق ان تتركه) قال ابن ابى الحديد في شرح هذا الكلام (ص ٤٩٥ من المجلد الثاني) : (اعلم انه قد تواترت الأخبار عنه (ع) بنحو هذا القول ، نحو

قوله وما زلت مظلوماً منذ قبض الله رسوله (ص) حتى يوم الناس هذا ، وقوله اياهم اجز قريشاً فانها منعني حتي وغصبتني اسري ، وقوله فجزى قريشاً عني الجوازي فانهم ظلموني حتي واغتصبوني سلطان ابن ابي ، وقوله وقد سمع صارخا ينادي انا مظلوم فقال لهم فلنصرخ معاً فاني مازلت مظلوماً ، وقوله وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحي ، وقوله اري اري تراني نهياً ، وقوله اصغيا بآرائنا وحملا الناس على رقابنا ، وقوله ان لنا حقاً ان نعطه نأخذه وان نمنعه نركب اعجاز الابل وان طال السرى ، وقوله ما زلت مستأثراً علي مدفوعاً عما استحقه واستوجبه .

واما قوله : (ولم يكن غرض بين الصحابة لاجل السلطنة والزعامة بل عزمهم كان إقامة الحق وتقويم الشريعة) فبعيد عن الصواب لأن من يقصد إقامة الحق وتقويم الشريعة لا يصد النبي (ص) عن كتابة مالا يضلون بعده ابداً حتى نسبه الى الهجر فقابل احسانه بأعظم اساءة ونصيحته بأكبر غش وهدايته بأدبل ضلالة ؛ وكيف يريدون إقامة الحق وتقويم الشريعة ووليهم بنص الكتاب المجيد وسولاهم واخو نبیهم وباب علمه ووارثه بين اظهرهم لابلتفترون اليه بوجه بل يفتنزون فرصة اشتغاله بتجهيز النبي ويتنازعون الامرة بينهم في السقيفة ويتمعملون في نيلها الحيل والتزويرات ؛ وكيف يقصدون إقامة الحق وقد انتهكوا حرمة نبیهم (ص) بترك دفنه وغصب بضمته ولما يطل العهد حتى ماتت مقهورة غضبي ؛ وكيف يقال في حقهم ذلك ؛ وقد ارتدوا على ادبارهم الفقهاء وكلهم الى النار ولا يخلص منهم إلا مثل همل النعم ، وقد روى الطبري في تاريخه (ص ٣١ من الجزء الخامس) عن ابن عباس (ان عمر قال أنذري مامنع قومك منك بعد محمد (ص) فكرهت ان اجيبه فقلت ان لم ادر فأمر المؤمنين يدريني فقال عمر كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومك ببجحا ببجحا فاختارت قريش لانفسها فأصاب ووفقت ، فقلت يا امير المؤمنين ان تأذن لي في الكلام وتمطعني الغضب تكلمت فقال تكلم فقلت اما قولك اختارت قريش لانفسها فأصاب ووفقت فلو ان قريشاً اختارت لانفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، واما قولك انهم كرهوا ان تكون لنا النبوة والخلافة فان الله عز وجل وصف

قوماً بالكرامية فقال ذلك بأنهم كرهوا ما نزل الله فأحبط أعمالهم ، فقال عمر هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أفرك عنها فتزبل منزلتك مني ، فقلت وما هي فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزبل منزاتي منك وإن كانت باطلاً فبلي اماط الباطل عن نفسه ، فقال عمر بلغني أنك تقول إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً ، فقلت اما قولك ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم واما قولك حسداً فإن ابليس حسد آدم فنجح ولده المحسودون ، فقال عمر هيهات ابت والله قلوبكم يا بني هاشم الا حسداً ما يحول وضغناً وغشاً ما يزول ، فقلت مهلاً لا تصف قلوب قوم اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش فإن قلب رسول الله «ص» من قلوب بني هاشم ، فقال عمر اليك عني (الحديث ، ومثله في كامل ابن الأثير (ص ٣١ من الجزء الثالث) ونحوه في شرح النهج (ص ١٨ من المجلد الثاني) .

واما قوله : (وقد قال رسول الله «ص» عليكم بالسواد الأعظم) فلا يعرف معناه حتى يعرف المقام الذي ورد فيه ، فانه قد يرد في مقام محاربة الجمع الكثير فيفيد الأمر بقتلهم كما قال أمير المؤمنين «ع» في بعض أيام صفين (عليكم بهذا السواد الأعظم فاضربوا ثبجه) وقد يرد في مقام ترجيح الاجتماع والسكنى في البلاد الكبيرة لاستحبابه شرعاً ما لم تكن بلاد كفر ، ولو سلم ان المراد به الأمر باتباع السواد الأعظم في الدين فليس المراد فيه بالسواد الجمهور فأن أكثر الناس غير مؤمنين ، بل المراد به جماعة المؤمنين الخالص وان قولوا فانهم السواد الأعظم أي محل النظر والاتفات والعناية ، قال الزمخشري والرازي في تفسير قوله تعالى : (وتعبها اذن واعية) : (فان قيل لم قال اذن واعية على التوحيد والتنكير ، قلنا للايذان بأن الوعاة فيهم قلة وتوبخ الناس بقلة من يعي منهم والدلالة على ان الاذن الواعية اذا وعت فهي السواد الأعظم وان ماسواها لا يلتفت اليه وان امتلأ العالم منهم) .

واما ما أجاب به عن أدلة المصنف العقلية فقد تبين لك ما فيه مما سبق ودعوى العلم والزهد الحقيقي والشجاعة المشايخ الثلاثة محل نظر .

هذا ويمكن ان يستدل على إمامة أمير المؤمنين «ع» بوجه آخر عقلي وهو ان

الذي « ص » لم يفارق المدينة قط إلا وخاف فيها من يخلفه ولا أرسل جيشاً إلا وأمر عليهم كما تقتضيه ارياسة والسياسة فكيف يمكن أن يتركهم في غيبته الدائمة معرضاً لأن تن وغرضاً لسهام الخلاف على قرب عهدهم بالكفر وتوقع الانقلاب منهم ووجود من مردوا على المفاق وترى الكفرة بهم الدوائر كما نطقت به آيات الكتاب العزيز ، وكيف يمكن أن لا يطالبه المسلمون على كثرتهم بنصب إمام لهم مع طول مرضه واعلامه صراخاً لهم بموته فلما لم يقع الطلب منهم مع ضرورة حاجتهم الى إمام علم انه قد أغناهم بالبيان الذي علمه الشاهد والغائب وليس هو إلا نص الغدير ونحوه فيكون أمير المؤمنين عليه السلام هو الامام ولا يمكن أن يكون تشريع جواز ترك الاستخلاف سبباً لترك النبي « ص » للنص كما زعموا لأن فائدة التشريع اتباع الناس له في فعله وبالضرورة انه لم يتفق ترك ملك أو خليفة للنص على من بعده عملاً بالسنة .

ويمكن أن يستدل على إمامته بوجه سابع عقلي وهو انه لا ريب بأن من يعرف طرفاً من التاريخ رأى ان بين أمير المؤمنين « ع » والمشايخ الثلاثة مباينة بعيدة ومناوأة شديدة حتى لم يشهد التاريخ بحرب له في نصرته مع انه أبو الحرب وابن مجدها وما قام الاسلام إلا بسيفه وما تخلف عن رسول الله « ص » في موقف سوى تبوك وقلم بأعباء الحروب الثقيلة في أيام توليه الخلافة ، وقد امتلأت كتب التاريخ بما وقع بينه وبينهم لاسيما الثالث وذلك لا يجتمع مع البناء على انهم جميعاً أركان الدين وأقطاب الحق واخوة الصديق ومهمهم نصر الاسلام لا الزعامة الدنيوية ، فلا بد من وقوع خلل هناك اما لكونهم جميعاً على باطل ولا يقوله مسلم أو لكون أحد الطرفين على الحق والآخر على الباطل وهو المتعين ، ولا قائل من أهل الاسلام بأن علياً « ع » إذ ذاك مبطل حتى الحوارج فيتعين أن يكون أمير المؤمنين « ع » هو الحق وغيره المبطل فلا بد أن يكون هو الامام .

(تعيين إمامة علي بالقرآن) (آية انما وليكم الله ورسوله)

قال المصنف أعلى الله درجته

واما المنقول فالقرآن والسنة المتواترة ، اما القرآن فأيات الاولى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) أجمعوا على نزولها في علي « ع » وهو مذكور في الصحاح الستة لما تصدق بخاتمته على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة ، والولي هو المتصرف وقد أثبت الله تعالى الولاية لذاته وشرك معه الرسول وأمير المؤمنين وولاية الله عامة فكذا النبي والولي .

وقال الفضل

جوابه ان المراد من الولي الناصر فان الولي لفظ مشترك يقال المتصرف والناصر والمحبة والأولى بالتصرف كولي الصبي والمرأة ، والمشارك اذا تردد بين معانيه يلزم وجود القرينة للمعنى المطلوب منه وهنا كذلك فلا يكون هذا نصاً على إمامة علي فبطل الاستدلال به ، واما القرائن على ان المراد بالولي الناصر في الآية لا الاولى والاخر بالتصرف لأنه لو حمل على هذا لكان غير مناسب لما قبلها ، وهو قوله تعالى (يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) فان الأولياء هنا الأنصار لا بمعنى الأحقين بالتصرف وغير مناسب لما بعدها وهو قوله تعالى : (ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) فان التولي هنا بمعنى المحبة والنصرة فوجب أن يحمل ما بينها على النصرة أيضاً ليتلاءم أجزاء الكلام .

وأقول

لا يبعد ان الولي مشترك معنى موضوع للقائم بالأمر أي الذي له سلطان على المولى

عليه ولو في الجملة فيكون مشتقاً من الولاية بمعنى السطات ، ومنه ولي المرأة والصبي والرعية أي القائم بأمورهم وله سلطان عليهم في الجملة ، ومنه أيضاً الولي بمعنى الصديق والمحبة فان للصديق ولاية وسلطاناً في الجملة على صديقه وقياماً بأموره وكذا الناصر بالنسبة إلى المنصور والحليف بالنسبة إلى حليفه والجار بالنسبة إلى جاره إلى غير ذلك ، حينئذ يكون معنى الآية إنما القائم بأموركم هو الله ورسوله وأمير المؤمنين ، ولا شك ان ولاية الله تعالى عامة في ذاتها مع الآية مطلقة فتفيد العموم بقرينة الحكمة ، فكذا ولاية النبي والوصي فيكون علي «ع» هو القائم بأمور المؤمنين والسلطان عليهم والامام لهم ولوسلم تعدد المعاني واشتراك الولي بينها لفظاً فلا ريب ان المناسب لانزال الله الآية في مقام التصديق أن يكون المراد بالولي هو القائم بالأمور لا الناصر ، إذ أي عاقل يتصور ان اسراع الله سبحانه بذكر فضيلة التصديق واهتمامه في بيانها بهذا البيان العجيب لا يفيد إلا مجرد بيان أمر ضروري وهو نصرة علي «ع» للمؤمنين .

ولو سلم ان المراد الناصر فخصر الناصر بالله ورسوله وعلي لا يصح إلا بلحاظ إحدى جبهتين (الأولى) ان نصرتهم للمؤمنين مشتملة على القيام والتصرف بأمورهم وحينئذ يرجع إلى المعنى المطلوب (الثانية) أن تكون نصرة غيرهم للمؤمنين كالنصرة بالنسبة إلى نصرتهم وحينئذ يتم المطلوب أيضاً إذ من لوازم الامامة النصرة الكاملة للمؤمنين ، ولا سيما قد حكم الله عز وجل بأنها في قرن نصرته ونصرة رسوله ، وبالجملة قد دلت الآية السكريفة على انحصار الولاية بأي معنى فسرت بالله ورسوله وأمير المؤمنين وان ولايتهم من سنخ واحد ، فلا بد أن يكون أمير المؤمنين «ع» ممتازاً على الناس جميعاً بما لا يحيط به وصف الواسفين ، فلا يليق إلا أن يكون إماماً لهم وناصباً من الله تعالى عليهم جميعاً ، ويشهد لارادة الامامة من هذه الآية الآتية التي قبلها الداخلة معها في خطاب واحد وهي قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله) الآية فانها ظاهرة في أن من يأتي بهم الله تعالى من أهل الولاية على الناس والقيام بأمورهم لأن

معناها يأبها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مخصوصين معه بالحجة بينه وبينهم أدلة على المؤمنين أي متواضعين لهم تواضع ولاة عليهم للتعبير بعلي التي تفيد العلو والارتفاع ، أعزة على الكافرين أي ظاهري العزة عليهم والعظمة عندهم ومن شأنهم الجهاد في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ؛ ومن المعلوم ان هذه الأوصاف إنما تناسب ذا الولاية والحكم والإمامة فيكون تمقيها بقوله تعالى : (إنما وليكم الله) الآية ، دليلاً على ان المراد بولي المؤمنين إمامهم القائم بأمورهم الارتباط بين الآيتين .

واما ما زعمه الفضل من أن إرادة الأولى بالتصرف لا تناسب ما قبل الآية وهو قوله تعالى : (يأبها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآية ، لأن المراد بالأولياء الأنصار لا الأحقين بالتصرف خطأ لأن هذه الآية مفصولة عن آية المقام بآيات عديدة أجنبية عن آية المقام ، ولذا صدر آية المقام مع الآية التي قبلها المتصلة بها بخطاب مستقل فلا تصلح تلك الآية المفصولة بآيات عديدة للقربنية ، ولنتل عليكم الآيات لتتضح الحال قال تعالى بعد الآية التي ذكرها الفضل : (فترى الذين في قلوبهم مرض يسهرون فيها يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصيبهم) يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصيبهم على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد إيمانهم إنه لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يأبها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الآية . ثم قال بعدها : (إنما وليكم الله ورسوله) الآية ، فأنت ترى انه انتقل في قوله : (يأبها الذين آمنوا من يرتد منكم) إلى تمام الآيتين إلى مطلب آخر مستقل بخطاب فكيف تكون إرادة الأنصار من الأولياء في الآية الأولى البعيدة موجبة لعدم إرادة الأولى بالتصرف من الولي في الآية الأخيرة ، ولو سلم ان الآيات كلها مرتبطة بعضها ببعض فلا ينافي المطلوب لأن المراد أيضاً بالأولياء في الآية الأولى هو القائمون بالأمور في الجملة ولو بالنسبة إلى النصره والمحافظة لما بينهما في معنى الولي وانه مشترك معنى فيتم المطلوب من كل وجه ، ولا سيما بضميمة قوله : (من يرتد منكم عن دينه) الآية ، لاشتغالها كما عرفت على الأوصاف المناسبة للقائم بالأمور .

واما قوله : وغير مناسب لما بعدها وهو قوله : (ومن يتولى الله ورسوله والذين

آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) فظاهر البطلان . لأن المراد بتولي الله ورسوله والذين آمنوا هو اتخاذهم أولياء . وتسايم الولاية لهم بالمعنى الذي أريد من الولي في قوله تعالى قبله (إنما وليكم الله ورسوله) الآية . فكيف لا تحصل المناسبة .

هذا وقد اعترض القوم على الاستدلال بالآية بأمور آخر (الاول) ان الحصر إنما ينفي ما فيه تردد ولا نزاع ولا خفاء في انه لا نزاع في إمامة الثلاثة عند نزول الآية ، وفيه مع النقص بالنسبة إلى الله ورسوله فانه لا نزاع للمخاطبين في ولاية ما يصادها انه لو سلم اعتبار التردد والنزاع فلما هو في القصر الاضافي للحقيقي ، ولو سلم كفي النزاع في علم الله تعالى فانه سبحانه عالم بوقوع النزاع في إمامة الثلاثة في المستقبل .

(الثاني) ان ظاهر الآية ثبوت الولاية بالفعل ولا شبهة في ان إمامة علي «ع» إنما كانت بعد النبي «ص» وصرف الآية إلى ما يكون في المال دون الحال لا يستقيم في حق الله ورسوله ، وفيه ان ولاية كل منهم بحسبه فولاية الوصي في طول ولاية النبي وبعدها فاذا دلت الآية على ولاية أمير المؤمنين «ع» وإمامته فقد دلت على انها بعد رسول الله على ان الحق ثبوت الولاية لأمير المؤمنين «ع» في حياة النبي «ص» برتبة ثانية ، فتجب طاعته وتغضي تصرفاته لكنه ساكت غالباً كما هو شأن الامام في حياة الامام الذي قبله كالحسن «ع» في زمن أبيه والحسين في زمن أخيه «ع» ، ويدل على ذلك حديث المنزلة فانه دال على ان منزلة أمير المؤمنين «ع» من النبي «ص» كمنزلة هرون من موسى ، ومن المعلوم ثبوت الولاية لهرون مع موسى لانه شريكه ، فكذا أمير المؤمنين له الولاية الفعلية أيضاً وان سكت إذ لم يستثن إلا النبوة ، ويدل أيضاً على ذلك حديث الغدير ولذا قال له عمر : (أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة) كما رواه أحمد في مسنده عن البراء بن عازب (ص ٢٨١ من الجزء الرابع) ومثله عن الشعبي في تفسيره ، ورواه الرازي في تفسير قوله تعالى : (يأياها الرسول بلغ ما أنزل إليك) الآية ، ولكن بلفظ أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، ورواه ابن حجر في أوائل الصواعق في الشبهة الحادية عشرة عن الطبراني عن عمر وأبي بكر بلفظ أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ، ويدل على ذلك أيضاً ما رواه الترمذي في فضائل أمير المؤمنين «ع» المبرح

أن أمير المؤمنين «ع» أصاب جارية من سبي ، فتعاقد عليه أربعة فوشوا به عند النبي فغضب وقال : (ماتريدون من علي ماتريدون من علي ان علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي) فانه دال على مضي فعل علي في ذلك الوقت وان له الاصطفاء من الغنيمة كالنبي «ص» لولايته مثله لانه منه أي انه كنه نفسه ففعله كفعله ؛ وعليه فالبعدي في هذه الرواية بالمعازر الرتبة لا الزمان كما يقربه خلو الحديث في بعض الروايات عن لفظ بعدي كما رواه الحاكم في المستدرک بفضائل أمير المؤمنين «ع» (ص ١١٠ من الجزء الثالث) وقد جاء أيضاً في أحاديث كثيرة ان النبي «ص» قال : من كنت وليه فعلي وليه كما في مسند أحمد عن بريدة (ص ٣٥٠ و ٣٥٨ من الجزء الخامس) .

(الامر الثالث) ان الذين آمنوا صيغة جمع فلا تصرف إلى الواحد إلا بدليل ؛ وقول المفسرين نزلت في علي لا يقتضي الاختصاص ودعوى انحصار الاوصاف فيه مبنية على جعل (وهم راكعون) حالا من ضمير يؤتون وليس بال لازم بل يحتمل العطف بمعنى انهم يركعون في صلاتهم لا كصلاة اليهود خالية من الركوع أو بمعنى انهم خاضعون . وفيه ان الحالية متميزة لوجهين (الأول) بعد الاحتمالين المذكورين لاستلزام أولهما التأكيد المخالف للاصل لان لفظ الصلاة مغن عن بيان انهم يركعون في صلاتهم لتبادر ذات الركوع منها كما يتبادر من الركوع ما هو المعروف فيبطل الاحتمال الثاني أيضاً (الوجه الثاني) ان روايات النزول صريحة بالحالية واردة الركوع المعروف (فمنها) ما في الدر المنثور للسيوطي عن ابن مردويه من حديث طويل قال في آخره : (وخرج رسول الله «ص» فقال أعطاك أحد شيئاً ، قال نعم قال من قال ذلك الرجل القائم قال علي أي حال أعطاك قال وهو راكع قال وذلك علي بن أبي طالب ففكر رسول الله «ص» عند ذلك وهو يقول ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) ومثله في أسباب النزول للواحد (ومنها) ما في الدر المنثور أيضاً عن الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال : (تصدق علي بخاتمه وهو راكع فقال النبي «ص» من أعطاك هذا الخاتم قال ذلك راكع فأزل الله : إنما وإيكم الله ورسوله الآية) و (منها) ما في الدر المنثور أيضاً عن الطبراني وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال

(وقف بعلي سائل وهو راكم في صلاة تطوع فزعه عنه فأعطاه السائل فأتى رسول الله فأعلمه ذلك فنزلت على النبي (ص) «إنما وليكم الله ورسوله» الآية ، ونحوه في التقييد بقوله وهو راكم مافي الدر المنثور أيضاً عن ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر عن سلمة بن كهيل ونحوه أيضاً فيه عن ابن جرير عن السدي وعتبة بن حكيم و (منها) ماعن الثعلبي وفي تفسير الرازي عن أبي ذر «ره» قال : (سمعت رسول الله «ص» بهاتين وإلا صحتا ورأيت بهاتين وإلا عميتا يقول علي قائد البررة وقائد الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله أما اني صليت مع رسول الله (ص) صلاة الظهر فـأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً وكان علي راکماً فأوماً بخصره اليه وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خصره فتضرع النبي (ص) إلى الله عز وجل فقال اللهم ان أخي موسى سألك فقال اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يقبوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي اشدد به أزي واشركه في أمري فأزلت عليه سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً اللهم وأنا محمد عبيدك ونبيك فأشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري ، قال أبوذر (ره) فوالله ما استتم رسول الله (ص) الكلمة حتى هبط جبرئيل بهذه الآية) . و (منها) مافي تفسير الرازي عن عبد الله بن سلام قال : (لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه وهو راكم فنحن نتولاه) إلى غير ذلك من الاخبار التي لا تحصى الصريحة في الحالية وإرادة الركوع المعروف الدالة على أن المراد تعيين أمير المؤمنين بهذه الاوصاف كما لا ريب بارادة المفسرين اختصاص الآية بأمر المؤمنين (ع) لأن تفسيرهم مأخوذ من هذه الروايات ونحوها ، ولعمري لو فتحنا باب تلك التأويلات السوفسطائية لاسيا مع مخالفتها للأخبار لما كانت آية حجة على أمر البتة بل لم يثبت بكلمة الشهادة إسلام أحد وذلك غير خفي على القوم ، ولسكن البغض والعداوة داه لادواء له ، فياهل ترى لو نزلت هذه الآية في حق أبي بكر أو عمر أكانوا يجرون فيها هذه التأويلات أو يحملونها أدل النصوص على الامامة وأنت تعلم انهم يزعمون ان النبي (ص) أمر أبا بكر بالصلاة في الناس ومن مذهبهم جواز إمامة

الفاسق في الصلاة ، ومع ذلك قالوا انه دليل على إمامته ، فيا بعد ما بين المقامين ولا أمر كأمر أبي بكر وأبي حسن وحسين .

ثم ان الفائدة في التعبير عن أمير المؤمنين (ع) وهو فرد بصيغة الجمع هي تعظيمه والاشارة إلى أنه بمنزلة جميع المؤمنين المصلين المزكين لانه عميدهم ومن أقوى الاسباب في إيمانهم ومبراتهم كما أشار إلى ذلك رسول الله (ص) بقوله يوم الحندق : برز الايمان كله إلى الشرك كله ، وجعل الرخصري الفائدة فيه ترغيب الناس في مثل فعله لينبه ان سجيئة المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان .

(آية بأيها الرسول بلغ)

قال المصنف قرى الله روحه

(الثانية) قوله تعالى : (بأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) نقل الجمهور انها نزلت في بيان فضل علي (ع) يوم الغدير فأخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) وقال : (أيها الناس أأست أولى منكم بأنفسكم) قالوا بلى يا رسول الله قال : (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار) المولى يراد به الاولى بالتصرف لتقدم أأست أولى ولعدم صلاحية غيره ههنا .

وقال الفضل

اما ما ذكره من إجماع المفسرين على ان الآية نزلت في علي فهو باطل فان المفسرين لم يجمعوا على هذا ، واما ما روي من ان رسول الله (ص) ذكره يوم غدير خم حين أخذ بيد علي وقال أأست أولى فقد ثبت هذا في الصحاح وقد ذكرنا سر هذا في ترجمة كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة وجملة ان واقعة غدير خم كانت في مرجع رسول الله عام حجة الوداع وغدير خم محل افتراق قبائل العرب وكان رسول الله

يعلم انه آخر عمره وانه لا يجتمع العرب بعد هذا عنده مثل هذا الاجتماع ، فأراد ان يوصي العرب بحفظ محبة أهل بيته وقبيلته ولا شك ان علياً كان بعد رسول الله «ص» سيد بني هاشم وأكبر أهل البيت فذكر فضائله وسأواه بنفسه في وجوب الولاية والنصرة والمحبة معه ليتخذوه العرب سيداً ويعرفوا فضله وكماله ، ولينصف المنصف من نفسه لو كان يوم غدير خم صرح رسول الله «ص» بخلافة علي نصاً جلياً لا يحتمل خلاف المقصود ألا ترى العرب مع جلافتهم وكفرهم بعد رسول الله «ص» وجعلهم الأنبياء فيهم مثل مسيامة الكذاب وسجاح وطليحة كانوا يسكتون على خلافة أبي بكر وكانوا لا يتكلمون بنباس في أمر خلافة علي مع ان رسول الله «ص» نص على المنابر بمحضر جميع قبائل العرب ، ان أنصف المتأمل العاقل علم أن لانص هناك .

وأقول

لم يذكر المصنف «ره» المفسرين في كلامه هنا فضلاً عن انه ادعى إجماعهم وإنا نقل رواية الجمهور لنزول الآية في فضل علي «ع» وهو حق ، فانه قد رواه الكثير منهم ، فقد نقل السيوطي في الدر المنثور بتفسير الآية عن ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر بأسانيدهم عن أبي سعيد قال : (نزلت على رسول الله «ص» يوم غدير خم في علي) ونقل أيضاً عن ابن مردويه بإسناده عن ابن مسعود قال : (كننا نقرأ على عهد رسول الله بأياها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ان علياً مولى المؤمنين وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) وروى الواحدي في أسباب النزول عن أبي سعيد قال (نزلت يوم غدير خم في علي) ونقل المصنف «ره» نحو هذا في منهاج السكراة عن أبي نعيم عن عطية ، ونقل أيضاً نحو ما ذكره هنا عن الثعلبي ، وقال الرازي في أحد وجوه نزولها (ولما نزلت أخذ بيده وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فلقبه عمر فقال هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي) ثم قال : (واعلم ان هذه الروايات وان كثرت إلا أن الأولى حمله على انه آمنه من مكر اليهود والنصارى

وأمره باظهار التملغ من دون مبالاة منه بهم ، وذلك لأن ما قبل هذه الآية وما بعدها بكثير لما كان كلاما مع اليهود والنصارى امتنع القاء هذه الآية الواحدة في البين على وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها) وفيه مع ان هذا اجتهدا في مقابلة النص وهو غير مقبول أن سورة المائدة آخر سورة نزلت من القرآن كما رواه الحاكم في المستدرک ورواه غيره أيضا وكان نزولها بحجة الوداع ، ومن المعلوم انه حينئذ لم تكن لليهود والنصارى شوكة يخشى منها النبي (ص) أن يبلغ منازل اليه : فلما نسب ان النبي (ص) خاف منافقي قومه ومن الواضح انه لا يخشاهم من تبليغ شيء جاء به إلا نصب علي (ع) إماما عداوة وحسدا له ، وقد ورد عندنا ان جبرئيل (ع) نزل على النبي (ص) في حجة الوداع بأن ينصب عليا خليفة له فضايق رسول الله (ص) به ذرعا مخافة تكذيب أهل الافك وقال لجبرئيل ان قومي لم يقرؤا لي بالنبوة إلا بعد أن جاهدت فكيف يقرؤن لعلي بالأمامة في كلمة واحدة وعزم على نصبه بالمدينة فلما وصل إلى غدير خم نزل عليه قوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) ولما سار بعد نصبه ووصل العقبة دحر جوا له الدباب لينفروا ناقتة ويقتلوه فينقضوا فعله فعصمه الله سبحانه منهم ، ثم أراد أن يؤكد عليه النص في كتاب لا يضلون بعده فذسبوه إلى الهجر وأراد تسييرهم بجيش اسامة فعضوه ، واما توسط هذه الآية بين الآيات المتعلقة باليهود والنصارى فللاشارة إلى ان المنافقين بمنزلهم ومن سنخهم في الضلال والكفر ولذا حكم بارتدادهم في اخبار الخوض ولو كان المقصود هو العصمة عن اليهود والنصارى لكان الأولى هو الاضمار لا التعبير عنهم بالناس ثم انه لا بد من تحقيق حديث التدبير في الجملة سنداً ودلالة فهنا مطلبان : (الأول) في صحته وهي لا ريب فيها لأحد إلا لبعض النصاب كما سنعرف ، قال ابن حجر في اللصواعق في الشبهة الحادية عشرة من الفصل الخامس من الباب الأول : (انه حديث صحيح لا مرية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد ، وطرفة كثيرة جداً : ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً وفي رواية لأحمد انه سمعه من النبي (ص) ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته كما مر وسيأتي) (أقول) وهذا صريح

في دلالة الحديث على الخلافة ثم قال في الصواعق : (وكثير من أسانيده صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح في صحته ولا لمن رده بأن علياً كان باليمن لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي (ص) وقول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه الخ موضوعة ، مردود فقد ورد ذلك من طرق صحيح الذهبية كثيراً منها) والدعاء الذي أشار اليه هنا قد ذكره قبل هذا الكلام بلفظ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ، بل الحق ان هذا الحديث من المتواترات حتى عند القوم فقد نقل السيد السعيد (ره) عن الجزري الشافعي انه أثبت في رسالته أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب تواتره من طرق كثيرة ونسب منكره إلى الجهل والعصبية واعترف الحافظ السيوطي كما نقل عنه بتواتره ، وكيف لا يكون متواتراً وقد زادت طرقه على مائة عندهم ورواه سبعون صحابياً أو أكثر ، نقل جماعة عن الطبري صاحب التاريخ المشهور انه أخرج هذا الحديث من خمسة وسبعين طريقاً وأفرد له كتاباً سماه الموالاة ، ونقلوا عن ابن عقدة انه أخرجه من مائة وخمسة طرق وأفرد له كتاباً سماه الموالاة ، وأشار إلى الكتابين ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب بترجمة أمير المؤمنين (ع) قال : (صح حديث الموالاة واعتنى بجمع طرقه أبو العباس بن عقدة فأخرجه من حديث سبعين صحابياً أو أكثر وقد جمعه ابن جرير الطبري في مؤلف) وقال ابن حجر في الإصابة بترجمة أبي قدامة الأنصاري : (ذكره أبو العباس ابن عقدة في كتاب الموالاة الذي جمع فيه طرق حديث من كنت مولاه فعلي مولاه فأخرج فيه من طريق محمد بن كثير عن قطر عن أبي الطفيل قال : كنا عند علي (ع) فقال انشدكم الله من شهد يوم غدिर خم ؟ فقام سبعة عشر رجلاً منهم أبو قدامة الأنصاري فشهدوا أن رسول الله (ص) قال ذلك) .

ولنذكر بعض ما عثرنا عليه من أخبار القوم الذي ينفعنا في الدلالة على المطلوب لاشتماله على قرآن وخصوصيات لا تناسب غير الاهتمام بالإمامة وان لم يروا من الحقيقة إلا أقلها ، فمن ذلك البعض الذي أردناه مارواه الحاكم في المستدرك (ص ١٠٩ من الجزء الثالث) عن زيد بن أرقم وقال صحيح على شرط الشيخين : (قال زيد لما رجع

رسول الله (ص) من حجة الوداع ونزل غدِير خُم أمر بدوحات فقممن فقال كَأَنِّي قد دعيت فأجبت اني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تحلفوني فيها فانها ان يفترقا حتى يردا علي الحوض ثم قال إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد علي فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ومثله في كَنْز العمال (ص ٣٩٠ من الجزء السادس) نقلًا عن ابن جرير في تهذيب الآثار بسنده عن أبي الطفيل وفي آخره : (فقلت لزيد أنت سمعته من رسول الله (ص) ؟ فقال ما كان في الدوحات أحد إلا قد رآه بعيني وسمعه بأذنيه) ثم قال في الكَنْز : (أيضًا ابن جرير عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مثل ذلك) .

(ومن ذلك) البعض أيضًا مارواه الحاكم بعد الحديث المذكور عن زيد بن أرقم وصححه على شرط الشيخين : (قال زيد نزل رسول الله (ص) بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام فكند الناس ماتحت الشجرات ثم راح رسول الله عشية فصلى ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ماشاء الله أن يقول ثم قال : أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموها وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي ثم قال أتعلمون أي أولى بالمؤمنين من أنفسهم - ثلاث مرات - قالوا نعم فقال رسول الله من كنت مولاه فعلي مولاه) .

و (منه) أيضًا مارواه أحمد في مسنده عن البراء بن عازب (١) من طريقين رجالهما رجال صحيح ابن مسلم وأكثرهم أيضًا من رجال صحيح البخاري قال : (كننا مع رسول الله (ص) في سفر فزلنا بغدير خُم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح رسول الله تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي فقال : أستم تعلمون أي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال أستم تعلمون أي أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى قال فأخذ بيد علي فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فلقبه عمر بعد ذلك فقال له : هنيئًا لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة) .

(و منه) أيضاً مارواه أحمد (١) عن زيد بن أرقم قال : (نزلنا مع رسول الله (ص) بواد يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال فخطبنا وظلل رسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس فقال : أستم تعلمون - أو أستم تشهدون - أي أولى بكل مؤمن ومؤمنة من نفسه قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فأنا علياً مولاه اللهم عاد من عاداه ووال من والاه) وروى نحوه بعده بقليل .

(و منه) أيضاً مارواه أحمد أيضاً (٢) عن حسين بن محمد وأبي نعيم قالوا : (حدثنا قطر عن أبي الطفيل قال جمع علي الناس في الرحبة ، ثم قال لهم أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدیر خم ما سمع لما قام فقام ثلاثون من الناس وقال أبو نعيم فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذه بيده فقال للناس أتعلمون أي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا نعم يا رسول الله قال من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فخرجت وكان في نفسي شيء فلقيت زيد بن أرقم فقلت له إني سمعت علياً يقول كذا وكذا قال فما تنكر قد سمعت رسول الله يقول ذلك له) .

وروى أحمد في مسند علي (ع) حديث المناشدة من عدة طرق اثنان منها (٣) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال في أحدهما (فقام اثني عشر بذرا) وفي الآخر (فقام اثني عشر رجلاً فقام إلا ثلاثة لم يقوموا فأصابهم دعوته) ونقل في كنز العمال نحوه الأخير (٤) عن الخطيب في الأفراد عن عبد الرحمن قال فيه : (فقام بضعة عشر رجلاً فشهدوا وكنتم قوم ثا فنوا من الدنيا إلا عموا وصموا) ونقل أيضاً في الكنز حديث المناشدة (٥) عن أبي عاصم وابن جرير والخطيب وسعيد بن منصور وأبي يعلى وغيرهم ونقله أيضاً قبل ذلك (٦) عن الطبراني وعن عمير بن سعد بروايتين وعن البزار وابن جرير والخطيب عن عمر ذي مرة وسعيد بن وهب وزيد بن سبيع قالوا : (سمعنا علياً يقول نشدت الله رجلاً سمع رسول الله يقول يوم غدیر خم ما قال لما قام فقام ثلاثة عشر رجلاً

(١) ص ٣٧٢ من الجزء الرابع . (٢) ص ٣٧٠ من الجزء السابق .

(٣) ص ١١٩ من الجزء الأول . (٤) ص ٣٩٧ من الجزء السادس .

(٥) ص ٤٠٧ من الجزء المذكور . (٦) ص ٤٠٣ .

فشهدوا أن رسول الله (ص) قال أنست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى يا رسول الله فأخذ بيد علي فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله) ثم قال في الكنز : (قال البيهقي رجال سنده ثقات قال ابن حجر ولاكنهم شيعة) (أقول) هل مع توثيقهم وشهرة حديث المباشدة تلك الشهرة وثبوت صحته وصحة أصل حديث الغدير محل لهمة الرواة لتشيعهم لو صح كونهم شيعة ولاكن ابن حجر وأشباهه أبوا أن يسمعوها فضيلة لامام المتقين إلا أن يقولوا فيها شيئاً ليكونوا محلاً لدعاء النبي (ص) بقوله (واخذل من خذله) .

و (منه) ما رواه النسائي في الخصائص بسنده عن سعد قال : (كنا مع رسول الله بطريق مكة فلما بلغ غدير خم وقف الناس ثم رد من سبقه ولحقه من تخلف فلما اجتمع الناس إليه قال : من وليكم ؟ قالوا الله ورسوله ثلاثاً ثم قال من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه) وأخرجه أيضاً بطريق آخر عن سعد وقال في أوله : (ألم تعلموا أني أولى بكم من أنفسكم) .

و (منه) ما ذكره ابن حجر في الصواعق في المقام السابق قال : (ولفظه عند الطبراني وغيره بسند صحيح أنه (ص) خطب بغدير خم تحت شجرات فقال : أيها الناس أنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر النبي الذي يليه من قبله وإني لأظن أني وشك أن ادعى فأجيب وإني مسؤول وإنكم مسؤولون فإذا أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً ، فقال : أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، قالوا بلى نشهد بذلك ، قال اللهم اشهد ، ثم قال : أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فن كنت مولاه فهذا مولاه - يعني علياً - اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، ثم قال : أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون علي الحوض حوض أعرض بما بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سائلكم حين

تردون علي عن الثقلين فأنظروا كيف تخلفوني فيها الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تفلتوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي فانه نبأني اللطيف الخبير انها لن يفترقا حتى يردا علي الخوض .

و (منه) مارواه صاحب المواقف وشارحها والقوشجي في شرح التجريد (ان النبي (ص) أحضر القوم بغدير خم وأمر بجمع الرجال فصعد عليها وقال لهم ألسنت أوليكم من أنفسكم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) ولنكتف بهذا القدر فان فيه الكفاية لمن طلب الحق .

(المطلب الثاني) في دلالة الحديث على إمامة أمير المؤمنين (ع) ، فنقول : ذكرنا للمولى معاني عديدة منها المعتقد والمعتق والحليف والجار والابن والعم وابن العم والمحب والناصر والمالك للأمر الذي هو عبارة أخرى عن الأولى بالتصرف ولاشك انه لا يصح في المقام إلا المعنى الأخير لأمرين :

(الأول) عدم صلاحية إرادة تلك المعاني الباقية إما في أنفسها كالمعتق والعم والابن ونحوها أو لسكونها من توضيح الواضحات الغنية عن الاهتمام ببيانها كالمحب والناصر .

(الثاني) وجود القرائن المعينة لإرادة المعنى الأخير (فيها) سبق أمر الله سبحانه نبيه بهذا التبليغ وقوله : (إن لم تفعل فما بلغت رسالته) فانه لا يصح حمله على الأمر بتبليغ أن علياً محب أو ناصر لمن أحبه النبي (ص) او نصره فان الذي يليق بهذا التهديد هو أن يكون المبلغ به أمراً دينياً يلزم الامة الأخذ به كالامامة لامثل الحب والنصرة من علي (ع) لهم التي لا دخل لها بتكليفهم ، فهل ترى أن الله ورسوله يريدان تسجيل الأمر على علي (ع) والاشهاد عليه لثلاث يفعل ماينافي الحب والنصرة او يريدان توضيح الواضحات والاخبار بالتبديهييات ، على ان نصره علي (ع) لكل مؤمن ومؤمنة موقوفة على إمامته وزعامته العامة إذ لا تتم منه وهو رعية ومحكوم لغيره في جل أيامه ولذا لم يقدر على نصر أخص الناس به وهو سيدة النساء مع علمه بأنها محقة في دعواها فلا بد اما ان يكون كلام رسول الله (ص) وقوله : من كنت مولاه فعلي مولاه كذبا

وحاشاه او بياناً لامامة علي وهو المطلوب .

و (منها) تقرير النبي (ص) لهم بأنه أولى بهم من أنفسهم فانه دال على أنه مقدمة لاثبات أمر عليهم يحتاج إلى مثل هذا التقرير فإذا قال من كنت مولاه فعلي مولاه علم أن الفرض إثبات تلك المنزلة لعلي (ع) عليهم وإيجاب إمامته عليهم لا الاخبار بأنه محب لمن أحبه أو ناصر لمن نصره .

و (منها) انه (ص) بين قرب موته كما في رواية الحاكم الاولى ورواية الصواعق وغيرها وهو مقتضى للعهد بالخلافة ومناسب له فلا بد من حمل قوله : (من كنت مولاه فعلي مولاه) على العهد لأمير المؤمنين بالخلافة لا على بيان الحب والنصرة ولا سيما مع قوله في رواية الحاكم (اني تركت) الى آخره الدال على الحاجة إلى عترته وكفايتهم مع الكتاب فيما يحتاج اليه الامة ، وقوله في رواية الصواعق : (إني سأتلكم عنها) وقوله (لن يفترقا) بعد أمره بالتمسك بالكتاب فان هذا يقتضي وجوب التمسك بهم واتباعهم فيسأل عنهم وذلك لا يناسب إلا الامامة .

و (منها) انه (ص) دعا لعلي بما يناسب الدعاء لولادة العهد بعد نصبهم للزعامة العامة فقال اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ، او نحو ذلك فكيف يصح حمل المولى على الحب او الناصر و (منها) قرأت الحال الدالة على ان ما أراد النبي (ص) به انه هو أهم الامور واعظمها كما مره بالصلاة جامعة في السفر بالمنزل والعربى بحر الحجاز وقت الظهيرة مع إقامة منبر من الأحداج له وقيامه خطيباً بين جماهير المسلمين الذين يبلغ عددهم مائة الف او يزيدون ، فلا بد مع هذا كله ان يكون مراد النبي (ص) بيان إمامة امير المؤمنين (ع) التي يلزم إيضاح حالها والاهتمام بشأنها وإعلام كل مسلم بها لا مجرد بيان أن علياً محب لمن أحبيته وناصر لمن نصرته وهو لا أمر ولا إمرة له ، وعلى هذا فبالنظر إلى خصوص كل واحدة من تلك القرائن الحالية والمقالية فضلاً عن مجموعها لا ينبغي أن يشك في إدراك في إرادة النص على علي (ع) بالامامة وإلا فكيف تستفاد المعاني من الألفاظ وكيف يدل الكتاب العزيز او غيره على معنى من المعاني ، وهل يمكن أن لا يراد الامامة

وقد طلب أمير المؤمنين (ع) من الصحابة بجمع الناس بيان الحديث ودعا على من كتمه ، إذ لو أريد به مجرد الحب والنصرة لما كان محلاً لهذا الاهتمام ولا كان مقتضى لأن يبقى في أبي الطفيل منه شيء وهو أمر ظاهر ليس به عظيم فضل حتى قال له زيد بن أرقم ما تنكر قد سمعت رسول الله (ص) يقول ذلك له كما سبق ، ولا كان مستوجبا لتنهئة أبي بكر وعمر لأمير المؤمنين (ع) بقولهما : (أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة) فان التهيئة لأمير المؤمنين الذي لم يزل محلاً لذكر رسول الله (ص) بالفضائل العظيمة والخصائص الجليلة إنما تصح على أمر حدث تقصر عنه سائر الفضائل وتتقاصر له نفوس الأفاضل وتتشوق اليه القلوب وتتشوف له العيون ، فهل يمكن ان يكون هو غير الامامة من النصرة ونحوها عما هو أيسر فضائله وأظهرها وأقدمها ، ولكن كما قال الغزالي في سر العالمين : (ثم بعد ذلك غاب الهوى وحب الرياسة وعقود البنود وخفقان الرايات وازدحام الخيول وفتح الأمصار والأمر والنهي فحملهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون) وقد ذكر جماعة من القوم ان سر العالمين للغزالي كالذهبي في ميزان الاعتدال بترجمة الحسن بن الصباح الاسماعيلي ، هذا ويشهد لارادة الامامة من الحديث فهم الناس لها منه كما سبق في الرواية التي نقلناها في اول المطلب الأول عن ابن حجر في الصواعق عن احمد حيث قال : وفي رواية لأحمد انه سمعه من النبي (ص) ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي (ع) لما نوزع في أيام خلافته ، فان قوله (لما نوزع) دال على ان استشهد أمير المؤمنين إنما كان للاستدلال على خلافته وصحتها وانها من النبي (ص) فهو (ع) وشهوده وراوي ذلك قد فهموا من الحديث الامامة ويشهد أيضاً لارادتها منه إكثار الشعراء واهتمامهم في ذكر هذا الحديث وفهمهم منه الامامة ، قال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص أ كثرت الشعراء في يوم غدیر خم فقال حسان بن ثابت :

بناديهم يوم الغدير نبیهم	بنخم فاسمع بالرسول مناديا
وقال فن مولاكم ووليكم	فقالوا لم يبدوا هناك التعاميا
الهلك مولانا وانت ولينا	ومالك منا في الولاية عاصيا

فقال له قم يا علي فاني رضىتك من بعدي إماماً وهاذا
 فن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أنصاراً صدق مواليا
 هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذي عادى علياً معاديا

قال (وروي ان النبي (ص) لما سمعه يثشد هذه الأبيات قال له يا حسان لا تزال
 مؤيداً بروح القدس مانصرتنا او نالجت عنا بلسانك) وقال قيس بن سعد بن عبادة
 وأنشدها بين يدي علي بصفيق :

قلت لما نعى العدو علينا حسبنا ربنا ونعم الوكيل
 وعلي إمامنا وإمام لسوانا به أنى التنزيل
 يوم قال النبي من كنت مولاه فهذا مولاه خطب جليل
 ان ما قاله النبي علي الأ مة نص (١) ما فيه قال وقيل
 ثم ذكر السبط ابيانا للكيث منها :

ويوم الدوح دوح غدير حم وأبأن له الولاية لو اطيحا
 ولكن الرجال تباعوها (٢) فلم أر مثله خطراً مبيعا

قال السبط : ولهذه الأبيات قصة عجيبة حدثنا بها شيخنا عمرو بن صافي الموصلي
 قال انشد بعضهم هذه الأبيات فبات مفكراً فرأى علياً (ع) في المنام فقال له أعد
 علي ابيات الكميث فأنشده إياها حتى بلغ قوله خطراً مبيعا فأنشده علي (ع) بيتاً
 آخر من قوله زيادة فيها :

فلم أر مثل ذلك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً اضيحا
 ثم ذكر السبط ابيانا من نحو هذا للسيد الحميري وبديع الزمان الهمداني ولا يمكن
 استيفاء ما قاله الشعراء فانه مما يمتنع حصره . هذا وقد اورد القوم على الحديث بامور
 حقيقة بالاعراض عنها لولا إرادتنا استيفاء ما عندهم .

(الأول) منع صحته ، قال في المواقف وشرحها ودعوى الضرورة في العلم بصحته
 لسكونه متوارماً مكابرة كيف ولم ينقله اكثر أصحاب الحديث كالبخاري ومسلم واهلها

(١) وفي نسخة « حتم » بدل « نص » . (٢) وفي نسخة « تدافعوها » .

وقد طعن بعضهم فيه كما في داود السجستاني وأبي حاتم الرازي وغيرهما من أئمة الحديث (أقول) أن أريد بمنع صحته أنه لم يرو بسند صحيح كذبهم تصحيح الحاكم وغيره له حتى أن النهي على نصبه وابن حجر على نصبه اعترفا بصحة كثير من طرقه كما سبق ، وإن أريد عدم إفادته اليقين بالصدور لعدم كونه متواتراً عندهم فتجده في الجملة من حيث حصول الشبهة في الإمامة عندهم . ولكن الحق أنه لا عمل لمنع تواتره لاستفاضة طرقه بينهم فضلاً عنا استفاضة توجب أعلى مراتب التواتر عند من أنصف ، وقد اعترف السيوطي كما عرفت بتواتره وكذلك ابن الجزري حتى نسب منكر تواتره إلى الجهل والتعصب .

واما عدم ذكر البخاري ومسلم فيه فغير عجيب إذ كم أهملوا أخباراً صحيحة عندهم واستدركها أصحابها واستألموها على إهمالها لهذا الحديث الصحيح المتواتر للجرد عدم موافقته لمذهبها بل لرعاية ملوك زمانها وهوى قومها والناس على دين ملوكهم ، وبهذا تعلم عذر السجستاني وأبي حاتم . قال سني لشيبي ما لم تنوحوون على الحسين في كل وقت وقد مضت على قتله السنون فقال نخاف أن تمكروا قتله ومظلوميته كما أنكرتم بيعة الغدير . (الثاني) أن علياً لم يكن يوم الغدير مع النبي «ص» فإنه كان باليمن ، ويرد عليه أن رجوعه من اليمن وحضوره الحج مع النبي «ص» مما تضافرت به الأخبار كما ستعرف بعضها في تحرير عمر الممتتين وقد عرفت إقرار ابن حجر بثبوت ذلك .

(الثالث) أن أكثر رواة لم يرووا مقدمة الحديث وهي (أنت أولى بهم من أنفسكم) وفيه أنه لو سلم عدم ذكر الأكثر لها كفاهاً وجودها في الصحاح الكثيرة والأخبار المتظافرة . وقد نص ابن حجر والنهبي والحاكم وغيرهم على صحتها كما سبق . (الرابع) أن مفعول بمعنى أفضل لم يذكره أحد من أئمة العربية مع أن الاستعمال على خلافه لجواز أن يقال هو أولى من كذا دون مولى من كذا ، ولو سلم فأين الدليل على أن المراد الأولى بالتصرف والتدبير بل يجوز أن يراد الأولى في أمر من الأمور كما قال تعالى : (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) وأراد الأولوية في الانبعا والاختصاص به والقرب منه لافي التصرف به ، ولصحة الاستفسار إذ يجوز أن يقال في أي شيء .

هو أولى أبي نصرته أو محبته أو التصرف فيه : والصحة التقسيم بأن يقال كونه أولى به إما في نصرته وإما في ضبط أمواله وإما في تدبيره والتصرف فيه ، وحينئذ لا يدل الحديث على إمامته ، هذا ما ذكره في المواقف وشرحها ، وفيه (أولاً) أن أبا عبيدة فسر المولى في قوله تعالى ومأواكم النار هي مولاكم بالاولى بكم كما حكاه عنه في شرح التجريد للقوشجي ، و (ثانياً) أن من يفسر المولى في الحديث بالاولى بالتصرف لم يرد أنه إسم تفضيل مثله حتى يرد عليه أنه يقال هو أولى من كذا ولا يقال مولى من كذا بل أراد التفسير بمحاصل المعنى بقرينة مقدمة الحديث وهي قوله : ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإن هذه المقدمة تدل على أن المراد بـ «الاولى» بهم من أنفسهم ، وهو عبارة أخرى عن الاولى بالتصرف وإن شئت أن تفسر المولى بمالك الأمر كما هو معناه الحقيقي كان أحسن فيكون معنى الحديث من كنت مالك أمره اسكوني أولى به من نفسه فعلي مثلي مالك أمره كقوله : (أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها) أي مالك أمرها ، وكيف كان فالنتيجة واحدة وهي أن علياً «ع» مالك أمر الامة وإمامها وأولى بها من أنفسهم في التصرف كالنبي «ص» ، وأما ما زعمناه من جواز أن يراد الاولى في أمر من الاموز غير التصرف وما زعمناه من صحة الاستفسار والتقسيم خطأ ظاهر لا يقتضاه ذلك على إجمال الحديث ، وقد عرفت أن مقدمته وغيرها من القرائن تدل على أن المراد بالمولى الاولى بهم من أنفسهم في التصرف ومالك أمرهم وإمامهم ، كيف ولو كان الحديث مجملاً مع تلك القرائن حتى يدخله الاحتمال المذكور ويجوز فيه الاستفسار والتقسيم لكانت كلمة الشهادة أولى بالاجمال لا مكان الاستفسار فيها بأن المراد هل هو لإله إلا الله في السماء او في الأرض او لإله إلا الله في آسيا او اوربا او غيرها إلى غير ذلك ، ولا مكان التقسيم أيضاً بنحو ذلك ، وهذا لا يقوله ذو معرفة .

(الخامس) انه لو سلم دلالة الحديث على إمامة علي «ع» فلا نسلم دلالة على كونها بعد النبي «ص» بلا فصل حتى تفتني إمامة الثلاثة ، وفيه ان هذا مكابرة ظاهرة إذ كيف يترك النبي «ص» في حال نصب إمام للمسلمين لحضور اجله ذكر ثلاثة وينص على من بعدهم الذي يكون إماماً بعد خمس وعشرين سنة من وفاته ، ولو جاز ذلك لكان جميع

ولادة العهد محل كلام إذ لا يقول السلطان هذا ولي عهدي بلا فصل : بل على احتمالات القوم لو قال رسول الله «ص» من كنت مولاه فعلي مولاه بعدي ، لقالوا لا منافاة بين البعدية والفصل بغيره ، كما صنع القوشجي في قوله «ص» أنت وصي وخليفتي . من بعدي ، بل لو قال فعلي مولاه بعدي بلا فصل لقالوا يحتمل ان يكون المعنى بلا فصل من غير الثلاثة ، ولا عجب ممن نشأ على التعصب وحب العاجلة وقال إنا وجدنا آباءنا على ملة .

(بقي شيء) وهو ما ذكره الفضل في تأويل الحديث فنقول : يظهر منه ان المراد بالمولى في الحديث المحبوب والمنصور لأنه قال : (أراد ان يوصي العرب بحفظ محبة اهل بيته وقبيلته) إلى ان قال : (وسواؤه بنفسه في وجوب الولايه والنصرة والمحبة معه ليتخذوه العرب سيداً) الى آخره ، فإن هذا يقتضي ان يكون معنى قوله «ص» من كنت مولاه فعلي مولاه من كنت محبوبه او منصوراً له فعلي كذلك ، وفيه مع ان المولى لم يستعمل بمعنى المحبوب والمنصور انك عرفت ان القرائن الحالية والمقالية تقتضي إرادة مالك الأمر كما هو واضح حتى ظهر الحق على لسان قلعه من حيث يريد إخفاءه فإن مساواة علي بنفس النبي في وجوب محبته ونصرته على الاطلاق لا تتم إلا بثبوت منزلته له من الرياسة العامة والعصمة ولذا كانت النتيجة كما ذكرها الفضل ان يتخذوه العرب سيداً واما ما عرض به من الانصاف فياحبذا لو سلك سبيله فإنه اذا أقر بمخالفة اولئك العرب وكفرهم بعد النبي «ص» واتخاذهم الأنبياء فيهم كسليمه وسجاح فقد كان الأنسب بهم مخالفة النص العريخ واتخاذ خليفة غير الخليفة الحق ولا سيما أن أبا بكر كان مستعيناً بظاهر الصحبة وتأييده الأقران ، وما ادري من اين فهم الفضل إرادة النبي الوصية بحفظ محبة مطلق قبيلته لولا عدم الانصاف وكراهة تخصيص امير المؤمنين «ع» بالفضل والنص ، ولو رأيت ما ذكره ابن حجر في الصواعق بالنسبة الى الجواب عن الحديث من الخرافات والآراء السخيفة وأخبارهم الكاذبة لعرفت الى أن يبالغ عنادهم للحق وتمصمهم للهوى .

(آية التطهير)

قال المصنف أعلى الله درجته

(الثالثة) قوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) أجمع المفسرون وروى الجمهور كأحمد بن حنبل وغيره أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين وروى أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني عن أبي الحمراء قال : خدمت النبي «ص» تسعة أشهر او عشرة وكان عند كل فجر لا يخرج من بيته حتى يأخذ بعضادني باب علي فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيقول علي وفاطمة والحسن والحسين : عليك السلام يا نبي الله ورحمة الله وبركاته ، ثم يقول الصلاة رحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . ثم ينصرف الى مصلاه ، والكذب من الرجس ولا خلاف في ان أمير المؤمنين «ع» ادعى الخلافة لنفسه فيكون صادقاً .

وقال الفضل

اما إجماع المفسرين على ان الآية نزلت في علي بخلاف الواقع ولم يجمعوا على ذلك بل أكثر المفسرين على ان الآية نزلت في شأن الأزواج وهو المناسب لنظم القرآن قوله تعالى : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) هذا نص القرآن يدل على أنها نزلت في أزواج النبي «ص» لأنه مذكور في قرن حكيائهن والمحاطة بهن والمكن لما عدل عن صيغة خطاب الاناث الى خطاب الذكور فلا يبعد ان تكون نازلة في شأن كل أهل بيت النبي «ص» من الرجال والنساء فشملت علياً وفاطمة والحسن والحسين وأزواج النبي «ص» وعلى هذا فليس الرجس هنا محمولا على الطهارة من كل الذنوب بل المراد من الرجس الشرك

وكبار الفواحش كالزنا كما يدل عليه سابق الآية وهو قوله تعالى : (فيطمع الذي في قلبه مرض) ولو سلمنا هذا فلا نسلم ان علياً ادعى الامامة لنفسه ولو كان يدعيها لما كان يدعيها بالعجز والخفية لوجود القوة والشجاعة والأعوان وكثرة القبائل والعشائر وشرف القوم وغيرها من الفضائل ، ثم لو كان الرجس محمولا على الذنب لما كانت عائشة مؤاخذه بذنبها في وقعة الجمل لأن الآية نزلت فيها وفي ازواج النبي غيرها على قول اكثر المفسرين فلا يتم له الاستدلال بهذه الآية .

وأقول

لم يبعد ان يكون مراد المصنف باجماع المفسرين على ذلك هو اجتماع الشيعة والسنة على القول به أي انه من مقول الطرفين معاً وان لم يجمع عليه السنة ، او يكون مراده إجماع من يمتد بقوله في مثل ذلك فإن المخالف هو عكرمة ومقاتل واشباهها ممن لا يجوز حتى للقوم الاعتداد بقوله في مقام النزول وشبهه ، لأن قول المفسر إنما يؤخذ به في ذلك اذا كان رواية عن النبي « ص » او من يعتبر قوله من الصحابة لأنه من باب الاخبار ، وعكرمة كذاب خارجي كما سبق بعض ترجمته في مقدمة الكتاب فلا يمتد بخبره في ذلك فضلاً عن رأيه ولا سيما انه متعلق بفضل آل محمد وكذا مقاتل كان كذاباً حتى قال النعماني الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله « ص » اربعة وعده منهم وكان يأخذ علم القرآن من اليهود والنصارى وكان دجالاً جسوراً اسند ظهره الى القبلة وقال سلوني عما دون العرش ، فسئل عن الخلة ابن امعأوها في مقدمها او يؤخرها ؟ فلم يحرجوا ، وسئل عن آدم حين حج من خلق رأسه ؟ فبق ضالا راجع ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب ووفيات الأعيان نجد ما ذكرناه من بعض احواله الخبيثة ، وقس على هذين الكذابين اللذين هما من رؤس مفسريهم غيرها .

واما قول الفضل : (اكثر المفسرين على ان الآية نزلت في شأن الأزواج) فغير صحيح لأن ابن حجر اكثر منه اطلاعا ، قال في الصواعق عند ذكر الآية في فضائل اهل البيت « ع » : (اكثر المفسرين على انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين)

بل الحق ان القائلين بزولها في شأن الأزواج خاصة أقل القليل بالنسبة إلى غيرهم لأن جميع مفسري الشيعة وأكثر مفسري السنة قالوا كما عرفت بزولها في علي وفاطمة والحسين لكن مع النبي «ص» عندنا ، وقال بعض مفسريهم في بني هاشم ، وقال جملة منهم بزولها في آل النبي الأربعة المذكورين والأزواج ، فلم يبق من المفسرين من يقول بزولها في الأزواج خاصة إلا القليل ، وكيف كان فلا عبرة بهم حتى لو كانوا إلا أكثر لا متناع لإرادة الأزواج ولو منظّات لأنهن غير مطهرات من الرجس حتى لو اريد به الشرك وكبار الذنوب لتقدم الشرك منهن وحدث الكبار من بعضهن كعائشة حيث خرجت على إمام زمانها الذي قال فيه رسول الله «ص» (حربك حربي) ، وقتلت الآلاف العديدة وخالفت أمر الله سبحانه في نص كتابه بقرارها في بيتها كما تظاهرت مع صاحبها على رسول الله «ص» وكذبنا عليه فأُزيل الله تعالى به قرآننا وبيننا أعظم مكرها وفعالها وضرب لأجلها المثل بأسرائيل نوح ولوط .

مع ان إرادة الأزواج مخالفة للأخبار المتواترة المشتملة على الصحيح الكثير عنهم الدالة على نزول الآية في خصوص أمير المؤمنين وفاطمة وابنيها «ع» وبعضها نص بخروج الأزواج .

(فنها) مارواه مسلم في باب فضائل أهل البيت «ع» عن عائشة قالت : (خرج رسول الله «ص» غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ونقله السيوطي في الدر المنثور أيضاً عن أحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم ورواه الحاكم (١) بسند آخر عن عائشة وصححه على شرط الشيخين .

(ومنها) مارواه الحاكم أيضاً قبل الحديث المذكور عن أم سلمة قالت : (في بيتي نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فأرسل رسول الله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال هؤلاء أهل بيتي) ثم قال الحاكم هذا صحيح على شرط البخاري

ورواه أيضاً في تفسير سورة الأحزاب (١) بسند آخر عن أم سلمة وصححه على شرط البخاري وزاد فيه : (قالت أم سلمة يارسول الله ماأنا من أهل البيت ؟ قال انك على خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهلي أحق) .

و (منها) مارواه الحاكم أيضاً عن واثلة قال : (أتيت علياً فلم أجده فقالت لي فاطمة انطلق إلى رسول الله «ص» يدعوه فجاؤ مع رسول الله «ص» فدخلنا ودخلت معها فدعا رسول الله «ص» الحسن والحسين فأقعده كل واحد منهما على نخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوباً وقال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي اللهم أهلي بيتي أحق) ثم قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين) وروى مثله في تفسير سورة الأحزاب بسند آخر عن واثلة وصححه على شرط مسلم وروى نحوه أحمد في مسنده عن واثلة أيضاً (٢) ونقل السيوطي في الدر المنثور نحوه عن ابن أبي شيبه وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي كلهم عن واثلة .

و (منها) مارواه الحاكم بعد الحديث الأول عن أبي سعيد (نزل على رسول الله الوحي فأدخل علياً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال : اللهم هؤلاء أهلي وأهل بيتي) وناقش الذهبي في سنده حيث أن فيه بكير بن مسمار وعلي بن ثابت فقال (علي وبكير تكلم فيما) وفيه أن بكيراً من رجال صحيح مسلم وعلياً لم يضعفه سوى الأزدي ، ونقل السيوطي في الدر المنثور نحو هذا الحديث عن ابن مردويه وابن جرير وابن سعد .

و (منها) مارواه الحاكم أيضاً وصححه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (لما نظر رسول الله «ص» إلى الرحمة هابطة قال ادعوا لي ادعوا لي فقالت صفية من يارسول الله ؟ قال أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين فجيء بهم فألقى عليهم النبي «ص» كساءه ثم رفع يده ثم قال اللهم هؤلاء آلِي فصل على محمد وآل محمد ، وأنزل الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

و (منها) مارواه الترمذي في مناقب أهل البيت عن عمر بن أبي سلمة (نزلت هذه (١) ص ٢١٦ من الجزء الثاني . (٢) ص ١٠٧ من الجزء الرابع .

الآية على النبي «ص» إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا في بيت ام سلمة فدعا النبي «ص» فاطمة وحسناً وحسيناً بكساء، وعلي خلف ظهره فجعله بكساء، ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت ام سلمة وأنا معهم يانبي الله قال أنت على مكانك وأنت إلى خير (ثم قال وفي الباب عن ام سلمة ومفضل بن يسار وأبي الحمراء وأنس بن مالك ورواه الترمذي أيضاً في سورة الأحزاب وروى معه عن أنس وحسنه (ان رسول الله «ص» كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر اذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ومثله في مسند أحمد عن أنس (١) وكذا في مستدرک الحاكم (٢) وصححه على شرط مسلم ونقله في الدر المنثور عن ابن جرير وابن أبي شعبة وابن المنذر والطبراني وابن مردويه كلهم عن أنس ونقل نحوه أيضاً عن الطبراني عن أبي الحمراء ونقل أيضاً عن ابن جرير وابن مردويه عن أبي الحمراء قال : (حفظت من رسول الله «ص» ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى إلى باب علي فوضع يده على جنيبي الباب ثم قال الصلاة الصلاة إنما يريد الله ، الآية) ونقل أيضاً عن ابن مردويه عن ابن عباس قال : (شهدنا رسول الله «ص» تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت إنما يريد الله ، الآية رحمة الله كل يوم خمس مرات) .

و (منها) مارواه الترمذي في باب ماجاء في فضل فاطمة «ع» عن ام سلمة (ان النبي «ص» جلى على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وأنا معهم يا رسول الله قال انك إلى خير) ثم قال الترمذي (هذا حديث حسن صحيح وهو أحسن شيء روي في هذا الباب) وفي الباب عن أنس وعمر بن أبي سلمة وأبي الحمراء .

و (منها) مارواه أحمد في مسنده (٣) عن ام سلمة بثلاثة طرق (ان النبي «ص» (١) ص ٢٥٩ و ص ٢٨٥ من الجزء الثالث . (٢) ص ١٥٨ من الجزء الثالث

(٣) ص ٢٩٢ من الجزء السادس .

كان في بيتها فأنته فاطمة بمرمة فيها حريرة فدخلت بها عليه فقال لها ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيري قالت وأنا أصلي في الحجرة فأنزل الله هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله قال إنك إلى خير إنك إلى خير (ونحوه في أسباب النزول للواحدي وفي الدر المنثور عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أم سلمة أيضا .

و (منها) مرواه أحمد أيضا (١) عن أم سلمة (ان النبي «ص» جلال على علي وحسن وحسين وفاطمة كساء ثم قال : اللهم أهل بيتي وخاصتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة أنا معهم قال لك إلى خير)

و (منها) ما نقله السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه عن أم سلمة قالت : (نزلت هذه الآية في بيتي إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، وفي البيت سمعة جبرئيل وميكائيل وعلي وفاطمة والحسن والحسين وأنا على باب البيت قلت يا رسول الله أأنت من أهل البيت ؟ قال : إنك إلى خير إنك من أزواج النبي) .

و (منها) ما في الدر المنثور عن ابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري (كان يوم أم سلمة أم المؤمنين فنزل جبرئيل على رسول الله «ص» بهذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، قال فدعا رسول الله «ص» بحسن وحسين وفاطمة وعلي فضمهم إليه ونشر عليهم الثوب والحجاب على أم سلمة مضروب ، ثم قال : اللهم أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، قالت : فأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : إنك على مكانك وإنك على خير) .

و (منها) ما في الدر المنثور عن الترمذي قال وصححه وعن ابن جرير وابن المنذر (١) ص ٣٠٤ من الجزء السادس .

وابن مردويه والبيهقي من طرق عن ام سلمة قالت : (في بيتي نزلت إنما يريد الله ، الآية وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجلهم رسول الله «ص» بكسائه كان عليه ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) .

و (منها) مافي الدر المنثور عن ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري (قال رسول الله «ص» نزلت هذه الآية في خمسة في علي وفاطمة وحسن وحسين إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ، الآية) ومثله في الصواعق عن أحمد بن حنبل عن أبي سعيد ، وفي أسباب النزول للواحيدي عن أبي سعيد .

و (منها) مافي الدر المنثور قال : أخرج الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس (قال رسول الله «ص» إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما) إلى أن قال : (ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله تعالى : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأنا وأهل بيتي مطهرون ، من الذنوب) إلى غير ذلك من الأخبار التي لا تحصى الدالة على نزول الآية الكريمة في الخمسة الأبطال أو في الأربعة ، فلا تشمل الأزواج قطعاً ، بل يستفاد من تلك الأخبار أن المراد بأهل البيت عند الإطلاق هو خصوص الخمسة أو الأربعة فضلاً عن نزول الآية بهم فلا تدخل الأزواج فيهم بكل مقام إلا أن يراد اقربنة بيت السكنى فيدخلن مع الاماء .

وبدل على عدم كونهن من أهل البيت ، ما رواه مسلم في باب فضائل علي (ع) (انه قيل لزيد بن أرقم بعدما روى حديث الثقلين : من أهل بيته ؟ نسأوه ؟ قال : لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل المصر من الذهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده) وفي رواية اخرى لمسلم (فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نسأوه من أهل بيته ؟ قال : نسأوه من أهل بيته ! وليكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده) فإنه أراد بقوله : (نسأوه من أهل بيته) الانكار على من تخيل دخولهم في أهل بيت النبي (ص) ، ولذا استدرك وقال ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . ولا تنافي هاتان الروايتان تلك الأخبار السابقة

الدالة على نزول آية التطهير في الخمسة أو الأربعة لأن هاتين الروایتين إنما تدلان على دخول غير الأربعة من عشيرة النبي (ص) في مسمى أهل بيته فلا تنافيان ما يدل على اختصاص نزول الآية بالأربعة ، على انا لان لم يزيد اجتهاده في شمول أهل البيت لغير الأربعة لأن غيرهم بالضرورة ليس من الثقل الذي هو قرين القرآن وعديله في لزوم التمسك به وان من تمسك به لا يضل أبداً لاشتغالهم على الجهلة والمعصاة والفساق فكيف يدخلون في حديث الثقلين وكذا في آية التطهير بالضرورة .

ويدل أيضاً على خروج الأزواج عن مسمى أهل البيت فضلاً عن الآية مارواه أحمد (١) عن ام سلمة قالت : (بينا رسول الله (ص) في بيتي يوماً إذ قالت الخادم إن علياً وفاطمة بالسدة فقال لي قومي فتنحني عن أهل بيتي ، قالت فقمتم ففتحني في البيت قريباً فدخل علي وفاطمة ومعها الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق علياً باحدى يديه وفاطمة باليد الاخرى فقبل فاطمة وقبل علياً فأغدق عليهم خيصة سوداء فقال : اللهم اليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي) قالت : (فقلت وأنا يا رسول الله ؟ فقال وأنت) ومثله في محل آخر عن ام سلمة (٢) وأراد (ص) بقوله (وأنت) انك أيضاً الى الله لا إلى النار لا أنها من أهل بيته لقوله تنحني عن أهل بيتي ، ويدل أيضاً على خروج الأزواج عن مسمى أهل البيت مارواه أحمد (٣) عن ام سلمة أيضاً (ان رسول الله (ص) قال لفاطمة ائقيني بزوجك وابذيك فخرجت بهم فألقى عليهم كساء فذكياً ثم وضع يده عليهم ثم قال اللهم ان هؤلاء آل محمد فأجعل صلواتك وبركاتك على محمد وآل محمد إنك حميد مجيد) قالت ام سلمة : (فرفعت السكساء لا دخل معهم فحذبه من يدي وقال إنك على خير) ومثله في الدر المنثور عن الطبراني ، وإنما لم نجعل هذه الأحاديث في طي الاخبار السابقة لأنها لم تتعرض لنزول الآية وإنما دلت على خروج الأزواج من أهل البيت وان كان الظاهر تعلقها في قصة نزول الآية بقرينة الاخبار السابقة .

(١) ص ٢٩٦ من الجزء السادس . (٢) ص ٣٠٤ من الجزء المذكور .

(٣) ص ٣٢٣ من الجزء المذكور .

وبالجملة لا ريب بأن الآية السكرية مختصة بالخمسة الاطهار ولا تشمل الازواج ولا بقية أقارب النبي (ص) لاختصاص أخبار النزول بالخمسة الاطهار ولا يكون غير مطهرين من الرجس .

ولا يعارض تلك الاخبار ما رواه ابن حجر في الصواعق من ان النبي (ص) اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال : يارب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترم من النار كستري إياهم فأمنت أسكفة الباب وحواط البيت فقال آمين وهي ثلاثاً، وذلك لأن هذا الحديث لا يدل على نزول الآية بالعباس وبنيه وإنما يدل على صدق أهل البيت عليهم فقط على انه ضعيف السند واضح الكذب ظاهر التصنع رعاية لمولك العباسيين وإلا فما هذا الاهتمام بالعباس وبنيه حتى تؤمن أسكفة الباب وحيطان البيت ثلاثاً مع النبي (ص) .

هذا وقد استدل من زعم نزول الآية بالازواج بمناسبة نظم القرآن كما بيذه الفضل وفيه (أولاً) ان مناسبة النظم لا تعارض ما تواتر بزولها في الخمسة الطاهرين أو الاربعة خاصة ، و (ثانياً) انا نمنع المناسبة لتذكير الضمير بعد التأنيث ولتعدد الخطاب والمحاطب ، وإنما جعل سبحانه هذه الآية في أثناء ذكر الازواج وخطابهن للتنبيه على انه سبحانه إنما أمرهن ونهأهن وأدبهن إكراماً لأهل البيت وتنزيهاً لهم عن أن تنالهم بسببهم وصمة وصوناً لهم عن أن يلحقهم من أجابهم عيب ورفعاً لهم عن أن يتصل بهم أهل المعاصي ، ولذا استعمل سبحانه الآيات بقوله يا نساء النبي استن كما أحد من النساء ، ضرورة ان هذا التمييز إنما هو للاتصال بالنبي وآله لاندواتهن فهن في محل وأهل البيت في محل آخر فليست الآية السكرية إلا كقول القائل يا زوجة فلان لست كأزواج سائر الناس فتعقني وتستري وأطيعي الله تعالى إنما زوجك من بيت أطهار يريد الله حفظهم من اللدناس وصونهم عن النقائص .

وقد يستدل أيضاً للقائل بزولها في الازواج بما رواه الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس قال : (أنزلت هذه الآية في نساء النبي «ص») وفيه مع ضعفه بجاعة متروكين منهم صالح بن موسى الذي سبق بعض ترجمته في مقدمة الكتاب انه معارض

بما مر عن ابن عباس نفسه من أن المراد بأهل البيت ، البيت من القبيلة ، وبالأخبار السابقة الصحيحة المستفيضة الدالة على نزولها في الخمسة أو الأربعة خاصة ، وقد روى القوم أيضاً نزولها فيهن عن ابن عباس من طريق عكرمة ، وقد عرفت حاله وأنه كذاب خارجي ، ورووه أيضاً عن عروة بن الزبير وهو معلوم المداوة لآل محمد ومنهم بارادة جلب الفضل لخالته في أمر لم تدعه هي لنفسها لو صح السند اليه ، على أن رأي عروة وغيره لا يزاحم تلك الاخبار المتواترة الحاكية لفعل النبي (ص) وقوله المأخوذ عن جبرئيل عن الله تعالى .

واستدل من زعم نزول الآية بالازواج وعشيرة النبي (ص) بما رواه ابن حجر في الصواعق من أن النبي (ص) ضم الى الأربعة الأطهار بقية بناته وأقاربه وأزواجه ، وأثر الوضع على هذه الرواية ظاهر فإنا لم نعهد وجود كساء يسع مقدار بني هاشم وأزواج النبي (ص) الذين يبلغ عددهم في ذلك الوقت تقريباً مائة نفس صغيراً وكبيراً ، ولو وجد فما حاجة النبي (ص) الى اقتناء مثله ، ولو كان مع الخمسة الأطهار غيرهم لاشتهر وذاع وافتخر به مفتخرهم لانه مما يتنافس به المتنافسون ، أترى أن حفصة ترك ذكره وعائشة تزويجه للخمسة وتدع نفسها وهل يغفل حساد أمير المؤمنين (ع) عنه : هذا كله مع الاعراض عما في سند الحديث ومعارضته بتلك الاخبار المتواترة .

واستدلوا أيضاً بما رواه بعضهم عن واثلة أن النبي (ص) لما جمع الأربعة الطيبين وتلا الآية قال واثلة وأنا من أهلك قال وأنت من أهلي ، فانه اذا كان واثلة من أهل النبي (ص) فأقاربه وأزواجه أولى ، وفيه انه لو صح السند فدخل واثلة مبني على ضرب من التجوز فلا تلزم الاولوية على أن هذه الرواية معارضة بالرواية السابقة عن واثلة الدالة على خروجه وهي أشهر وأصح مع اعتضاها بالأخبار المتواترة .

وقد يستدل لهم بما رواه أحمد في مسنده (١) عن أم سلمة من حديث ذكرت فيه أن النبي (ص) اجتمع من تحتها كساء خبيراً فلفه عليه وعلى علي وفاطمة والحسن والحسين وأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى الى ربه عز وجل ودعاهم بالتطهير

ثلاثاً قالت قلت يا رسول الله أأست من أهلك قال بلى فأدخلني في السكاء قالت فدخلت في السكاء بعدما قضى دعاءه لابن عمه وابنيه وابنته فاطمة ، وفيه مع ضعف سندہ بجماعة منهم شهر بن حوشب الذي سبق بعض ترجمته في المقدمة ان المراد انهم ان أهله دون أن تشملها آية التطهير ولذا جذب السكاء من تحتها وخصهم بدعائه فهي من اهله بوجه التجوز لانها من المطيعات لله تعالى وله او من اهل بيت سكناه .

فانضح ان الآية السكرية مختصة بالحسنة الطاهرين او الاربعة وقد كان هذا معروفا في الصدر الأول وإنما حدث الخلاف من عكرمة السكذاب الخارجي واشباهه كما يشهد له ما في الدر المنثور عن ابن جرير وابن مردويه عن عكرمة في الآية قال ليس بالذي تذهبون اليه إنما هو نساء النبي (ص) فان قوله ليس بالذي تذهبون اليه دال على معروفة زوها في علي وفاطمة والحسن والحسين بين أهل الصدر الأول ولذا احتاج عكرمة الى ان ينادي في الأسواق بزوها في الأزواج كما في الصواعق واحتاج ان يقول من شاء باهله انها في أزواج النبي (ص) كما في الدر المنثور ، وقد اجتهد في اطفاء انوار آل محمد «ص» وبأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ثم انه لا ريب بدلالة الآية السكرية على عصمتهم عن جميع الذنوب لاطلاق الرجس فيها مع معونة بعض الاخبار السابقة حيث قال النبي «ص» فيه فأنا واهل بيتي مطهرون من الذنوب فان الذنوب جمع محلي باللام وهو يفيد العموم ولأن الآية الشريفة دالة على مدحهم والعناية العظمى بشأنهم ولا يحسن مثله بحيث انزل الله تعالى به قرآناً يتلى الى آخر الدهر إلا بعصمتهم وطهارتهم عن كل ذنب لاعتن خصوص الشرك وكبار الفواحش كما زعمه الفضل ولا سيما وهو مما يشاركون فيه كثير من المؤمنين فكيف يخصهم بالشاء ويأتي بما يفيد الحصر .

واما ما استند اليه الفضل من سبق قوله تعالى فيطعم الذي في قلبه مرض فباطل لانه لو كان سبق مثله قرينة على إرادة الطهارة عنه لكان اللازم أيضاً القول بالطهارة عن مخالفة كل ما سبق في الآية من الأمر بقولهن المعروف بالقراري بيوتهن وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله وذلك في معنى العصمة عن كل الذنوب ، والفضل لا يقول

بها ولا يمكن ان يدعيها الأزواج لما يعلمه هو وغيره من ان عائشة لم تقر في بيتها وعصت الله ورسوله بحرب إمام زمانها وشقت عصي المسلمين وشقت اسرهم وتظاهرت هي وحفصة على النبي وعصتا ربها كما يدل عليه قوله تعالى : (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما) الى غير ذلك مما ستعرفه في المطاعن .

فاذا ثبت نزول الآية في الحسنة الاطهار ودات على عصمتهم من الذنوب ثبتت إمامة امير المؤمنين «ع» دون من تقدمه في الخلافة لما سبق من ان العصمة شرط الامامة وغير علي ليس معصوماً بالاجماع والضرورة ولأن امير المؤمنين «ع» ادعى الامامة لنفسه وانها حقه وان لم يتمكن من حرب من تقدم عليه كما سبق فيكون صادقا لأن الكذب ولا سيما في مثل دعوى الامامة من اعظم الرجس ، وقوله لانسلم ان عالياً ادعى الامامة لنفسه مكابرة ظاهرة كما مر توضيحه وإلا فما الموجب لتأخره عن بيعتهم الى ان قهره عليها وبقي يتظلم منهم مدة حياته وجرد الزبير سيفه لأجله الى غير ذلك مما سبق .

(آية المودة في القربى)

قال المصنف قرسى الله روم

(الرابعة) قوله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » روى الجمهور في الصحيحين وأحمد بن حنبل في مسنده والثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال : لما نزل قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى قالوا : يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال (علي وفاطمة وابناهما) ووجوب المودة يستلزم وجوب الطاعة

وقال الفضل

اختلفوا في معنى الآية فقال بعضهم الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً لكن المودة في القربى حاصلة بيني وبينكم فلهذا أسعى وأجتهد في هدايتكم

وتبليغ الرسالة اليكم وقال بعضهم الاستثناء متصل والمعنى لا أسألكم عليه أجرأ من
الاجور إلا مودتكم في قرآني وظاهر الآية على هذا المعنى شامل لجميع قرابات النبي
ولو خصصناه بمن ذكر لا يدل على خلافة علي بل يدل على وجوب مودته ونحن نقول
ان مودته واجبة على كل المسلمين والمودة تكون مع الطاعة ولا كل مطاع يجب أن
يكون صاحب الزعامة الكبرى والعجب من هذا الرجل انه يستدل على المطلوب وكلامه
في غاية البعد عنه وهو لا يفهم هذا .

وأقول

ينبغي قبل الكلام في الآية ذكر بعض الأخبار التي رواها القوم الدالة على ان
المراد بالقربى آل محمد «ص» . (فنها) الحديث الذي ذكره المصنف (ره) وقد رواه
الزنجشيري في تفسير الآية واستدل لصحته بأخبار كثيرة تستلزم معناه ، ونقله السيوطي
في الدر المنثور عن ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه ونقله في ينابيع
المودة عند ذكر الآية عن أحمد والشعبي والحاكم في المناقب والواحدي في الوسيط
وأبي نعيم في الحلية والحموي في فرائد السمطين ونقله في الصواعق في الآية الرابعة
عشرة من الآيات الواردة في أهل البيت عن أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم .
و (منها) ما نقله الحاكم في المستدرک في تفسير حمّ عسقّ من كتاب التفسير (١)
عن البخاري ومسلم قال : اتفقا في تفسير هذه الآية - أي آية المودة - على حديث
عبد الملك بن ميسرة الزرّاد عن طاوس عن ابن عباس انه في قربى آل محمد (ص) ، ولعل
هذا هو الذي أراده المصنف بما عن البخاري ومسلم .

و (منها) ما في الدر المنثور أيضاً قال : أخر ج ابن جرير عن أبي الديلم لما جيء
بعلي بن الحسين (ع) فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي
قتلك واستأصلك فقال له علي بن الحسين (ع) : أقرأت القرآن ؟ قال نعم ، قال : أما
قرأت قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى ؟ قال : فأنكم لا تهم ! قال نعم ،
(١) ص ٤٤٤ من الجزء الثاني .

ونحوه في الصواعق عن الطبراني .

و (منها) مافي الصواعق قال : روى أبو الشيخ وغيره عن علي (ع) فينا الحم آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ : قل لأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى .
و (منها) مافي الصواعق أيضاً قال : أخرج البزار والطبراني عن الحسن (ع) من طرق بعضها حسان انه خطب خطبة من جملتها (من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد) ثم تلا (وانبئت ملة آبائي ابراهيم) الآية ، ثم قال : (أنا ابن البشير أنا ابن النذير) ثم قال : (وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عزوجل مودتهم وموالاتهم فقال فيما أنزل على محمد (ص) : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قال : (وفي رواية : الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم وأنزل فيهم قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزل له فيها حسناً واقترب الحسنة مودتنا أهل البيت) وروى الحاكم هذه الخطبة في فضائل الحسن (ع) من المستدرک (١) قال الحسن (ع) في آخرها : وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال تبارك وتعالى لبنيه (ص) قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزل له فيها حسناً فاقترب الحسنة مودتنا أهل البيت .

و (منها) مافي الصواعق أيضاً عن الثعالبي والبغوي عن ابن عباس انه لما نزل قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى قال قوم في نفوسهم ما يريد إلا أن يحثنا على قرابته من بعده فأخبر جبرئيل النبي (ص) انهم اتهموه فأنزل (أم يقولون افترى على الله كذباً) الآية ، فقال القوم يا رسول الله إنك لصادق فأنزل الله (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) الى غير ذلك من الأخبار .

ويؤيدها الأخبار المستفيضة الدالة على وجوب حب أهل البيت وانه مسؤول عنه يوم القيامة ، وذكر في السكشاف أخباراً اخر جعلها دليلاً لارادة علي وفاطمة والحسين من القربى ، وكذا يؤيدها الأخبار المفسرة للحسنة في تنمة الآية بحب أهل البيت كما سمعته في بعض الروايات المذكورة ، وقال ابن حجر عند كلامه في الآية أخرج أحمد

عن ابن عباس ومن يقترب حسنة نزل له فيها حسناً قال المودة لآل محمد : ومثله في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وقال في الكشف ومن يقترب حسنة عن السدي أنها المودة في آل رسول الله «ص» .

ولكن بالأسف ما هان على القوم رواية تلك الأخبار حتى روى ابن عباس ما ينافي رواياته السابقة ففسبوا اليه مخالفة النبي والوحي ، روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه في تفسير الآية (انه سئل ابن عباس عنها فقال سعيد بن جبير قرئ آل محمد فقال ابن عباس عجبت لم يكن بطن في قریش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة) والمعنى على حسب ظاهر هذا التفسير لأسألكم على التبليغ أجراً لإصلاحتكم لي لما بيني وبينكم من القرابة حيث ان له قرابة في بطون قریش كلها ، و (فيه) مع مخالفته لقول من أنزل عليه القرآن وظاهر اللفظ انه لا معنى لسؤال الأجر على التبليغ ممن لم يعتز له بالرسالة لأن المقصود على هذا التفسير هو السؤال من الكافرين ، ولذا قال في الكشف في بيانه (والمعنى ان أيتهم تصدبني فاحفظوا حق قرابتي ولا تؤذوني) أقول : وفي جعل معنى لا أسألكم عليه أجراً ان أيتهم تصدبني نظر ظاهر .

ومثل هذا المحكي عن ابن عباس في البطلان ما ذكره الفضل من المعنى على الاستثناء المنقطع فان المنقطع عبارة عن اخراج مالولا اخر اجه لتوهم دخوله في حكم المستثنى منه نظير الاستدراك وأنت تعلم ان المستثنى الذي ذكره الفضل أجنبي عما قبله بكل وجه فلايتوهم دخوله في حكمه حتى يستثنى منه .

وأعظم من هذين التفسيرين في البطلان ما رواه بعض القوم عن ابن عباس من ان المعنى لاأسألكم أجراً على التبليغ إلا مودة الله بالتقرب اليه ، فان القربى لم تأت بمعنى التقرب ، مع انه مناف للأخبار السابقة المعتبرة عن ابن عباس .

والحق ان هذه التفسيرات من تحريف الكلم عن مواضعه الذي يدعو اليه العناد والتعصب فلا ريب لكل منصف في ان المراد بالقربى القرابة وان للمقصود علي وفاطمة والحسنان كما نطقت به الاخبار وقول الفضل : (وظاهر الآية على هذا المعنى شامل

لجميع قرابات النبي (ص) باطل لما افاته للقرينة اللفظية وهي الاخبار السابقة وغيروها وللقرينة الحالية لأن المعلوم من حال النبي (ص) الاعتناء بعلي وفاطمة والحسين لامن نأراه من أقربائه ولم يسلّموا إلا بمحدود السيوف والغلبة وللقرينة العقلية إذ لا يتصور أن يكون ود من لم يواد الله ورسوله أجراً للتبليغ والرسالة . فلا بد أن يكون المراد مودة من بأكمل الايمان بمودته وتحصل السعادة الأبدية بموالاته ، ولذا قال سبحانه في آية اخرى (قل ماسألتكم من أجر فهو لكم) بل لاحظ شأن النبي (ص) إنما يعد قرابة له من هو منه لامن بأن عنه معنى ومنزلة ، ولذا قال تعالى لنوح : (انه ليس من أهلِكَ انه عمل غير صالح) وقال الرازي في تفسير آية المودة التي نحن فيها : (آل محمد (ص) هم الذين يؤل أمرهم اليه فشكل من كان مآل أمرهم اليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ، ولا شك ان فاطمة وعلياً والحسن والحسين كانت التعاق بينهم وبين رسول الله أشد العلاقات ، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر ، فوجب أن يكونوا هم الآل) .

أقول ونحو هذا آت في لفظ القربى ، فيتعين أن يكون المراد بالآية الأربعة الأطهار وهي تدل على أفضليتهم وعصمتهم وانهم صفوة الله سبحانه إذ لو لم يكونوا كذلك لم تجب مودتهم دون غيرهم ولم تكن مودتهم بتلك المنزلة التي ما مثلها منزلة لكونها أجراً للتبليغ والرسالة الذي لا أجر ولا حق يشبهه ، ولذا لم يحمد الله المودة لأقارب نوح وهود أجراً لتبليغها ، بل قال لنوح : (قل لا أسألكم عليه أجراً ان أجري على الله) وقال لهود : (وقل لا أسألكم عليه أجراً ان أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) فتتخصر الامامة بمرتب رسول الله (ص) إذ لا تصح إمامة المفضول مع وجود الفاضل لاسيما بهذا الفضل الباهر ، مضافاً إلى ما ذكره المصنف (ره) من ان وجوب المودة مطلقاً يستلزم وجوب الطاعة مطلقاً ، ضرورة ان العصيان يناقض الود المطلق ووجوب الطاعة مطلقاً يستلزم العصمة التي هي شرط الامامة ولا معصوم غيرهم بالاجماع فتتخصر الامامة بهم ولا سيما مع وجوب طاعتهم على جميع الامة .

وقد فهم دلالة الآية على الامامة الصحابة ولذا اتهم النبي (ص) بعضهم فقالوا ما يريد إلا أن يحثنا على قرابته بعمده كما سمعته في بعض الروايات السابقة وكل ذي فهم يعرفها

من الآية الشريفة إلا ان القوم أبوا أن يقرروا بالحق ويؤدوا أجر الرسالة فإذا صدرت من أحدهم كلمة طيبة لم تدعه العصبية حتى يناقضا ولذا لما نطق الرازي بما حكيناه عنه سابقاً عقبه بقوله : (المسئلة الثالثة قوله تعالى إلا المودة في القربى فيه منصب عظيم للصحابة لأنه تعالى قال والسابقون السابقون اوائك المقربون فيكل من أطاع الله كان مقرباً عند الله فدخل تحت قوله إلا المودة في القربى ، والحاصل ان هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله (وحب أصحابه) فانظر الى هذه النكبات الهزلية بل لا يتصور لكلامه معنى إلا أن يراد بالقربى المقربون وهو ليس من معاني القربى ، ولو سلم فاللازم وجوب ود كل من أطاع الله بلا خصوصية للصحابة فكيف تدل الآية على عظيم منصب للصحابة .

ثم ان بعض القوم اورد على نزول الآية بعلي وفاطمة والحسين (ع) بأن سورة الشورى مكية وعلي حينئذ لم يتزوج بفاطمة فضلاً عن ولادة الحسين (ع) ، وفيه ان اخبار نزول الآية الشريفة بالأربعة الطاهرين حجة قطعية وكثيرة معتبرة فلا يعنى بدعوى كون السورة مكية على انه جاء في بعض أخبارهم انها مدنية ، ولو سلم فكون السورة مكية إنما هو بلحاظ اكثرها فلا ينافي نزول آية منها بالمدينة .

(آية من يشري نفسه)

قال المصنف أعلى الله درجه

(الخامسة) قوله تعالى : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) قال العلبي ورواه ابن عباس انها نزلت في علي «ع» لما هرب النبي «ص» من المشركين الى الغار خلفه لقضاء دينه ورد وذايعه فبات على فراشه وأحاط المشركون بالدار فأوحى الله الى جبرئيل وميكائيل اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله اليها ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة

اهبطا الى الأرض فلعنهما من عدوه فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه فقال جبرئيل : بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب بياحي الله بك الملائكة .

وقال الفضل

اختلف المفسرون ان الآية نزلت فيمن ؟ قال كثير منهم نزلت في صهيب الرومي وانه كان غربياً بمكة فلما هاجر رسول الله «ص» قصد الهجرة فتمعه قريش من الهجرة فقال يامعشر قريش انكم تعلمون اني كثير المال واني تركت لكم أهوالي فدعوني اهاجر في سبيل الله ولكم مالي فلما هاجر وترك الأموال أنزل الله هذه الآية فلما دخل صهيب على رسول الله «ص» قرأ عليه الآية وقال له ربح البيع ، واكثر المفسرين على انها نزلت في الزبير بن العوام ومقداد بن الأسود لما بعثها رسول الله «ص» لينزلوا خديب بن عدي من خشبته التي صلب عليها فكان صلب بمكة وحوله أربعون من المشركين ففديا أنفسهم حتى أنزل الله الآية . ولو كان نازلاً في شأن أمير المؤمنين علي فهو يدل على فضله واجتهاده في طاعة النبي «ص» وبذل الروح له وكل هذه مسلمة لا كلام لأحد فيه ولسكن ايس هو بنص في إمامته كما لا يخفى .

وأقول

ان استدلالنا بشيء لا يتوقف على انحصار أقوالهم وأخبارهم فيه بل يكفينا وجوده في رواياتهم لنتخذ حجة عليهم من دون أن يعارضه ما يخالفه من أقوالهم ورواياتهم لأنها ليست حجة علينا . وحينئذ يكفينا روايتهم نزول الآية في أمير المؤمنين «ع» كما نقله المصنف «ره» عن الثعلبي ونقله في بتابع المودة أيضاً عنه وعن ابن عقبة في ملحمة وأبي العادات في فضائل العترة الطاهرة والغزالي في الاحياء عن ابن عباس وأبي رافع وهند بن أبي هالة ربيب النبي «ص» ، ورواه الرازي في تفسيره بمثل ما عن الثعلبي ، وروى الحاكم ما يدل على ذلك في المستدرک (١) وصححه هو والذهبي عن ابن

عباس من حديث قال فيه (شرى علي نفسه ولبس ثوب النبي «ص» ثم نام مكانه) ومثله في مسند أحمد (١) : وروى الحاكم بعد الحديث المذكور عن علي بن الحسين قال أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله علي بن أبي طالب وذكر شعراً لأُمير المؤمنين في ميته على فراش النبي «ص» ، ونقل في ينابيع المودة نزولها في أمير المؤمنين «ع» عن أبي نعيم بسنده عن ابن عباس الى غير ذلك مما في الينابيع وغيرها ولو ضمنت اليه أخبارنا كان متواتراً فكيف يعنى برواية الفضل في نزولها بصحيب .

واما ما ذكره من قول أكثر المفسرين بنزولها في الزبير والمقداد فكذب صريح كيف ولم يذكره الرازي في تفسيره وهو قد جمع فيه جميع أقوالهم ولا ذكره الزمخشري أيضاً ولا تعرض السيوطي في الدر المنثور لرواية تتعلق به مع انه قد جمع فيه عامة أخبارهم ولا سيما اذا كانت في فضل مثل الزبير ، وذكر في الاستيعاب بترجمة خبيب ان الذي أرسله النبي «ص» لآزاله هو صبرو بن أمية الضمري وما ذكر الزبير ولا المقداد . هذا في نزول الآية واما دلالتها على إمامة أمير المؤمنين «ع» فلا نزولها فيه كاشف عن أفضليته وامتياز به بالمعرفة والاخلاص لأن كثيراً من المسلمين غيره قد بذلوا أنفسهم في الجهاد وحفظ الرسول «ص» ونشر الدعوة ولم ينالوا ما ناله أمير المؤمنين «ع» من شهادة الله له بأنه شرى نفسه ابتغاء مرضاته حتى باهى به سادة ملائكته وذكره بالاخوة لسيد أنبيائه وقال له جبرئيل من مثلك الدال على عدم الماهل له والافضل هو الامام .

(آية المباهلة)

قال المصنف فرس سره

(السادسة) آية المباهلة ، أجمع المفسرون على ان أبناءنا إشارة الى الحسن والحسين ونساءنا إشارة الى فاطمة وأنفسنا إشارة الى علي «ع» ، فجعله الله نفس محمد «ص»

(١) ص ٣٣١ من الجزء الأول .

والمراد المساواة ومساوي الأكل الأولى بالتصرف أكل وأولى بالتصرف ، وهذه الآية أدل دليل على علو مرتبة مولانا أمير المؤمنين «ع» لأنه تعالى حكم بالمساواة لنفس الرسول «ص» وأنه تعالى عينه في استعانة النبي «ص» في الدعاء ، وأي فضيلة أعظم من أن يأمر الله نبيه بأن يستعين به على الدعاء اليه والتوسل به ، ولما حصلت هذه المرتبة ؟

وقال الفضل

كان عادة أرباب المباهلة أن يجمعوا أهل بيتهم وقراباتهم ليشمل البهلة سائر أصحابهم فجمع رسول الله أولاده ونسائه والمراد بالأنفس هنا الرجال كأنه أمر بأن يجمع نساؤه وأولاده ورجال أهل بيته فكان النساء فاطمة والأولاد الحسن والحسين والرجال رسول الله وعلي وأما دعوى المساواة التي ذكرها فهي باطلة قطعاً وبطلانها من ضروريات الدين لأن غير النبي من الأمة لا يساوي النبي أصلاً ومن ادعى هذا فهو خارج عن الدين وكيف يمكن المساواة والنبي نبي مرسل خاتم الأنبياء وأفضل أولي العزم وهذه الصفات كلها مفقودة في علي نعم لأمير المؤمنين علي في هذه الآية فضيلة عظيمة وهي مسلمة ولكن لا نصير دالة على النص بامامته .

وأقول

دعوى العادة كاذبة ولا أدري متى اعتيد أصل المباهلة حتى يعتاد فيها جمع الأهل والأقارب ، ولو كانت هناك عادة بذلك لاعتراض النصاري على النبي «ص» بمخالفتها حيث لم يجمع من أهله وأقاربه إلا القليل ولو سلم فمخالفة النبي «ص» للعادة دليل على أن محل العناية الإلهية والكرامة النبوية هو من جمعهم النبي «ص» بأمر الله سبحانه ، دون بقية أقاربه كالعباس وبنية وسائر بني هاشم وبناتهم وبنات الزهراء «ع» ودون زوجاته مع أنهن من نسائه ومن أهل بيت سكناه ، وقد عرف أنهم محل عناية الله والشرف عنده ومحل الخطر والعظمة لديه أسقف نجران حيث قال ، كما عن ابن اسحاق ورواه في المكشاف : إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزالها ، وفي

تفسير الرازي والبيضاوي : لو سألو الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها ، ثم قال الرازي : (واعلم ان هذه الرواية كالتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث) فيا عجباً قد عرف ذلك لهم النصارى وانكره من يدعي الاسلام كالفضل وأمثاله حتى جعلوا جميعهم من العاديات لالكرامتهم وفضلهم عند الله تعالى وعزتهم على الرسول (ص) وما اكتفى الفضل بمشاركة سائر أقارب النبي (ص) وإنسانه لهم حتى اضاف اليهم اصحابه فقال : (لتشمل البهلة سائر اصحابهم) وهو ضروري البطلان لأن شمولها لهم ان كان باعتبار التبعية فلا حاجة الى احضار الأربعة الأطلبيين لأن الكل اتباعه وان كان لأجل المباشرة فالأصحاب كبقية الأقارب غير مباشرين ، ولو شملت البهلة غير الأربعة لأحضر النبي (ص) من غيرهم ولو واحداً من افضل الأقارب والأصحاب ، فلا بد أن يكون تخصيص الله والرسول للأربعة الطاهرين لعناية الله بهم وبيانه لفضلهم وكرامتهم عند النبي وعزتهم عليه واستعانتهم بدعائهم كما قال سبحانه : (ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) وقال رسول الله (ص) : (اذا دعوت فأمنوا) كما رواه الزمخشري والرازي والبيضاوي وغيرهم ، إذ كلما كثر محل العناية ومنجع الاستجابة كان أدخل بالاجابة لأن الاستكثار منهم اظهر في اعظام الله والرغبة اليه ، ولذا يستحب في الادعية كثرة تعظيم الله بأسمائه المقدسة وشدة اظهار الخضوع لجلاله وبذلك يعلم افضلية الحسن والحسين فضلا عن امير المؤمنين (ع) والزهراء (ع) على جميع الصحابة واقارب النبي (ص) فان استعانة سيد النبيين بها في الدعاء بأمر الله سبحانه مع صغرهما ووجود ذوي السن من اقاربه واصحابه لأعظم دليل على امتيازهما بالشرف عند الله وتميزهما مع صغرهما بالمعرفة والفضل ، ولذا قال : (ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فجعل الحسنين ممن تشمله اللعنة لو كانا من الكاذبين واشركهما في تحقيق دعوة الاسلام وتأييد دين الله فكانا شريكي رسول الله وامير المؤمنين والزهراء في ذلك ممتازين على الامة كما امتاز عيسى وهو صبي على غيره

فظهر دلالة الآية الكريمة على أفضلية الأربعة الأطهار ولا سيما امير المؤمنين (ع) لأنها جعلته نفس النبي وعزت عنه بالأنفس بصيغة الجمع كما عبرت عن فاطمة

بالنساء للإعلام من وجه آخر بعظمتهم .

وقول الفضل والمراد بالنفس ههنا الرجال باطل لوجهين (الأول) ان امر الشخص نفسه ودعوته لها مستهجن ومخالف لما ذكره الاصوليون من ان التكلم لا يشمل خطابها فاذا قال بئيم الناس اتقوا الله لا يكون من المخاطبين واذا دعا الجماعة لا يكون من المدعوين (الثاني) ما نقله ابن حجر في صواعقه عند ذكر الآية وهي الآية التاسعة من الآيات السارة في اهل البيت (ع) عن الدارقطني ان علياً يوم الشورى احتج على اهلها فقال لهم انشدكم بالله هل فيكم احد اقرب الى رسول الله (ص) في الرحم مني ومن جعله نفسه وابناءه ابناؤه ونسائه نساءه غيري قالوا اللهم لا ، ونقل الواحدي وغيره عن الشعبي انه قال : ابناؤنا الحسن والحسين ونساؤنا فاطمة وانفسنا علي بن أبي طالب .

واما ما ذكره الفضل من ان دعوى المساواة خروج عن الدين . فخرج عن سنن الحق المبين لأن مقصود المصنف (ره) هو المساواة في الخصائص والكمال الذاتي عدا خاصة اوجبت نبوته وميزته عنه ، وهو مفاد ماحكاه في كثر العمال في فضائل علي (١) عن ابن أبي عاصم وابن جرير قال وصححه ، وعن الطبراني في الاوسط وابن شاهين في السنة (ان النبي (ص) قال لعلي ماسأت الله لي شيئاً إلا سأت لك مثله ولا سألت الله شيئاً إلا أعطانيه غير انه قيل لي انه لا نبي بعدك) ، وبدل عليه ماروي مستفيضاً عن النبي (ص) (ان علياً مني وأنا منه) .

فتدل الآية الشريفة على إمامة امير المؤمنين « ع » لأن مساواته للنبي « ص » في خصائصه عدا منزلة النبوة تستوجب ان يكون مثله أولى بالموثوقين من انفسهم وافضل من غيره بكل الجهات وان يتمتع بصيرورته رعية ومأموراً لغيره كالنبي « ص » ، بل يكفي في الدلالة على إمامته مجرد دالاتها على أفضليته من جميع الامة ، واستفاد من الرازي في تفسير الآية تسليم دالاتها على أفضليته من الصحابة لأنه نقل عن الشيخ محمود بن الحسن الحلي انه استدلل بجملة علي « ع » نفس النبي « ص » على كونه افضل من جميع الانبياء سوى محمد « ص » لأن النبي افضل منهم وعلي نفسه ، ونقل عن الشيعة قديماً (١) ص ٤٠٧ من الجزء السادس .

وحديثاً الاستدلال بذلك على فضل علي على جميع الصحابة ، وما أجاب الرازي إلا عن الاول بدعوى الاجماع على ان الانبياء أفضل من غيرهم قبل ظهور الشيخ محمود ، وفيه ان الاجماع إنما هو على فضل صنف الانبياء على غيره من الاصناف وفضل كل نبي على جميع امته لا فضل كل شخص من الانبياء على كل من عداهم حتى لو كان من اهلهم غيرهم ، فذلك نظير تفضيل صنف الرجال على صنف النساء حيث انه لم يناف فضل بعض النساء على كثير من الرجال ولم يختص تفضيل اهل المؤمنين على من عدا محمد من الانبياء بالشيخ محمود حتى ينافي ما ادعاه الرازي من الاجماع ، بل قال به الشيعة قبل وجود الشيخ محمود وبعبارة مستدلين بالآية الكريمة وغيرها من الآيات والاخبار المتظافرة التي ليس المقام محل ذكرها وستعرف بعضها .

وكيف كان فقد استفاضت الاخبار بنزول الآية بأهل الكساء حتى روى مسلم والترمذي كلاهما في باب فضائل علي (ع) عن سعد بن أبي وقاص قال (لما نزلت هذه الآية « قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم » دعا رسول الله (ص) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلي) ونقله السيوطي أيضاً عن ابن المنذر والحاكم والبيهقي في سننه ، ولا يخفى ما في قوله « ص » : (هؤلاء أهلي) من اختصاص اهل النبي « ص » في الأربعة الأطهار ، كما يدل عليه أيضاً حديث الكساء وغيره ، ونقل السيوطي أيضاً عن البيهقي في الدلائل ان رسول الله « ص » كتب الى اهل نجران وذكر خبراً طويلاً قال في آخره : (فلما اصبح رسول الله (ص) اقبل مشتملاً على الحسن والحسين وفاطمة تمشي خلف ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة) الحديث وقد أشار بقوله : وله عدة نسوة ، إلى ان ازواجه لسن من اهل المباهلة ولا من محل العناية ، إلى غير ذلك من الاخبار المستفيضة او المتواترة التي تقدمت الاشارة إلى بعضها في كلام الرازي وغيره .

(آية فتلقى آدم)

قال المصنف رفع الله درجته

(السابعة) قوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات) روى الجمهور عن ابن عباس قال سئل رسول الله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه ، قال سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا ثبت علي فتاب عليه .

وقال المفضل

اختلف المفسرون في هذه الكلمات فقال بعضهم هو التسبيح والتهليل والتحميد ، وقال بعضهم هي مناسك الحج فيها غفر ذنوب آدم ، وقال بعضهم هي الخصال العشرة التي سمي خصال الفطرة وقد أمر آدم بالعمل بها ليتوب الله عليه ، ولو صح ما رواه عن الجمهور ولا نعرف هذا الجمهور لدل على فضيلة كاملة لعلي ونحن نقول بها ونعلم ان التوسل بأصحاب العباء من اعظم الوسائل واقرب الدرائع : ولكن لا بدل على نص الامامة فخرج الرجل من مدعاه ويقم الدلائل على فضائل علي من نص القرآن وكل هذه الفضائل مسلمة .

وأقول

لامناسبة بين مناسك الحج ونحوها مما هو من قسم الافعال وبين الكلمات التي هي من الأقوال فكيف يحسن ان تفسر بها ، ولا يهنا اختلافهم بعدما صرحوا اخبارهم بالمدعى ، ففي الدر المنثور عن ابن النجار بسنده إلى ابن عباس قال : سألت رسول الله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا ثبت علي فتاب عليه : ومثله في بتاييع المودة وفي منهاج السكراة للمصنف عن ابن المغازلي بسنده إلى ابن عباس ، إلا انه قال سئل النبي (ص) بالبناء للمجهول

كما ذكره المصنف (ره) هنا ونقله ابن الجوزي عن الدارقطني بلفظ سألت النبي (ص) قال الدارقطني (حدثنا أبو ذر أحمد بن أبي بكر الواسطي حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار حدثنا حسين الأشقر حدثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس سألت النبي (ص) الحديث ، وزعم ابن الجوزي في الاحاديث الموضوعة انه موضوع قال : (تفرد به عمرو عن أبيه أبي المقدم وتفرد به حسين عنه وعمرو قال يحيى لاثقة ولا مأمون ، وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الاثبات) ، وفيه ان التفرد لو تم لا يقتضي الوضع ولا سيما في فضائل آل الرسول (ص) الذين يخشى من بروي لهم فضيلة أسنة الضلال وأسنة الضلال .

واما ما حكاه عن يحيى فلو اعتبرناه فهو معارض بما حكاه عنه في ميزان الاعتدال انه قال : لا يكذب في حديثه على ان ضعف الراوي لا يقتضي وضع روايته ، واما ابن حبان فمع عدم اعتبار قوله كما عرفته في مقدمة الكتاب لا يقتضي كلامه وضع هذا الحديث بعينه مع انه قد شهد لعمرو أبو داود بالصدق في الحديث قال : (ليس في حديثه نكارة) وقال : (هو رافضي خبيث وكان رجلاً سوءاً ولكنه كان صدوقاً في الحديث) وقال أيضاً : (رافضي خبيث ولكن ليس يشبه حديثه احاديث الشيعة) يعني انه مستقيم كما ذكر ذلك كله ابن حجر في تهذيب التهذيب ، وذكر بعضه في ميزان الاعتدال .

وبالجملة ان الرجل صدوق كما قاله أبو داود فلا يصح نسبة الوضع اليه وإنما طعن به القوم للتشيعه .

وبمقتضى هذا الحديث ما نقله المصنف في الدر المنثور عن الديلمي في مسند الفردوس بسند أخرجه عن علي قال : (سألت النبي (ص) عن قول الله تعالى فتلى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، فقال ان الله أهبط آدم بالهند - إلى ان قال - حتى بعث الله اليه جبرئيل ، قال قل اللهم اني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانه لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم اللهم اني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانه لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتاب علي إنك أنت التواب

الرحيم فهذه الكلمات التي تلقى آدم) .

وأما دلالة هذه الآية مع تفسيرها بهذه الاخبار على إلمة أمير المؤمنين « ع » فأوضح من أن تحتاج إلى بيان لأن توسل شيخ النبيين بمحمد وآله بتعليم الله سبحانه وهم في آخر الزمان والاعراض عن أعظم المرسلين وهم أقرب إليه زماناً لأدل دليل على فضلهم على جميع العالمين وعلى عصمتهم من كل زلل وإن كان مكروهاً فإن آدم إنما هوى بارتكاب المكروه فلا يصح التوسل بهم في التوبة عما ارتكب إلا لأنهم لم يرتكبوا معصية ومكروهاً فلا بد أن تنحصر خلافة الرسول بآله لفضلهم على الأنبياء وعصمتهم دون سائر أمة محمد « ص » ، وكيف يكون المعصوم من كل زلة العاضل حتى على أعظم الأنبياء رعية ومأموماً لسائر الناس ، ولا سيما من أتى أكثر عمره بالشرك وعبادة الأوثان وقضى باقيه بالفرار من الزحف والعصيان .

(آية إني جاعلك للناس إماماً)

قال المصنف نور الله ضريحه

(الثامنة) قوله تعالى : (إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي) روى الجمهور عن ابن مسعود قال : قال رسول الله « ص » انتهت الدعوة إلي وإلى علي لم يسجد أحدنا لصنم قط فأخذني نبياً وأخذ علياً وصيماً .

وقال الفضل

هذه الرواية ليست في كتب أهل السنة والجماعة ولا أحد من المفسرين ذكر هذا وإن صح دل على أن علياً وصي رسول الله « ص » والمراد بالوصاية ميراث العلم والحكمة وليست هي نصاً في الإمامة كما ادعاه .

وأقول

قد نقل المصنف « ره » هذه الرواية في منهاج الكرامة عن ابن المغازلي ولم ينكرها

ابن تيمية ولكنه طالب بصحتها ، وفيه انه لا ريب بصحتها لأن كل من يروي في ذلك الزمان فضيلة لآل محمد فقد أوقع نفسه في خطري الموت وسقوط الشأن ولا موجب له إلا الوثاقة وحب الصدق بتلك الرواية كما عرفته في مقدمة الكتاب على ان سند الحديث ليس بأيدينا فعلا ولعله صحيح عندهم .

واما دلالة الآية بضميمة الحديث على إمامة أمير المؤمنين «ع» فلأن الحديث قد دل على استجابة دعوة إبراهيم في بعض ذريته وصيورتهم أئمة للناس لكونهم أنبياء أو أوصياء ودل على ان الدعوة انتهت إلى رسول الله «ص» وعلي «ع» فكانت إمامة رسول الله «ص» باتخاذ الله له نبياً وإمامة علي باتخاذ وصياً فوصايته لا بد أن تكون بإمامته للناس ومن أنواعها ، ولو سلم ان المراد بالوصاية ورثة العلم والحكمة فهي من خواص الأئمة لقوله تعالى : (أفن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون) .

ثم ان قوله «ص» : لم يسجد أحدنا لصنم قط ، إشارة إلى انتفاء مانع النبوة والامامة عنها أعني المعصية والظلم المذكور في تلك الآية بقوله سبحانه : (لا ينال عهد الظالمين) فيكون معنى كلامه «ص» انتهت إلي وإلى علي دعوة إبراهيم لذريته لا انتفاء الظلم عنا الذي جعله الله مانعاً عن نيل الامامة فاتخذني نبياً وعلياً وصياً وإنما خص السجود للصنم بالذكر دون سائر الظلم والمعصية لأنه الفرد الأهم في الانتفاء وابتلاء عامة قومه به ، فالمراد إنما هو بيان انتفاء المانع المذكور في الآية عنها لا بيان ان عدم السجود للصنم علة تامة لانتهاء الدعوة اليها حتى تلزم إمامة كل من لم يسجد لصنم وان كان جاهلاً عاصياً ولا بيان كون عدم السجود للصنم فضيلة مختصة بها في دائم الدهر حتى يقال بمشاركة كل من ولد على الاسلام لها ، ولا بيان ان عدم السجود للصنم سبب تام للأفضلية حتى يقال ان بعض من تاب عن الكفر أفضل ممن ولد على الاسلام .

ثم ان المراد بانتهاء الدعوة اليها وصولها اليها لا إنقطاعها عندها لتعديته إلى فلا ينبغي إمامة الحسن والحسين والتسعة من بعدهما وقد ظهر بذلك بطلان مالفقه ابن تيمية في المقام ، ويظهر منه تجويز نبوة من كان كافراً بل وقوعها فانه لما انكر كون عدم

السجود للصنم موجباً للفضل على من كان كافراً ثم تاب استدل عليه بأن لوطاً آمن لآبراهيم ثم بعثه الله نبياً وان شعيماً قال قد افترينا على الله كذباً ان عدنا في ماتكم بعد إذ نجانا الله منها وان الله سبحانه قال : (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) وإذا كان هؤلاء أنبياء فمن المعلوم ان الانبياء أفضل من غيرهم فلا يكون عدم السجود للأصنام موجباً للأفضلية ، وفيه ان إيمان لوط لآبراهيم لا يستدعي سبق الكفر منه وحاشاه لاحتمال ولادته بعد نبوة ابراهيم أو انه كان متديناً بشرعة سابقة وآمن به في أول نبوته واما إطلاق العود في الآيتين الأخيرتين فن باب التغليب بلحاظ اتباعهم .

ثم ان مقتضى استدلال ابن تيمية بالآية الأخيرة كون الرسل كلهم أو أكثرهم بزعمه كانوا كفاراً وهو خلاف ضرورة الاسلام والمسلمين وما الداعي له إلى هذا الضلال إلا إنكار فضل أمير المؤمنين على أقوام افنوا أكثر أعمارهم في الكفر ولمزيد نصبه انكر عدم سجد أخ النبي «ص» للأصنام قبل إسلامه خلافاً لاجماع المسلمين حتى ان قومه السنين اذا ذكروا علياً «ع» قالوا كرم الله وجهه إشارة إلى عدم سجوده للأصنام أصلاً ولم يزل يتمحل لانكار فضل ولي المؤمنين تلك التحولات وتقلب بهاتيك الجهالات فأنه حسيبه والنبي شاهد وعلي خصمه .

(آية سيجعل لهم الرحمن وداً)

قال المعنف اعلى الله درمته

(التاسعة) قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) روى الجمهور عن ابن عباس قال : نزلت في أمير المؤمنين علي «ع» قال الود المحبة في قلوب المؤمنين .

وقال الفضل

ليست هذه الرواية في تفاسير أهل السنة وإن صحت دلت على وجوب محبته وهو واجب بالاتفاق ولم يثبت به النص على الإمامة وهو المدعى .

وأقول

قال السيوطي في الدر المنثور أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال : (نزلت في علي بن أبي طالب أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) قال : (محبة في قلوب المؤمنين) ، وقال السيوطي أيضاً أخرج ابن مردويه والديلمي عن البراء قال : (قال رسول الله « ص » لعلي : قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي عندك ودا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله تعالى أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) قال : (نزلت في علي) ، وروى مثل الأخير في الكشف ونقله سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص عن تفسير الثعلبي ، وكذا نقله عنه المصنف « ره » في منهاج السكرامة مع الحديث الأول عن أبي نعيم ، وقال في الصواعق في المقصد الثاني من المقاصد المتعلقة بالآية الرابعة عشرة من الآيات النازلة في أهل البيت « ع » (أخرج الحافظ السلفي عن محمد بن الحنفية أنه قال في تفسير هذه الآية لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ود لعلي وأهل بيته) والظاهر أن مارواه في الكشف المذكور في تفسير الرازي كما نقله السيد السعيد عنه فإن عمدة ما ذكره الرازي هنا مأخوذ من الكشف ، لكن نسخة تفسير الرازي التي رأيته خالية عن تلك الرواية ، فلا يبعد أن فيها سقطاً .

وأما دلالة الآية على إمامة أمير المؤمنين « ع » دون غيره فمحتاجة إلى بيان معناها أو لا . قال في الكشف : (المعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تردد منهم ولا تعرض للأسباب التي توجب الود ، ويكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع بغيره أو غير ذلك : وإنما هو اختراع منه ابتداءً اختصاصاً

منه لأوليائه بكرامة خاصة ، كما قذف في قلوب أعيانهم الرعب إعظاماً لهم وإجلالاً لمكانتهم) ومثله في تفسير الرازي ، ولا يخفى ان هذه العناية الالهية والبشارة الربانية التي استحققت الذكر في الكتاب المجيد ناشئة من أهلية من به العناية وامتياز به بالقرب إلى الله تعالى وارتقائه على كل المؤمنين بالفضل والطاعة وهي مختصة بأمر المؤمنين ، ولذا نزلت الآية به دون غيره من الصحابة ؛ فيكون أفضل الأمة وإمامها بشهادة تعظيم الله سبحانه له حيث عبر عنه بالذين آمنوا وعملوا الصالحات كناية عن انه بمنزلة جميعاً في الايمان والعمل الصالح لكونه إمامهم وسبب ايمانهم وعملهم الصالحات ، ولذا قال رسول الله في حقه يوم الخندق : (برز الايمان كله) وقال : (ضربة علي تمدر عبادة النقلين) ثم انه بمقتضى رواية الصواعق تكون العناية ثابتة أيضاً لأبناء أمير المؤمنين الطاهرين فتثبت لهم الامامة أيضاً .

واما ما ذكر الفضل من دلالة الآية على وجوب محبته «ع» بخلاف الظاهر لأن المراد بالجمع فيها على الأظهر هو التكوين لا التكليف كما عرفته من كلام الكشاف ، ولو سلم فهو أيضاً دال على الامامة ، لأن ايجاب المودة على الاطلاق مستلزم لوجوب الطاعة مطلقاً ، المستلزم للامامة وللعصمة التي هي شرط الامامة فإذا فقد هذا الشرط عن غيره بالاجماع والضرورة تعينت إمامته «ع» .

(آية ولكل قوم هاد)

قال المصنف أعلى الله درجته

(العاشرة) قوله تعالى : (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) نقل الجمهور عن ابن عباس قال : قال رسول الله «ص» أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون .

وقال الفضل

ليس هذا في تفاسير السنة ولو صح دل على ان علياً هادي وهو مسلم وكذا أصحاب

رسول الله «ص» هداة لقوله «ص» : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ولا دلالة فيه على النص .

وأقول

نقل الحديث المذكور بعينه في كنز العمال بفضائل علي «ع» (١) عن الديلمي في كتاب الفردوس ونقله عنه أيضاً المصنف (ره) في منهاج الكرامة وذكر السيوطي في الدر المنثور أخباراً أربعة في نزولها بعلي «ع»

(الأول) ما أخرجه ابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة والديلمي وابن عساکر وابن النجار عن ابن عباس ، قال : (لما نزلت إنما أنت منذر ولكل قوم هاد وضع رسول الله (ص) يده على صدره فقال أنا المنذر وأوماً بيده إلى علي (ع) فقال أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي) ولعله هو حديث الديلمي السابق .
(الثاني) ما أخرجه ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي سمعت رسول الله يقول إنما أنت منذر ووضع يده على صدره ثم وضعها على صدر علي وهو يقول لكل قوم هاد .
(الثالث) ما أخرجه ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال (رسول الله المنذر وعلي بن أبي طالب الهادي) .

(الرابع) ما أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم وصححه وابن مردويه وابن عساکر عن علي بن أبي طالب (ع) في قوله تعالى : (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) قال (رسول الله المنذر وأنا الهادي) قال السيوطي (وفي لفظ «والهادي رجل من بني هاشم» يعني نفسه) وقد ذكر الحاكم هذا الحديث في المستدرک (٢) وقال صحيح الإسناد؛ وما تعقبه الذهبي إلا بهت النص ونحکم الضلالة ؛ فقال : (بل كذب قبيح الله واضعه) ، وقد نقل جماعة هذا الحديث باللفظ الثاني عن الثعالبي مع أول الأحاديث التي ذكرها السيوطي منهم صاحب ينابيع المودة وهو أيضاً نقل الحديث الأخير باللفظ الثاني عن الحموي ، قال أخرجه بسنده (١) ص ١٥٧ من الجزء السادس . (٢) ص ١٢٩ من الجزء الثالث .

عن أبي هريرة ، ونقل أيضاً خبراً آخر عن الحاكم أبي القاسم الحسكاني بسنده عن بريدة الأسلمي ، قال : دعا رسول الله (ص) بماء لاطهور فأخذ بيد علي بعدما تطهر فالتق يده بصدره فقال أنا المندر ثم رديده إلى صدر علي فقال أنت لكل قوم هاد ، ثم قال له أنت منادي الأنام وغاية الهدى وأبـير الغر المحجلين أشهد لك انك كذلك ، ثم قال في الينابيع المالكي أيضاً أخرجه عن ابن عباس : ويعني بالمالكي علي بن أحمد صاحب الفصول المهمة ، ونقل أيضاً أخباراً كثيرة من هذا النحو ، ونقل الرازي في تفسيره الخبر الأول من أخبار السيوطي وذكر في الآية أقوالاً ثلاثة نأثها ما دل عليه هذا الخبر ، ولا ريب انه المتبع لأنه تفسـير بالرواية عن رسول الله (ص) والقولان الأولان تفسير بالرأي ، ولو فرض ورود رواية بها فلا تكون حجة علينا ولا تعارض تلك الروايات لاتفاق الفريقين عليها ، فقول الفضل ليس هذا في تفاسير السنة كما ترى ، وقد ذكر السيد السعيد (ره) ان ابن عقدة صنف كتاباً في هذه الآية وروايات زولها في شأن أمير المؤمنين (ع) .

واما دلائلها على إمامته دون غيره فأوضح من ان تحتاج إلى بيان لأن الله تبارك وتعالى جعله في قرن النبي (ص) بأن له الانذار ولعلـى الهداية أي إراءة الطريق وعمم هدايته لكل قوم وذلك من آثار الامامة لاسيما وقد قال له رسول الله وبك يهتدي المهتدون من بعدي فإنه بمقتضى تقديم الجار والمجرور دال على حصر الهداية به بعد وفاة النبي (ص) مع انه قد أتى عليه في رواية الحسكاني بما يناسب الامامة ، ومما يبدأ بعلم ما في قول الفضل دل على ان علياً هاد مریداً به عدم دلالة الآية والرواية على اختصاص الهداية به .

واما ما رواه من حديث أصحابي كالنجوم فهو باطل متناً وسنداً ، اما (الأول) فلأن عمومـه لكل أصحابه مخالف للضرورة لأن اكثرهم من الجاهلین ، وكثيراً منهم من المرتدين بعده كما دلت عليه أخبار الحوض ، بل بعضها دال على ارتداد الكل إلا مثل همل النعم ، كما ان بعضهم من المنافقين في وقته ، قال تعالى : (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) وبعضهم من القاسطين والناكثين والمارقين ،

وبعضهم من الزنائين والفاسقين كالمغيرة والوليد وأشباهاها ، فكيف يقول النبي (ص)
 بأنهم اقتديتم اهتديتم ، وهو يقتضي العصمة ولا أقل . من العدالة ، وبقتضي العلم
 والاحاطة بما جاء به الرسول واكثرهم من الجاهلين ، فلا بد أن يكون المراد بالاصحاب
 في الحديث على فرض صحته نقل النبي (ص) وسفينة النجاة وهم آله كما فسر بهم (ع)
 واما (الثاني) فلما نقله السيد السعيد (ره) عن شارح الشفاء للقاظمي عياض انه
 قال : « اعلم ان حديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه الدارقطني في
 الفضائل وابن عبد في العلم من طريق من حديث جابر ، وهذا اسناد لا يقوم به حجة
 لأن الحارث بن غصين مجحول ، ورواه عبد بن حميد في مسنده من رواية عبد الرحيم
 ابن زيد عن أبيه عن المسيب عن عمر ، قال البزار منكر لا يصح ، ورواه ابن عدي في
 الكامل من رواية حمزة بن أبي حمزة الصبيعي عن نافع عن عمر بلفظ (بأيهم أخذتم
 بقوله) بدل (اقتديتم) واسناده ضعيف لاجل حمزة لانه متهم بالكذب ورواه البيهقي
 في المدخل من حديث ابن عباس وقال : متنه مشهور وأسانيده ضعيفة لم يثبت منها في
 هذا الباب اسناد وقال ابن حزم مكذوب موضوع باطل » انتهى كلام شارح الشفاء .

(آية وقفوهم انهم مسؤولون)

قال المصنف قرئس الله روم

(الحادية عشرة) قوله تعالى : (وقفوهم انهم مسؤولون) روى الجمهور عن ابن
 عباس وعن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال عن ولاية علي بن أبي طالب (ع) .

وقال الفضل

ليس هذا من رواية أهل السنة ولو صح دل على أنه من أولياء الله تعالى فالولي
 هو المحب المطيع وليس هو بنص في الامامة .

وأقول

قال ابن حجر في الصواعق في الآفة اربعة من الآيات النازلة في أهل البيت «ع»
 (اخرج الديلمي عن أبي سعيد ان النبي «ص» قال : وقفوههم منهم مسؤولون عن ولاية
 علي) وكأن هذا مراد الواحدي بقوله روي في قوله تعالى وقفوههم منهم مسؤولون أي
 عن ولاية علي وأهل البيت «ع» ، ونقل المصنف «ره» في منهاج السكرامنة حديث
 الديلمي وحديثاً آخر مثله عن أبي نعيم بسنده عن ابن عباس ، ونقلها معه في ينابيع
 المودة ، ونقل أيضاً في الينابيع عن المناقب عن ثمامة بن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أبيه عن
 جده عن النبي «ص» قال : (اذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم يجز لهم عليه
 إلا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب وذلك قوله تعالى وقفوههم منهم مسؤولون
 عن ولاية علي) وفي الينابيع أيضاً عن الحموي بسنده عن علي «ع» عن النبي «ص»
 قال : (اذا نصب الصراط على جهنم لم يجز عنه أحد إلا من كانت معه براءة بولاية علي
 ابن أبي طالب) وفيها نحوه أيضاً عن موفق بن أحمد عن ابن مسعود عن طريقين وعن
 ابن عباس عن طريق ، وأيضاً عن ابن المغازلي عن ابن عباس عن طريقين وعن أبي
 سعيد عن طريق وعن أنس عن طريق .

وبؤيد هذه الأخبار مافي ميزان الاعتدال بترجمة ابراهيم بن عبد الله الصاعدي ،
 قال (روى عن ذي النون عن مالك خيراً باطلا ومثله اذا نصب الصراط لم يجز أحد إلا
 من كانت معه براءة بولاية علي) ثم قال (ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال ابراهيم
 متروك الحديث) ولا سبب للحكم بوضعه وبطلانه إلا التعصب والاستبعاد وكيف
 يستبعد ذلك في حق أخ النبي «ص» ونفسه ونقله في امته ، وذكر السيوطي في اللآلئ
 المصنوعة هذا الحديث نقلاً عن الحاكم بسنده عن علي «ع» وذكر كلام ابن الجوزي
 والنهبي ، وتعمقهما بأن للحديث طريقاً آخر ذكره أبو علي الحداد في معجمه ثم بين
 الطريق ، وحينئذ فلا بد للمصنف من الحكم بصدق مضمون الحديث بل تواتره ولا سيما
 بضميمة أخبارنا واقتضاء فضل أمير المؤمنين «ع» لمثله .

وكيف كان فهذا الآية على ذلك المعنى دالة على إمامة علي (ع) لأن الإمامة أول ما يثبت عنه بعد الوحدةانية والرسالة وأحق ما يحتاج إلى معرفته في الجواز على الصراط لأن من لا يعرف إمامة إمامه مات ميتة جاهلية كما سبق ، بخلاف سائر الواجبات فإن من لا يقوم بها لا يخرج عن الدين إذ ليست من اصوله ولذلك جاءت الآية السكينة في أثناء ذكر الكافرين ، وما بينا يعلم ما في قول الفضل (ولو صح دل على أنه من أولياء الله تعالى) وأي عاقل يفهم هذا المعنى من تلك الرواية ، ولو سلم فالسؤال عن ولايته (ع) بهذا المعنى دون سائر الأولياء دليل على تميزه عليهم بالفضل والقرب إلى الله عز وجل وهو يستدعي الإمامة ، وبعده أيضاً أن يراد بالولاية في الأخبار الحب وإن كان حبه واجباً وأجراً للرسالة ، اللهم إلا بلحاظ الملازمة بين الحب الخالص له والقرار بإمامته إذ لا ينكرها بعد وضوح أمرها إلا من يميل عنه ، مع أن السؤال عن حبه وتوقف الجواز على الصراط على وده دليل على أن له دون سائر الصحابة منزلة عظمى ومرتبة توجب ذلك لفضله عليهم والأفضل أحق بالإمامة .

وقد نقل في النبايع القول بارادة الحب من الولاية عن الحاكم والأعمش ومحمد بن اسحاق صاحب كتاب المغازي ، ويشهد لهم الأخبار الكثيرة الدالة على السؤال عن حب أهل البيت (ع) ، منها ما في النبايع عن الثعالبي وابن المغازلي بسنديهما عن ابن عباس وعن الترمذي وموفق بن أحمد بسنديهما عن أبي برزة الأسلمي ، وعن موفق أيضاً بسنده عن أبي هريرة ، وعن الحاكم بسنده عن أبي سعيد ، وعن الحموي بسنده عن أمير المؤمنين (ع) ، وعن المناقب بسنده عن الباقر (ع) قالوا : (قال النبي «ص» لا تزول قدم عبد عن قدم حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه - وفي رواية وعن شبابه بدل جسده - وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه وعن حبنا أهل البيت) وكل الروايات بهذا اللفظ أو بهذا المضمون إلى كثير من الأخبار التي يطول ذكرها وسبق بعضها في آية القرني ، وليت شعري أكان أبو بكر وعمر وعثمان أئمة لاهل المؤمنين وهم لا يجوزون الصراط إلا ويسألون عن ولايته ولا يبرون عليه إلا براءة منه .

(آية ولتعرفنهم في لحن القول)

قال المصنف فرس سره

(الثانية عشرة) قوله تعالى : (ولتعرفنهم في لحن القول) (١) روى الجمهور عن أبي سعيد الخدري قال ببغضهم علياً عليه السلام .

وقال الفضل

ليس في تفسير أهل السنة وإن صح دل على فضيلته لأنص على إمامته

وأقول

ذكره السيوطي في تفسيره الدر المنثور ونقله عن ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد ، ونقله المصنف (ره) في منهاج الكرامة عن أبي نعيم عن أبي سعيد أيضاً ، وقال السيوطي أيضاً أخر ج ابن مردويه عن ابن مسعود قال ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) إلا ببغضهم علي بن أبي طالب . أقول وروى الترمذي في فضائل علي «ع» عن أبي سعيد قال : (قال أنا كنا لنعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب) وروى أيضاً عن أم سلمة قالت : (كان رسول الله (ص) يقول لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن) وروى مسلم عن علي «ع» قال : (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لعهد النبي الامي إلي انه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق) ونحوه في سنن النسائي في علامة الايمان من كتاب الايمان ، ورواه بسند آخر في علامة الدفاق ، وأيضاً نحوه في سنن الترمذي في فضائل علي (ع) ، وكذا في كنز العمال في فضائل علي (٢) عن الحميدي وابن أبي شيبه وأحمد بن حنبل والعدني وابن ماجه وأبي نعيم في الحلية وابن أبي عاصم في السنة ، وروى الحاكم في المستدرک في مناقب أمير المؤمنين «ع» (٣) عن أبي ذر قال : (ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله

(١) سورة محمد ٣٠ . (٢) ص ٣٩٤ من الجزء السادس .

(٣) ص ١٢٩ من الجزء الثالث .

ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلي بن أبي طالب) ثم قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ونقله في كنز العمال في فضائل علي (١) عن الخطيب في المتفق ، ونقل ابن حجر في الصواعق في المقصد الثالث من المقاصد المتعلقة بآية القرني عن أحمد والترمذي عن جابر (ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم علماً ، والحصر في هذا الحديث ومحسوه بلحاظ ان المنافق يتستر بجميع علامته النفاق إلا ببغض علي (ع) لكثرة مبغضيه حتى ان النبي (ص) كان يعرفه منهم بلحن القول مع علمهم بحبه له وشدة اختصاصه به ، ولذا لما قبض رسول الله (ص) وجدوا الفرصة فاتفق عليه اكثر قرين وكثير من الأنصار ، وهذه الأحاديث وان لم تذكر نزول الآية لكنها تؤيد رواية أبي سعيد التي أشار اليها المصنف ودلائها على إمامة أمير المؤمنين (ع) ظاهرة ، لأن من كان حبه إيماناً وبغضه نفاقاً وكفراً لا بد أن يكون متصفاً بأصل من اصول الدين الذي يشترط في الإيمان الاقرار به ، إذ ليس المدار في الإيمان والنفاق على ذات الحب والبغض بل على ما يلزمها عادة من الاقرار بخلافته المنصوصة وإنكارها فان من أبغضه أنكر إمامته عادة فيكون باظهاره الإيمان منافقاً ومن أحبه قال بإمامته ، إذ لا داعي له لانكارها بعد انتصاح ثبوتها بالكتاب والسنة ، ولا ينافي المدعى مارواه القوم من أن حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق ، فانه لو صح كان مفاده ان جهم وبغضهم إيمان ونفاق لنصرتهم رسول الله (ص) لأن الأنصار وصف وتعابق الحكم بالوصف مشعر بالحيثية ، وهذا بخلاف تعابق الحكم بعلي (ع) فانه ليس لوصف النصرة بل لذاته الشريفة ويلزمه ان المنشأ هو الامامة لا النصرة وإلا لعاد الأمر إلى الإيمان بالنبي وعدمه ولم يكن لعلي دخل وهو خلاف ظاهر الحديث .

(آية والسابقون السابقون)

قال المصنف رفع الله درجته

(الثالثة عشرة) قوله تعالى : (والسابقون السابقون اولئك المقربون) (١٥) روى الجمهور عن ابن عباس قال سابق هذه الامة علي بن أبي طالب (ع) .

وقال الفضل

هذا الحديث جاء في رواية أهل السنة ، ولكن بهذه العبارة سباق الامم ثلاثة : مؤمن آل فرعون وحبيب بن النجار وعلي بن أبي طالب ، ولا شك في ان علياً سابق في الاسلام وصاحب السابقة والفضائل التي لا تحصى ، ولكن لا تدل الآية على نص لإمامته وذلك المدعى .

وأقول

اذا كان أمير المؤمنين (ع) سابق هذه الامة كان خیرهم وأفضلهم لأن السبق إلى الاسلام إمارة الاعرفية والأفضلية كما يشهد له قوله تعالى : (اولئك المقربون) لافادته الحصر وانه المقرب دون غيره من الصحابة لجمال قرب غيره كلاقرب بالنسبة اليه فيكون بينه وبينهم في المعرفة والفضل والتقوى بون شاسع ، ولا ريب ان من كان كذلك فهو الامام ، لاسبابا وهو افضل السابقين الثلاثة ، كما يدل عليه ما ذكره السيوطي في تفسير الآية قال أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى : (والسابقون السابقون) قال : (نزلت في حزقيل ، مؤمن آل فرعون وحبيب النجار الذي ذكر في يس وعلي بن أبي طالب وكل رجل منهم سابق امته ، وعلي أفضلهم سبقاً) وفي رواية اخرى عبر عنهم بالصدّيقين وذكر علياً وقال وهو أفضلهم ، نقلها السيوطي في تفسير سورة يس عن أبي داود وأبي نعيم والديلمي وابن عساكر كما ستسمعها في الآية الثالثة والعشرين ان شاء الله تعالى ، ولا ينافي ما ذكرنا ان حزقيل سابق امة موسى ولم يكن امامهم وذلك

لأنه مات في حياة موسى ولو بقي بعده لكان هو الامام لا يوشع ، على ان الموجود في بعض الاخبار يوشع بدل حزقيل ولعله الاضرب فيرفع الاشكال ، روى السيوطي في المقام عن ابن أبي حاتم وابن مردويه انها أخرجا عن ابن عباس في قوله والسابقون السابقون قال (يوشع بن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى وعلي ابن أبي طالب سبق إلى رسول الله) وروى السيوطي في تفسير سورة يس عن الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال : (السَّبَقُ ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب يس والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب) وحكى المصنف في منهاج الكرامة عن ابن المغازلي عن مجاهد عن ابن عباس قال : (سبق يوشع بن نون إلى موسى وهرون وسبق صاحب يس إلى عيسى وسبق علي إلى محمد « ص ») ويحتمل أن يكون يوشع وحزقيل سابقين معاً إلى موسى وكل قسم من الاخبار خص واحداً بالذكر لخصوصية والامام هو يوشع لأفضليته بجهات اخر ، ثم ان الرواية التي ذكرها المصنف (ره) هنا قد نقلها بعبارتها في منهاج الكرامة عن أبي نعيم ، هذا وروى الزمخشري في تفسير سورة يس عن رسول الله « ص » (سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون) وهي دالة على فضل آخر لامير المؤمنين « ع » على غيره من الصحابة وهو انه لم يكفر بالله طرفة عين مع صغر سنه ونشأته بين عبدة الاصنام فيكون أحق بالامامة ممن بعدها في كثير من عمره لقصور عقله ووفور جهله .

(آية أجملتكم سقاية الحاج)

قال المصنف طاب ثراه

(الرابعة عشرة) قوله تعالى : (أجملتكم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) (١) إلى قوله تعالى : (ان الله عنده أجر عظيم) روى الجمهور في الجمع بين الصحاح الستة انها نزلت في علي بن أبي طالب لما افتخر طلحة بن شيبه والعباس فقال طلحة أنا أولى (١) برادة . الآية ٢٠ .

بالبيت لان المفتاح بيدي ، وقال العباس أنا أولى أنا صاحب السقاية والقائم عليها فقال علي أنا أول الناس إيماناً واكثرهم جهاداً فأنزله الله هذه الآية لبيان أفضاليته .

وقال الفضل

هذا صحيح من رواية الجمهور من أهل السنة وقد عدّها العلماء في فضائل أمير المؤمنين وفضائله أكثر من أن تحصى وليس هذا محل الخلاف كما مر حتى يقيم عليه الدلائل بل الكلام في النص على إمامته وهذا لا يدل عليه .

وأقول

دلالة الآية على المطلوب تتم بضميمة الرواية ، لأن أمير المؤمنين «ع» فضل نفسه عليها بما يقتضي الفضل على جميع الأمة حيث قال أنا أول الناس إيماناً واكثرهم جهاداً وأقره الله سبحانه على دعوى الفضل بذلك وانكر على من لا يرى له الفضل به ، فيكون أفضل الأمة وأولها بالامامة ، على ان الآيات متضمنة للبشارة له بالرحمة والرضوان من الله تعالى والخلود بالجنة وستعرف ان شاء الله في الآية الثانية والثلاثين اقتضاء البشارة لشخص بعينه واعلامه بالجنة كونه معصوماً أو قريباً منه فيكون أولى من الخلفاء الثلاثة بالامامة ، ثم ان الرواية المذكورة قد نقلها السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه وعبد الرزاق وابن عساكر وأبي نعيم وابن جرير وأبي الشيخ وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن أبي شيبه عن ابن عباس وأنس والشعبي والحسن وابن كعب ونقله في بنابيع المودة عن النسائي في سننه عن محمد بن كعب ونقله أيضاً عن جماعة آخرين ، وقال الواحدي في أسباب النزول (قال الحسن والشعبي والقرظي زلت الآية في علي والعباس وطلحة بن شيبه وذلك انهم افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه وإلي ثياب بيته ، وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، وقال علي ما أدري ما تقولان لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزله الله هذه الآية) ولا اشكال بأن نزولها في علي والعباس وطلحة بقصة الافتخار بينهم من المشهورات فلا حاجة إلى الإطالة

زاد الله فضل سيد الوصيين (ع) فقد أعان الكتاب المجيد بتفضيله بشي
الوجه فأبى القلوب الواعية .

(آية المناجاة)

قال المحنف أعلى الله مقام

(الخامسة عشرة) آية المناجاة لم يفعلها غير علي «ع» قال ابن عمر كان لعلي ثلاثة
لو كانت لي واحدة منها كانت أحب إلي من حمر النعم : تزويجه بغاطمة وإعطاء الراية يوم
خير وآية النجوى .

وقال الفضل

هذا من روايات أهل السنة وإن آية النجوى لم يعمل بها إلا علي ولا كلام في أن
هذا من فضائله التي عجزت اللسان عن الإحاطة بها ولكن لا يدل على النص على إمامته

وأقول

يفبغي أولاً ذكر بعض الأخبار الواردة من طرق القوم في نزول هذه الآية
السكرية تيمناً بذكر فضله (ع) ، روى الحاكم في المستدرک (١) في تفسير سورة
المجادلة عن أمير المؤمنين (ع) قال : (أن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبالي ولا
يعمل بها أحد بعدي آية النجوى : بأبيها الذين آمنوا إذا ناجيت الرسول فقدموا بين
يدي نجواكم صدقة ، الآية) قال : (كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فماجيت
النبي (ص) وكنت كلما ناجيت النبي قدمت بين يدي نجواي درهماً ثم نسخت فلم يعمل بها
أحد فزلت « أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات » الآية) ثم قال الحاكم :
(هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولم يمتعه به الذهبي بشيء) ونقله
السيوطي في الدر المنثور عن الحاكم أيضاً وعن سعيد بن منصور وابن راهويه وابن أبي
(١) ص ٤٨٢ من الجزء الثاني .

شعبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

ومثل هذا الحديث باختصار في تفسيري الرخصي والرازي وفي أسباب النزول للواحدى وعن معالم البغوي وتفسيري الشعابي والطبري ، وقال السيوطي (أخر ج عبد ابن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبي «ص» حتى يقدموا صدقة فلم يناجيه إلا علي بن أبي طالب فإنه قد قدم ديناراً فتصدق به ثم ناجى النبي «ص» فسأله عن عشر خصال ثم زات الرخصة) وقال السيوطي أيضاً : (قال الكافي تصدق به في عشر ركعات سألهن رسول الله «ص») ثم نقل عن ابن عمر ما نقله المصنف « ره » إلى غير ذلك من الأخبار التي لا تحصى من طرقهم فضلاً عن طرقنا حتى ان ابن تيمية مع شدة نصبه قال في رد منهاج الكرامة (ثبت ان علياً تصدق وناجى ، ثم نسخت الآية قبل أن يعمل بها غيره) .

ولا يمارض ذلك ما حكاه السيوطي عن الطبراني وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص قال : (نزلت بأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ، فقدمت شعيرة فقال رسول الله «ص» إنك لزهيد ، فنزلت الآية الاخرى أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) فان خير سعد إنما يدل على شدة وعدم قيامه بالصدقة المطلوبة لا على مناجاته . ولذا نزلت الآية الاخرى بعد قول النبي «ص» له إنك لزهيد ، فكان ممن أشفق وتعلق به الاوم والانكار .

هذا ولا ريب بدلالة الآية الشريفة على إمامة أمير المؤمنين «ع» دون غيره ممن يقدر على الصدقة من الصحابة كالخلفاء الثلاثة وذلك لدالاتها على فضله عليهم وعلى معصيتهم بما يقتضي عدم صلوحهم للإمامة حتى لو لم نعتبر العصمة في الامام ، اما دالاتها على فضله فلما سارعت له للطاعة وعدم تساهله في طلب العلم بخلاف غيره ؛ واما على معصية من يقدر على الصدقة فلغوله تعالى : (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) فإنه إنكار ولوم وهو يقتضي المعصية ، وقوله تعالى : (فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) فان التوبة تستدعي المعصية ، وقوله تعالى : (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) فان الأمر بتقديم الصدقة ظاهر في وجوبها فتجب المناجاة أيضاً ، وإلا لم يحصل عصيان بترك الصدقة لأن

وجوب الصدقة مشروط بالمناجاة فإذا تركا معاً لم يثبت عصيان ، وهو خلاف ما يقتضيه الإنكار والتوبة ، فلا بد من الالتزام بوجودها معاً وبالعصيان بتركها .

ومن الواضح ان المعصية بترك الصدقة اليسيرة ذات المصلحة الكبيرة الحاصلة بمناجاة الرسول «ص» لا كبر دليل على البخل والشح ، ولذا عبر سبحانه بالاشفاق ، والبخل لا يصلح للإمامة لاسيما بهذا البخل ، ومما صرح به بخلهم ما حكاه المصنف «ره» في منهاج السكرامة عن أبي نعيم عن ابن عباس قال : (ان الله حرم كلام رسول الله إلا بتقديم الصدقة وبخلوا أن يتصدقوا قبل كلامه وتصدق علي ولم يفعل ذلك أحد من المسلمين غيره) واجيب عن اشكال معصيتهم بضيق الوقت ، وفيه انه لو ضاق لم يكن معنى للنسخ ولا للتوبة والإنكار بالاشفاق على ان الوقت متسع وهو عشر ليال أو نحوها بل الوقت الذي يتسع لمناجاة أمير المؤمنين ولو مرة وتقديم صدقته متسع لمناجاة غيره معه وتقديم صدقته .

ومن ذلك يظهر كذب مارووه من بذل أبي بكر لماله الكثير في سبيل الله وان النبي «ص» قال ما نفعني مال مثل ماله ، فان من يشفق أن يتصدق بالقليل في الفائدة الكثيرة لحري أن لا يبذل المال الكثير ، وكذا يظهر ان عمان لم يبذل ما بذل في جيش العسرة كما زعموه إلا للسمعة التي لم يكن يحسب انها تحصل في صدقة النجوى .

هذا وقد ذكر الرازي هـ ما يفيد العجب قال : (أقول على تقدير ان أفاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك فهذا لم يحجر اليهم طعناً لأن ذلك الاقدام على هذا العمل مما يضيق قلب الفقير فانه لا يقدر على فعله ويوحش قلب الغني فانه لما لم يفعل الغني ذلك وفعله غيره صار سبباً للطعن فيمن لم يفعل فهذا الفعل لما كان سبباً لحزن الفقراء ووحشة الأغنياء لم يكن في تركه كبير مضرة لأن الذي يكون سبباً للآلقة أولى مما يكون سبباً للوحشة) وفيه « أولاً » ان هذا يستلزم تخطئة الله سبحانه في الايجاب أو الندب وهو كفر ، و « ثانياً » انه يرفع فضل أبي بكر في بذل ماله وفضل عمان في تجهيز جيش العسرة وهو خلاف رأي أصحابه ، و « ثالثاً » انه يستلزم عذر الغني في ترك الحج والزكاة وجميع المطلوبات المالية لأن فعلها يضيق قلب الفقير ويوحش الغني ، و « رابعاً »

انه لا ضيق على قلب الفقير لعلمه بأنه معذور عند الله وعند الناس مع دخول فائدة عليه بالصدقة ، و « خامساً » ان قوله لم يكن في تركه كبير مضرة اقرار بثبوت أصلها وهو مناف لباقي كلامه على ان إثبات أصلها إثبات للطعن .

ثم قال الرازي : (وأيضاً فهذه المناجاة ليست من الواجبات ولا من الطاعات المندوبة بل قد بينا انهم إنما كفوا بهذه الصدقة لتركوا هذه المناجاة ولما كان الأولى بهـذه المناجاة أن تكون متروكة لم يكن تركها سبباً للطعن) وعليه فالطعن على أمير المؤمنين « ع » بفعل المناجاة لأنه خلاف الأولى ، وهذا لعمر الله هو النصب والجور والاستهزاء بأيات الله والتلاعب بكتابه وأحكامه ، وأي مسلم ينكر رجحان المناجاة بعد الصدقة ولم يدع أحد ان الداعي لوجوب الصدقة ترك المناجاة بالكلية ، على انك عرفت دلالة الآية على وجوب المناجاة فضلاً عن استحبابها وما كنت أحسب أن يبلغ هنا العناد بالرازي حتى يحمل الفضيلة التي غناها ابن عمر منقصة .

ثم قال الرازي : (واما قوله « وتاب عليكم » فليس في الآية انه تاب عليكم من هذا التقصير بل يحتمل انكم اذا كنتم نائمين راجعين إلى الله سبحانه وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف) وكأنه يرى ان الله تعالى قد أوكل اليه معاني الكتاب العزيز وان يحدث له معاني لا تنطبق على ألفاظه ، فان الجملة الشرطية التي احتملها لا أثر لها في الآية أصلاً ولا تدل عليها باحدى الدلالات ، وظاهر الآية أو صريحها هو التوبة عليهم من عدم فعلهم للصدقة ، وان المعنى فإذا لم تفعلوا ما أمرتم به وتاب الله عليكم فلا تخلوا بالواجبات الاخر وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ، ومن تأمل في الحقيقة وتدبر في ايجاب عالم الغيب للصدقة على من يعلم انهم لم يعملوا مع نفسه عنهم قريباً بعد فعل أمير المؤمنين « ع » حتى انزل بذلك قرآناً يتلى على مرور الأيام وانكر على المسلمين اشفاقهم وبخلهم ، علم ان المقصود كشف أحوال المسلمين وبيان فضل أميرهم عليهم .

(آية واسأل من أرسلنا)

قال المصنف قرى الله روحه

(السادسة عشرة) روى ابن عبد البر وغيره من السنة في قوله تعالى : (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) « ١٥ » قال : ان النبي ليلة اسري به جمع الله بينه وبين الأنبياء ثم قال له : سلمهم يا محمد على ماذا بعنتم ؟ قالوا بعثنا على شهادة أن لا إله إلا الله وعلى الاقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب .

وقال الفضل

ليس هذا من رواية أهل السنة ، وظاهر الآية آب عن هذا لأن تمام الآية (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (والمراد ان إجماع الأنبياء واقع على وجوب التوحيد ونفي الشرك ، هذا مفهوم الآية وهذا النقل من المناكير وإن صح فلا يثبت به النص الذي هو المدعى لما علمت ان الولاية تطلق على معان كثيرة .

وأقول

نقل المصنف في منهاج الكرامة هذا الحديث عن ابن عبد البر وعن أبي نعيم ونقل جماعة نحوه عن الثعلبي عن ابن مسعود ، قال : (قال رسول الله « ص » أتاني ملك فقال يا محمد واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا قلت على ما بعثوا قال علي ولايتك وولاية علي بن أبي طالب) وفي ينابيع المودة في الباب الخامس عشر (٢) عن أبي نعيم والحويني وموفق بن أحمد بأسانيدهم عن ابن مسعود قال : (قال رسول الله « ص » لما عرج بي إلى السماء انتهى بي السير مع جبرئيل إلى السماء الرابعة فرأيت بيتا من ياقوت أحمر فقال جبرئيل هذا البيت المعمور قم يا محمد فصل إليه قال النبي « ص » جمع

الله النبيين فصفا ورأى صفا فصليت بهم فلما سلمت أتاني آت من عند ربي فقال :
يا محمد ربك بقرئك السلام ويقول سل الرسل على ما أرسلناهم من قبلك فقلت معاشر
الرسل على ماذا بعثكم ربكم قبلي ؟ فقات الرسل على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب
وهو قوله وإسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ، الآية) ثم قال في البيهقي رواه أيضاً
الديلمي عن ابن عباس ثم قال عن طلحة بن زيد عن جعفر الصادق عن آبائه عن
أمير المؤمنين علي قال : (قال رسول الله ما قبض الله نبياً حتى أمره الله تعالى أن يوصي
إلى أفضل عشيرته من عصبته وأمرني أن أوصي إلى ابن عمك علي أئبته في الكتب
السالفة وكتبت فيها انه وصيك وعلى ذلك أخذت موثيق الخلائق وميثاق أئباني
ورسلي وأخذت موثيقهم لي بالربوبية ولك يا محمد بالنبوة ولعلي بالولاية والوصية)
ودلتها على إمامة أمير المؤمنين «ع» واضحة فإن بعث الرسل وأخذ الميثاق عليهم في
القديم بولاية علي «ع» وجعلها محل الاهتمام العظيم في قرن أصلي الدين الربوبية والنبوة
لا يمكن أن يراد بها إلا إمامة من له الفضل عليهم كفضل محمد «ص» ولا سيما مع عطف
الوصية عليها في رواية طلحة فلا يضر حينئذ إطلاق الولاية على معان كثيرة بعد هذه
القريضة الصريحة في إرادة الامامة .

(فان قلت) لم تذكر الآية السكينة النبوة والامامة بل ولا الارسال بشهادة أن
لا إله إلا الله ، فانها قالت أجعلنا ولم تقل أرسلناهم بالشهادة (قلت) السؤال والاستفهام
في الآية للتقرير بمعنى تقرير الرسل عن أمر استقر عندهم نفيه وهو جعل آلهة من دون
الرحمن يعبدون ، لكن لما كان المناسب لتقرير الرسل بما هم رسل هو تقريرهم عما أرسلوا
به كان الظاهر إرادة تقريرهم عن ذلك بما هم رسل بنفيه وهو راجع إلى الارسال بالشهادة
بالوحدانية ، فصح ما أفادته الروايات من أن المراد بالآية السؤال عما بعث به الرسل من
الشهادة بالوحدانية ، ولما كان بعثهم بهذا معلوماً للنبي «ص» ألبتة لم يحسن أن يراد أن
يقررهم به خاصة ، بل ينبغي أن يراد تقريرهم به بضميمة ما لا يعلم النبي «ص» إقرارهم
به لعدم علمه برسالهم عليه ، وهو الذي ذكرته الروايات ، أعني إرسالهم على نبوته
وإمامة أمير المؤمنين «ع» ، وإننا لم نذكره الآية الشريفة للاكتفاء بذكر الأصل وهو

البعث على الشهادة بالوحدانية ، كما ان بعض الروايات المذكورة اكتفت بذكر نبوة نبينا وإمامة ولينا لأنها الداعي الى السؤال والتقدير مع وضوح بعثهم على الشهادة بالوحدانية لكونه الأصل ولذكر الآية له ، فما أعظم قدر نبينا الأتوب وأخيه الأطهر عند الله تبارك وتعالى حتى ميزها على جميع عباداه وأكرمها ببعث الرسل الأكرمين على الاقرار بفضله ورسالة محمد وإمامة علي وأخذ الميثاق عليهم بها مع الشهادة بالوحدانية فحق لذريتها أن يفتخروا بما افتخر الشريف الرضي به وهو قول الفردوق :

اولئك آباي فخني بمثلهم اذا جمعنا يا جريبر المجمع

(آية وتعيها اذن واعية)

قال المصنف نور الله ضريحه

(السابعة عشرة) قوله تعالى : (وتعيها اذن واعية) (١) روى الجمهور انها نزلت في علي عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقال الفضل

روى المفسرون انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله «ص» لعلي «ع» : سألت الله أن يجعلها اذنك ، قال علي فما نسيت بعد هذا شيئاً ، وهذا يدل على علمه وحفظه وفضيلته ولا يدل على النص بامامته .

وأقول

لم يدل على علمه وفضيلته فقط بل على أعلميته وأفضليته لدلالته على ان اذن علي «ع» هي الواعية دون غيرها ، نعم المسلمين التذكرة فقط ، قال تعالى : (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية) فيكون هو الأحق بالامامة ، وفي بعض الأخبار الآية (وحق على الله أن تعي) وهو دال على وجوب أن يكون علي واعياً إشارة الى وجوب نصب الامام الواعي على الله تعالى ، ولذا أمر الله سبحانه نبيه بتعليمه كما في

الأخبار الآتية ، فيكون علي هو الامام وغيره مأموماً ، وكيف يكون من لا يعني والياً
 لامور المسلمين وحاكماً في امور الدين وواجب الطاعة علي من له الاذن الواعية . أفن
 يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون .
 وبقرّب إرادة خصوص علي من الآيّة افراد الاذن وتكبيرها فانه دال على الوحدة
 كما صرحت بإرادة علي «ع» الأخبار السكثيرة ، فقد حكى السيوطي في الدر المنثور
 عن ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر وابن النجار بأسانيدهم عن
 بريدة قال : (قال رسول الله «ص» لعلي إن الله أسرنى أن ادنيك ولا اقصيك وإن اعلمك
 وتعي وحق لك أن تعي فنزلت الآيّة) ومثله في أسباب النزول للواحدي إلا انه قال
 (وحق على الله أن تعي) وعن الثعلبي (وحق على الله أن تسمع وتعي) وفي كنز
 العمال (١) عن ابن عساكر (وإن حقاً على الله أن تعي ونزلت وتعيها اذن واعية قال
 اذن عقلت عن الله) وحكى السيوطي أيضاً عن أبي نعيم في الحلية عن علي «ع» قال :
 (قال رسول الله «ص» إن الله أسرنى أن ادنيك واعلمك لتعي فانزلت هذه الآيّة
 وتعيها اذن واعية فأنزلت اذن واعية لعلي) ومثله في كنز العمال (٢) عن أبي نعيم أيضاً
 ولا ينافي كون المراد بالاذن الواعية هي اذن علي «ع» إن اذن الحسن والحسين أيضاً
 واعية وذلك لأنها منه وهو منها أو لأنها اذن واعية في رتبة الاخذ من أبيهما وهو
 اذن واعية في رتبة الاخذ من النبي «ص» .

(سورة هل أتى)

قال المصنف اعلى الله درمته

(الثامنة عشرة) سورة (هل أتى) روى الجمهور إن الحسن والحسين مرضا فاعادها
 رسول الله «ص» وعامة العرب فنذر علي صوم ثلاثة أيام وكذا امها فاطمة وخانمتهم
 فضة لبن برئاً ، فبرئنا وليس عند آل محمد قليل ولا كثير ، فاستقرض أمير المؤمنين «ع»

(١) ص ٣٩٨ من الجزء الثالث . (٢) ص ٤٠٨ من الجزء المذكور .

ثلاثة أصوع من شعير وطحنت فاطمة منها صاعاً نخبزه خمسة أقراص لكل واحد قرص ، وصلى على المغرب ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه للأفطار فأتاهم مسكين وسألهم فأعطاه كل منهم قوته ومكثوا يومهم وإيلتهم لم يذوقوا شيئاً ، ثم صاموا اليوم الثاني فخبزت فاطمة صاعاً آخر فلما قدمته بين أيديهم للأفطار أتاهم يتيم وسألهم القوت فتصدق كل منهم بقوته ، فلما كان اليوم الثالث من صومهم وقدم الطعام للأفطار أتاهم أسير وسألهم القوت فأعطاه كل منهم قوته ولم يذوقوا في الأيام الثلاثة سوى الماء فرآهم النبي «ص» في اليوم الرابع وهم يرتعشون من الجوع وفاطمة «ع» قد التصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها ، فقال «ص» : واغزؤه يا الله ، أهل محمد يموتون جوعاً ! فهبط جبرئيل فقال خذ ما هناك الله في أهل بيتك ، فقال وما آخذ يا جبرئيل فأقرأه « هل أتى » .

وقال الفضل

ذكر بعض المفسرين في شأن نزول السورة ما ذكره ، ولكن انكر على هذه الرواية كثير من المحدثين وأهل التفسير ، وتكلموا في انه هل يجوز أن يببالغ الانسان في الصدقة الى هذا الحد ويجوع نفسه وأهله حتى يشرف على الهلاك ، وقد قال الله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو والعفو ما كان فاضلاً من نفقة العيال ، وقال رسول الله خير الصدقة ما كان صنواً عفواً ، وإن صح الرواية لاتدل على النص كما علمته .

وأقول

روى جماعة من القوم ما ذكره المصنف «ره» كالخضري في الكشاف والبيضاوي وعن الواحدي في كتاب البسيط والبغوي في معالم التنزيل والشعبي وأبي السعادات العمادي وغيرهم ، وروى الواحدي نحوه في أسباب النزول إلا انه إنما ذكر نزول قوله : (ويطعمون الطعام ، الآية) فيهم ولم يذكر البذر ، وحكى السيوطي في الدر المنثور عن بعض اصحابه نزول هذه الآية فيهم ؛ وذكر نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين

الذي شابوري في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان القصة التي ذكرها المصنف (ره) ونزول السورة فيهم ، ثم قال : وروى ان السائل لهم في الليالي الثلاث جبرئيل ا زاد بذلك ابتلاءهم باذن الله سبحانه .

ونقل الرازي في تكميله عن الزمخشري والواحدي في البسيط القصة ونزول السورة بهم ثم اشكل عليه بأمرين :

(الأول) ان السورة مشتملة على امور اخر خارجة عن القصة وغير متعلقة بمدحهم كبيان خالق الانسان وابتلائه وانه تعالى هداه السبيل وانه اما شاكر واما كفور وكوعيد الكفار الى غير ذلك مما اشتملت عليه السورة ، وفيه ان المقصود كونهم سبباً لنزول السورة فلا يضر اشتغالها على امور اخر على ان هذه الامور المذكورة دخيلة في مدحهم لدلالاتها عند بيان قصتهم واخلاصهم على فضلهم وامتيازهم على غيرهم .

(الثاني) ان المدوحين في الآيات ذكروا بصيغة الجمع كقوله تعالى : ان الأبرار يشربون ويوفون بالندى ويخافون ويطعمون الى آخر الآيات ، فتخصيصه بجمع معينين خلاف الظاهر ويدخل فيهم اتقياء الصحابة والتابعين ولا يبقى للتخصيص معنى ألينة اللهم إلا أن يقال السورة إنما نزلت عند صدور طاعة مخصوصة منهم ، ولكنه قد ثبت في اصول الفقه ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وفيه ان التخصيص وان كان خلاف الظاهر لسن لا بد من الالتزام به اذا وردت به الرواية وإلا لم تصح دعوى نزول شيء من القرآن في مدح احد ، واما قوله العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فأنما يسلم في مقام التكليف والمدح والذم المطلقين لا المدح الناشئ من سبب خاص لم يتفق صدوره من غيرهم لاسيما في خصوصياته من الحب والحاجة لما اتفقوا ووقعه على وجه الاخلاص التام لله تعالى والخوف منه حتى وقاهم الله بسببه شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً ، ولا ادري متى كان للصحابة في هذا الميدان اثر ولا سبب الذين عناهم الرازي

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكامى
واما ما ذكره الفضل من إنكار كثير من المحدثين وأهل التفسير على هذه الرواية

وتكلمهم في جواز مبالغة الانسان في الصدقة الى هذا الحد ، فلم أجده في كلامهم ، ولو كان له اصل لذكره شيخ المشككين الرازي ولا سيما في ما يتعلق بفضائل امير المؤمنين «ع» على انه سبحانه قد مدح أوليائه بأنهم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فما لأهل البيت لا يجوز لهم ذلك .

واما قوله تعالى : (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) فمعنى العفو فيه أجل المال وأطيبه لا الفضل كما زعمه الفضل ، لقوله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) كان المراد بالصنو في الحديث الصدقة المكررة الموصولة بصدقة قبلها وهي أجل المال وأطيبه لانتهاه التكرير اليه عادة ، ولذا وصف الصنو ويثنه في الحديث بالعفو أي الأجل الأطيب : ويحتدل ان يكون العفو في الحديث قيداً آخر فيكون المعنى ان خير الصدقة ما جمع وصفين ان تكون لاحقة لصدقة قبلها وان تكون من أجل المال وأطيبه فلا تنافي هذه الآية والرواية مافعله أمير المؤمنين عليه السلام .

ثم انه ليس المدفق لسكل الطعام في تلك القصة هو امير المؤمنين وحده حتى يكون اجاع اهله كما زعم الفضل بل كل منهم انفق قوته كما صرحت به الرواية .

واما قوله وان صح الرواية لا تدل على النص ، ففيه انت القصة دالة على فضل الحسين وبلوغها في المعرفة الى منتهى الغايات لصدورها عنها حال صغرهما بنحو استحقاق من الله سبحانه الثناء عليها في كتابه المجيد وشهد لها فيه بأنها اطعموا لوجهه وكانا بخافا من الله ، ولا ريب في ان الصغير الذي يصدر منه ذلك اكبر من الكبير الذي لم يعرف الله تعالى اكثر عمره وعصاه في عظام الامور كالفرار من الزحف فيكون الحسنان افضل من شيوخ الصحابة ، ولا شك ان امير المؤمنين افضل من الحسين بالنص والاجماع فيكون افضل من الصحابة جميعاً فيكون هو الامام .

هذا والعجب من تمالؤ هؤلاء القوم على نحو فضائل آل الرسول «ص» بالأوهام الكاسدة والخيالات الفاسدة ، دون ما يروونه في فضائل غيرهم ، وان كان ظاهر الكذب والبهتان ، فقد رأيت الفضل كيف استشكل من جواز تلك الصدقة ، وهو قد ذكر في مبحث الحلول ان أبا يزيد البسطامي ترك شرب الماء سنة تأديباً لنفسه وعده منقبة له ،

فليت شمري لم لا يجوز التصديق لأهل البيت بعد السؤال منهم رغبة في الثواب بالابتار على انفسهم ، وجاز لأبي يزيد ترك شرب الماء سنة وهو من المحالات بلا سؤال أحد منه ولا ابتار ولا هو من أفعال سيد المرسلين والأنبياء الأولين ولا ورد بنحوه الكتاب والسنة ، وقال الغزالي في احياء العلوم في كسر شهوة البطن (١) الوظيفة الثانية في وقت الأكل ومقدار تأخيره ، وفيه أربع درجات الدرجة العليا ان يطوي ثلاثة ايام فما فوقها وفي المرابين من رد الرياضة الى الطهي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوماً واربعين يوماً ، وانتهى اليه جماعة من العلماء بكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني ، وذكر جماعة ، ثم قال : وكان ابو بكر الصديق يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام ، وكان ابو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعة ، وروي ابن الثوري وابراهيم بن ادهم كانا يطويان ثلاثاً ثلاثاً . كل ذلك يستعينون بالجوع على طريق الآخرة ، ثم نقل عن متصوف انه طوى ستين يوماً ، فأنظر الى هذه الحكايات التي ماجأ بها الشرع وما كانت من فعل سيد المرسلين بروونها في كتبهم ويصدقون استمرار اوليائهم عليها ، ويكذبون ان يتصدق أهل البيت اتفاقاً بطعامهم ثلاثة ايام لسؤال من سأل ابتاراً على انفسهم ، فهل الفرق إلا اتباع الهوى والجفاء لمن طهرهم الله تعالى من الرجس تطهيراً وأوجب على الامة التمسك بهم .

ثم ان المصنف « ره » قد ذكر هذه القصة في منهاج السكرامة نقلاً عن الثعلبي ورده ابن تيمية بكل ما تبلغه من النصب وذكر اموراً اشبه بالافعال المطالبة بصحة الحديث وقد مر مراراً جوابه ولا سيما ان شهرته كافية في اعتباره ، وكزعم ابن الحسين صغيران لا يشرع ابقاؤها ثلاثة ايام جياعا ، وقد عرفت انها بذاتها آثرا بطعامهم لمعرفتها وكالهما ، وكزعم عدم حاجة أيتام المسلمين وأسراهم الى الصدقة والسؤال لأن اليتيم مكفى بالنبي والاسير بأسره ، وهو كما ترى تكذيب للآية الكريمة ، وكزعم انه لم يكن في العقبة قتال ، فكيف يقول اليتيم كما في حديث الثعلبي استشهد والذي يوم العقبة ، وفيه ان العقبات كثيرة والعقبة هي المرقى الصعب من الجبال كمرق أحد

لا خصوص عقبة مكة التي يابغ النبي «ص» فيها الأنصار قبل الهجرة ، وكزعهم ان السورة مكية بالاتفاق ، والحال ان مجاهداً وقتادة قالوا انها مدنية ، وكزعهم ان النذر منهي عنه ، والحال ان الآية الكريمة نزلت في الثناء على الناذرين فيكون نخطئة للكتاب المجيد ، وكزعهم انه ليس للزهراء «ع» جارية تسمى فضة وان اتفاق أبي بكر أفضل من إتفاقهم الى نحو ذلك مما هو بالهذيان أشبهه .

(آية والذي جاء بالصدق)

قال المصنف أعلى الله درجته

(التاسعة عشرة) قوله تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به) (١٥) روى الجمهور عن مجاهد قال : هو علي بن أبي طالب عليه السلام .

وقال الفضل

جماهير أهل السنة على ان الآية نزلت في أبي بكر الصديق وان صح نزوله في علي المرتضى فهو من فضائله ولا يدل على النص .

وأقول

حكى السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه انه أخرج عن أبي هريرة والذي جاء بالصدق رسول الله «ص» وصدق به علي بن أبي طالب «ع» ، ونحوه في مناج الكرامة للمصنف عن مجاهد من طريق ابن المغازلي ، وفيه أيضاً عن مجاهد من طريق أبي نعم مثل ما هنا ، فيكون الجميع متجداً في المراد وان المقصود بثاني الوصفين أمير المؤمنين «ع» ، لا انه مقصود بها معاً كما يتوهم مما نقله أبو نعيم : فإذا اريد عن صدق به أمير المؤمنين ، دل على إمامته لأن ذكره خاصة بالتصديق مع كثرة المصدقين يدل على أنه الكامل في التصديق وانه الصديق الأكبر ، ولا ريب ان الكامل فيه دون

غيره هو الأفضل والأفضل أحق بالإمامة ، ولا سيما ان كامل التصديق أرعى لما صدق به وأمس في حفظ الدين والحوزة ، على ان الله سبحانه قد شهد لمن جاء بالصدق ولمن صدق به بالتقوى على الاطلاق : فقال في تنمة الآية (اولئك هم المتقون) وهو يقتضي العصمة ولا معصوم مع النبي «ص» غير علي «ع» بالاجماع فيكون هو الامام لما سبق من اشتراط العصمة بالامام : ولا ينافي دلالاته على العصمة قوله تعالى بعد هذه الآية : (لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم بأحسن الذي كانوا يعملون) إذ ليس المراد بأسوأ الذي عملوا هو المحرمات لعصمة النبي «ص» جزماً بل المراد أسوأه عند قومهم فان الله سبحانه يكفره أي يغطيهم عنهم بنصرهم على الكافرين وإحسانهم اليهم وإظهار شرفهم وفضلهم ، ولذا قال تعالى في الآية التي بعدها (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه) .

واما ما نسبته الفضل الى الجاهير فكذب عليهم : ولذا لم يذكره الزنجشيري في الكشف وهو حقيق بذكره لو كان قولاً للجاهير ، لاسيما وهو في فضل أبي بكر ولم يذكره أيضاً غيره ممن اطلعنا على تفسيره : نعم نسبه الرازي إلى جماعة وهو غير معنى الجاهير ، ولو سلم فأى عبرة بقول جاهيرهم الناشئ من الهوى ، فانه كما ورد عنهم نزولها في أبي بكر ورد عنهم نزولها في أمير المؤمنين «ع» ، فلم اختار الجاهير أو الجماعة نزولها في أبي بكر مع عدم صحة الرواية الدالة عليه كما اطلعنا على سندها ، فان الطبري رواها في تفسيره جامع البيان عن عمر بن ابراهيم بن خالد عن عبد الملك بن عمير عن اسيد بن صفوان ، وقد نقل الذهبي في ميزان الاعتدال عن الدارقطني ان عمر بن ابراهيم كذاب ، وعن الخطيب انه غير ثقة ، ثم ذكر بترجمة عمر أن اسيداً مجهول ، ونقل بترجمة عبد الملك عن أحمد انه ضعيف عبد الملك جداً ، وقال أيضاً ضعيف يغلط ، وقال ابن معين مخلط ، مضافاً الى ان لفظ الرواية كما صرح به السيوطي في الدر المنثور الذي جاء بالحق محمد وصدق به أبو بكر وهو غير لفظ الآية لأن لفظها الذي جاء بالصدق .

هذا ومن المضحك ما ذكره الرازي في المقام ، قال : (أجمعوا على أن الأسبق الأفضل اما أبو بكر واما علي وحمل هذا اللفظ على أبي بكر أولى لأن علداً كان وقت

البعثة صغيراً فكان كالولد الصغير الذي يكون في البيت ، ومعلوم ان إقدامه على التصديق لا يفيد مزيد قوة وشوكة ، اما أبو بكر كان رجلاً كبيراً في السن كبيراً في المنصب فأقدامه على التصديق يفيد مزيد قوة وشوكة في الاسلام فكان حمل اللفظ على (أبي بكر أولى) فان مزيد الشوكة لا ربط له بالأولوية المذكورة لأن التصديق فرع المعرفة والتقى لا الشوكة ، ولذا مدح الله سبحانه من جاء بالصدق وصدق به بالتقوى ، فقال : (اولئك المتقون) ومن المعلوم ان أمير المؤمنين «ع» أقرب إلى المعرفة والتقوى من أبي بكر فانه لم يعبد صنماً قط خلافاً لقومه وعندها أبو بكر مدة من عمره ، وطهره الله سبحانه من الرجس ولم يطهر أبا بكر ، وصلى مع رسول الله «ص» سبع سنين قبل أبي بكر وغيره ، ولا منافاة بين الصغير والمعرفة والكمال ، ولذا دعاه رسول الله «ص» الى الاسلام وهو صبي فكان أخص الناس به واطوعهم له وجعله خليفته ووزيره عندما جمع عشيرته الأقربين في اول البعثة ودعاهم الى الاسلام كما سيجيء ، كما جعل الله يحى نبياً وآتاه الحكم صبياً ، وكذلك عيسى ويوسف وسليمان ، وقد مدح الله الحسنين وهما طفلان بقوله سبحانه : ان الأبرار يشربون . ويخافون يوماً . ويطعمون الطعام على حبه . إنما نطعمكم لوجه الله . . . الآيات . ولو سلم دخل الشوكة والقوة والمنصب بأولوية الوصف بالتصديق فأى قوة وشركة لأبي بكر وهو من اذل بيت في قريش - كما قاله أبو سفيان - وأي منصب له وهو كان خياطاً ومعلماً للصبيان فأين هو من أسد الله ورسوله وابن سيد البطحاء الذي إر لم يزد الاسلام بنفسه قوة فبإتصاله بأبيه وتماقه به ، بل قد عرفت ان شهادة الله سبحانه بالتقوى لمن صدق بالصدق تدل على عصمته ولا معصوم غير علي بالاجماع فتتعين إرادته بالآية .

(آية هو الذي أيدك بنصره)

قال المصنف نور الله ضريحه

(العشرون) قوله تعالى : (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) (١٥) عن أبي هريرة قال : مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبدي ورسولي أيدته بعلي بن أبي طالب .

وقال انفضل

جاء هذا في روايات أهل السنة ، ولا شك ان علياً من افضل المؤمنين ومن خلفائهم وأئمتهم ولما كان رسول «ص» مؤيداً بالمؤمنين كان تأييده بعلي من باب الأولى ولكن لا يدل على النص المدعى .

وأقول

قال السيوطي في الدر المنثور : أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة مكتوب على العرش لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي محمد عبدي ورسولي أيدته بعلي ، ونقل في كنز العمال نحوه (٢) عن ابن عساكر عن أبي الحمراء وعن الطبراني عن أبي الحمراء وعن العقيلي عن جابر ، ونقل المصنف الحديث عن أبي نعيم عن أبي هريرة ، ثم قال أبو هريرة : وذلك قوله تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين - يعني بعلي - ونقل في ينابيع المودة عن أبي نعيم بأسانيد عن أبي هريرة وابن عباس وإمامنا الصادق «ع» انهم قالوا نزلت هذه الآية في علي «ع» وان رسول الله (ص) قال : رأيت مكتوباً على العرش . . . الحديث بعينه ، وذكر في ينابيع أيضاً ان أبا نعيم روى نحوه عن أنس بن مالك ، فاذا كان أمير المؤمنين (ع) هو المراد بالمؤمنين في الآية دل على انه بمنزلة جميع المؤمنين في الاعان والتأييد للشيء للتعبير عنه بصيغة الجمع العامة فيكون أفضاهم وإمامهم خصوصاً مع كتابة اسمه الشريف

(١) سورة الأنفال الآية ٦٣ . (٢) ص ١٥٨ من الجزء السادس .

وتأبيده على العرش ، فقول الفضل لاشك ان علياً من أفاضل المؤمنين الخ ظلم لأمر المؤمنين بجعله من الأفاضل والآية والرواية تدلان على الأفضلية ، كما ان قوله : ولما كان رسول الله (ص) مؤيداً بالمؤمنين الخ خلاف مقصود الآية والرواية من كونه بمنزلة جميع المؤمنين في التأييد لأنه العمدة والمتبع ، ولذا قرنه الله سبحانه بنصره وزين عرشه ولا ينافي إرادة أمير المؤمنين من المؤمنين في الآية قوله تعالى بمدها : (وألف بين قلوبهم) الآية وذلك لأن الاستخدام باب واسع .

(آية يأبها النبي حسبك الله)

قال المحنف قرس الله روه

(الحادية والعشرون) قوله تعالى : (يأبها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) (١) روى الجمهور انها نزلت في علي (ع) .

وقال الفضل

ظاهر الآية انها في كافة المؤمنين ولو صح نزوله في علي يكون من فضائله ولا دلالة لها على النص المدعى .

وأقول

مع ان الدليل مفسر المراد فيقدم على الظهور انا نمنع ظهورها بما ذكره بل ظاهرها الخصوص إذ ليس كل مؤمن متبهاً على الإطلاق فتكون من المتبعين لا للبيان ، وحينئذ فينبغي إرادة أمير المؤمنين (ع) خاصة حتى لو لم ترد الرواية بإرادته إذ لا اتباع على الإطلاق من غيره ، وحينئذ فتدل الآية على إمامته لأن الانباع المطلق يقتضي المعصية وهي شرط الامامة ولا عصمة لغيره بالإجماع ، على ان الله سبحانه لما قرنه بنفسه المقدسة واخبر عنه بأنه حسبه دلما على فضله وامتيازه على كل أحد فيكون هو الامام

والمراد حسبك الله ناصراً وعلي متبعاً فلا نذهب نفسك حشرات على من لم يتبعك ،
ويحتمل كما هو الأقرب ان يكون المراد انها حسبه في النصرة ، ولا يلزم الشرك كما زعم
ابن تيمية ، لأنه كقوله تعالى : (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) وليست
نصرة غير الله عز وجل إلا باقداره ، وكون علي حسب النبي في النصرة لا ينافي حاجة
النبي «ص» الى غيره ولا حاجة علي «ع» الى الناصر بعد النبي «ص» إذ هو ككون الله
حسبه اريد به عدم الاعتداد بنصرة غيره لضعفها أو لعدم الخلوص التام بها ؛ ولذا فرأى
المسلمون عن النبي «ص» في عدة مواطن ؛ فلا يرد ما أشكاه ابن تيمية وقد أساء القول
وجاهر بنصبه ، ثم انت الرواية التي ذكرها المصنف «ره» هنا قد نقلها هو في منهاج
الكرامة عن أبي نعيم ونقلها غيره كصاحب كشف الغمة عن عز الدين عبد الرزاق
المحدث الحنبلي .

(آية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم)

قال المصنف اعلى الله درجته

(الثانية والعشرون) قوله تعالى : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) (١)
قال الثعلبي نزلت في علي عليه السلام .

وقال الفضل

ذهب المفسرون الى انها نزلت في أهل اليمن وقيل لما نزلت هذه الآية سئل
رسول الله «ص» عن هذا القوم فضرب بيده على ظهر سلمان فقال : هذا وقومه ،
والظاهر انها كانت نازلة لقوم لم يؤمنوا بعد لدلالة سوف يأتي الله على هذا ، وعلي كان
ممن آتاه الله من أول الاسلام فكيف يصح نزوله فيه ، وإن سلمنا فهو من فضائله ولا
يدل على النص المدعى .

ينبغي هنا بيان أمرين : (الأول) معنى الارتداد والظاهر ان له معنيين حقيقياً وهو الانقلاب عن الدين بمخالفة بعض اصوله كالشهادتين عند الجميع والامامة عند الامامية ، ومجازياً وهو مخالفة بعض أحكام الدين المهمة ، ويحتمل أن يراد بالآية الأول لأنه الأصل في الاستعمال والثاني بدعوى القرينة ، بأن يراد بالارتداد تولي الكافرين والتقاء عن الجهاد بقرينة حكم الآية التي قبلها بأن من تولاهم منهم .

(الثاني) مورد نزولها وقد اختصت أخبارنا في نزولها بأمر المؤمنين «ع» أو المهدي عجل الله فرجه ولا يبعد إرادتها معاً ، وأما روايات القوم فقد جاءت بنزولها بعلي كما نقله المصنف «ره» عن الثعلبي ، ونزولها في أهل اليمن ، ونزولها في الفرس ، وقيل بنزولها في الأنصار ، وقيل بأبي بكر ، ولم يرو أحد التفسير بهذه القولين الأخيرين عن النبي «ص» ، واختار أولهما السدي كما ذكره الرازي بحجة أن الأنصار هم الذين نصرُوا رسول الله «ص» ، وفيه ان المراد بالآية النصر في المستقبل وهي لم تختص بالأنصار بل لم تختص بهم في أول الأمر لمشاركة المهاجرين لهم في النصر ، وأما من زعم نزولها بأبي بكر فبحجة أنه حارب المرتدين واستعرف ما فيه . والحق أنها نازلة بأمر المؤمنين لأمر : (الأول) ورود رواية الفريقين به فقد عرفت رواية الثعلبي له ولكن ابن تيمية

انكرها ولم يحضرني تفسير الثعلبي حتى أظهر بطلان إنكاره ، إذ لا شك ان المصنف «ره» لا يعتمد الكذب بخلاف ابن تيمية فأننا سبرنا أحوالها وعرفنا صحة نقل المصنف عنه كما ستمعرف ، ويؤيد صحة رواية الثعلبي ماورد عن أمير المؤمنين انه قال يوم البصرة والله ما قوتل أهل هذه الآية قبل اليوم ثم تلاها ومثله عن عمار وابن عباس كما سيأتي ان شاء الله تعالى .

(الثاني) انطباق أوصاف من يأتي به الله المذكورة في الآية على أمير المؤمنين «ع» دون غيره ، اما عدم انطباقها على أبي بكر فظاهر ولوقوله تعالى : يحبهم ومحبونه ، فإن النبي «ص» قال يوم خيبر بعدما رجع أبو بكر وعمر منهزمين : لأعطين الراية غداً إلى

رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار ، وهو ظاهر بل صريح في التعريض بمن فر وانه ليس على هذه الأوصاف ، واما عدم انطباقها على الأنصار وأهل اليمن والفرس ، فلظهور الآية في ان من يأتي به الله إمام شجاع ذو حزم وتقوى وتواضع لأن قوله تعالى : (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) بمعنى انه متواضع للمؤمنين تواضع وال عليهم وإمام لهم إذ لا معنى لتعديبة الأذلة بملى المفيدة لاعلو لولا تضمن الأذلة معنى الولاية ، وهو أيضاً عزيز على الكافرين أي ظاهر العزة عليهم والعظمة في أعينهم لكونه ذا سلطان ، وهو أيضاً مجاهد في سبيل الله لكونه مقداما شجاعا تقياً ولا يخاف لومة لائم لحزمه ومقدرته ، واذا ضمنا إلى ذلك قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) تعيّنت إرادة أمير المؤمنين . ولا ينافي إرادته التعبير بالقوم وصيغ الجمع اما لصحة القصد إلى تعظيمه بذلك كما هو في القرآن وغيره كثير كما تشهد له آية المباهلة ، أو للإشارة إلى انه ذو أتباع ، كما لا ينافيها التعبير بسوف خلافا للفضل لما عرفت من دلالة الآية على انه سبحانه يأتي بذوي ولاية وسلطان وعلي «ع» إنما صار كذلك في المستقبل لجأهد حينئذ ، وينحوه أجاب الرازي عن اشكال إرادة أبي بكر من الآية لأن جهاده متأخر .

(الثالث) ان الآية التي بعدها وهي قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله) الآية نازلة بأمر المؤمنين «ع» ، فينبغي أن تكون هذه الآية كذلك لترتبط الآيتان ولدخولها في خطاب واحد منفرد عما قبله وبعده وهو : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الآيتان .

(الرابع) الأخبار المقتضية لتزولها بعلى «ع» (فمنها) المصروفة بأن النبي «ص» قال : ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، قال أبو بكر وعمر أما هو ؟ قال لا . ولكنه خاف النعل - يعني علياً - أخرجه أحمد في مسنده عن أبي سعيد من طريقين (١) ، وأخرجه الحاكم عنه أيضاً من طريقين في المستدرک (٢) وصححه

(١) ص ٣٣ من الجزء الثالث من طريق ، وص ٨٢ منه من طريق آخر .

(٢) ص ١٢٣ من الجزء الثالث .

على شرط الشيخين ، ونقله في كنز العمال (١) عن أبي يعلى في مسنده وابن أبي شيبة وأبي نعيم في الحلية وابن حبان في صحيحه والضياء في المختارة كلهم عن أبي سعيد ، ورواه النسائي في خصائصه ، وهو يستلزم أن يكون من يأتي به الله لحرب المرتدين هو علي لأبو بكر لأن حرب أمير المؤمنين على التأويل دون أبي بكر فلا بد أن يكون المذخر في الكتاب العزيز بحربه هو علي عليه السلام .

و (منها) الأخبار الكثيرة التي أنذر رسول الله «ص» فيها الناس بعلي خاصة وقال لتنتهن أو ليعبثن الله رجلاً - يعني به علياً - : فالأنسب أن يكون هو المذخر به في الآية ، نقل في كنز العمال (٢) عن أحمد وابن جرير قال وصححه وعن سعيد بن منصور في سنده عن علي «ع» قال : (جاء النبي «ص» أناس من قريش فقالوا يا محمد إنا جيرانك وحلفائك وإن ناساً من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه إنما فروا من ضياعنا وأموالنا فارددهم إلينا فقال لابي بكر ما تقول قال صدقوا انهم لجيرانك وحلفائك فتغير وجه رسول الله «ص» ثم قال لعمر ما تقول قال صدقوا انهم لجيرانك وحلفائك فتغير وجه رسول الله «ص» فقال يامعشر قريش والله ليعبثن الله عليكم رجلاً قد امتحن الله قلبه بالإيمان فيضربكم على الدين أو يضرب بعضكم فقال أبو بكر انا يارسول الله ؟ قال لا قال عمر أنا يارسول الله ؟ قال لا والكنه الذي يخصف النعل وكان اعطي علياً نعلًا يخصفها) ومثله في خصائص النسائي ، ونقل في الكنز نحوه عن الخطيب (٣) وعن الترمذي قال وقال حسن صحيح ، وعن ابن جرير قال وصححه وعن الضياء في المختارة (٤) وعن ابن أبي شيبة وابن جرير والحاكم في المستدرک ويحيى بن سعيد (٥) ، وقد قال النبي «ص» في بعضها : (يامعشر قريش لتنتهن أو ليعبثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين قد امتحن الله قلبه على الإيمان) وفي بعضها (لن تنتهوا يامعشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالإيمان يضرب

(١) ص ٣٩١ من الجزء السادس . (٢) ص ٣٩٦ من الجزء السادس .

(٣) ص ٣٩٣ من الجزء المذكور . (٤) ص ٤٠٧ منه أيضاً .

(٥) ص ٤٠٨ منه أيضاً .

أعناقكم وأنتم مجفون عنه إجمال النعم) وروى في الاستيعاب بترجمة أمير المؤمنين «ع» عن معمر عن ابن طاروس عن أبيه عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : (قال رسول الله «ص» لو قد ثقیف حين جاءه : لتسلمن أو لا تبعن رجلا مني - أو قال مثل نفسي - فليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم وليأخذن أموالكم ، قال صر فوالله مائة يت الامارة إلا يومئذ وجعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول هو هذا ، فالتفت إلى علي فأخذ بيده ثم قال هو هذا) وفي الصواعق بعد الحديث الأربعين من أحاديث فضل علي عن ابن أبي شيبه عن عبد الرحمن بن عوف قال : (لما فتح رسول الله مكة انصرف إلى الطائف إلى أن قال ثم قام خطيباً وقال : والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة وتؤتنن الزكاة أو لا تبعن اليكم رجلا مني - أو كنفسى - يضرب أعناقكم ثم أخذ بيد علي «ع» ثم قال هو هذا) وعن مسند أحمد وغيره (أن رسول الله «ص» قال لتنتهن يابني وليمة أو لا تبعن اليكم رجلا كنفسى يقتل المقاتلة ويسبي الذرية فالتفت إلى علي فأخذ بيده وقال هو هذا) .

إلى غير ذلك من الاخبار التي تفيد ان عادة النبي «ص» الانذار بعلي فتحمل عليه الآية لأن إنذاره من إنذار الله تعالى وما كان ينطق عن الهوى ، ولو كان أبو بكر صالحاً لذلك لما رده النبي «ص» مع انه يعلم من قول أبي بكر صدقوا انهم جيرانك وحلفاؤك انه ليس بمن لا يخاف لومة لائم فلا يكون مراداً بالآية ، وأيضاً فقد جعل النبي «ع» في بعض هذه الاحاديث وغيرها علياً منه أو كنفسه فيكون هو الاحق بالاصناف المذكورة في الآية وبارادته منها .

هــذا ومما يستوقف الفكر ويستثير العجب قول عمر صدقوا بعدما تغير وجه رسول الله «ص» من قول أبي بكر ، وما أدري كيف استباح هو وصاحبه أن يجعلا للكافرين على المؤمنين سبيلا ويردا من آمنوا بالله ورسوله ملكا وخذاء لمن كفر بها ، وكيف مع هذا يكونان إمامين للناس ويؤمنان على الامة ونفوسها وأموالها .

ثم ان حجهم على إرادة أبي بكر من الآية بحربه المرتدين ممنوعة لان من حاربهم اما كافر بالاصل كأصحاب مسيئة وسجاح أو مؤمن حقاً كعبي حنيفة ، فانه حاربهم

لامتناعهم من أداء الزكاة اليه إنكاراً لخلافته وتمسكاً ببديعة أمير المؤمنين «ع» يوم الغدير كما ستعرف ان شاء الله تعالى .

هذا وقد ناقش الرازي بارادة أمير المؤمنين «ع» من الآية بل زعم دلالتها على فساد مذهب الشيعة قال ما حاصله : (انه لو كان المقصود بالآية علياً وكان هو الامام ومن لم يقل بامامته ليس بمؤمن كما يزعم الشيعة لحارب أبا بكر لقوله تعالى « ومن يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله » الآية فان كلمة من في معرض الشرط فتفيد العموم فيقتضي ان كل من ارتد يأتي الله بقوم يردونهم عن كفرهم ويبطلون شوكتهم ولم نجد الامر كذلك فان أبا بكر وأصحابه على شوكتهم بل وجدنا الامر على الضد فان الشيعة هم المقهورون) وفيه ان الانذار إنما هو بذى الولاية والسلطان كما عرفت فلا تلزم محاربة أمير المؤمنين (ع) لابن بكر ، وأجاب به الرازي بنفسه عن اشكال إرادة أبي بكر من الآية ، حيث انه لم يحارب المرتدين حين نزول الآية إلى أن تولى الخلافة ، فالمراد اتيان ذى سلطان لحرب كل من ارتد عن دينه في وقت سلطانه ، ولذا صح عندهم إرادة أبي بكر مع انه لم يحارب كل مرتد كالأشود العنسي لأنه قتل زمن النبي (ص) وكتمان فان صرحارهم في وقته كما قيل ، مضافاً إلى إمكان أن يكون معنى الآية مجرد تحذير من يرتد انذاره بالحرب أعم من أن يقع أو لا يقع والله العالم .

(آية اولئك هم الصديقون)

قال المصنف قرئ سره

(الثالثة والعشرون) قوله تعالى : (والذين آمنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون) « ١٥ » روى أحمد بن حنبل انها نزلت في علي عليه السلام .

وقال الفضل

لاشك ان علياً من الصديقين والشهداء والظاهر ان الآية نزلت في جماعة من الصديقين والشهداء ، ويمكن أن تكون نازلة في الخلفاء وإن صح نزولها في علي فهي من فضائله وليس دليلاً على مدعى النص .

وأقول

لاشك ان ليس كل مؤمن صديقاً لأن الصديق كثير التصديق وكامله ، ولا شهيداً وهو ظاهر ، فلا بد أن يراد الخصوص ، وقد علمنا من الاخبار انه ليس في هذه الامة صديق غير علي (ع) ، فلا بد أن يكون هو المراد بخصوصه من الآية أو الأعم منه ومن صديقي الامم الثلاثة ، فقد نقل السيوطي في الدر المنثور بتفسير سورة يس عن أبي داود وأبي نعيم وابن عساكر والديلمي بأسانيدهم عن أبي ليلى قال : (قال رسول الله الصديقون ثلاثة حبيب النجار ومؤمن آل يس الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين وحز قبل مؤمن آل فرعون الذي قال أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم) ورواه الرازي باختصار في تفسير سورة المؤمن عند قوله تعالى : (وجاء رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) وحكى السيوطي أيضاً في تفسير سورة يس عن البخاري في تاريخه عن ابن عباس قال : (قال رسول الله «ص» الصديقون ثلاثة حز قبل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب آل يس وعلي بن أبي طالب) وحكاها في كنز العمال (١) عن ابن النجار عن ابن عباس ، ونقل المصنف «ره» حديث أبي ليلى في منهاج الكراماة عن أحمد في مسنده والديلمي وابن المغازلي وانكر ابن تيمية كونه من أصل المسند وزعم انه من زيادات القطيعي أخرجه من طريقين ثم ناقش في سندهما ، وقد عرفت ان المناقشة في سند الاخبار الواردة في فضل أمير المؤمنين «ع» غير صحيحة لما أوضحناه في المقدمة من ان الاعتبار يشهد بوثاقة رجالها في تلك الاخبار ، على ان

الرواية اذا كثرت طرقها حكم باعتبارها وإن لم تصح أسانيدھا فقد سمعت من تعرض لها ومصر في الآية الثالثة عشرة ما هو بمنھا ، وهو كثير من الأخبار القائلة ان سبأق الامم ثلاثة ، فلا وجه للتشكيك بها ؛ ويشير إلى هذه الروايات الأخبار المصرحة بأن الصديق الاكبر هو أمير المؤمنين «ع» كرواية الحاكم في المستدرک (١) عن عباد بن عبد الله الاسدي عن علي «ع» قال اني عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الاكبر لا يقولها بمدي إلا كاذب الحديث ؛ ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وتعقبه الذهبي بقوله : (ايس هو على شرط واحد منها بل ولا بصحيح بل حديث باطل وعباد قال ابن المديني ضعيف) وفيه انه لا اعتبار بتضعيف ابن المديني له مع توثيق غيره له كالحاكم ، ولو التفتنا إلى هذه التضعيفات لم يصح لهم حديث ؛ ولا أدري مالذي انكره الذهبي من الحديث حتى حكم بطلانه مع شواهد صحته الكثيرة ؛ وقد نقل في كنز العمال هذا الحديث (٢) عن ابن أبي شيبه والنسائي في الخصائص وابن أبي عاصم في السنة والعقيلي وأبي نعيم في المعرفة ؛ ونقل أيضاً (٣) عن العقيلي ومحمد بن أيوب الرازي ان أمير المؤمنين «ع» قال على منبر البصرة : (أنا الصديق الاكبر) ، ونقل في الكنز أيضاً (٤) عن الطبراني عن سلمان وأبي ذر معا وعن البيهقي وابن عدي عن حذيفة بن النبي (ص) قال في حق علي «ع» : (ان هذا أول من آمن بي وهو أول من يصالحني يوم القيامة وهذا الصديق الاكبر وهذا فاروق هذه الامة يفرق بين الحق والباطل وهذا يمسح بالدين والمال يمسح بالظالمين) ونحوه باصابة ابن حجر بترجمة أبي ليلى الغفاري ؛ وزاد في أوله (ستكون بمدي فتنة فاذا كان كذلك فآلزموا علي بن أبي طالب فانه أول من آمن بي) الحديث ؛ فاذا ثبت ان علياً «ع» هو اكمل الامة تصديقاً وجب أن يكون أفضلهم ولا سبأ هو أفضل صديقي أمم الانبياء والا فضل هو الامام ، ولكن القوم سرقوا هذا الاسم ونخلوه إلى أبي بكر فسماه صديقاً ؛ ولما علم الله سبحانه ذلك منهم أثبت دليلاً واضحاً على كذبهم وهو ما لحقه بهذا الوصف من وصف

(١) ص ١١٢ من الجزء الثالث . (٢) ص ٣٩٤ من الجزء السادس .

(٣) ص ٤٠٥ من الجزء المذكور . (٤) ص ١٥٦ منه أيضاً .

الشهداء : وهذه السرقة ليست بغريبة منهم فانهم سرقوا أيضاً وصف الفاروق من أمير المؤمنين «ع» إلى عمر فقد صرح بأن علياً هو الفاروق الحديث المتقدم وغيره ، كالذي نقله في كثر العمال (١) عن أبي نعيم عن أبي ليلى ان النبي «ص» قال : ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فآلوا علي بن أبي طالب فانه الفاروق بين الحق والباطل ، وقال الطبري في المنتخب من كتاب ذيل المذيل المطبوع في ذيل تاريخه ص ٩ : (قال ابن سعد أخبرنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح بن كيسان قال : قال ابن شهاب : بلغنا ان أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر الفاروق ، وكان المسلمون يؤثرون ذلك من قولهم وما بلغنا ان رسول الله «ص» ذكر من ذلك شيئاً) .

آية الذين ينفقون أموالهم

قال المصنف طاب ثراه

(الرابعة والعشرون) قوله تعالى : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرراً وعلانية) «٢» روى الجمهور انها نزلت في علي «ع» كانت معه أربعة دراهم أنفق في الليل درهما وبالنهار درهما وفي السر درهما وفي العلانية درهما .

وفال الفصل

ذكر المفسرون من أهل السنة ان الآية نزلت في علي وهو من فضائله ولا يثبت به مدعى النص .

وأقول

روى الواحدي في أسباب النزول ذلك عن ابن عباس ومجاهد والكلبي ونسب السبوطي في الدر المنثور روايته إلى ابن جرير وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن عساكر ونسبه المصنف «ره» في منهاج الكرامة إلى (١) ص ١٥٥ من الجزء السادس . (١) البقرة . الآية ٢٧٥ .

الثعلبي وأبي نعيم ورواه أيضاً الرخشمري والرازي وغيرهم ، لكن ابن تيمية كعادته زعم كذب الحديث بحجة ان الاتفاق في السر والعلانية لا يخرج عن الاتفاق بالليل والنهار فكيف يكون مقابلاً له ، وأظهر التبجح بكلامه كعادته ، وفيه ان المراد هو الاتفاق بالليل سرّاً وعلانية وبالنهار كذلك ، وان المراد انه أنفق درهمين بالليل والنهار ثم أنفق درهمين سرّاً وعلانية ، فلاحظ أولاً خصوصية الوقت ولحظ ثانياً خصوصية الوصف ، ووجه الدلالة على المطلوب أن ذكر الله سبحانه هذه الصدقة الخاصة وإشارته لأجلها مع قلتها وكثرة المتصدقين بنحوها وأضاعفها أقوى دليل على فضله على غيره بالمعروفه والاخلاص فيكون أتقى الناس وأفضلهم وأولاهم بالامامة .

هذا ونقل الرخشمري عن بعضهم انها نزلت في أبي بكر حيث تصدق بأربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية ، ولا أدري أعجب من تخيل القائل ان مدار الفضل على السكثرة دون الاخلاص حتى نسب لأبي بكر الصدقة بهذا المقدار ليعارض صدقة أمير المؤمنين «ع» ويفوقها ، أم أعجب من إرادته إثبات منقبة هي بالمنقصة أشبه إذ لا يجتمع هذا المال مع ضعف المسلمين إلا من نهاية الامساك ، أم أعجب من دعوى وجود هذا المال عند أبي بكر البالغ أربع مائة الف درهم وهو كان معلماً للصبيان في الجاهلية وخطاطاً في الاسلام ، ولم يكن قسمه من الغنائم إلا كواحد من المسلمين وقد كان ماله عند الهجرة خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف كما رواه الحاكم عن ابنته أسمى (١) ورواه أحمد عنها في مسنده (٢) فمن أين اجتمع له ذلك المال ؟ أم أعجب من خفاء الصدقة بهذا المال على عامة الناس حتى أظهرها هذا الراوي وهي مما ينبغي أن تغني أكثر أهل المدينة في ذلك اليوم ، أم أعجب من سماحة نفسه بهذا المال وهو قد ضن على أهله بالقليل فقد ذكرت أسمى في تكملة الحديث المذكور ان أبا بكر انطلق بذلك المال لما هاجر ولم يترك لهم شيئاً ، ولو كان من أهل الصدقة عثل ذلك المقدار فلم أشفق من تقديم الصدقة اليسيرة في النجوى ولم أخذ من رسول الله حين الهجرة والضيق قيمة البعير الذي ابتاعه منه فانظر واعتبر .

(آية الصلاة على النبي)

قال المصنف أعلى الله مقامه

(الخامسة والعشرون) قوله تعالى : (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) « ١ » في صحيح مسلم قلت يا رسول الله الله اما السلام عليك فقد عرفناه واما الصلاة عليك فكيف هي؟ فقال : قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم .

وقال الفضل

كانه نسي المدعى وهو إثبات النص وأخذ بذكر فضائل علي وهذا أمر مسلم واتفق العلماء على انه نزلت فيهم آيات كثيرة ومن يظن انه ينكر فضل محمد وآله ما ينكره إلا من ينكر ضوء الشمس والقمر .

وأقول

جهل المعارض أو تجاهل مقصود المصنف « ره » فانه يستدل بالآيات والروايات على إمامة أمير المؤمنين اما لدلائلها عليها بالمطابقة أو بالالتزام لدلائلها على أفضليته المستلزمة للإمامة ، وأنت تعلم دلالة هذه الآية على أفضلية آل محمد لأنها أوجب الصلاة على النبي « ص » وأرادت بها الصلاة عليه وعلى آلله مما مشيرة بالاكتفاء بذكره إلى انه وإياهم كنفس واحدة وانه منهم وهم منه ، فلا بد أن يكونوا أفضل من سائر الامة على ان مجرد وجوب الصلاة عليهم كالنبي « ص » دليل على ان لهم فضلا ومنزلة يستحقون بها الصلاة وإيجابها على الامة كالنبي « ص » ، وكفى بذلك فضلا بذخا . والمراد بآل محمد (علي وفاطمة والحسن والحسين) كما نطقت به الأخبار المتواترة كحديث الكساء وغيره ، ولا شك ان عليا أفضلهم فيكون هو الامام ، وإنما قلنا ان الآية أرادت الصلاة عليه وعلى

آله معاً لتصريح الأخبار المفسرة لسكيفية الصلاة على النبي «ص» بذلك كالرواية التي نقلها المصنف «ره» عن مسلم فإنه رواها من طرق في باب الصلاة على النبي بعد التشهد من كتاب الصلاة ونحوها في صحيح البخاري في تفسير سورة الأحزاب ولا يبعد عن الصواب من ادعى تواترها .

وأما قوله : (ومن يظن أنه ينكر فضل محمد وآله) الخ ، ففيه أنه ليس الكلام في فضلهم بل أفضليتهم وإمامتهم ، والقوم كما ترى قد اجتهدوا في إنكارها مراغمة للأدلة الواضحة ، بل اجتهدوا في درس فضائلهم كل ما ناله أو هامهم وجدوا في الأثراء بهم والغرض من شأنهم ، كما يشهد له أنهم مع وجود هذه الآية الشريفة وتلك الأخبار المستفيضة وهي بمرأى منهم ومسمع تراهم إذا ذكروا رسول الله «ص» أفردوه عن آله بالصلاة ، وإذا ذكروا واحداً من آله الطاهرين لم يصلوا أو لم يسلّموا عليه كما أمر الله ورسوله بل يترضّون عليه كسائر المسلمين ، مع أنه قد ورد عندهم أن النبي «ص» نهى عن الصلاة البتراء فقليل له : وما الصلاة البتراء ؟ قال : تقولون اللهم صلّ على محمد ونمسكون بل قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، كما ذكره ابن حجر في الصواعق في الآية الثانية من الآيات الواردة في أهل البيت ، نعم ربما يصلون على آله معه في أوائل مصنفاتهم أو أواخرها ولكن يضيفون إليه صحبه كراهة لافرادهم وتمييزهم على صحبه بالاقتران مع النبي (ص) كما ميزهم الله ورسوله .

ويشهد له أيضاً ما ذكره الزمخشري في تفسير الآية فإنه بعدما ذكر الخلاف في وجوبها كلها يذكر رسول الله (ص) أو في كل مجلس مرة أو في العمر مرة قال (القياس جواز الصلاة على سائر المؤمنين لقوله تعالى : « هو الذي يصلي عليكم » وقوله تعالى : « وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم » وقوله (ص) : « اللهم صلّ على آل أبي أوفى » ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك وهو أنه إن كانت على سبيل التبع كقولك : صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها ، وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فذكروه لأن ذلك صار شعاعاً لذكر رسول الله (ص) ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض وقال رسول الله (ص) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن موافق التهم) وبرد

عليه (أولاً) انه اذا لم يكن لهم كلام في الصلاة عليهم على سبيل التبع فلم التزموا بتركها اذا ذكروه (ص) كما سبق فهل المنشأ غير الانحراف عن آل محمد و (ثانياً) لا تصح كراهتها عند انفرادهم بالذكر وما ذكره من صيرورتها شعاراً للذكر رسول الله (ص) فهو لا يوجب الكراهة لأنهم منه وهو منهم وتعظيمهم تعظيمه وما بالهم جعلوها شعاراً لذكره (ص) دونهم وهم شركاؤه في أمر الله بالصلاة عليهم ، واما الاتهام بالرفض فهو لو اقتضى كراهة الصلاة على آل محمد وتغيير حكم الله تعالى لأدى إلى كراهة حبهم ، ولعله لهذا تظهر منهم آثار العداوة لآل محمد ، على ان الاتهام إنما يقتضي الكراهة في مقام التهمة فإبالم تركوا الصلاة على آل محمد في كل مقام ، واما الحديث فلو صح لم يمكن أن يفهم منه مسلم إرادة النبي (ص) النهي عن تعظيم آل الطاهرين الذي هو من علامات الإيمان ومأموره في الكتاب العزيز .

(آية مرج البحرين يلتقيان)

قال المصنف رفع الله درجته

(السادسة والعشرون) قوله تعالى : (مرج البحرين يلتقيان) « ١ » روى الجمهور قال ابن عباس : علي وفاطمة ، وبينهما برزخ لا يبغيان النبي (ص) ، يخرج منها الأول والثاني والمرجان الحسن والحسين ولم يحصل لغيره من الصحابة هذه الفضيلة .

وقال الفصل

ليس هذا من تفاسير أهل السنة ثم ما ذكره . من ان النبي برزخ بين فاطمة وعلي فلا وجه له وإن صح التفسير دل على فضيلته لا على النص المدعى .

وأقول

ذكره السيوطي في تفسيره في الدر المنثور نقلاً عن ابن مردويه عن ابن عباس وأنس

ابن مالك إلا ان أنسا لم يذكر تفسير البرزخ بالنبي (ص) . ونقله في بنابيع المودة عن الثعلبي وأبي نعيم والمالكي عن أبي سعيد وابن عباس وأنس ، ثم نقله عن الصادق (ع) عن أبي ذر ، ونقله عن سفيان الثوري ، ونقله أيضاً ابن تيمية عن الثعلبي عن سفيان الثوري ، وناقش في سننه بما سبق جوابه في مقدمة الكتاب وغيرها ، وأورد عليه بما شاء الجهل والنصب وفي نقله ورده ضياع المداد والقرطاس . واما دلالته على المطلوب فظاهرة لأن الله سبحانه شبهه عالياً (ع) بالبحر لجزارة علمه ولا مبالغة في قول الله سبحانه وشهادته لعمده فيكون امير المؤمنين ظاهر الامتياز على من لم يعرف الاب والكلالة ومن كانت المخدرات أفقه منه : فيكون هو الامام . واما تشبيه النبي (ص) بالبرزخ بينها فلا أنه الهادي لها ولا بد أن يتبعها لعصمتها فلا ينبغي احدها على الآخر وبقرّب إرادة علي وفاطمة عليها السلام من البحرين انه لو اريد ظاهرهما احتاج الحكم بخروج الأوثار والمرجان منها إلى توسع لأنها إنما يخرجان من احدهما كما قيل .

(آية ومن عنده علم الكتاب)

قال المصنف قرسي الله روم

(السابعة والعشرون) قوله تعالى : (ومن عنده علم الكتاب) (١) روى الجمهور عن عبد الله بن سلام قال هو علي .

وقال الفضل

جمهور المفسرين على ان المراد به علماء اليهود الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وأضرابه ، وقيل المراد به هو الله تعالى ويكون جمعا بين الوصفين واما نزوله في شأن علي فليس في التفاسير وإن سلمنا لا يستلزم المطلوب .

وأقول

نقله المصنف (ره) في منهاج الكرامة عن الثعلبي ونقل فيه أيضاً مثله عن أبي نعيم

عن ابن الحنفية ونقله في ينابيع المودة عن الشعبي وابي نعيم عن ابن الحنفية ، ونقل أيضاً عن الشعبي وابن المغازلي عن عبد الله بن عطاء قال : (كنت مع محمد الباقر في المسجد فرأيت ابن عبد الله بن سلام فقلت هذا ابن الذي عنده علم الكتاب قال إنما ذلك علي ابن ابي طالب «ع») ثم ذكر في الينابيع انه روى ايضاً عن ابي سعيد الخدرى والامام موسى ابن جعفر (ع) وزيد بن علي واسماعيل السدي انهم قالوا هو علي بن ابي طالب إلى غير ذلك مما في الينابيع ويؤيده الاخبار الكثيرة الآتية في الآية ٣٩١ الواردة في تفسير الشاهد بقوله تعالى : (أفن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) إذ فسرته بمعنى ، فلها تؤيد ان يكون الذي عنده علم الكتاب المجعول شهيداً مع الله تعالى في قوله عز وجل : (كفى بالله شهيداً ومن عنده علم الكتاب) هو امير المؤمنين .

ويشهد لارادة علي «ع» في الآية التعبير عنه بمن عنده علم الكتاب الدال على إحاطة علمه بما في الكتاب اعني القرآن كما هو المنصرف ، إذ لا يحيط به علماً غير قرينه الذي امر رسول الله (ص) بالنسك به معه ، كما يشهد لعدم إرادة ابن سلام مافي الدر المنثور عن سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وغيرهم انهم اخرجوا عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله تعالى : ومن عنده علم الكتاب ، أهو عبد الله بن سلام قال وكيف وهذه السورة مكية ، وفي الدر المنثور ايضاً عن ابن المنذر انه اخرج عن الشعبي قال : ما نزل في عبد الله ابن سلام شيء من القرآن .

واما ما حكاة من قول بعضهم ان المراد به هو الله سبحانه فغير متجه لأن ظاهر العطف التعدد مع انه يبعد التعبير عن الله سبحانه بمن عنده علم الكتاب ولا سيما مع عطفه على لفظ الجلالة فانه لا يحسن او لا يصح عطف الصفة على الموصوف ، ولا اشكال بدلالة الآية الكريمة على إمامة امير المؤمنين لاقتضاءها فضله الظاهر على غيره وعصمته لجمال الله سبحانه شهادته كافي في ثبوت نبوة نبيينا «ص» من حيث ظهور فضله ومعرفته وفهمه وكذله وعصمته واجتنابه الكذب والنقائص حتى عدت شهادته بقرن شهادة الله تعالى فلا يدان ان يكون هو الامام ولا سيما ان عنده علم الكتاب .

(آية يوم لا يخزي الله النبي)

قال المصنف نور الله ضريحه

(الثامنة والعشرون) قوله تعالى : (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) (١٥)
قال ابن عباس علي وأصحابه .

وقال الفضل

ظاهر الآية يدل على أنها في جماعة يكونون مع النبي في الآخرة وعلى من جلتهم لأن
عدم الخزيان في القيامة لا يختص بالنبي وعلى بل خواص أصحابه داخلون في عدم الخزيان
إن سلم لا يثبت النص المطلوب .

وأقول

قال المصنف في منهاج الكرامة : روى أبو نعيم مرفوعاً إلى ابن عباس قال : (أول
من يكسى من حل الجنة إبراهيم مخلته ومحمد لأنه صفوة الله ثم علي يزف بينهما إلى
الجنان ، ثم قرأ ابن عباس « يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه » قال علي وأصحابه)
وحكاة في كشف الغمة عن ابن مردويه عن ابن عباس ، وحكى أيضاً عن العز الحنبلي
نزول الآية بعلي وأصحابه فالمراد بالذين آمنوا فيها علي وأصحابه ؛ والمراد بأصحابه أتباعه
كما هو المنصرف ولذا ذكر باسمه الشريف وهم بالصحة فلا يدخل فيهم الخلفاء الثلاثة
لأنهم على ما يزعم القوم أئمة اعلمى ومتبوعون له فلا تشملهم الآية ؛ فيتمتع على الفضل
والامامة إذ لا أقل من دلالة الرواية على أنه رأس المؤمنين ورئيسهم .

وأما قوله ظاهر الآية يدل على أنها في جماعة الخ فصحيح وهو صريح الرواية فتشمل
الآية النبي «ص» وعلياً «ع» وأصحابه وهم شيعة من خواص الصحابة وغيرهم ؛ ولا
بنافي صحة رواية أبي نعيم تصريحها بزفاف علي بين الرسولين الكريمين فإنه لا يقتضي

فضله على نبينا «ص» بل هو لخصوصية كتقديم ابراهيم والنبي «ص» معاً بالكسوة لخصوصية الحلة لا المساواة بينهما ويعرف ذلك من جعل النبي «ص» في الحديث صفوة الله فانه ينفي احتمال مساواته لابراهيم وفضل علي «ع» على النبي .

(آية اولئك هم خير البرية)

قال المصنف أعلى الله درجته

(التاسعة والعشرون) قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) (١) « روى الجمهور عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله «ص» : هم أنت يا علي وشيعتك ، تأتي أنت وشيعتك راضين مرضيين وبأبي أعدائك غضاباً مقمحين .

وقال الفضل

هذا غير مذكور في التفاسير بل الظاهر العموم وإن سلم فلا نص .

وأقول

نقل السيوطي في الدر المنثور نحو الحديث المذكور عن ابن عدي عن ابن عباس ، ونقل مثله أيضاً ابن حجر في الصواعق في الآية الحادية عشرة وهي الآية المذكورة عن الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس أيضاً ، كما نقله المصنف (ره) في منهاج الكرامة عن أبي نعيم عن ابن عباس ، ونقل السيوطي أيضاً عن ابن مردويه انه أخرج عن علي «ع» قال : (قال لي رسول الله «ص» ألم تسمع قول الله تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية » أنت وشيعتك موعدي وموعدكم الخوض اذا جئت الامم للحساب تدعون غراً محجلين) ، ونقل السيوطي أيضاً عن ابن عساكر انه أخرج عن جابر بن عبد الله قال : (كنا عند النبي «ص» فأقبل علي «ع» فقال النبي :

والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفأزون يوم القيامة ونزلت « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية » فكان أصحاب النبي «ص» إذا قبل علي «ع» قالوا جاء خير البرية : ونقل أيضاً عن ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً (علي خير البرية) ، إلى غير ذلك من الأخبار المعتبرة ولو لاعتضاد بعضها ببعض : مع موافقتها لأخبارنا الدالة على زول الآية بعلي وشيعته خاصة ، فقول الفضل بل الظاهر العموم : لا وجه له ولا سيما ان غير علي وشيعته هم مخالفوه وأعداؤه وهم شر البرية لما استفاض من ان من عاداه عادى الله ورسوله .

ومن الغريب دعوى ابن حجر ان السنة شيعة فلنما مع مخالفتها لما يتبادر من لفظ الشيعة مكابرة لما أكتنته ضمائرهم من الميل عنه ، وكيف يكونون من شيعة وهم لا يروون نصافي إمامته ولا منقبة توجب أفضليته إلا واحتالوا ردها بكل حيلة وتشكيك وإن خالفوا العدل والانصاف ، واستشهد لدعوى انهم شيعة بأخبارهم وهو كما ترى ، على انه لا ريب ان المراد بشيعة علي «ع» أتباعه فان كان الخلفاء الثلاثة أتباعه ثم مطلوبنا وإن لم يكونوا أتباعه بل أئمتهم كما يزعم القوم فلا يكونون شيعة ومن خير البرية فلا يعقل أن يكونوا أئمتهم ، فلا آية الشريفة تدل على إمامته أحسن دلالة . هذا وقد أعرب ابن تيمية هنا عما في ضميره وسود وجهه صحتين يغني في رد ما قد يحتاج منها إلى الرد ما ذكرناه ويكفي في فساد الباقي مجرد النظر فيه .

آية هو الذي خلق من الماء بشراً

قال المصنف أمهل الله نزاه

(الثلاثون) قوله تعالى : (هو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً) (١) قال ابن سيرين نزلت في النبي وعلي ، زوج فاطمة علياً .

ليس هذا من تفاهير أهل السنة وإن صح دل على فضيلته وهي مسلمة ولا تثبت النص

وأقول

نقله المصنف (ره) في منهاج الكرامة عن الثعلبي ونقله غيره عن ابن مردويه وقال في بناء المودة : « أبو نعيم الحافظ وابن المغازلي أخرجا بسنديهما عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال : (نزلت هذه الآية في خمسة أهل العبا) ثم قال - أي ابن عباس - (المراد من الماء نور النبي «ص» الذي كان قبل خالق الخلق ثم أودعه في صلب آدم ثم نقله من صلب إلى صلب إلى أن وصل إلى صلب عبيد المطلب فصار جزءين جزءاً إلى صلب عبدالله فولد النبي «ص» وجزءاً إلى صلب أبي طالب فولد علياً ثم ألف الكلاح فزوج علياً بفاطمة فولد حسناً وحسيناً) أيضاً الثعلبي وهو وفق بن أحمد الخوارزمي عن أبي صالح عن ابن عباس ، أيضاً ابن مسعود وجابر والبراء وأنس وام سلمة قالوا : (نزلت في خمسة من أهل العبا) انتهى ما في البناء ، ويؤيد هذه الأخبار ما سيأتي في أول الأخبار من السنة من أن نور محمد وعلي خالق قبل خالق آدم ثم أودع في صلبه .

وعلى ذلك فحاصل معنى الآية الكريمة أنه سبحانه خالق بشراً من الماء أي ماصار ماء وكانت نوراً مودعاً في صلب آدم فجعل البشر نسباً . وهو محمد لأنه نسب لفاطمة والحسين وجعله صهراً وهو علي . وحينئذ فدلالة الآية الشريفة على إمامة أمير المؤمنين ظاهرة لأن اتحاد نورها الذي سبق آدم دليل على امتياز علي بالفضل حتى على الأنبياء ومن كان كذلك يتعين للإمامة لاسباب وفي بعض أخبار النور الآتية أن النبي (ص) قال : (فأخرجني نبياً وأخرج علياً وصياً) وفي بعضها (في النبوة وفي علي الإمامة) ولو سلم أن المراد بالماء في الآية غير النور فلا ريب أن جعل الآية الشريفة محمداً وعلياً خاصة بشراً واحداً بأي جهة من جهات الوحدة منقسم في الخارج إلى نسب وصهر دليل على فضل علي وأنه نفس النبي (ص) ونظيره فيكون أفضل الخلق وأحقهم بالإمامة

(آية وكونوا مع الصادقين)

قال المصنف اعلى الله درجته

(الحادية والثلاثون) قوله تعالى : (وكونوا مع الصادقين) (١٥) روى الجمهور انها نزلت في علي وكذا قوله تعالى : (واركعوا مع الراكعين) (٢٥) انها نزلت في رسول الله وعلي .

وقال الفضل

نزلت قوله تعالى : (وكونوا مع الصادقين) في الثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك وانهم صدقوا رسول الله (ص) فأنجاهم الله وكذب المنافقون فهلكوا ، فأمر الله تعالى (وكونوا مع الصادقين) وخطب المؤمنين حتى لا يهلكوا بالكذب كالمصدقين وإن صح دل على الفضيلة لا على النقص كسائر أخوانه .

وأقول

حكى المصنف (ره) في منهاج الكرامة ما ذكره هنا في شأن نزول الآية عن أبي نعيم عن ابن عباس ، ونقل السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه انه أخرج عن ابن عباس في قوله تعالى : (وكونوا مع الصادقين) قال : مع علي بن أبي طالب ، ونقل مثله عن ابن عساكر بسنده إلى أبي جعفر الباقر (ع) ، والمراد بالسكون معه ليس هو الحضور الخارجي بالضرورة ، بل المراد اتباعه في كل ما يراه به الاتباع والعمل شرعاً لاقتضاء الاطلاق له ، فتدل الآية على عصمة أمير المؤمنين (ع) لوصفها له بالصدق أي في الأعمال والأقوال كما يقتضيه الاطلاق ولقبج الأمر باتباع من لا يؤمن عليه مخالفة أحكام الله عمداً أو خطأ وللزوم اجتماع الضدين وجوب الاتباع وحرمة لوفعل المعصية ، فاذا أفادت الآية عصمة أمير المؤمنين (ع) ثبتت إمامته لأن العصمة شرط

الامامة كما سبق ، ولا عصمة لغيره من الصحابة بالاجماع . مع ان الأمر باتباع الامة لشخص على الاطلاق ظاهر في إمامته لهم ؛ ومما ذكرنا يعلم بطلان حمل الصادقين على مطلق المهاجرين والأنصار أو خصوص الثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك كما ذهب إلى كل منها بعض المفسرين وذلك لعدم عصمة هؤلاء .

هذا والظاهر ان المخاطب بالاتباع في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) هو جميع المؤمنين بكل زمان لا خصوص الصحابة ؛ فيسدل على وجود معصوم واجب الاتباع بكل وقت فكان هو محمداً (ص) في وقته وعلياً في وقته والأئمة الطاهرين من آلهما بعدها ، كما يقتضيه أيضاً كون الصادقين صيغة جمع ، وإنما خصت الروايات السابقة علياً «ع» للفراغ عن وجوب اتباع النبي (ص) ولأن علياً «ع» أول الأئمة وأصلهم فوجوب اتباعهم فرع وجوب اتباعه . ويشهد لذلك ما في شارب المودة عن موفق ان أحمد بسنده عن ابن عباس قال الصادقون محمد وأهل بيته ، وفيها نحوه عن أبي نعيم عن الصادق (ع) وفيها عن أبي نعيم وصاحب الشناقب عن الباقر والرضا (ع) قالوا : ان الصادقون هم الأئمة من أهل البيت (ع) ، وقد تنبه الرازي لدلالة الآية الكريمة على وجود المعصوم بكل وقت إلا انه زعم ان المعصوم هو مجموع الامة أي مجموع علمائها وأهل الحل والعقد ؛ فتدل الآية على حجية الاجماع ، وفيه مع عدم تيسر تحصيل الاجماع في كل وقت أو امتناعه فلا يوجد حتى يأمر باتباعه ، أن المجموع بما هو مجموع لا يوصف بالصادق ، ولو سلم فالمجموع من حيث هو مجموع ليس ممن يعقل فلا يجمع وصفه جمع المذكر السالم ، ولو سلم جوازه ولو مساححة بلحاظ ان اجزاء المجموع وهي الافراد ممن يعقل فلا ريب ان إرادة المجموعات خلاف الظاهر فان المنصرف من الصادقين هو الافراد لا المجموعات ، فتدل الآية على وجوب السكون مع الافراد الصادقين المعصومين واتباعهم في كل وقت وهو المطلوب ونحن متبعون لآمان زماننا بالاقرار بامامته والاخذ بأحكامه وإن لم نجتمع معه ونسعد بطبعته .

وقد أشكل الرازي على إرادة أئمتنا من الصادقين بقوله : (انه تعالى أوجب على كل واحد من المؤمنين أن يكون مع الصادقين وإنما يمكنه ذلك لو كان عالمًا بأن ذلك

الصادق من هو، لا الجاهل بأنه من هو، فلو كان مأموراً بالكون معه كان ذلك تكليف مالا يطاق وأنه لا يجوز لأننا لانعلم انساناً معيناً موصوفاً بوصف العصمة (وفيه انه يمكن معرفته فيجب البحث عنه مقدمة لاتباعه وقد أوضح الله سبحانه السبيل إلى معرفته بقيام الأدلة الكثيرة الواضحة ولم يجهاها إلا معاند كما عرفت وبأني .

ثم ان ابن تيمية قد سرد هنا من الخرافات والاغاليط ما يبيع بكل أحد نقله والتعرض لردّه ولا أدري كيف يفوه بها وهو قد صور نفسه بصورة الفضلاء وقرن نفسه بالعلماء .

واعلم ان الفضل لم يتعرض للجواب عن قوله تعالى : (واركعوا مع الراكعين) ولا يبعد انه اكتفى عنه بما ذكره في أخواته من انه إن صح لا يدل على النص ، وفيه ان الآية لما ساوت بين النبي (ص) وعلي في الأمر باتباعها فقد دلت على ان علياً بمنزلة النبي (ص) في وجوب اتباعه فيكون أفضل من غيره ويكون هو الامام ، على ان الآية لما عبرت عن وجوب اتباعها بالركوع مع الراكعين فقد دلت على انها أسبق من غيرها في العبادة لله تعالى كما تقتضيه التسمية وصرحت به الرواية فانها كما ذكرها المصنف (ره) في منهاج السكرامة هكذا من طريق أبي نعيم عن ابن عباس (انها نزلت في رسول الله وعلي خاصة وهما أول من صلى وركع) ومن المعلوم ان السبق إلى العبادة والطاعة فرع الفضل والفضل يستدعي الامامة .

(آية اخوانا على سرر متقابلين)

قال المصنف فرس سره

(الثانية والثلاثون) قوله تعالى : (اخواناً على سرر متقابلين) (١) في مسند أحمد ابن حنبل انها نزلت في علي .

وقال الفضل

صح الرواية عندنا أن أمير المؤمنين (ع) بعد وقعة الجمل كان يقول وأنا أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير كما يقول الله تعالى : (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين) هكذا صح وان صح ما رواه فهو من الفضائل المسلمة ولا دليل به على النص .

وأقول

ما صح عندهم سقيم عندنا وعند كل عاقل وإلا لكان التكليف لغواً والدين لعباً ، أترى ان أحداً يخرج على إمام زمانه الذي يقول فيه رسول الله « ص » حربه حربى وينهب بيت مال المسلمين ويأف بالالوف بالالوف ويقتل ما لا يحصى منهم ثم يقتل فى ميدان الحرب او خارجه على عناده من دون اصلاح لما افسد ، ومع هذا يكون عند الله تعالى قريباً لتلك الامام المصلح الأعظم ؟ ما أظن عاقلاً يرتضيه ! ثم ان الحديث الذي ذكره المصنف هنا قد نقله في منهاج السكرامة مفصلاً ونقله سبط ابن الجوزي عن أحمد في الفضائل وكذا صاحب كنز العمال (١) ولندكر منه ما تتم به الفائدة قال المصنف (ره) من مسند احمد باسناده إلى زيد بن أوفى قال : دخلت على رسول الله (ص) مسجده ، وذكر قصة مؤاخاة رسول الله (ص) إلى أن قال فقال رسول الله (ص) والذي بعثني بالحق ما أخرجتكم إلا لانفسى فأنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا انه لاني بهدي وانت اخي ووارثي وانت معي في قصري في الجنة ومع ابنتي فاطمة فأنت أخي ورفيقي ثم تلا رسول الله (ص) : اخواناً على سرر متقابلين : وزعم ابن تيمية انه من زيادات القطيعي لامن نفس انفسد ، وذكر ان للحديث تنمة وهي ان علياً «ع» قال عند قول رسول الله (ص) وأنت أخي ووارثي : وما أرت منك يا رسول الله ؟ قال : ما ورث الأنبياء من قبلي ، قال وما ورث الأنبياء من قبلك ؟ قال كتاب الله وسنة نبيهم ، وذكر

السيط هذه التهمة ايضاً : وكذا صاحب كنز العمال : وقد أطال ابن تيمية القول هنا كمادته ، وذكر ما لا يحتاج به عاقل على خصمه وأدى به النصب إلى إنكاره. وإخافة النبي (ص) لعلي (ع) مع انها من أصح الأخبار كما ستعرف . ولا يستحق أن يذكر من كلامه شيء ، إلا إنكار صحة الحديث لضعف سند : وقد عرفت جوابه مراراً في المقدمة وبعدها : على أن السيط قد وثق رجال ماروا أحمد في الفضائل وقال هو من غير رواية عبد المؤمن والضعيف مارواه عبد المؤمن ، وسيأتي أن شاء الله تعالى في الآيات الخمسة والسبعين ما يؤيد هذا الحديث : وهو دال على إمامة أمير المؤمنين (ع) من وجوه والآيات تدل عليها من بعضها .

« الأول » وإخافة النبي (ص) له فانها تدل على فضله على سائر الصحابة بما سبته للنبي دونهم والأفضل هو الإمام .

« الثاني » قوله (ص) : { أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي } فانه أوضح دليل على إمامته كما ستعرف أن شاء الله تعالى .

« الثالث » انه ورث منه ميراث الأنبياء خلفائهم وأوصيائهم من الكتاب والسنة .

« الرابع » انه { ص } أخبر انها بقصر واحد وهو دليل الفضل والامتياز على الامة

« الخامس » انه { ص } أخبر بأنه من اهل الجنة وبين نزول الآية فيهم ، ومن الواضح

انه لا يصح اخبار شخص بعينه بأنه من اهل الجنة إلا مع العلم بعصمته او ان له ملكة

تحمزه عن الذنوب إعظماً لله تعالى حتى مع أمانه من ناره وإن أذنب نادراً خطأ

او عمداً مع التوبة . وإلا كان اخباره بأنه من اهل الجنة نقضاً للغرض وهو تجنب

المحرمات ، وكان تشجيعاً له على الحرام . لأنه اذا كذب الأمان من العقاب لم يحجزه

عن المعصية حاجز ، وبهذا يعلم كذب حديث تبشير العشرة بالجنة الذي رواه القوم

لاستناع أن يبشر النبي { ص } بالجنة من لا ملكة له تردعه عن الخروج على إمام زمانه

وقتل النفوس المحترمة وغضب الاموال المحرمة ، على أن راري حديث تبشير العشرة هو

منهم هو موضع التهمة عندنا : وفوق ذلك ضعف روايته ، ولذا لم يروه البخاري ومسلم

وقال البخاري لم يصح كما حكاه عنه في ميزان الاعتدال بترجمة عبد الله بن ظالم : وقال

العقيلي أيضاً لم يصح كما حكاه عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب بترجمة عبد الله أيضاً ، مضافاً إلى القرآن الدالة على كذبه كتجريح بعض بعض العشرة على عثمان يوم الدار حتى قتل فانه لا يجتمع مع كون الجميع من أهل الجنة مستحقين للبشارة بها على لسان الرسول (ص) وكاتفاق جل المهاجرين والأنصار على خلع عثمان والحكم بأنه آذ من المحرمات ما يستحق به العزل فانه يمتنع مع ما رعمه أهل السنة من عدالة الصحابة جميعاً أن يفعلوا ذلك بمن بشره النبي (ص) بالجنة ، وكعدم احتجاج عثمان به يوم الدار إلى غير ذلك من القرآن على كذبه .

وكيف كان فإذا كانت بشاردة الآية والرواية لأمر المؤمنين «ع» دليلاً على عصمته أو نبوت تلك المملكة له كان هو الأفضل والامام لأن أول الخلفاء الثلاثة وهو أعظمهم لم يكن كذاً فضلاً عن صاحبيه لأنه كما قال في خطبته عن نفسه : (أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم) ألا وإن لي شيطاناً يعتريني فإذا أناني فاجتنبوني لا أؤثر في أماركم وإشاركم) ولا أدري كيف يبرر النبي (ص) بالجنة من كان كذلك وؤمنه من النار حتى يكون ذلك سبباً لأن تهون عليه المعصية وظلم الامة ، والكلام في عمر وعثمان أعظم .

(آية وإذ أخذ ربك من بني آدم)

قال المصنف أعلى الله مفار

(الثالثة والثلاثون) قوله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم) ٩١٥ روى الجمهور قال رسول الله (ص) لو يعلم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله سمي أمير المؤمنين وآدم بين الروح والجسد ، قال الله عز وجل وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالت الملائكة بلى ، فقال تعالى أنا ربكم ومحمد نبيكم وعلي أميركم .

(١) الأعراب . الآية ١٧١ .

وفال الفضل

هذا من تفاسير الشيعة وليس من تفاسير المفسرين . والعجب انه لم يتابع المعترلة في هذه المسئلة فاتهم ينكرون اخراج الذر من ظهر آدم ويقولون هذا تمثيل وتخيل لاحقيقة له لأنه ينافي قواعدهم في نفي القضاء والقدر السابق وان صح النفل فيدل على ان علياً أمير المؤمنين وهذا مسلم لأنه كان من الخلفاء ولم يلزم منه نصر على انه أمير المؤمنين بعد النبي (ص) حتى يثبت به مطلوبه .

وأقول

إنما نسبته المصنف «ارد» إلى رواية الجمهور لا إلى تفسيرهم حتى ينفيه المعترض ، وقد ذكر المصنف روايه في منهاج السكرامة وهو الديلمي في الفردوس ، وهو من أقر له ابن تيمية بالعلم والدين ولم ينكر وجود الحديث في كتابه ، وإنما ناقش بامور اخر منها المطالبة بصحة الحديث وقدم جوابه مراراً ومنها ما ستعرف جوابه في طي الكلام الآتي وينبغي قبل بيان المطلوب التعرض للخلاف في أمراندر ، فنقول : ذهب الأشاعرة إلى وجوده واخراجه من ظهر آدم «ع» وأخذ الميثاق عليه ، وانكروه الامامية والمعتزلة واستدل الأشاعرة برواية مسلم ان عمر سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله (ص) سئل عنها فقال ان الله سبحانه خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ، وبما عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته إلى يوم القيامة ، وبما عن مقاتل ان الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرية يبضاء كهيئة الذر فتحرك ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال يا آدم هذه ذريتك ، ثم قال ألتست بربكم قالوا بلى ، إلى أن قال : وقال تعالى فيمن نقص العهد الأول : (وما وجدنا لأكثريهم من عهد)

واستدل الامامية والمعتزلة على بطلانه بمخالفته للآية لأنه تعالى يقول : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) ولم يقل أخذ من آدم من ظهره ذريته ، وبمخالفته لظواهر آيات آخر كقوله تعالى : (امتنا ائمتين وأحبيتنا ائمتين) فإنه لو صح أخذ الميثاق على الذر لكنت الموت ثلاثاً لأن أخذ الميثاق عليه يتوقف على حياته ولا رب يموت بعد ذلك إذ لا يمكن القول باستمرار حياته إلى هذا العالم الحاضر لشهادة الوجدان بعدم الحياة للنفطة والعلقة والنضغة ، فهذه مودة ، والثانية مودة الدنيا وقبلها حياة والثالثة مودة القبر وبعدها حياة ، وكقوله تعالى : (خلق من ماء دافق) فإنه ظاهر في خلق بني آدم من الماء الحادث وأنه أصلهم لا الذر كما أن أصل آدم هو الطين الذي هو مبدأ خلق الانسان .

واستدلوا أيضاً بمخالفته للعقل من وجوه : (منها) أن أخذ الميثاق إنما يصح من العاقل ولو كان الذر ممن يعقل لما نسيه الناس كلهم وبهذا يبطل القول بالتناسخ ، ودعوى الفرق - بأن التناسخ مبني على دعوى نسيان ما مارسه كثيراً وبقيت فيه دهرراً طويلاً وهو محال جزماً ، بخلاف أخذ الميثاق فإنه لم يطل وقته ولا يمتنع عادة في مثله أن يتعلق النسيان - باطلة لأن نسيان الناس كلهم ما وقع منهم وإن لم يطل وقته أيضاً محال عادة ، (منها) أن أخذ الميثاق على الذر أن كان ليصير حجة عليهم في ذلك الوقت فباطل لأنه ليس وقت تكليف بالاجماع ، وإن كان ليصير عليهم حجة بعد البلوغ أو يوم القيامة فلفروض عدم تذكر أحد له .

وأجاب الرازي بأنه يمكن أن يكون أخذ الميثاق ليميز الملائكة في ذلك الوقت السعيد من الشقي ، وبرده أن الآية قالت أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين وهو يدل على أن الفائدة في أخذ الميثاق عليهم هو كونه حجة عليهم لتمييز الملائكة ببر السعيد والشقي ، على أن التمييز أن كان بنقض العهد وحفظه فيها في هذه الحياة الفعلية لا حين أخذ الميثاق ، وإن كان بالبياض والسواد كان أخذ الميثاق لغواً فيبطل جعل التمييز فائدة لأخذ الميثاق ، اللهم إلا أن يقال أن الله سبحانه كما أرى للملائكة أخذ الميثاق على الناس في عالم الذر يمكن أن يكون أراهم أيضاً كيف ينقضون العهد أو يحفظونه في الحياة الدنيوية

فيكون التمييز فائدة لأخذ الميثاق بما يقتضيه من إراءة نقض العهد وحفظه ، ولكن بشكل باغناء البياض والسواد عنه في التمييز مع دلالة الآية كما عرفت على ان الفائدة في أخذ الميثاق كونه حجة عليهم لتمييز الملائكة : فلا بد أن يكون معنى الآية ان الله عز وجل أخرج ذرية بني آدم من ظهورهم لسكونهم نطفة في أصلابهم وأشدهم على أنفسهم فقال لهم بما أراهم من عجائب الصنع في أنفسهم ألسنت بربكم ؟ فقالوا بلى شهدنا بلسان حالهم وحاجتهم إلى مدبر لهم يخرج النطفة ثم يحملها علقة ثم مضغة ثم بشراً سوياً ، ولهذا نظرنا في الكتاب العزيز وغيره قال تعالى : (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) فان قولها أتينا طائعين إنما هو بلسان الحال وقال الشاعر :

امتلاً الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

فإذا عرفت هذا فنقول استدلال المصنف «ره» بما ذكره ، (اما) مبنى على إزام الأشاعرة بمقتضى مذهبهم من صحة أخذ الميثاق على الذر ووقوعه فإذا دلت رواية الفردوس على أخذ الميثاق بامرة على «ع» كان لازماً لهم وان لم تذكره الآية الشريفة لجواز الاكتفاء عن ذكره بذكر أخذ الميثاق بالربوبية لأن الامامة من نواع الربوبية ولوازمها لتكون بالامام لله الحجة على الناس : لكن يبقى عليه سؤال ان الرواية تقول : (وآدم بين الروح والجسد) وفي هذه الحال لا وجود للذر ولا يقول الأشاعرة بأخذ الميثاق فيه فانهم إنما يقولون به بعد تعلق الروح بآدم : وقد يجاب عنه بأنه مجاز في النسبة للبالغة في تقدم أخذ الميثاق : و (اما) مبني على ما يقوله الامامية من الاشهاد بلسان حال ابداء الصنع العجيب والشهادة بلسان حال الحاجة فان البشر كما يحتاج إلى خالق يحتاج إلى حجة من رسول أو إمام . لكن يبقى عليه أيضاً سؤال ان هذا إنما يقتضي وجود حجة بلا تعيين فن أين يتعين محمد وعلي كما ذكرته الرواية ، وقد يجاب عنه بأن التعيين إنما هو للتنصيص من الله تعالى الذي أظهره للملائكة .

وإنما أضاف النبوة والامرة إلى ضمير خطاب الملائكة فقال نبيكم وأميركم ، لانه يجب عليهم الاقرار بنبوة محمد وإمرة علي فأضاف اليهم بهذا الاحتياط ، ولأن المراد بالضمير الأعم من الملائكة امة محمد فغللت الملائكة بحجة الخطاب والامة بحجة ان النبوة والامرة

لهم ، ويبقى أيضاً سؤال ان الرواية تريد تطبيق ما ذكرته على الآية وهو غير منطبق لان الآية بناء على تفهيم الامامية إنما ذكرت شهادة الذرية بلسان الحال المتأخر والرواية ذكرت شهادة الملائكة في القسدم ، وقد يجاب عنه بجواز وقوع الشهادة منها فالذرية بلسان الحال المتأخر والملائكة بلسان المقال المتقدم .

وكيف كان فالرواية قاضية بامرة علي «ع» حتى على الخلفاء الثلاثة لانهم ممن أخذ عليه الميثاق ولأن أخذ الميثاق بامرته منع نبوة محمد «ص» دليل على انه خليفته بالافضل وإلا فلا وجه لترك السابقين عليه .

(آية وصالح المؤمنين)

قال المصنف نور الله ضريحه

(الرابعة والثلاثون) قوله تعالى : (وصالح المؤمنين) «١» أجمع المفسرون وروى الجمهور انه علي عليه السلام .

وقال الفضل

هذه الآية في سورة التحريم وهي نازلة في شأن عائشة وحفصة واتفق المفسرون ان المراد من صالح المؤمنين أبو بكر وعمر لأن صدر الآية هكذا : (وان تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) يعني ان تظاهرا عائشة وحفصة على جنب رسول الله «ص» من نسائه فإن الله مولاه وجبريل بأن يخبره عن صنيعهما وصالح المؤمنين المراد به أبواهما فانها كانا ينصحانهما بترك الأفعال التي تكون للضررات ، وان صح نزوله في أمير المؤمنين فلا شك انه صالح المؤمنين وان كان لا يدل على النص المدعى

وأقول

أراد المصنف «ره» باجماع المفسرين عدم اختصاص مفسري الشيعة به وان كان

الموافق لهم بعض خصومهم فقد نقل القول به عن مجاهد وقال ابن تيمية : (وقيل هو - أي صالح المؤمنين - علي ، حكاه الماوردي) وقد استفاضت به رواية القوم فقد نقل السيوطي في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم أنه أخرج عن علي «ع» عن رسول الله (ص) أن صالح المؤمنين علي ، ونقله أيضاً عن ابن مردويه وابن عساكر بإسناديهما عن ابن عباس ونقله أيضاً عن ابن مردويه بإسناده عن أسماء بنت عميس عن رسول الله «ص» ، ونقله المصنف «ره» في منهاج الكرامة عن أبي نعيم عن أسماء ، وحكاه محمد بن أبي طلحة الشافعي في كتابه ، طالب السؤال عن الثعلبي عن أسماء ، قالت لما نزل قوله تعالى (وان تظاهرا) الآية ، سمعت رسول الله «ص» يقول صالح المؤمنين علي «ع» ، وحكاه في بنابيع المودة عن أبي نعيم والثعلبي عن أسماء ، ونقله السيد السعيد «ره» عن السدي في تفسيره عن أبي مالك وابن عباس ، إلى غير ذلك من أخبارهم ، وهي حجة عليهم لكثرتها واعتضاد بعضها ببعض ، ولا يعارضها روايتهم عن ابن عباس أن صالح المؤمنين أبو بكر وعمر ، لأن الراوي لها هو عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه كما بينه في ميزان الاعتدال بترجمة عبد الوهاب ، وقد سبق في المقدمة بيان حاله وحال أبيه - فراجع ، ولا يمكن أن تمارض هذه الرواية الباطلة منتهى الضعف تلك الروايات المستفيضة مع أن المنصرف من صالح المؤمنين هو الأُوحد في الصلاح كما يعرف من نظائره ، يقال شاعر القوم وعالمهم وشجاءهم وبراد به أو حدم في الوصف ، ولا شك أن أمير المؤمنين «ع» هو الأحق بهذا الوصف لآية التطهير وغيرها ، ولأن الله سبحانه جعل نصرة صالح المؤمنين للنبي «ص» في قرن نصرته ونصرة جبرئيل ، وبالضرورة أن أظهر المؤمنين في نصرة رسول الله «ص» هو أمير المؤمنين «ع» ، على أن استعمال صالح المؤمنين في الاثنين خلاف الظاهر فإن فاعلا ليس كفعيل في استعماله في الواحد والاكثَر وبهذا يضعف ما حكاه السيوطي عن ابن عساكر عن مقاتل بن سليمان أن صالح المؤمنين أبو بكر وعمر وعلي ، وقد يستدل بقول مقاتل على أن المراد بصالح المؤمنين هو علي خاصة لما سبق من أن مقاتلاً من أعداء أمير المؤمنين «ع» فلا يكون ذكره له وهو من أعدائه إلا لمعلومية إرادته وليروج منه إدخال الشيعين فإنه أدفع للتهمة

فإذا عرفت ان المراد بصالح المؤمنين أو أحدهم صلاحاً وانه على «ع» عرفت انه الأحق بالإمامة لأنها منزلة دينية لا يابى لها إلا الصالح الأقوى في النصرة
وأما ما زعمه الفضل من اتفاق مفسريهم على ان المراد بصالح المؤمنين أبو بكر وعمر فلا يعارض أخبارهم السابقة التي هي حجة عليهم وأي عبرة بالقول الناشئ عن الهوى المتفرع عن تلك الرواية الضعيفة لاسيما وهو مخالف للغة : على ان دعوى اتفاقهم كاذبة لاختلاف مفسريهم في المراد به أهو الصحابة أو خيار المؤمنين أو الأنبياء أو الخلفاء إلى غير ذلك من أقوالهم كما ذكره الزمخشري وأرازي وغيرهما .
وأما ما احتج به الفضل لارادتها بأنها كانا يناصحتانها فغير نافع لأن الله سبحانه أراد بالآية تهديد المرأتين فأى دخل للمناصحة به ، كما ان حمله لنصرة جبرئيل على مجرد الاخبار باطل فان المراد بها ما فوق الاخبار لقوله تعالى : (والملائكة بعد ذلك ظهیر) فياشء ما أشد ايداءهما لسيد النبيين «ص» واعظم مكرها حتى يحتاج ردها إلى التهديد بنصرة الله تعالى وجبرئيل وأمير المؤمنين الذي لا تأخذه في نصره رسول الله لومة لائم فلو انكلتا على حلمهم فشكل الملائكة بعد ذلك ظهیر ، والانسان لا يأمن عقوبة هذا الجم الغفير وما اكبر خيانتها لنبيه «ص» حتى ضرب لهما مثلاً بامرأتي نوح ولوط فتدبروا وعجب .

(آية اليوم اكملت لكم دينكم)

قال المصنف رفع الله درجته

(الخامسة والثلاثون) قوله تعالى : (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) (١٥) الآية ، روى الجمهور عن أبي سعيد الخدري ان النبي «ص» دعا الناس إلى على «ع» في يوم غدیر خم وأمر بما تحت الشجرة من الشوك فقم فدما عليها فأخذ بضميمه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض ابطي رسول الله «ص» وعلي «ع» ثم لم

يشرفوا حتى نزلت هذه الآية : (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) فقال رسول الله « ص » : الله اكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضي الرب برسالي والولاية لعلي بن أبي طالب من بعدي . ثم قال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله .

وقال الفضل

في صحيح البخاري ومسلم ان هذه الآية نزلت في حجة الوداع ليلة عرفة حين قام رسول الله « ص » في الموقف ولا خلاف في هذا والذي ذكره من مفتريات الشيعة وان صح فقد ذكرنا قبل هذا ان وصية غدبر خم لم تكن نصاً بل توصية لأهله وأقاربه وتعريف علي بن العرب وليتخذوه سيد بني هاشم .

وأقول

حكاه المصنف « ره » في منهاج السكرامة عن أبي نعيم وقال السيوطي في الدر المنثور (أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال لما نصب رسول الله « ص » علياً يوم الغدير فنادى له بالولاية هبط جبرئيل بهذه الآية اليوم اكملت لكم دينكم) وقال أيضاً : (أخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة قال : لما كان يوم غدبر خم وهو يوم ثمانين عشرين ذي الحجة قال النبي « ص » : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فأُنزل الله : اليوم اكملت لكم دينكم) ونقل السيد السعيد « ره » مثل ذلك عن ابن جرير الطبري وابن عقدة فيما جماعه من طرق حديث الغدير ، وعن الثعلبي وابن المغازلي والحافظ محمد الجزري الشافعي في رسالته المسماة بأسنى المطالب في مناقب علي ابن أبي طالب : فظهر ان الذي ذكره المصنف « ره » من روايات القوم وهي كثيرة متعاضدة فهي حجة عليهم .

واما مناقله الفضل عن الصحيحين فهو من رواية عمر الذي هو أساس نقض عهد الغدير فكيف تعتبر روايته على ان رواية الفضل لا تقوم حجة على خصمه فكيف يحتاج

علينا بهذه الرواية التي نعتقد انها من موضوعات عمر او اوليائه ، ثم ان قوله تعالى : (وأتممت عليكم نعمتي) ادل دليل على نصب إمام ، حيث أنه اعظم النعم على الامة وبدونه لن تتم النعمة ، وكذا إكمال الدين فانه إنما يحصل بنصب الامام بناء على ان الامامة من اصول الدين كما نقوله وسبق دليله ، والضرورة والاجماع ان كان ثمة إمام منصوب فهو امير المؤمنين عليه السلام .

واما قوله فقد ذكرنا قبل هذا الخ فقد عرفت ما فيه ، ومن المضحك قوله وتعريف علي بن العرب فان علياً «ع» أغنى الناس عن التعريف شخصاً وشأننا فان كان هناك تعريف فليس هو إلا بالامامة ، ولا أعرف وجهاً للتخصيص ببني هاشم في قوله وليتخذود سيد بني هاشم إلا دفع سيادة امير المؤمنين لخلقائهم خلافاً لرسول الله «ص» إذ يقول من كنت مولاه فعلي مولاه فان المولى هو السيد الاول بالتصرف بالمولى عليه من نفسه كما يشهد له فهم الفضل لسيادته من الحديث وان خصها ببني هاشم ، والعجب منه حيث لم يقر بما أقر به إمامه عمر إذ قال لعلي «ع» : مني خرج اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، وفي رواية قال له الشيخان ذلك كما سبق ، ثم لا أدري أي عاقل يتصور أن تكون غاية النبي «ص» فيما فعله بتقدير خم مجرد جعل علي «ع» سيداً لبني هاشم ، وما الفائدة في اتخاذ العرب له سيداً لبني هاشم ، فانظر إلى هؤلاء كيف خالفوا الضرورة لجحد فضل سيد المسلمين .

سورة النجم

قال المصنف طاب مرقره

(السادسة والثلاثون) قوله تعالى : (والنجم اذا هوى) روى الجمهور عن ابن عباس قال : كنت جالساً مع فئة من بني هاشم عند النبي (ص) اذا انقض كوكب فقال رسول الله (ص) : من انقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي ، فقام فئة من بني هاشم فنظروا فاذا الكوكب قد انقض في منزل علي بن ابي طالب فقالوا :

يارسول الله لقد غويت في حب علي فأَنْزل الله : (والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى) .

وفال الفضل

آثار الوضع والافتراء على هذا النقل ظاهر لاخفاء به فان هذه السورة نزلت في أوائل بعثة النبي «ص» وابن عباس لم يولد فكيف روى هذا الحديث ، ثم نسبته الغواية إلى النبي «ص» في حب علي وربط الآية بها في غاية الركاكزة ولا يخفى هذا ولو صح دل على وصايته والوصاية غير الخلافة .

وأقول

نقله المصنف «ره» في منهاج الكرامة عن ابن المغازلي الشافعي عن ابن عباس ، ونقله السيد السعيد «ره» عن أبي حامد الشافعي ، وذكر ابن تيمية روايتين أيضاً احدهما عن ابن عباس والاخرى عن أنس ، زعم أبو الفرج انها من الموضوعات لضعف سنديهما وكون الاولى مروية عن ابن عباس وهي مصرحة بانقضاء النجم بأثر المعراج وابن عباس حينئذ ابن سفتين فكيف يشهد تلك الحالة أي حالة الانقضاء ويرويها ، وكون الثانية عن أنس وهو إنما خدم النبي «ص» بالمدينة والمعراج قبل الهجرة بسنة ، وفيه مع ما عرفت مزاراً من ان ضعف سند الرواية عندهم في فضل أمير المؤمنين «ع» ولا سيما المتعلقة بخلافته غير ضائر في صحتها ، أن الرواية اذا تعددت أسانيدھا قوي اعتبارھا ولا سيما مع موافقتها للاخبار الكثيرة المصرحة بخلافة علي «ع» ووصايته . واما قوله ان ابن عباس كان حين المعراج ابن سفتين فغير مسلم ذكر في الاستيعاب بترجمة ابن عباس من طريق عبيد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : توفي رسول الله «ص» وأنا ابن خمس عشرة سنة ، قال عبد الله قال أبي وهذا هو الصواب ، فيكون ابن عباس حين الهجرة ابن خمس سنين ، كما قال ابن تيمية له نحو خمس سنين ، وقال به كثير منهم ، وحينئذ فله عند المعراج أربع سنين

ولا شك ان مثله في معرفته وذكائه يلتفت إلى مثل ذلك ، كيف لا وقد روى الروايات الكثيرة عن النبي «ص» المتعلقة بالأحكام والامور الخفية وهو صبي فكيف لا يحسن أن يروي وهو ابن أربع سنين ماشاهده من الأمر الغريب الذي يلتفت اليه سائر الصبيان واما أنس فيمكن أن يكون جاء بصحبة أحد إلى مكة قبل الهجرة بسنة فشهد ما شاهد .

واما ما زعمه الفضل وابن تيمية من ان سورة النجم نزلت في أوائل البعثة فمنوع نعم قيل انها مكية وهو لا يقتضي ما زعماه ، وقد ذكر ابن تيمية هنا ما لا يستحق الجواب وان تكافنا برد بعضه في طي الكلام الآتي .

واما ما زعمه الفضل من الركافة في نسبة الغواية إلى النبي «ص» وربط الآية بها ، ففيه ان الكافرين والمنافقين اذا لم ينسبوا الغواية له في حب علي فن ينسبها اليه وليست هي بأعظم من نسبة الهجر له كما ان تلك النسبة ليست بغريبة من نبي هاشم فأنهم ليسوا بأعظم من أولاد يعقوب الذين صاروا بزعم القوم أنبياء وقد نسبوا إلى أبيهم الضلال في حب يوسف «ع» .

واما ربط الآية بنسبة الغواية إلى النبي «ص» في هوى علي «ع» وبيان وصيته فأوضح حالا من تجاهل الفضل .

واما قوله ان الوصاية غير الخلافة فباطل لأن غير الخلافة لا يحتاج إلى هذا البرهان اعظم ولا يوجب نسبة النبي «ص» إلى الغواية ، مع ان روايتي ابن تيمية مصرحتان بالخلافة فان النبي «ص» قال في احدهما في دار من وقع هذا النجم فهو خليفتي من بعدي وفي الاخرى من انقض في داره فهو الخليفة بعدي .

ثم ان النجم الذي هوى يحتمل أن يكون من نجوم السماء انزله الله تعالى بحرم صغير في دار علي «ع» معجزة ليجعله آية ظاهرة لأمامة أمير المؤمنين «ع» كما شق القمر وانزله بحرم صغير إلى الأرض معجزة لرسالة النبي (ص) ، ويحتمل ان يكون من غيرها فان الآيات الالهية لا يستبعد فيها شيء ممكن ، كما لا يستبعد بيان خلافة أمير المؤمنين (ع) بمكة لتتظافر الحجج عليهم فانه يعلم عاقبة قریش مع علي (ع) ،

كما لا يمنع من بيانها صغر سنه ولذا نص له بالخلافة في أول رسالته عندما أنزل الله سبحانه وإنذر عشيرتك الأقربين وجمع بني هاشم كما سيأتي إن شاء الله تعالى .
ثم انه لا ينافي وجه النزول التي ذكرته تلك الروايات ما حكاها السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه انه أخرج عن أبي الحمراء وحبّة العريني قالا : (أمر رسول الله «ص» ان تسمد الأبواب التي في المسجد فشق عليهم - إلى أن قالا - فقال رجل : ما بالو يرفع ابن عمه ، فلم يسمع رسول الله «ص» انه شق عليهم فدعا بالصلاة جامعة فلما اجتمعوا صعد المنبر ، فلم يسمع رسول الله «ص» خطبة قط كان ابلاغ منها تعجيداً وتوحيداً ، فلما فرغ قال : أيها الناس ما أنا سدّدتها ولا أنا فتحتها ولا أنا أخرجكم وأسكنته ، ثم قرأ { والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى } وإعنا قلنا انه لا ينافية لأن هذه الرواية لا تقتضي إلا استشهاد النبي (ص) بالآيات إذ لم يهو . نجم حينئذ فلا تنافي نزولها سابقاً في أمر خلافة أمير المؤمنين (ع) .

(سورة العاديات)

قال المصنف فرس الله روم

(السابعة والثلاثون) أقسم الله تعالى بخيل جهانه في غزوة السلسلة لما جاء جماعة من العرب واجتمعوا على وادي الرملة ليبيتوا النبي (ص) بالمدينة فقال النبي لأصحابه : من لهؤلاء ؟ فقال جماعة من أهل الصفة فقالوا : نحن فول علينا من شئت فأقرع بينهم فخرجت الرقعة على ثمانين رجلاً منهم ومن غيرهم ، فأمر أبا بكر بأخذ اللواء والمضي إلى بني سليم وهم بطن الوادي ، فهزموهم وقتلوا جمعاً من المسلمين وانهزم أبو بكر ، وعقد لعمر وبعثه فهزموه فساء النبي (ص) فقال عمرو بن العاص ابعثني يا رسول الله فأنفذ فهزموه وقتلوا جماعة من أصحابه ، وبقي النبي (ص) أياً يدعو عليهم ، ثم طلب أمير المؤمنين (ع) وبعثه إليهم ودعا له وشييعه إلى مسجد الأحزاب وأنفذ معه جماعة منهم أبو بكر وعمر وعمرو بن العاص فصار الليل وكن التهار حتى استكمل الوادي من

فه ، فلم يشك عمرو بن العاص انه يأخذهم فقال لأبي بكر هذه ارض سباع وذئباب وهي أشد علينا من بني سليم والمصلحة ان نعلمو الوادي واراد إفساد الحال وقال قل ذلك لأمر المؤمنين فقال له ابو بكر فلم يلتفت اليه ثم قال لعمر فلم يحبه امير المؤمنين (ع) وكبس على القوم الفجر فأخذهم ، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى (والعاديات ضبحاً) السورة ، واستقبله النبي (ص) فنزل امير المؤمنين وقال له النبي : لولا ان اشفق ان يقول فيك طوائف من امتي ماقاتل النصارى في المسيح لقاتل فيك اليوم مقاتلاً لا تمر بملاً منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك ، اركب فان الله ورسوله عنك راضيان .

وقال الفضل

قصة غزوة ذات السلاسل منقولة في الصحاح وانها تصداها عمرو بن العاص بتأمر رسول الله إياه وكان الفتح بيده ، واما ما ذكره فليس بمنقول في الصحاح بل اشتمل على المناكير فان النبي (ص) كيف يجوز أن يدعي ألوهية علي ، والمفهوم من هذا الخبر ان النبي كان يريد ان يقول بألوهية علي ولكنه خاف أن يعبد الناس ، وهذا كلام غلاة الرافضة ولا ينبغي نقل هذا لمسلم فضلاً عن فاضل .

وأقول

لم يذكر البخاري ولا غيره ممن اطلعت على ذكره لهذه الغزوة كالطبري وابن الأثير ان الفتح على يد عمرو فلا يبعد انه من وضع الفضل ، واما نفيه لوجود ما حكاه المصنف (ره) في صحاحهم فلا يدل على عدم صحته إذ ليس كل ما لم يكن فيها غير صحيح عندهم . واما قوله (والمفهوم من هذا الخبر ان النبي (ص) كان يريد الخ فذشأه اعوجاج فهمه او تغيير الكلم عن مواضعه فان صريح الخبر ان النبي (ص) اشفق من قولهم بألوهية علي (ع) التي لا يقولها إلا مبطل كألوهية المسيح ، وهو حق فانه (ص) لو ذكر فضله الواقعي وان الله اقدره على خوارق العادات حيث انه اظهر مصاديق قوله تعالى في الحديث القدسي (عبيدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون) او بين فضائله الفاضلة التي يفوق بها الانبياء السابقين ويمتاز بها عن الامة اجمعين

لخاف (ص) من طوائف من أمته ان يقولوا برؤيته كما وقع لكثير منهم لما رأوا منه بعض خوارق العادة وقد ورد مضمون هذا الخبر في جملة من اخبار القوم فضلاً عن اخبارنا فقد حكاه في ينابيع المودة عن احمد في مسنده من طريقين وكذا عن موفق ابن احمد ، وقال الشافعي فيما نسب اليه :

لو ان المرتضى ابدى محله لصار الخلق طراً سجداً له

كفى في فضل مولانا علي وقوع الشك فيه انه الله

(آية أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً)

قال المصنف أعلى الله درجته

(الثامنة والثلاثون) قوله تعالى : (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستترون) (١)

المؤمن علي (ع) والفاسق الوايد نقله الجمهور .

وقال الفضل

جاء هذا في تفاسير اهل السنة والآية نازلة في علي وهو من فضائله التي لا تحصر .

وأقول

المراد بالفاسق في الآية الكافر ولو في وقت سابق بقرينة المقابلة مع المؤمن ، وإنما قلنا ولو في وقت سابق لأن الوايد كان حين نزول الآية مسلماً ، فإذا دلت الآية على عدم استواء الكافر ولو في وقت ما مع المؤمن في جميع أوقانه على وجه تفيد قاعدة كلية كما هو ظاهرها وان نزلت في مورد خاص ، فقد دلت على عدم استواء الخلفاء الثلاثة مع أمير المؤمنين «ع» لثبوت الكفر لهم في وقت فيتمين الإمامة .

(فان قلت) لعل المراد بالفاسق هو المسلم الذي لم يدخل الايمان في قلبه بقرينة المقابلة مع المؤمن وهو الذي دخل الايمان في قلبه قال تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل

لم يؤمنوا ولا سكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) وحيفئذ فلا يقتضي عدم خلافة الثلاثة لأنهم ليسوا كالوليد . (قلت) لو سلم جميع ذلك او قلنا ان الوليد من المنافقين يظهر الايمان وبطن الكفر كما تدل على كفره الآيات اللاحقة لهذه الآية حيث اثبتت له التكذيب بعذاب النار كما ستسمعها ، فقد لم عدم صحة خلافة عثمان ، لأنه قد ولي هذا الفاسق على المسلمين وكان يعظمه كثيراً بعدما خالف النبي «ص» في رده حتى كان لا يجلس معه على سريره غيره وغير العباس وأبي سفيان والحكم كما رواه القوم وستعرفه ان شاء الله تعالى ، اللهم إلا أن يدعي علمه بإيمان الوليد بعد فسقه ، وهو باطل فان الله سبحانه لا يفضح على طول الدهر من يعلم بحسن عاقبته ، بل الآيات صريحة بان الوليد مستمر على تكذيبه وانه من اهل النار ، قال السيوطي في الدر المنثور : أخرج ابن اسحاق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال : (نزلت بالمدينة في علي والوليد بن عقبة كان بين الوليد وبين علي كلام فقال الوليد : أنا أبسط منك لساناً وأحد منك سنناً وأرد منك للكتيبة ، فقال علي : اسكت فانك فاسق ، فأنزل تعالى : (أفن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ، الآيات كلها) ويعني بالآيات قوله تعالى : (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) واذا بطلت إمامة عثمان بطلت إمامة صاحبيه لأنها من باب واحد واختصت بعلي «ع» لا سيما وقد بشر بحجّة المأوى ، وقد سبق في الآية الثانية والثلاثين ان إشارة شخص بالجنة واعلامه بأنه من اهلها يستدعي تفضيله وإمامته .

آية ويتلوه شاهد منه

قال المصنف طاب ثراه

(التاسعة والثلاثون) قوله تعالى (أفن كان على يينة من ربه ويتلوه شاهد منه) (١)

(١) هود . الآية ١٧ .

روى الجمهور ان (من كان على بينة من ربه) رسول الله «ص» والشاهد علي «ع» .

وقال الفضل

ليس هذا من تفاسير اهل السنة وإن صح كان سهلاً

وأقول

قال الرازي ذكروا في تفسير الشاهد وجوهاً إلى أن قال : (نالها ان المراد علي بن أبي طالب والمعنى انه يتلو تلك البينة وقوله منه أي هذا الشاهد من محمد وبعض منه والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد «ص») وقال السيوطي في الدر المنثور (اخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن علي بن أبي طالب قال ما من رجل من قریش إلا نزل فيه طائفة من القرآن : فقال له رجل ما نزل فيك ، قال أما تقرأ سورة هود أفن كان علي بينة من ربه وبتلوه شاهد منه ، رسول الله «ص» علي بينة من ربه وأنا شاهد منه) ، ونحوه في تفسير الطبري ، وقال السيوطي أيضاً اخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علي قال : (رسول الله علي بينة من ربه وأنا شاهد منه) وقال أيضاً اخرج ابن مردويه من وجه آخر عن علي قال : (قال رسول الله أفن كان علي بينة من ربه وبتلوه شاهد منه قال علي) إلى غير ذلك مما حكى عن الشعبي وجاعة وحيث قد لا آية دالة على إمامة أمير المؤمنين «ع» من وجوه :

(الاول) انها جعلت علياً «ع» شاهداً والمراد به الشاهد على الامة بقربنة جملة تاليار رسول الله «ص» وهو يعطي الولاية على امورهم كما قال تعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وقال تعالى : (وجعلنا من كل امة شهيداً من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء)

(الثاني) انها جعلت علياً بعضاً من رسول الله «ص» كما قال «ص» : (علي مني وأنا من علي) وهو دلائل المشاركة في العصمة والفضل وسائر الصفات الحميدة فيكون الأحق بخلافته .

(الثالث) انها جعلت علياً تالياً للنبي «ص» فان ضمير المفعول في بتلوه مذكور وهو

على الظاهر عائد الى من كان على بيضة من ربه لا الى البيضة وان احتمل بعيدا رجوعه اليها باعتبار أنها بمعنى البرهان ، والمراد من تلوهه تعقبه اياه إما في القيام مقامه بصيرورته خليفة له ، أو في كونه مثله على بيضة من ربه : أو في كونه ظهيرا له على دعوته ، كما ورد عن رسول الله « ص » انه دعا ربه أن يشد أزره بعلي ويشركه في أمره فكان منه بمنزلة هرون من موسى ، وعلى جميع الاحتمالات فلاية تدل على المطلوب ، أما على الأول فظاهر ، وأما على الثاني فلان المراد بكون النبي « ص » على بيضة من ربه إما كونه ذا برهان على ما يدعيه لثبوت المعجزة له من الله تعالى أو كونه عالما بأن منزلته يجعل من الله تعالى ، وعلى الوجهين فالتالي له أي المماثل له في ذلك لا بد أن يكون هو الامام من عند الله تعالى لأن من يحتاج الى البيضة والاعجاز هو النبي أو الامام من الله تعالى ومن يعلم بأن منزلته من الله سبحانه لا بد أن يكون منصوفاً عليه ، وأما على الثالث فلان عليا اذا كان هو الظهير لرسول الله « ص » في نشر دعوته كهرون من موسى كان أولى الناس بخلافته .

ثم انه على تقدير رجوع ضمير المفعول في يتلوه الى البيضة بلحاظ معناها وهو البرهان فالدلالة على إمامة الشاهد وهو علي أيضاً واضحة لأن تلوه للبرهان بالشهادة للنبي بالنبوة ظاهر في انه معتبر الشهادة بها كالمعجزات فهو من علائم النبوة وشواهدا ، وكفاه بذلك فضلا على الامة فيكون امامها ، فلاية على هذا نظير قوله تعالى : (كفى بالله شهيدا ومن عنده علم الكتاب) وقد أوضحنا دلالة على امامة أمير المؤمنين « ع » فيما سبق .

(آية فاستوى على سوقه)

قال المصنف فرس الله روم

(الأربعون) قوله تعالى : (فاستوى على سوقه) (١) قال الحسن البصري استوى الاسلام بسيف علي « ع » .

وقال الفضل

جاء في التفسير ان هذه نزلت في الخلفاء الأربع كزرع رسول الله «ص» أخرج شطأه أبو بكر فأزره عمر فاستغلاظ عثمان فاستوى على سوقه علي وهو من فضائله الكبيرة ولا يدل على النص .

وأقول

نعم قاله بعض مفسريهم برأيه وذكر بعضهم قريباً منه وعلله أيضاً مذكور فيما حكاه المصنف (ره) عن الحسن وإن خلا عنه ما نقله في كشف الغمة عن ابن مردويه عن الحسن لكن لعلم المصنف (ره) بخطأه في حق الخلفاء الثلاثة ترك ذكره لاسيما مع عدم مناسبتة للترتيب والعطف بالفاء بالآية لأن الاسلام لم يكن استغلاظه بأيام عثمان بل قبله خصوصاً في أيام عمر فلو قال فاستغلاظ في أيام عمر فأزره عثمان كانت له وجه لكنه لا يناسب ترتيب الآية والعطف بالفاء ، كما ان الاسلام قد استوى بسيف علي في أيام النبي «ص» وكذا الاستغلاظ وغيره ، وبالجملة ما ذكره الحسن وغيره من استواء الاسلام بسيف علي «ع» حجة عليهم باقرارهم كما هو ضروري وهو دال على كبير جهاد أمير المؤمنين دون غيره ومن أكثر جهاده وفاق غيره حتى استوى الاسلام بسيفه كان الأفضل عند الله تعالى والأحق بالامامة لفضله ولـكونه لما استوى الاسلام بسيفه أو لا كان أولى بنصره أخيراً وأرعى له فروعاً واصولاً .

(آية يسقى بماء واحد)

قال المصنف طاب ثراه

(الحادية والأربعون) قوله تعالى : (يسقى بماء واحد) « ١ » قال جابر الأنصاري :

سمعت رسول الله «ص» يقول : الناس من شجر شتى وأنا وأنت يا علي من شجرة واحدة

وقال النخل

قرله (يستی بماء واحد) نزل في بيان ان الفواكه تختلف طعومها مع انها تسقى بماء واحد ، هذا من غرائب صنع الله وما ذكره . من الحديث لارتبط له بالآية ، والعجب ان كلام هذا الرجل في غابة التشويش وكأنه يزعم ان أحداً لا ينظر في كتابه أو كان ضعيف الرأي لا يعرف ربط الدليل بالمدعى .

وأقول

في الدر المنثور أخرج الحاكم وصححه ، وابن مردويه عن جابر سمعت رسول الله (ص) يقول : يا علي الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة ، ثم قرأ النبي (وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) وفي كنز العمال (١) عن الديلمي عن جابر بن محمد والآية وان استفيد من ظاهرها بيان قدرة الله تعالى حيث أخرج من الأرض بماء واحد أشجاراً وزروعاً مختلفة وفضل بعضها على بعض في الاكل ، لكن لا ينافي ان الله سبحانه ضرب بها مثلاً لفضل النبي (ص) وأمير المؤمنين «ع» على الناس مع اتفاقهم بأصل واحد ، أو ان الآية باطنياً كما ورد ان للكتاب الشريف ظهراً وبطناً ، ولذا كان فيه بيان كل شيء لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم ، وكيف كان فالمراد ان النبي وعلياً مخلوقان من نور واحد متفقان بالصفات الفاضلة والمنافع ومخالفان للناس كما ان الناس مختلفون فيما بينهم فيها صنوان أي كمنخلتين أو نخيل على أصل واحد ومن عداهم غير صنوان ، وليت شعري اذا لم يرض الفضل بهذا بحجة عدم ارتباطه بظاهر الآية فما باله رضي بتفسير الآية السابقة بالنبي (ص) والخلفاء مع انه مثله في مخالفة الظاهر بل يفترقان بأن تفسير الآية السابقة تفسير بالرأي من ذوي الأهواء وتفسير هذه الآية من النبي (ص) وهو أعلم بمعناها ، نعم هذا يختص بفضل أمير المؤمنين فاستحق جحد الفضل وذلك بعم غيره فاستوجب القبول .

واما ربط هذا الدليل بالمدعى فغير خفي على عارف لأنه اذا دل على مشاركة علي «ع»

للذي في الفضل والامتياز على الناس فقد صار الأفضل وأحق الناس بخلافته ومنصبه وأولاهم بالإمامة بعده كما هو المدعى .

(آية من المؤمنين رجال صدقوا)

قال المصنف أجهز الله تواب

(الثانية والأربعون) قوله تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) (١) نزلت في علي عليه السلام .

وقال الفضل

هذه الآية نزلت في قتلى احد حين قتلوا ووقف رسول الله (ص) على مصعب بن عمير وهو ممن قتل باحد فقرأ عليه هذه الآية وان صح نزوله في علي فهو من فضائله ولا يدل على النص المقصود .

وأقول

قال ابن حجر في الصواعق في الفصل الأخير من الباب التاسع : (سئل - أي أمير المؤمنين «ع» - وهو على المنبر بالسكوفة عن قوله تعالى : { رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا } قال : اللهم غفرأ هذه الآية نزلت في وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث ، فلما عبيدة ففضى نحبه شهيداً يوم بدر ، وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم احد ، وأما أنا فأنتظر أشقاهما بخضب هذه من هذا وأشار بيده إلى لحيته ورأسه) ونحوه في بنايع المودة عن أبي نعيم عن ابن عباس وإمامنا الصادق «ع» عن أمير المؤمنين «ع» .

وهو دال على إمامته لأن مقتضى مفهوم وصف الرجال بأنهم صدقوا ان غيرهم لم يعاهد الله سبحانه أو لم يصدق العهد فهم خواص المؤمنين وخيرتهم لانفرادهم بهذه الفضيلة الكاشفة عن زيادة المعرفة والتغافي في ذات الله تعالى ، ولا شك ان علياً «ع»

خاصة الخاصة فيكون أحق الناس بالامامة لأفضليته ولا سيما ان صدق العهد في وقته بعد النبي (ص) مختص به فلا يصلح للامامة سواء .

واما ما زعمه من نزول الآية في قتلى احد فيبطله انه سبحانه قسم صادقي العهد إلى من قضى نحبه ومن ينتظر فلا يختص بالقتلى اللهم إلا ان يريد نزولها في بعض قتلى احد وبعض الأحياء فهو مسلم وهو الذي نقوله وبينته الرواية السابقة وقال به صاحب الكشاف لكنه عدّ جماعة زعم انهم من صادقي العهد حملة على ذكرهم حسن الظن بهم ونحن لانعترف لهم بذلك .

(آية ثم أورثنا الكتاب)

قال المصنف قرئ سره

(الثالثة والأربعون) قوله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) (١٥) وهو علي عليه السلام .

وقال الفضل

علي من جملة ورثة الكتاب لأنه عالم بحقائق الكتاب فهذا يدل على علمه ووفور توغله في معرفة الكتاب ولا يدل على النقص .

وأقول

سبق في الآية السابعة والعشرين ان المراد بمن عنده علم الكتاب هو علي «ع» ، فيتمين أن يكون هو المراد بمن أورثه الله الكتاب واصطفاه فان الكتاب فيها واحد وهو القرآن كما هو المنصرف ، ويدل عليه الآية التي قبل الآية التي نحن فيها وهي قوله تعالى : (والذي أوحينا إليك من الكتاب) فان إعادة المعرف باللام تفيد الوحدة ، ويشهد أيضاً لإرادة علي بمن أورثه الكتاب واصطفاه الأخبار المستفيضة الدالة على ان علياً مع القرآن والقرآن معه ، فان المعية تستدعي أن يكون علم القرآن عنده وانه

وارثه ، فإذا أفادت الرواية التي أشار إليها المصنف (ره) وحكاها السيد السعيد (ره) عن ابن مردويه ان المراد بمن أورثه الكتاب هو علي «ع» كانت مؤكدة لغيرها ، وحينئذ فلا معنى لقول الفضل : علي من جملة ورثة الكتاب ، ولا سبانه قد أراد أن يشارك معه من لا يعرف الأب والكلالة ومن كانت المخدرات أفقه منه .

هذا كله مضافاً إلى أن اصطفاة الشخص لميراث الكتاب يدل على انه حافظ له غير مضيع لما فيه عمداً وسهواً فيكون معصوماً ، وغير علي من الصحابة غير معصوم بالاجماع فيتمين أن يكون هو المراد بالآية وحده أو أبناؤه المعصومون بشهادة حديث الثقلين ، وإنما تركت الرواية ذكرهم لأنهم غير موجودين في وقته أو لأن ذكره أم وهو الأصل وهم فرعه فإذا ثبت ثبتوا جميعاً (فإن قلت) لا يمكن أن يراد وحده أو مع الأئمة خاصة لأنهم معصومون عندكم والآية قسمت من أورثه الله الكتاب واصطفاه إلى الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات فيتمين أن يراد بالآية مطلق المؤمنين (قلت) التقسيم راجع إلى العباد والضمير في قوله تعالى : فثم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ، عائد إلى قوله تعالى : عبادنا ، لالمن أورثه الكتاب واصطفاه منهم إذ لا يصح تقسيم من اصطفاة إلى الظالم وغيره ولا شمول من أورثه الكتاب لكل مؤمن عالم وجاهل ، فهي نظير قوله تعالى في سورة الحديد : (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) وأما قول آدم «ع» ربنا ظلمنا أنفسنا مع انه من المصطفين فتأول بارادة فعل المكروه للأدلة العقلية والنقلية بخلاف ذلك ، نعم يمكن أن يكون التقسيم راجعاً إلى من أورثه الكتاب واصطفاه على أن تكون الورثة والاصطفاء بلحاظ اشتماله على البعض الوارث المصطفى فيصح تقسيم الجنس إلى هذه الأقسام الثلاثة ، لكن المراد بالبعض الوارث المصطفى هو علي وحده في وقته أو مع أبناؤه بلحاظ جميع الأوقات للأدلة السابقة ونحوها كما وردت بذلك الرواية عندنا ، وحينئذ فتدل الآية على إمامته لدلائلها على العصمة التي هي شرط الامامة ولا معصوم غيره من الصحابة بالضرورة والاجماع ، ولأن وراثته الكتاب بالاصطفاء شأن خلفاء الأنبياء فيكون هو الخليفة والامام .

(آية أنا ومن اتبعني)

قال المصنف اعلى الله درجته

(الرابعة والأربعون) قوله تعالى : (أنا ومن اتبعني) (١٥) هو علي عليه السلام .

وقال الفضل

ان أراد انه ماتبع النبي (ص) غير علي فهو باطل كما لا يخفى وان أراد انه من جملة التابعين فهذا ظاهر لا يحتاج إلى دليل ولا نسبة له بالمبدعى .

وأقول

أراد الأول على معنى انه لم يتبع النبي (ص) الاتباع الصحيح الكامل تسليماً وعملاً إلا علي «ع»، ولذا كان خلفاؤهم يخالفون النبي (ص) في الرأي والعمل كما في التخلف عن جيش اسامة والفرار في مقام الخوف عليه وعلى الدين وفي منع كتابه الهادي الذي سبب منعه ضلال الامة إلى يوم الدين وقول ممر حسينا كتاب الله مقيلاً لرأي النبي (ص) إلى غير ذلك مما لا يحصى ، وسيرد عليك بعضه ان شاء الله تعالى ، وكيف يكون هؤلاء وأشباههم أهل بصيرة حتى يرادوا بقوله تعالى : (ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وهم لم يزالوا مخالفين له في آرائهم وأعمالهم ، ويدل على اختصاص أمير المؤمنين بهذه الآية ما سبق من نزول الآية الحادية والعشرين فيه وهي قوله تعالى : (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وأنت تعلم ان الدعوة على بصيرة وكمال الاتباع للنبي في أقواله وأفعاله موجبان لانتشار الدعوة إلى الدين كما يريد الله تعالى فيكون كامل الاتباع الداعي على بصيرة أحق بمنصب النبي وأولى بخلافته ، ولا سيما ان الاتباع المطلق يقتضي ثبوت العصمة والاتصاف بالأوصاف الحميدة كالعلم والحلم ونحوهما مما يراد في الامام فيكون أمير المؤمنين هو الامام .

آية أفمن يعلم ان ما أنزل اليك

قال المصنف طاب مرقبه

(الخامسة والأربعون) قوله تعالى : (أفمن يعلم ان ما أنزل اليك من ربك الحق) « ١ » هو علي عليه السلام .

وفال الفضل

هـ- إذا من تفاسير الشيعة لامن تفاسير أهل السنة وإن صح يدل على علمه بحقيقة الكتاب لا على التنصيص بامامته وهو المدعى .

وأقول

لم يحضرنى من كتب القوم إلا اليسير ولا ريب ان ما ذكره المصنف (ره) موجود في بعضها ولا قيمة لانكار الفضل لما عرفناك من وجود ما انكره سابقاً على قلة اطلاعي على كتبهم ، ويؤيد إرادة أمير المؤمنين «ع» في الآية نزول أشباهها أو لازم منها فيه كآيات السابقة الدالة على انه المصدق بالصدق ومن عنده علم الكتاب ووارث الكتاب ومن اصطفاه الله إلى نحوها من الآيات فإذا كان هو المراد بالآية فلا بد أن يراد بعلمه بأن ما أنزل إلى النبي (ص) حق هو العلم الذي لا تختلجه الشكوك ولا تخاطه الأوهام لأنه هو الذي يصح أن يمتاز به ويصلح أن يمدح عليه ولا شك ان أشد الناس يقيناً بحقيقة شريعة النبي وأولاهم بأسرها وحفظها كما ان من ليس بمنزلة في اليقين أدنى منه عقلاً وفضلاً ، ولذا عدّه الله تعالى أعمى فقال سبحانه في هذه الآية : (أفمن يعلم ان ما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر اولوا الألباب) وقد سبق ان الامامة لا تصلح للمفضول مع وجود الفاضل بل لا يصح أن يكون الأعمى إماماً بوجه والمراد بالأعمى الأعم من عديم اليقين وناقصه فان الناقص أعمى في الجملة .

(آية أحسب الناس أن يتركوا)

قال المصنف أعلى الله درجته

(المادسة والأربعون) قوله تعالى : (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) « ١ » قال علي : يا رسول الله ماهذه الفتنة ؟ قال : يا علي بك وأنت مخاصم فاعتد للخصومة .

وقال الفضل

أجمع المفسرون على أن الآية نزلت في رجل وامرأة أسلما وكان لهما ولد يجهانه حباً شديداً ماتا فافتتا وكادا يرجعان عن الاسلام ، فأزل الله هذه الآية وأما ما ذكره من الخبر فالظاهر أن النبي (ص) لم يجعل علياً فتنة المسلمين وهذه من القوادح لأن الفضائل على ما ذكره .

وأقول

نقل الزمخشري والرازي في نزول الآية أقوالاً ولم يذكرها ما ذكره الفضل فضلاً عن أن يكون مجمماً عليه ، وأما الفتنة في الآية فالمراد بها الامتحان كما في الكشف أو الابتلاء كما في تفسير الرازي والمقصود بها واحد ، لكن ادعى الزمخشري أن المحتحن به هو شدائد التكليف والفقر والقحط وأنواع المصائب بالنفس والأموال ومصايرة الكفار على أذاهم وكيدهم ، وخص الرازي بالابتلاء بالفرائض البدنية والمالية . وكيف كان فلم يدع أحد قدحاً فيما به الفتنة كما زعم الفضل .

وبالجملة الرواية دالة على أن المقصود بالآية أن علياً «ع» محنة للمؤمنين يميز به ثابت الايمان من غيره وصادقه من كاذبه فن ثبت على الايمان بآلته كان مؤمناً حقاً ومن زال عنه كان مستعار الايمان كاذبه ويشهد لذلك قوله (ص) في هذه الرواية (أنت مخاصم فاستمد للخصومة) فإن الخصومة الواقعة بينه وبين قومه إنما هي في إمامته .

ويؤيد هذا الحديث ويرشد إلى إرادة الامتحان في إمامته مانقله السيوطي في اللئالي المصنوعة عن عمر قال : (كفيوا عن علي فلقد سمعت من رسول الله فيه خصالاً لأن تكون واحدة منهم في آل الخطاب أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، كنت أنا وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول الله (ص) فأنهينا إلى باب أم سلمة وعلي قائم على الباب فقلنا أردنا رسول الله (ص) فقال يخرج إليكم فخرج فثرنا إليه فأنكأ على علي بن أبي طالب ثم ضرب بيده على منكبه ثم قال : أنت مخاصم تخضم ، أنت أول المؤمنين إيماناً وأعلمهم بأيام الله وأوقاهم بمعده وأقسمهم بالسوية وأرفقهم بالرية وأعظمهم منزلة وأنت عاضدي وغاسلي ودافني والمتقدم إلى كل كربهة وشديدة ولن ترجع بعدي كافر أو أنت تتقدمني بلواء الحمد تذود عن حوضي) فإن هذه الصفات إنما تكون بأفضل الأمة وإمامها ، والمكن قال ابن الجوزي : باطل عمله الابزاري - ويعني به الحسن بن عبيد الله الابزاري المذكور في سند هذا الحديث - وسماه في ميزان الاعتدال الحسين أيضاً ، وقال : قال أحمد بن كامل كان كذاباً . والظاهر أن سبب تكذيبه له أن له روايات في فضل آل محمد (ص) ذكر في الميزان بعضها ، والحق أن هذا الحديث من أصدق الحديث لأن مظامينه بين ضروري ومستفيض الرواية به ، مع أنه روي بطريق آخر قال في اللئالي المصنوعة نقلاً عن ابن الجوزي وقد رواه أبو بكر بن مردويه عن أبي بكر ابن كامل عن علي بن المبارك الربيعي عن إبراهيم بن سعيد ، ثم قال : (ولعل ابن المبارك أخذه من الابزاري) فيا عجباً أيجوز تكذيب الحديث الضروري بالاحتمالات والخيالات مع أن ابن المبارك لم ينقل في الميزان عن أحد فيه قدحا ، نعم له عذر ظاهر في إبطال الحديث وهو أن روايه عمر والمكن ألم يعلم أن هذا من إزام الله لهم بالحجة !

(آية وشاقوا الرسول)

قال المصنف رفع الله درجته

(السابعة والأربعون) قوله تعالى : (وشاقوا الرسول من بعدما تبين لهم

الهدى) «٢١» قال في أسر علي عليه السلام .

وقال الفضل

هذا من رواياته وأثر التكرار عليه ظاهر ولا دلالة له أصلاً على ثبوت النص المدعى

وأقول

رواه ابن مردويه على ما في كشف الغمة ودعوى الفضل ظهور أثر التكرار عليه لا منشأ لها إلا صراحة الرواية بـ «بطلان مذهبه إذ لا يفهم من أسر علي «ع» إلا خلافته فانها أظهر أسر يعود اليه وقعت به المشاقة في حياة النبي (ص) وبعده : مرة نسبوا اليه فيه الغواية : واخرى الهجر : وثالثة قول الحارث بن النعمان الفهري اللهم ان كان ما يقول محمد حقاً فامطر علينا حجارة من السماء ، ورابعة بيعة السقيفة ، وخامسة قهره على البيعة ، إلى مالا يحصى من المشاقة في أسره للرسول في حياته وبعده . ويؤيد هذا الحديث ما سبق في الآية السابقة وما رواه الحاكم في المستدرک (٢) عن علي «ع» وصححه قال : (ان مما عهد إلي النبي «ص» ان الامة ستفقر بي بعده) إلى نحوه من الأخبار .

آية ويؤت كل ذي فضل فضله

قال المصنف نور الله ضريحه

(الثامنة والأربعون) قوله تعالى : (ويؤت كل ذي فضل فضله) «٣» هو علي عليه الصلاة والسلام .

وقال الفضل

إن صح نزوله فيه فهو دال على فضله المتفق عليه ولا دلالة له على النص .

(١) سورة محمد . الآية ٣٢ . (٢) ص ١٤٠ من الجزء الثالث .

(٣) هود . الآية ٣ .

وأقول

رواه ابن مردويه على ما في كشف الغمة ومراد الآية الشريفة اما بيان ان الله تعالى أنعم على الناس بإيتائهم الفضل والمعرفة وفضل بعضهم على بعض واما بيان انه يؤتي كل ذي فضل جزاء فضله أي جزاءه بحسب ما يترتب عليه من العمل كثرة وقلة وإخلاصاً، وحينئذ فغنى نزولها في علي «ع» هو الاعلام بأنه الفاضل ذاتاً أو جزاء والفاضل في كل منها أحق بالامامة، اما على الأول فظاهر واما على الثاني فلأن زيادة الجزاء فرع كثرة العمل وقوة الاخلاص انما شئني من الفضل الذاتي كما أشرنا اليه .

آية فمن أظلم من كذب على الله

قال المصنف أعلى الله مقامه

(التاسعة والأربعون) قوله تعالى : (فن أظلم من كذب على الله وكذب بالصدق) (١) هو من رد قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام .

وقال الفضل

هذا من رواياته وان صح لا يدل على ثبوت المقصود .

وأقول

هذا أيضاً مما حكاه في كشف الغمة عن ابن مردويه والمراد من رد قول رسول الله «ص» في علي «ع» رده في إمامته لأنها هي التي ردها من أعظم الظلم وفي عرض الكذب على الله عز وجل فان الرد لسائر فضله ليس كذلك على انه لو اريد فهو دليل أفضليته إذ ليس مثله أحد من الامة يكون الرد لفضائله كذلك والأفضل لاسيما به - هذا الفضل المكشوف عنه بمثل ذلك أعظم الامة وأحقها بالامامة .

(آية وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)

قال المصنف طاب ثراه

(الخمسون) قوله تعالى : (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) « ١ » قال أبو رافع : وجه النبي « ص » علياً في طاب أبي سفيان فلقبهم أعرابي من خزاعة فقال ان القوم قد جمعوا لكم فاخشوهم فقلوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

وقال الفضل

الآية نزلت في بدر الصغرى وذلك لان أبا سفيان لما انقضى الحرب يوم احد قال الموعد بيننا في بدر : فلما كان في وقت الموسم لم يستطع أبو سفيان أن يخرج لجذب السنة فأرسل نعيم بن مسعود ليثبت رسول الله « ص » من القتال فجاء نعيم بن مسعود وخوف رسول الله وأصحابه فقلوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، وتتم الآية يدل على ما ذكرنا فانه يقول الذين قال لهم الناس وهو نعيم بن مسعود ان الناس قد جمعوا اليكم - أي أبو سفيان وقريش - فقال انؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل ، هذا رواية أهل السنة وإن صح ما رواه فلا يدل على المقصود كما علمت .

وأقول

هذا أيضاً مما نقله في كشف الغمة عن ابن مردويه ونقله عنه أيضاً السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول قال : أخرج ابن مردويه عن أبي رافع ان النبي « ص » وجه علياً « ع » في نفر معه فلقبهم أعرابي من خزاعة وذكر تمام الحديث ، وهو كما ترى دال على شدة توكل أمير المؤمنين « ع » ومن معه على الله تعالى وحسن بصائرهم وان التخويف لم يزدكم إلا إيماناً ولذا مدحهم الله سبحانه في كتابه العزيز ، ومن المعلوم ان أفضالهم في ذلك علي « ع » ، بل هو المراد فيه وأصله لانه رئيسهم وقادهم والمنظور اليه فيهم .

وأما تنمة الآية الكريمة فلا أعرف كيف تدل على ما ذكره الفضل دون إرادة علي «ع» ومن معه والحديث الذي نقله ليس حجة علينا حتى يعارض خبر ابن مردويه .

(آية وكفى الله المؤمنين القتال)

قال المصنف فرس سره

(الحادية والخمسون) قوله تعالى : (وكفى الله المؤمنين القتال) « ١٧ » في قراءة ابن مسعود بعلي بن أبي طالب .

وقال الفضل

ليس هذا من القراءات المتواترة والشيعة يعدونها من الشواذ وإن صح دل على فضيلته لأعلى إمامته بعد رسول الله «ص» .

وأقول

هذا وإن لم يكن من المتواترات إلا أنه ليس من الشواذ - أعني قراءة التابعين - بل من الآحاد وهي القراءات الثلاث وقراءة الصحابي كما حكى هذا الاصطلاح السيد السعيد (ره) عن اتفاق السيوطي عن القاضي جلال الدين البلقيني ، ولا مستند للفضل في النقل عن الشيعة إلا كونها ليست من القراءات السبع المدعى تواترها وهو كما ترى ، وقد ذكر هذه القراءة السيوطي في الدر المنثور قال : أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساکر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ هذا الحرف وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب ، ويشهد لهذه القراءة ما رواه الحاكم (٢) عن يحيى بن آدم قال : ما شبهت قتل علي عمرأ إلا بقول الله عز وجل وقتل داود جالوت فهزمهم باذن الله . وكيف كان فلتفرض قراءة ابن مسعود رواية له بأن يكون قد روى أن الله سبحانه أنزل هذه الآية ليبان هذذ الفضيلة لعلي «ع» وأن الله تعالى كفى به المؤمنين القتال

(١) سورة الاحزاب . الآية ٢٥ .

(٢) في كتاب الغازي من المستدرک ص ٣٤ من الجزء الثالث .

يوم الاحزاب حيث قتل عمرو بن عبد ود ورد الاحزاب خاسرين فيكون جهاده أفضل من جهاد المسلمين جميعاً لان به الفتح مع حفظ نفوسهم ، فنه حياة الاسلام والمسلمين ، ولولا أن يكفهم الله تعالى القتال بعالي لاندرست معالم الاسلام لضعف المسلمين ذلك اليوم وظهور الوهن عليهم : ولذا قال رسول الله «ص» : (لضربة علي خير أو أفضل من عبادة الثقلين) كما رواه في المواقف وغيرها : وفي رواية الحاكم في المستدرک (١) لمبارزة علي لعمر و أفضل من أعمال امتي إلى يوم القيامة) فلا محالة يكون أفضاهم وأولاهم بالامامة لكشف ذلك عن زيادة علمه ومعرفة ونعم بصيرته حتى استحق مدح الله تعالى له في كتابه المجيد وأنى لغيره مثل ذلك .

(آية واجعل لي لسان صدق في الآخرين)

قال المصنف أجزل الله تواب

(الثانية والخمسون) قوله تعالى : (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) (٢) هو علي عرضت ولايته على ابراهيم «ع» فقال اللهم اجعله من ذريتي ففعل الله ذلك .

وقال الفضل

مفهوم الآية ان ابراهيم سأل من الله تعالى أن يجعل له ذكر جميل بعد وفاته وهو المراد من لسان الصدق وحمل لسان الصدق على علي بعيد بحسب المعنى ، والشيعه لا يبالون من مثل ذلك ويذكرون كل ما يسمعون ولا دليل لهم فيما يفترون .

وأقول

إطلاق لسان الصدق على الذكر الجليل إنما هو من باب الكناية أو المجاز فلا يبعد صدقه من هذا الباب على الولد الصالح الذي به الفخر والذكر الخالد ولا مرجح للاول وقد حكى الرازي في أحد تأويلات لسان الصدق ان المراد به بعثة محمد (ص) ، فليس

هذا النحو من التفسير من خواص الشيعة : بل زعم القوم ما هو أبعد منه كما نقله الفضل في الآية الأربعين .

واما دلالتها بناء على ذلك المعنى على إمامة أمير المؤمنين (ع) فمن وجهين : (الاول) انها صرحت بعرض ولايته على ابراهيم (ع) وليس هو إلا ليكون ولايته مطلوبة له سبحانه . قديماً وحديثاً : وهو أعظم دليل على فضله وإمامته ؛ وبعبارة ما سبق في الآية السادسة عشرة وهي قوله تعالى : (سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) الآية من ان الانبياء (ع) بعثوا على الشهادتين وولاية علي (ع) ، وفي الآية الثالثة والثلاثين وهي قوله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية (الثاني) دعاء ابراهيم «ع» أن يجعله الله من ذريته فإنه أظهر شيء في فضله وشدة إيمانه وعظمته عند الله عز وجل حتى كان نحرأ وشرفاً لابراهيم «ع» ، ومن كان كذلك فلا بد أن يكون سيد أمة محمد (ص) وإمامهم ، وهذه الرواية المفسرة لسان الصدق بأمير المؤمنين «ع» نقلها في كشف الغمة عن ابن مردويه ورويت عن إمامنا الصادق عليه السلام .

(سورة العصر)

قال المصنف اعلى الله درجته

(الثالثة والخمسون) (والعصر ان الانسان افي خسر) يعني أبا جهل (إلا الذين آمنوا) علي وسلمان .

وفال الفضل

هذا تفسير لا يصح أصلاً لأن الانسان اذا اريد به أبو جهل يكون الاستثناء منقطعاً ولم يقل به أحد : وان كان الاستثناء متصلاً لا يصح أن يراد بالانسان أبو جهل فلاراد منه افراد الانسان على سبيل الاستغراق ، وعلى هذا لا يصح تخصيص المؤمنين بعلي وسلمان فان غيرهم من المؤمنين ليسوا في خسر . وهذا الرجل يعالف كل نبت ولا يفرق بين السم والحشيش .

وأقول

ذكر الرازي في المراد بالانسان قولين قال : (الثاني ان المراد منه شخص معين قال ابن عباس : يريد جماعة من المشركين كالوليد والماص والاسود ، وقال مقاتل : نزلت في أبي لهب وفي خبر مرفوع انه أبو جهل) ، وحيثئذ يكون الاستثناء منقطعاً بالضرورة كما صرح به النيشابوري فانكار الفضل للقول به كما ترى . واما قوله لا يصح تخصيص المؤمنين بعلمي وسلمان فان غيرهم من المؤمنين ليسوا في خسر ، فمن قلة التأمل ، قال الرازي : (ههنا احتمالان « الأول » في قوله تعالى اني خسر أي في طريق الخسر وهذا كقوله في آكل أموال اليتامى { إنما يأكلون في بطونهم نارا } لما كانت عاقبته الدار « الاحتمال الثاني » ان الانسان لا ينفك عن خسر لأن الخسر هو تضييع رأس المال ورأس ماله هو عمره وهو قلما ينفك عن تضييع عمره . وذلك لان كل ساعة تمر بالانسان ، فان كانت مصروفة إلى المعصية فلا شك في الخسران ، وان كانت مشغولة في المباحات فالخسران أيضاً حاصل لأنه كما ذهب لم يبق منه أثر مع انه كان متمكناً من أن يعمل فيه عملاً يبقى أثره دائماً ، وإن كانت مشغولة في الطاعات فلا طاعة إلا ويمكن الاتيان بها أو بغيرها على وجه أحسن من ذلك ، لأن مراتب الخضوع والخشوع غير متناهية ، فان مراتب جلال الله وقهره غير متناهية ، وكما كان علم الانسان بها أكثر كان خوفه منه تعالى أكثر فكان تعظيمه عند الاتيان بالطاعات أتم وأكمل وترك الأعلى والاقتصار بالأدنى نوع خسران) وحيثئذ فعلى الاحتمالين يكون استثناء علي وسلمان دليلاً على فضلها على من سواهما وعصمتها دون غيرها من الامة ، ولا ريب ان علياً «ع» أفضل من سلمان فيتمين للإمامة .

(آية وتواصوا بالصبر)

قال المصنف قرى الله روم

(الرابعة والخمسون) قال تعالى : (وتواصوا بالصبر) قال ابن عباس هو علي عليه السلام .

وقال الفضل : أنت خير بأن الصبر صفة من الصفات وليس هو من الاسامي حتى يراد شخص وهذا قريب من السابق .

وأقول

مراد ابن عباس ان من تواصوا بالصبر علي «ع» لأن نفس الصبر علي كما هو واضح وغير سبحانه عن علي بصيغة الجمع اعظاماً له وبياناً لكمال صبره وان صبره بمنزلة صبر جميع المؤمنين المتواصين به لشدة ما يلزم نفسه به ، فلا يقع منه خلاف الصبر الذي هو صبران صبر على الطاعة وصبر عن المعصية فيكون أفضل الامة ومعضومها وإمامها .

آية والسابقون الأولون

قال المصنف طاب مرقره

(الخامسة والخمسون) قوله تعالى : (والسابقون الأولون) «١» علي وسلمان . وقال الفضل : المراد بالسابق ان كان السابق في الاسلام فسلمان ليس كذلك ، وان كان السابق في الأعمال الصالحات فغيره من الصحابة هكذا ولا صحة لهذا النقل وهو من تفاسير الشيعة .

وأقول

هذا أيضاً مما حكاه في كشف الغمة عن ابن مردويه ، ثم انه لا مانع من اختيار

الشق الأول فإن سلمان كان مؤمناً بالله ورسوله (ص) قل البعثة متطلباً لمعرفة مبعث النبي قبل رؤياه كما هو مذكور في خبر إسلامه . وقال ابن حجر في الإصابة بترجمة سلمان كان قد سمع بأن النبي (ص) سيبعث نخرج في طلب ذلك فأسر وبيع بالمدينة فاشتغل بارق ، وقال السيوطي في إباب القول عند قوله تعالى من سورة الزمر : (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) : « أخر ج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أن هذه الآية نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي » وروى الواحدي نحوه عن ابن زيد في سبب نزول الآية ، إلى غير ذلك مما هو مستفيض الرواية الدال على سبق إسلام سلمان أو إقراره بالوحدانية ولا ينافيه ما يروى أن إسلامه عندما جاء إلى النبي (ص) بصدقة فلم يقبلها ثم أتاه بهدية فقبلها ثم رأى خاتم النبوة فأسلم ، لأن هذا إنما هو لتعيين النبي (ص) بشخصه لأنه لم يؤمن به إلا حينئذ فيكون من السابقين الأولين ، لكن أمير المؤمنين أفضل منه سبقاً وأشد منه يقيناً وأقدم منه في الصلاة كما هو معلوم بالضرورة ، ولما تقدم من أن علياً «ع» سابق هذه الامة وصدِّقها فيكون أفضلها وأولها بالامامة ، ولا مانع أيضاً من اختيار الشق الثاني فإن سلمان من المعصومين السابقين في الأعمال الصالحة كما تدل عليه الآية الثالثة والخمسون ويؤيده ما رواه القوم عن النبي (ص) انه قال : (ان الجنة اشتاقت إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان) رواه الترمذي وحسنه الحاكم وصححه ، ويؤيده أيضاً ما رواه الترمذي وحسنه وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرها أن رسول الله (ص) قال - كما في لفظ الترمذي - : أن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني انه يحبهم ، قيل : يارسول الله سمَّهم لنا ، قال : علي منهم - يقول ذلك ثلاثاً - وأبو ذر والمقداد وسلمان فإذا كان علي وسلمان سابقي الامة في صالح الأعمال ومعصوميهما ولا شك أن علياً أعظم من سلمان في الوصفين فقد تعين للامامة وتعينت له .

آية وبشر المحبتين

قال المصنف أعلى الله مقام

(السادسة والخمسون) قوله تعالى : (وبشر المحبتين) إلى قوله تعالى : (ومما رزقناهم ينفقون) « ١٥ » علي منهم .

وقال الفضل : هذا مسلم لا نزاع فيه ولا يمكن لا يدل على المدعى .

وأقول

بل يدل عليه لأن البشارة بكرامة الآخرة لشخص معين لا تصح إلا مع عصمته أو نحوها وليس الخلفاء الثلاثة كذلك كما سبق في الآية الثانية والثلاثين وبيننا فيها الزوم إمامته (ع) دون الثلاثة بل ودون غيرهم لأنه أفضل المحبتين .

آية ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى

قال المصنف طاب ثراه

(السابعة والخمسون) قوله تعالى : (ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى) « ٢٥ » علي منهم

وقال الفضل : هذا مسلم لا نزاع فيه ولا يمكن لا يدل على المدعى .

وأقول

تمام الآية وما بعدها (اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) وتعرف دلالتها مما اشرنا اليه في الآية السابقة وأوضحناه في الآية الثانية والثلاثين من ان بشارة شخص معين بذيل الموعود والأمن من الوعيد تقتضي مع علمه بالبشارة عصمته أو قريباً منها ، وأوضحنا ان المشايخ الثلاثة وأشباهم ليسوا كذلك فيكون

أمير المؤمنين (ع) هو المعصوم أو الفاضل على غيره ويكون هو الامام ، وما رواه بعض القوم من تفسير من سبقت لهم الحسنى بما يشمل غير أمير المؤمنين (ع) غير صحيح ولا حجة لهم علينا فيما يروونه بحق غيره أترى ان الله سبحانه يبشر مثلهم بالجنة ويؤمنهم من النار ليهون عليهم تغيير الأحكام وغصب حقوق الاطهار وسفك دماء المسلمين واستئثار ببيت المال والخروج على إمام الزمان ومحاربة الله ورسوله بحربه .

(آية من جاء بالحسنة)

قال المصنف رفع الله درجته

(الثامنة والخمسون) قوله تعالى (من جاء بالحسنة) ١٥ « قال علي (ع) الحسنة حينما أهل البيت والسيئة بغضنا : من جاء بها أ كبه الله على وجهه في النار .
وقال الفضل : لاشك ان حب أهل بيت محمد من الحسنات والمكن لا يثبت النص .

وأقول

نقل في كشف الغمة عن ابن مردويه ما ذكره المصنف (ره) بلفظه كله مرة ، وإلى قوله والسيئة بغضنا مرة أخرى ، وذلك في تفسير آيتين { الاولى } قوله تعالى في أواخر سورة الانعام : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلهما وهم لا يظلمون) { الثانية } قوله تعالى في أواخر سورة النمل : (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تميزون إلا ما كنتم تعملون) ، ونقل في ينابيع المودة عن أبي نعيم والنسائي والحموي في تفسير الثانية عن علي (ع) قال : الحسنة حينما والسيئة بغضنا ، ويشهد لصحة هذه الروايات ما عرفته من الأخبار في الآية الرابعة والآية الثانية عشرة ، كما عرفت هناك أيضاً وجه الدلالة على إمامة أمير المؤمنين (ع) فراجع .

ويؤيد دلائلها ما رواه الحاكم في المستدرک وصححه (٢) عن عمار قال : (سمعت

رسول الله «ص» يقول لعلي : طوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك (لأن المراد ظاهر آ هو التصديق والتكذيب بامامته أو فضله الموجب لها ، وما نقله في كنز العمال (١) عن الطبراني عن ابن عباس ان النبي «ص» قال لعلي «ع» : (ألا من أحبك حفر بالآمن والايامن ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية) ونقل بعده بقليل عن الطبراني عن ابن عمر . مثل ذلك ، فإن الإيمان إنما يتم بالاقرار بالامام الحق المستلزم لحبه لما سبق من ان الامامة أصل من اصول الدين ، كما ان ميتة الجاهلية إنما هي بالاخلال بهذا الاصل الناشئ من البغض عادة .

ويؤيد المطلوب أيضاً ما دل على الملازمة بين حب علي وحب الله ورسوله والتلازم بين بغضه وبغضهم ، كالذي نقله في الكنز أيضاً عن الطبراني وابن عساكر عن عمار عن النبي «ص» انه قال : من أحبه - يعني علياً - فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله تعالى ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله تعالى ، وكيف لا يراد بذلك بيان إمامة علي «ع» وقد اهتم الكتاب العزيز ببيان وجوب حبه وحرمة بغضه حتى نزل فيه مكرراً وعبر عن حبه بالحسنة وعن بغضه بالسيئة وكذلك استفاضت وتواترت بها السنة النبوية .

(آية فأذن مؤذن بينهم)

قال المصنف أُمِرَ اللهُ تَوَابِه

(التاسعة والخمسون) قال تعالى : (فأذن مؤذن بينهم) «٢٥» هو علي عليه السلام . وقال الفضل : هذا لم يثبت في الصحاح والتفاسير وإن صح لا يدل على النص .

وأقول

نقله في كشف الغمة عن ابن مردويه وقال في ينابيع المودة أخرج الحاكم المحسكي عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي قال : أنا ذلك المؤذن ، وقال أيضاً أخرج الحاكم عن

ابن عباس قال علي : في كتاب الله أسماء لي لا يعرفها الناس منها فأذن . واذن بينهم بقول
ألا لعنة الله على الظالمين ، أي الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي ، ونقل أيضاً نحوه
عن المناقب عن الباقر عليه السلام .

وهذه الآية ظاهرة الدلالة على المطلوب لأن المراد بالظالمين إما مطلق العصاة
فيؤخذ لابد ان يكون المؤذن معصوماً إذ لا يصح ان يكون عاصياً وهو يناقض بلعنة
العصاة ، واذا كان معصوماً ولا معصوم غيره كان هو الامام لان العصمة شرط الامامة
كما سبق ، ولكن يبعد النداء بلعن كل عاص ، واما ان يُراد بالظالمين العصاة بالكبرائر
لاسما الكفر والنفاق الذي منه بغض علي (ع) كما مر ، ولا شك ان من يستحق
الناس اللعنة لبغضه مع النداء بها على رؤس الخلائق يوم الحساب هو الامام الحق بل
كونه هو المنادي دليل على فضله على الامة والا فضل هو الامام ، ويشهد لدلالة الآية
على الامامة الخبر الأخير فان المراد فيه بالولاية الامامة لأن التكذيب إنما يتعلق بها
لا بالحب ، وبمقتضى اطلاق الولاية في الحديث لا يفترق الحال بين من كذب بامامته
مطلقاً او في وقت خاص .

(آية اذا دعاكم لما يحييكم)

قال المصنف اعلى الله درجته

(البحتون) قال تعالى : (اذا دعاكم لما يحييكم) « ١ » دعاكم لولاية علي بن ابي طالب
وقال الفضل : ليس هذا في التفاسير وإن صح لا يدل على المقصود .

وأقول

نقله أيضاً في كشف الغمة عن ابن مردويه والمراد فيه بالولاية اما الامامة كما هو
المنصرف في مثل المقام او الحب وعلى الاحتمالين يتم المدعى ، اما على الاول فغني عن
البيان واما على الثاني فلأن دعوة الله ورسوله إلى محبة علي بخصوصه وجعلها حياة للناس

دليل على ان له منزلة فوق منازل الناس وهي إما الامامة وهي عين المطلوب او الافضلية وهي تستلزمها .

(آية في مقعد صدق)

قال المصنف أعلى الله درجته

(الحادية والستون) قوله تعالى : (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) (١)
علي عليه السلام .

وأقول

لم يتعرض الفضل للجواب عن هذه الآية السكينة لسقوطها عن نسخته وقال :
(لم يذكر هنا الأول وكأنه في الحساب ايضاً غلطاً) والاولى بالغلط من ينصب خير
كان ويطلق الاول ويريد الحادي بلا نكتة تقتضيه .

ووجه الدلالة في ذلك على إمامة امير المؤمنين عليه السلام انه سبحانه غير عنه
بصفة الجمع فقال : (ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر)
فدل على انه (ع) بمنزلة جميع المتقين لانه قوام التقوى واساسها فهو اعظم الامية
وافضلها فيكون هو الامام . وايضاً فقد بشرت الآية علياً (ع) بشخصه بالجنة وهو
عالم بذلك لان عنده علم الكتاب ، وقد سبق ان هذا يقتضي عصمته او افضليته على
غيره فيكون هو الامام .

وقد نقل في كشف الغمة عن ابن مردويه خبراً آخر رواه عن جابر عن النبي (ص)
قال في آخره : (إ بشر يا علي ما من عبد ينتحل مودتنا إلا بعثه الله معنا يوم القيامة
ثم قرأ رسول الله { ص } في مقعد صدق عند مليك مقتدر) ونقل ايضاً عن موفق
ابن احمد الخوارزمي عن جابر قال : (قال رسول الله { ص } : يا علي من أحبك وتوكل
أسكنه الله معنا ثم تلا رسول الله إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك

متمتدراً) ويستعادم من أول هذين الحديثين أن مودتي النبي وعليهما الصلاة والسلام، متلازمان
ومن الحديثين أن مودة علي توجب دخول الجنة، وذلك دليل الفضل على سائر الأئمة
فيكون علي (ع) إمامها لأسباب مع إعلانه بأنه من أهل الجنة وأنه السبب في دخولها.

آية ولما ضرب ابن مريم مثلاً

قال المحنف أعلى الله مقامه

(الثانية والستون) قوله تعالى : (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه
يصدون) « ١ » قال النبي (ص) لعلي : إن فيك مثلاً من عيسى أحبه قوم فهللكوا فيه
وأبغضه قوم فهللكوا فيه فقال المدافعون أما يرى له مثلاً إلا عيسى فنزلت الآية .
وقال الفضل : نزلت في عبد الله بن الزبير حين نزل (أنكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم) فقال ابن الزبير عيسى عُبِدَ فهو يدخل جهنم فقال رسول الله (ص)
ما جهلك بلغة قومك فإن (ما) لا يراد به ذوو العقول وعيسى من ذوي العقول ، فأُزِلَ
الله تعالى : (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) وإن صح فهو في
حكم أخواتها .

وأقول

هذا مما رواه ابن مردويه كما في كشف الغمة ورواه أئمتنا الاطهار عن أمير المؤمنين
ونقل نحوه في منابع المودة في الباب الرابع والاربعين عن المناقب ، وقد استفاض
ضرب المثل لعلي بعيسى في اخبارهم حتى روي في مسند احمد من طريقين (٢) ورواه
الذسائي في خصائصه والحاكم في المستدرک وصححه (٣) ، ونقله في الصواعق في الحديث
المعشرين من الأحاديث الواردة في فضل أمير المؤمنين (ع) عن البزار وإبي يعلى ،

(١) الزخرف الآية ٥٧ . (٢) ص ١٦٠ من الجزء الأول وهي آخر صحيفة

من مسند علي «ع» . (٣) ص ١٢٣ من الجزء الثالث .

ونقله في كنز العمال (١) عن أبي نعيم وغيره . ولا ريب في صحة ذلك حتى لو لم ترد به رواية لشهادة الوجدان به ، فإن الغلاة بأئمة ومؤمنين (ع) كثيرون ، وكذلك النصاب له الذين هللكوا ببغضة كالخوارج وبني أمية وأشياعهم واشباه الفضل من الزموا أنفسهم من دون برهان بتأخيرهم رتبة وفضلا عن لا يقاس به علماء وعملاء . ولا يمكن أن تكون الإمامية ممن هلك بحجة لأن الروايات المشار إليها جعلت أهل الكين بحجة من نحو أهل الكين بحج عيسى ومن المعلوم أن من هلك بحج عيسى إنما هو من قال بأهليته فكذا من هلك بحج علي وأما ما ذكره الفضل من قصة ابن الزبيرى فلا مناسبة لها بحج عيسى مثلا لأن ابن الزبيرى صير عيسى نقضاً للآية لأمثلا ، على أن المفهوم من الآية أن المضارب للمثل بعيسى هو النبي (ص) لا قومه وإنما هم صادقون عنه .

ومما ذكر يعلم وجه الدلالة على إمامة أمير المؤمنين (ع) ، فإن ضرب المثل له بعيسى دال على أنه مثله في الفضل عند الله تعالى بحيث كان ببغضة هلاكاً فهو شبيه عيسى بالعظمة وفوق الامة وإمامها ، ولذا قال المنافقون لا يرى له مثلاً إلا عيسى ، مضافاً إلى أن الداعي للغلو فيه كالداعي للغلو بعيسى وهو ما صدر عنه من المعجزات والكرامات الباهرة ، ولا شك أن صدورها من شخص دون غيره دليل على كرامته عند الله وفضله على قومه ، والأفضل حل الإمامة ودليل على أن إمامته من الله تعالى لا اقتران بمعجزة بدعوى الإمامة ، وبكفيك من معجزاته أخباره بالمغيبات ورد الشمس له في حياة النبي (ص) وبعده ، ومخاطبة الثعبان له ، وغيرها من كراماته الباهرة ، وسيأتي أن شاء الله تعالى في الحديث الخامس عشر وجه آخر لبيان إمامته من الآية وهذا الحديث .

(آية ومن خلقنا أمة يهدون بالحق)

قال المصنف طاب ثراه

(الثالثة والستون) قوله تعالى : (ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) (٢٢)

(١) ص ١٥٨ من الجزء السادس . (٢) الاعراف . الآية ١٥٨ و ١٨٠ .

قال علي «ع» : أنا وشيعتي .

وقال الفضل : هذا من رواياته ومدعياته والله أعلم وليس فيه دليل على المدعى .

وأقول

لا يخفى انه ورد في كثير من أخبار القوم أن المراد بالامة في الآية امة محمد «ص» وليس المراد هو الامة باطلاقها لما في تفسير الرازي قال قرأ النبي «ص» الآية ، وقال (ان من امتي قوم أعلى الحق حتى ينزل عيسى بن مريم) ولما استفاض في الأخبار من أن امة محمد «ص» تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة فرقة ناجية وما سواها هالكة في النار ، فلا يمكن أن تكون كلها هادية بالحق بل بعضها وهي الفرقة الناجية ، وقد فصرتها الرواية التي أشار اليها المصنف بعلي وشيعته ، كما يشهد لها حديث الثقلين وغيره ، قال علي (ع) في هذه الرواية كما في كشف الغمة عن ابن مردويه : (تفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهم الذين قال الله تعالى ومن خلقنا امة يهودون بالحق وبه يعدلون وهم أنا وشيعتي) ومثله في الباب الخامس والثلاثين من ينابيع المودة عن موفق بن أحمد بسنده عن علي (ع) إلا أنه قال : (وهم أنا ومحبي وأتباعي) .

فإذا كان علي (ع) وشيعته هم الفرقة الناجية الذين يهودون بالحق وبه يعدلون كان هو الامام ألبة ، إذ لا يمكن أن يكون مأموماً وتابعا لبعض شيعة لأن الشيعة هم الانباع لاتبوعون ، ولذا لا يدخل في شيعة على مذهب القوم المشايخ الثلاثة لأنهم يزعم القوم أئمة علي (ع) ومتبوعون له لا تابعون ، كما لا يدخل في شيعة محاربوه وأعداؤه كالزبير وطلحة وأصحابها من الكثرين ومعاوية وأتباعه من القاسطين ، وكذا لا يدخل فيهم جميع السنة ضرورة أنهم شيعة لأعدائه لا له .

آية تراهم ركعاً سجداً

قال المصنف نور الله ضريحه

(اربعة والمستون) (تراهم ركعاً سجداً) « ١ » نزلت في علي عليه السلام .
وقال الفضل : إن صح فلا دلالة له على النص .

وأقول

هذا مما نقله في كشف الغمة عن ابن مردويه : والمراد في نزول الآية بعلي نزولها
بتمامها مع النبي (ص) ، كما هو الظاهر ، لأن الآية هكذا : (محمد رسول الله والذين
معه أشداء على الكفار رحما بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً
سيبأهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة) الآية وظاهرها أن أشداء
وما بعده خبر لمحمد وما عطف عليه لا للمعطوف فقط اعني الذين معه ، فيكون الركع
السجود محمداً وعلياً ، وحديثه فتدل الآية على إمامة أمير المؤمنين «ع» لتمبيرها عنه
بصيغة الجمع وهي الذين معه . مشيراً بها إلى أنه بمنزلة جميع من مع النبي (ص) من حيث
أنه قوامهم ، فيثبت فضله عليهم بالجهاد والتقوى وجميع صفات الكمال ، لا سيما بضميمة
ما أخبر به عن محمد والذين معه من الأوصاف الجليلة التي لا تثبت بمجموعها لا أكثر
الصحابة ، بل ولا لبعضهم على وجه الكمال ، وإنما تثبت كاملة للنبي «ص» وعلي «ع»
فهو نظيره ونفسه ، ويؤيد الرواية التي أشار إليها المصنف نزول أبعاد الآية الاخر في
علي «ع» أيضاً كما عرفته في قوله تعالى : (فاستوى على سوقه) وما سيأتي في قوله تعالى
(يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) .

(آية والذين يؤذون المؤمنين)

قال المصنف فرس سره

(الخامسة والستون) (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) (١٥)
نزلت في علي لأن نفرأ من المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه .
وقال الفضل : ظاهر الآية العموم وإن خص فلا دلالة له على النص المقصود .

وأقول

هذا أيضاً مما نقله في كشف الغمة عن ابن مردويه عن مقاتل ، ونقله عنه الواحدي في أسباب النزول ، إلا أنه قال يسمعون به بدل يكذبون عليه ، وأشار اليه الزمخشري بقوله (وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون علياً ويسمعونه) . ووجه الدلالة على المطلوب أن قوله تعالى : (بغير ما اكتسبوا) شهادة ببراءة علي «ع» مما يقولون ، وإن قوله لم بهتان كما قال سبحانه في تمام الآية : (فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) ومن المعلوم أن اهتمام الآية ببراءة علي «ع» وبيان أن من آذاه احتمل إثماً مبيناً مع كثرة ما يصدر من الناس من قول البهتان والايذاء المؤمنين دليل على عظمته عند الله تعالى وفضله على غيره ، ولا سيما مع التعبير عنه بصيغة الجمع وذكر ايذائه مع ايذاء الله ورسوله ، والأفضل أحق بالإمامة . ثم انه لا منافاة بين ذكر المؤمنين في الآية وبين نزولها في علي «ع» ومن يؤذيه إذ لا مانع من التعرض لمن بالتبع ، ولا سيما ان المنصرف من المؤمنين عند إرادة علي بالمؤمنين هو فاطمة المظلومة فتزید فائدة الآية في المطلوب .

(آية واولى الارحام)

قال المصنف رفع الله درجته

(السادسة والستون) (واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين)

(١) الاحزاب . الآية ٥٨ .

والمهاجرين) (١) «هو علي لأنه كان مؤمناً مهاجراً ذا رحم .
وقال الفضل : ظاهر الآية العموم ولم يذكر المفسرون تخصيصاً بأحد ، ولو خمس
فلا دلالة له على النص ، والاستدلال بأنه مؤمن مهاجر ذو رحم لا يوجب التخصيص
لشمول الأوصاف المذكورة لغيره .

وأقول

لأنّ شمول الأوصاف المذكورة لغيره ، فإن العباس ليس من المهاجرين إذ لا هجرة
بعد الفتح فلا يستحق من النبي «ص» ميراثاً ، لأنه تعالى قيد في الآية اولي الأرحام
بكونهم من المؤمنين والمهاجرين ، ولو سلم أن من في هذه الآية ليست بيانية بل هي
الداخلية على المفضل عليه كفي في الدلالة على اعتبار الهجرة في الأولوية فوله تعالى في
آخر سورة الأنفال : (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل
الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم
من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) الآية ، بل يظهر من هذه الآية اعتبار الجهاد
حين الهجرة أيضاً في الأولوية ، ولا جهاد للعباس حينئذ كما لا هجرة له ، ولو تنازلنا عن
ذلك فعلى «ع» أقرب رحماً من العباس وإن كان ابن عم للنبي (ص) لأن ابن العم
الابن أقرب عندنا رحماً وأولى بعمرات ابن عمه من العم للاب فقط ، ولو أعرضنا عن
هذا وأخذنا باطلاق اولو الأرحام في الآية : فغاية الأمر أن يستوي علي والعباس بعمرات
الامامة لمعاظرة إطلاق الآية ، إلا أنه لا بد من تقديم علي «ع» لأفضليته وتسلم العباس
لامامته ، ولذا طالب مبايعته عند وفاة النبي «ص» ، وما يبيننا يعلم مافي قول الرازي
والمنصور الدوانيقي في جواب محمد بن عبد الله قال الرازي بتفسيره : (المسئلة الثانية
تمسك محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في كتابه إلى أبي جعفر
المنصور بهذه الآية في أن الامام بعد رسول الله «ص» هو علي بن أبي طالب ، فقال
قوله تعالى (واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) يدل على ثبوت الأولوية وليس في الآية

شيء معين في ثبوت هذه الأولوية فوجب حملها على السكلي إلا ما خصه الدليل وحيث أن يندرج فيه الامامة ، ولا يجوز أن يقال أن أبا بكر كان من أولي الأرحام لما نقل أنه عليه الصلاة والسلام أعطاه سورة براءة ليبلغها إلى القوم ثم بعث علياً خلفه وأمر بأن يكون المبلغ هو علي وقال لا يؤيدها إلا رجل مني وذلك يدل على أن أبا بكر ما كان منه فهذا هو وجه الاستدلال بهذه الآية . والجواب إن صحت هذه الدلالة كان العباس أولى بالامامة لأنه كان أقرب إلى رسول الله «ص» من علي وبهذا الوجه أجاب أبو جعفر المنصور عنه (وإنا قلنا أنه يعلم الجواب عن هذا مما ذكر لما عرفت من أن العباس ليس من المهاجرين فلا ولاية بينه وبين النبي «ص» ، ولو سلم فعلي أقرب منه رجحاً ولو تمسكنا باطلاق أولو الأرحام فعملي أفضل والأفضل أحق بالامامة ، ولعله لهذه الأمور طلب العباس مبايعة أمير المؤمنين «ع» لكن الحق أن المنشأ في الطلب علمه ببيعة الغدير وغيرها ثم إن الأمر المهم هو أولوية أمير المؤمنين «ع» من أبي بكر بمراث النبي «ص» وهي حاصلة لعدم الرحمة لأبي بكر كما يدل عليه حديث عزله عن أداء سورة براءة ، فتكون خلافته باطلة وإن الحق لعلي «ع» : وقول الرازي - إن صحت هذه الدلالة - إن أراد به منع دلالة آية أولي الأرحام على أولوية أرحام النبي «ص» بالامامة فظاهر البطلان لأن الآية اطلقت الأولوية والمطلق حجة في الاطلاق بالاجماع ، وإن أراد به منع دلالة حديث عزل أبي بكر على أنه ليس بذئ رحم فالأمر أشنع ، ولو كان أبو بكر رجحاً للنبي (ص) لكانت قريش كلها أرحاماً بل الناس كلهم كذلك لاجتماعهم في آدم ونوح عليها السلام ولو سلم فعلي أقرب منه رجحاً للنبي (ص) فيحجبه عن الميراث اتفاقاً وتكون الخلافة لعلي عليه السلام .

آية وبشر الذين آمنوا

قال المصنف أعلى الله مقامه

(السابعة والستون) (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق) (١) نزلت في

(١) يونس . الآية ٢ .

ولاية علي عليه السلام .

وقال الفضل : لم يذكره المفسرون فإن صح فهو في حكم اخواته .

وأقول

حكاه في كشف الغمة عن ابن مردويه ، وعليه دلالة الآية على إمامة أمير المؤمنين واضحة ، لأن من ثبت قدم الصدق للمؤمنين بولايته وببشر الله تعالى بثبوتها في كتابه العزيز لابد أن يكون أفضلهم وخيرهم جميعاً ، فيكون إمامهم : ولو اريد بالولاية في الحديث الامامة كانت الآية نصاً فيها .

آية أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

قال المصنف طاب ثراه

(الثامنة والستون) (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) « ١ »

كان علي منهم .

وقال الفضل : هذا يشمل سائر الخلفاء فان كلهم كانوا اولي الامر ولا دليل على مدناه

وأقول

لا يمكن أن يشمل سائر الخلفاء سواء أراد بهم خصوص الأربعة أم الأئمة منهم ومن معاوية يزيد والوليد وأشباهم . لدلالة الآية على عصمة اولي الأمر وهؤلاء ليسوا كذلك كما سبق موضحاً في أول مباحث الامامة . فيتعين أن يراد بأولي الأمر علي وأبناءؤه الاطهار لا تتفاء العصمة عن غيرهم بالضرورة والاجماع .

(آية وأذان من الله ورسوله)

قال المحمّد أُمّزل الله نوابه

(التاسعة والستون) (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر) « ١ »
في مسند أحمد هو علي حين أذّن بالآيات من سورة براءة حين أنفذها النبي « ص »
مع أبي بكر وأتبعه بعلي « ع » فردّه ومضى علي وقال النبي « ص » : قد أمرت أن
لا يبلغها إلا أنا أو واحد مني .

وقال الفضل : سird عليك أن إنفاذ علي بعد أبي بكر كان لأجل أن العرب في
اليهود لا يعتبرون إلا قول صاحب العهد أو واحد من قومه ولاجل هذا أنفذ علياً .

وأقول

لو كان العرب على ما ذكره لما خفي على النبي (ص) وأصحابه في أول الأمر . فلا بد
أن يكون إرسال النبي (ص) لأبي بكر ليس مخالفاً لقاعدة العرب بل هو مع عزله بعلي
للتنبية من الله ورسوله على فضل علي وأنه من رسول الله (ص) دون سائر الناس ، وعلى
أن أبا بكر ليس أهلاً للقيام مقام النبي (ص) في ذلك فكيف يقوم مقامه في الزعامة
العظمى ، ولو أرسل علياً (ع) أولاً لم يحصل هذا التنبية ، ثم إن الضمير في قوله في
الحديث (هو علي) راجع إلى الأذان أو المؤذن المستفاد من الكلام ؛ ويشهد للأول
ما في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم أنه أخرجه عن حكيم بن حميد قال : (قال لي علي بن
الحسين (ع) إن لعلي (ع) في كتاب الله اسماً ولسكن لا يعرفونه . قلت ماهو؟ قال :
ألم تسمع قول الله تعالى : وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر هو والله
الأذان) أقول وأنت تعلم أن تسميته (ع) في كتاب الله تعالى بالأذان المنسوب إلى
الله عروجل دليل على شرف محله وخطر مقامه فلا يقاس به من لم يصلح لتأدية الرسالة .

طوبى لهم وحسن مآب

قال المصنف رحمه الله عليه

(السبعون) (طوبى لهم وحسن مآب) « ١٨ » قال ابن سيرين : هي شجرة في الجنة أصلها في حجرة علي وليس في الجنة حجرة إلا وفيها غصن من أغصانها .
وقال الفضل : في الروايات المشهورة أنها في بيت النبي (ص) ولا يبعد أن بيت النبي (ص) والولي يكون متحداً : ولا بأس بهذه الرواية فإن كل هذه تدل على الفضائل المتفق عليها ولا دلالة فيها على النص وهو المدعى .

وأقول

حكاه في الدر المنثور عن ابن أبي حاتم عن ابن سيرين وما ذكره الفضل أنها في دار النبي (ص) مروى أيضاً ومقتضى الجمع أن دارها واحدة كما ورد من طرفنا تصریح النبي (ص) به بعد أن قال مرة : أن طوبى شجرة في الجنة أصلها في داري وفروعها في دور أهل الجنة ، وقال مرة : أصلها في دار علي (ع) ودلائلها على إمامة أمير المؤمنين (ع) من وجهين : { الأول } أنها أبانت أن علياً (ع) من أهل الجنة وقد سبق مراراً أن إعلامه بشخصه بأنه من أهل الجنة يستدعي عصمته أو فضله على غيره { الثاني } أن اتحاد دار النبي (ص) والولي دليل على أنها كنفس واحدة وبمزية متحدة فيكون علي (ع) أفضل الناس وخيرهم حتى الانبياء فيكون إمام الامة ألبتة .

آية فانا منهم منتقمون

قال المصنف رحمه الله عليه

(الحادية والسبعون) (فلما نذهب بك فانا منهم منتقمون) « ١٩ » قال ابن عباس : بعلي عليه السلام .

وقال الفضل : لا يظهر ربطه بعلي إذ المراد من الذين ينتقم منهم هم الكفار وعلي لم يحارب الكفار بعد النبي (ص) : وإن أراد البغاة فالآية ليست نازلة في شأنهم كما يدل السابق واللاحق من الآية على أنها نزلت في شأن الكفار ، وإن صح فلا يدل على المدعى .

وأقول

هذا مما نقله في كشف الغمة عن ابن مردويه عن ابن عباس ، ونقله أيضاً في ينابيع المودة في الباب السادس والعشرين عن أبي نعيم عن حذيفة بن اليمان ، وقال السيوطي في الدر المنثور (أخرج ابن مردويه عن جابر عن النبي «ص» في هذه الآية نزلت في علي ابن أبي طالب انه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي) فهذه الرواية صريحة في نزول الآية بانتقام علي «ع» من البغاة كما هو مقتضى الاخبار الاخر .

واما ما زعمه الفضل من ان المراد من الذين ينتقم منهم هم الكفار بدعوى دلالة ما سبق على الآية وما لحقها على ذلك فمنوع لشمول هذه الآيات للكافرين والمنافقين قال تعالى في سورة الزخرف : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون . حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين . وان ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون . أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين . فاما نذهب بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون) فإذا كان لفظ الآيات شاهداً للكافرين والمنافقين وكان صالحاً لتخصيصه بالمنافقين لدليل خاص كسائر العمومات فقد صح لتلك الاخبار ان يراد بالآيات الخصوص وإن يكون المراد بضمير الغيبة في قوله تعالى : (فانا منهم منتقمون) هو المنافقون ، لاسيما مع التصريح في رواية جابر المذكورة بالانتقام من الناكثين والقاسطين ، فانهم وسائر البغاة على علي «ع» أعداء مبغضون له وقد استفاضت الأخبار كما مر مراراً أن بغضه علامة التناق ، فإذا كان علي «ع» هو الذي وعد الله سبحانه بالانتقام به بعد النبي بمقتضى تلك الأخبار كان هو الامام

لأن قيامه مقام النبي (ص) فيما هو أنسب بعمل الخلفاء والأئمة ظاهر في إمامته بعده ، ولو سلم أن الآيات نازلة بالكافرين فالبغاة على أمير المؤمنين «ع» منهم لانكارهم لامامته والامامة من اصول الدين كما هو الحق ، ولقوله { ص : } (حربك حربي) وقوله سبحانه : (من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الآية ، فأنها نازلة بعلي { ع } ومن حاربه كما سبق ، إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على كفرهم ولو حكما في الجملة .

(آية هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل)

قال المصنف أعلى الله درجته

(الثانية والسبعون) (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) (١) عن ابن عباس انه علي عليه السلام .
وقال الفضل : لا شك ان علياً كان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم لكن لا بدل هذا على النص على إمامته .

وأقول

هذا مما حكاه في كشف الغمة عن ابن مردويه وأول الآية (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) وهذا المثل كما تدل عليه الآيات السابقة على هذه الآية قد ضربه الله سبحانه لنفسه وللصنام فثلها بالأبكم العاجز ومثل نفسه المقدسة بعلي «ع» وقال سبحانه : لله المثل الأعلى ؛ فيكون علي «ع» أعلى وأفضل من سائر الامة وإمامها ، وأيضاً قد دل على أنه على الصراط المستقيم فيكون معصوماً ، وعلى انه يأمر بالعدل أيضاً فيكون أفضل وأولى بالامامة ممن قال : (أما والله ما أنا بخيركم أفتظنون اني أعمل فيكم بسنة رسول الله «ص» إذن لا أقوم بها إن رسول الله «ص» كان

معصم بالوحي وكان معه ملك وانلي شيطاناً يعتريني فإذا غضبت فاجتنبوني ان لا اؤثر في اشعاركم وابشاركم) .

(آية سلام على آل يس)

قال المصنف فرسى الله روم

(الثالثة والسبعون) (سلام على آل يس) عن ابن عباس آل محمد «ص» .
وقال الفضل : ضح هذا وآل يس آل محمد «ص» وعلي منهم والسلام عليهم ولكن
ابن هو دليل المدعى .

وأقول

فضّل الله سبحانه في هذه السورة أي (سورة الصافات) جماعة مخصوصة من
الأنبياء فقال تعالى : (وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين) وقال تعالى
(سلام على ابراهيم) وقال سبحانه : (سلام على موسى وهرون) ثم ختم السورة بالتعميم
لجميع المرسلين ، وخص أيضاً في أثناء ذلك آل محمد بالسلام فقال : (سلام على آل يس)
وهو دليل على شرف منزلتهم وانهم في قرن الأنبياء والمرسلين ، فيكون دليلاً على فضلهم
وإمامتهم للإمامة قال الرازي فيما حكاه عنه ابن حجر في الصواعق (١) : « ان أهل
بيته «ص» يساونه في خمسة أشياء : في السلام قال السلام عليك أيها النبي وقال سلام
على آل يس : وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد ، وفي الطهارة قال تعالى : (طه) أي
يا طاهر وقال : (وبطهركم تطهيرا) ، وفي تحريم الصدقة وفي المحبة قال تعالى : (فاتبعوني
يحبيكم الله) وقال : (لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى) » وأقول لقد ترك عمدة
ما يساونه فيه وهو أنهم حجج الله مثله لكونهم خلفاءه الاثنى عشر من قریش ونسب
المباهلة بهم معه وعصمتهم وكثيراً من الفضائل التي يشاركون بها دون الامّة كالعلم بما
في الكتاب ونحوه .

(١) في الآية الثالثة من الآيات البازلة في أهل البيت وهي الآية التي نحن فيها .

آية وأما من أوتي كتابه بيمينه

قال المصنف طاب مرقه

(الرابعة والسبعون) (ومن عنده علم الكتاب) (وأما من أوتي كتابه بيمينه) (١)

قال ابن عباس هو علي «ع» .

وقال الفضل : قد علمت ان آية من عنده علم الكتاب نزلت في عبد الله بن سلام ،
وأما آية من أوتي كتابه بيمينه فالظاهر أن المراد سائر المؤمنين من أصحاب اليمين وان
خص فلا دلالة له على المدعى .

وأقول

قد علمت مما سبق كذب دعوى نزولها في ابن سلام ، وأن الحق نزولها في عدیل
القرآن وقرينه وباب مدينة علم سيد المرسلين ، وأوضحنا دلائلها على إمامته هناك في
الآية السابعة والعشرين ؛ وأما الآية الثانية فتعرف دلائلها على إمامته «ع» مما سبق في
الآية الثانية والثلاثين وغيرها لبشارتها له واعلامها له بأنه يؤتى كتابه بيمينه وأنه في
عيشة راضية في جنة عالية ، وإنما أعاد المصنف «ره» ذكر الآية الاولى من هاتين
الآيتين لأنه إنما رواها سابقاً من طريق الشامي عن عبد الله بن سلام ومن طريق أبي
نعيم عن محمد بن الحنفية ؛ وأما روايتها هنا فمن طريق ابن مردويه عن ابن عباس فإنه
روى نزول الآيتين معاً في رواية واحدة كما في كشف الغمة فحسن لذلك اعادتها بفتح اختها

(آية اخوانا على سرر متقابلين)

قال المصنف اعلى الله درجته

(الخامسة والسبعون) (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) (٢)

(١) الآية الاولى من سورة الرعد الآية الاخيرة ؛ والثانية من سورة الواقعة

الآية ٢٢ . (٢) الحجر الآية ٤٧

عن أبي هريرة قال : قال علي بن أبي طالب : يا رسول الله أيما أحب إليك أ أم فاطمة ؟ قال : فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز عليّ منها وكأني بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس وإن عليه الأباريق مثل عدد نجوم السماء وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة إخواناً على سرر متقابلين أنت مهي وشيعتك في الجنة . ثم قرأ رسول الله «ص» إخواناً على سرر متقابلين لا ينظر أحدهم في قماء صاحبه .

وقال الفضل : إن صح هذا فهو من فضائله وذكر درجاته العلى في الجنة ولا ريب لمؤمن في هذا ، والبحث في وجود النص فأني نفع لذاكر هذه الفضائل في ذكرها .

وأقول

سبق ذكر هذه الآية . وهي الآية الثانية والثلاثون وإنما أعادها المصنف «ره» لأنه نقلها سابقاً عن مسند أحمد ، وذكرنا هناك تمام حديثه وبيننا وجوه دلالة : وما ذكرها هنا فلأن الحديث المذكور في المقام من أحاديث ابن مردويه ، وهو مشتمل على خصوصيات آخر تقتضي الإمامة أيضاً (منها) ان علياً «ع» هو الساقى على حوض النبي (ص) يذود عنه الناس وهو بظاهره يقتضي الامتياز والفضل على جميع الناس ولا أقل من دلالاته على الفضل على هذه الامة فيكون إمامها : و (منها) ان شيعته في الجنة فيكون مابعتقدونه من إمامته دون غيره - حق : و (منها) بإشارته بشخصه بالجنة وهو كما سبق دليل على عصمته أو فضله على مثل المشايخ الثلاثة ممن لا يصح تبشيرهم بهذه البشارة فيتمين دونهم الإمامة .

(فإن قلت) على هذا يكون عقيل مساوياً لعلي «ع» بالعصمة أو الفضل على غيره لبشارته بشخصه أيضاً في الجنة فيلزم جواز إمامته وأنتم لا تقولونه (قلت) قد اعتبرنا في الدلالة على العصمة أو الفضل علم الشخص بدخول الجنة وليس في الحديث ما يدل على علم عقيل ، وليس هو أيضاً كعلي «ع» عنده علم الكتاب والعلم بكل آية فيمن نزلت فلا يلزم علو رتبته كعلي «ع» ، على أن عقيل ليس بمعصوم فلا يجوز إمامته وإب
فرض جواز إشارته وإعلامه بدخول الجنة .

هذا ونقل نحو هذا الحديث في الباب الرابع والأربعين من ينابيع المودة عن أبي نعيم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) لعلي : أنت يا علي على حوضي تذود عنه المنافقين وإن أباريقه عدد نجوم السماء وأنت والحسن والحسين وحزمة وجهه في الجنة أخواناً على سرر متقابلين وأنت وأتباعك معي ثم قرأ ونزعنا ما في صدورهم من غل أخواناً على سرر متقابلين .

(آية يعجب الزراع)

قال المصنف فرس سره

(السادسة والسبعون) (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) «١» هو علي عليه السلام وقال الفضل : قد سبق ما ذكر في شأن نزول هذه الآية وهو من المضائل ولا يدل على النص .

وأقول

هذا مما حكاه في كشف الغمة عن ابن مردويه ويؤيده ما ورد من نزول اباعاض آخر من الآية في أمير المؤمنين «ع» كما عرفت في الآية الأربعين والرابعة والستين ، والظاهر نزولها جميعاً في النبي (ص) وأمير المؤمنين اتصريح صدرها بالنبي (ص) وورود نزول جملة من اباعاضها في علي «ع» ، قال تعالى : (محمد رسول الله والذين معه - يعني علياً - أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سببهم في وجوههم من أثر السجود) ثم بين سبحانه مثل النبي وعلي لما أوزرته له في دعوته بالزرع الذي (أخرج شطاء) أي فراخه وصغارهم ، وذلك بالاحاط ابتداء دعوة النبي (فأزره) من حيث مؤازرة علي «ع» له «ص» (فاستلظ) بها (فاستوى على سوقه) باستمرار دعوة النبي «ص» ، وسيف علي «ع» (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) أي بالنبي وعلي ، ولا ريب أن من امتاز بكونه غيظاً للكافرين لا بد أن يكون أقوى

المسلمين عريضة وأشدّهم شكيمة وأعلام حجة وأرأ وأفضالهم فهما وعلماء وليس ذلك إلا النبي والامام .

آية أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله

قال المصنف نور الله ضريحه

(السابعة والسبعون) (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) « ١ » قال الباقر « ع » نحن الناس .

وقال الفضل : هذا أيضاً ان صح فهو من الفضائل ولا ثبوت للمدعى .

وأقول

قال ابن حجر في الصواعق (٢) أخرج أبو الحسن المغازلي عن الباقر « ع » انه قال في هذه الآية نحن الناس والله ، ونحوه في ينابيع المودة (٣) وزاد رواية اخرى عن ابن المغازلي عن ابن عباس قال : هذه الآية في النبي « ص » وفي علي « ع » ، ووجه الدلالة على المطلوب ظاهر فان المراد بما آتاهم الله من فضله هو العلم والهدى والفهم والحكمة ونحوها من الصفات والفضائل التي هي شأن محمد « ص » وعلي « ع » لأمر الدنيا الدنية ومن المعلوم ان إبتاء هذا الفضل لعلي « ع » الذي حسده الناس عليه يستدعي الأفضلية والامامة وإلما حسدوه عليه كما ان مشاركته « ع » للنبي « ص » في الفضل على الرواية الثانية دليل على ان فضله من نوع فضل النبي « ص » فيكون الأفضل والأحق بخلافته

(آية كمشكاة فيها مصباح)

قال المصنف رفع الله درجته

(الثامنة والسبعون) (كمشكاة فيها مصباح) « ٤ » عن الحسن البصري قال : المشكاة

(١) النساء . الآية ٥٣ . (٢) في الآية السادسة من الآيات الواردة في أهل البيت وهي هذه الآية . (٣) في الباب ٣٩ (٤) النور . الآية ٣٥ .

فاطمة والمصباح الحسن والحسين (والزجاجة كأنها كوكب) قال : كانت فاطمة كوكباً درياً بين نساء العالمين (توقد من شجرة مباركة) قال : الشجرة المباركة ابراهيم (لاشرقية ولا غربية) لاهودية ولا نصرانية (يكاد زيتها يضيء) قال : يكاد العلم ينطف منها (ولو لم تمسه نار نور على نور) قال : فيها إمام بعد إمام (يهدي الله لنوره من يشاء) قال : يهدي الله لولائهم من يشاء .

وقال الفضل : ليس هذا من تفاسير أهل السنة وإن صح فدل على فضائل أهل بيت رسول الله (ص) وهو متفق عليه ولو ذكر أضعاف هذا فلا ينزع منازع .

وأقول

هذا من روايات ابن المغازلي على ما حكاه السيد السعيد عنه ويشهد لصحته ما نقله السيوطي في الدر المنثور في تفسير ما بعد هذه الآية . وهو قوله تعالى : (في بيوت أذن الله أن ترفع) عن ابن مردويه أنه أخرج عن أنس بن مالك وبريدة قال : (قرأ رسول الله «ص» هذه الآية في بيوت أذن الله أن ترفع فقام إليه رجل فقال أي بيوت هذه يارسول الله قال بيوت الأنبياء فقام إليه أبو بكر فقال يارسول الله هذا البيت منها البيت علي وفاطمة قال نعم من أفاضلها) ونقل المصنف «ره» نحوه في منهاج السكرامة عن الثعلبي عن أنس وبريدة ، فإن قوله تعالى في بيوت مرتبط بقوله كشكاة كما هو الظاهر ووافق عليه الأكثر ، ومن المعلوم أن تقييد المشكاة بكونها في بيوت الأنبياء لا دخل له بظاهر الآية من إرادة تعظيم المشكاة بزيادة النور الظاهري . فينبغي أن يراد بالمشكاة فاطمة كما في رواية ابن المغازلي ليكون التقييد بكونها في بيوت الأنبياء مفيداً لزيادة تعظيمها ونورها المعنوي ، فيكون حاصل المعنى أن مثل نوره تعالى كفاطمة العالمة المنيرة بمصباح نور الحسن والحسين المتضاعف نورها بأنوار الأئمة من ولدها ، وهذا أدل دليل على إمامة علي وولده الأظهر فانه ذكر أن من فاطمة «ع» الأئمة إماماً بعد إمام ، ولا ريب على القول بإمامتهم ، أن إمامتهم فرع إمامة أمير المؤمنين «ع» فتثبت إمامته كما هو المطلوب . مضافاً إلى أن الله سبحانه أظهر لفاطمة وولدها بضرب المثل بهم لنوره

فضلا لا يوازي ونحوه لا يماثل ولا شك ان فضلهم من فضل علي «ع» ودرنه فيكون أفضل الامة والأفضل هو الامام .

هذا وقد روي عندنا عن إمامنا أبي جعفر الباقر عليه السلام ما هو أظهر في المألوف وأقرب إلى معنى الآية قال «ع» ما حصله : ان المشكاة صدر النبي «ص» والمصباح نور علمه والزجاجة صدر أمير المؤمنين «ع» توقد من شجرة مباركة أي من نور علم النبي (ص) لأن علمه صار إلى علي «ع» لاشرقية ولا غربية ليهودية ولا نصرانية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ؛ قال يكاد العالم من آل محمد (ص) يتكلم قبل أن يسأل نور على نور أي إمام مؤيد بنور العلم والحكمة في إثر إمام من آل محمد (ص) .

(آية ولا تقتلوا أنفسكم)

قال المصنف طاب ثراه

(التاسعة والسبعون) (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) «٩٥» قال ابن عباس لا تقتلوا أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله .

وقال الفضل : ليس هذا من تفاسير أهل السنة وترك قتال أهل بيت النبي (ص) هل يحتاج إلى الاستدلال بالنص وهو على إقامة الدليل على إثبات نص الامامة ويستدل بالقرآن على عدم جواز قتلهم وهذا من غرائب أطواره في البحث .

وأقول

النظر في الاستدلال إنما هو إلى جعل قتل الناس لهم كقتل الناس لأنفسهم ، لأن جسم مادة التمن وحفظ الأنفس على الوجه الشرعي موقوف على أئمة معصومين ، فتكون الآية دليلا على إمامتهم وعصمتهم وبعضها قوله تعالى في الآية الستين (اذا دعاكم لما يحبيكم) أي دعاكم إلى ولاية علي (ع) ، فالمراد بالأنفس في الآية معناها الحقيقي ، ولكن كنى بالنهي عن قتلها عن النهي عن قتل أهل البيت (ع) لتوقف حفظ النفوس عليهم ؛

ويحتمل أن يكون تجوزاً في نسبة القتل إلى الأنفس عن نسبتها إلى أهل البيت (ع)، كما يحتمل أن يراد التجوز في المفرد بأن يكون قد أطلق الأنفس على أهل البيت مجازاً إشارة إلى أنهم بمنزلة الأنفس في وجوب حفظها ورعايتها على الناس كلهم لأن حياتهم حياة الأنفس من كل وجه : أما في الآخرة فلا تنهم الهداة وبهم النجاة ، وأما في الدنيا فالحفظ النفوس بهم وبهم السعادة والبركات : ولذا قال سلمان الفارسي رضي الله عنه (لو أطعتم علياً لأكلتم من فوق رؤسكم ومن تحت أرجلكم) ويحتمل أن يكون تجوزاً في المفرد على أن يراد بالأنفس أهل البيت (ع) وبقتلهم غصب خلافتهم لأنه آبل إلى قتلهم كما شهد به الوجدان .

آية وعد الله الذين آمنوا

قال المصنف أعلى الله مقام

(الثمانون) (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً) « ١ »
 عن ابن عباس قال : (سأل قوم النبي { ص } فيمن نزلت هذه الآية قال إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض ونادى مناد ليقيم سيد المؤمنين ومعه الذين آمنوا بيعت محمد { ص } ، فيقوم علي بن أبي طالب فيعطى اللواء من النور الأبيض وتحتة جميع السابقين الأولين من المهاجرين والانصار لا يخالطهم غيرهم حتى يجاس على منبر من نور رب العزة ويعرض الجميع عليه رجلاً رجلاً فيعطى أجره ونوره ، فإذا أتى على آخرهم قيل لهم قد عرفتم صفتكم ومنازلكم في الجنة إن ربكم يقول لكم ان لكم عندي مغفرة وأجرًا عظيماً يعني الجنة فيقوم علي - والقوم تحت لوائه - معهم حتى يدخل بهم الجنة ثم يرجع إلى منبره فلا يزال حتى يعرض عليه جميع المؤمنين فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنة ويترك أقرباً أعلى النار وذلك قوله تعالى « ٢ » : { والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم } يعني السابقين الأولين وأهل الولاية { والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم } يعني بالولاية بحق علي وحق علي

(١) آخر سورة الفتح . (٢) الحديد . الآية ١٨ .

الواجب على العالمين) .

وقال الفضل : هذا من القصص والحكايات التي يروها الشيعة ولا نقل صحيح به ولا إسناد ولا شيء ، ولا اتقاء من الكذب والافتراء ، وإن صح هذا دل على منقبة عظيمة من مناقب أمير المؤمنين وهي مسلمة والكلام في النص ، وأين هذا الاستدلال منه وأقول

نقله السيد السعيد عن شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني ، ويؤيده ما دل على أن علياً قسيم الجنة والنار وأنه سيد المسلمين وأنه لا يدخل الجنة إلا من بيده براءة منه وسند بولايته ودلائلها على إمامته من وجوه كونه سيد المسلمين وانهم يدخلون الجنة بزمرته وتحت لوائه وانهم يعرضون عليه جميعاً ، فانها تقتضي إمامته ولو لدلائلها على فضله والافضل هو الامام ، ولا سيما مع التصريح في آخر الحديث بأن حقه واجب على العالمين وتصريحه بأن أهل الولاية له هم الذين آمنوا بالله ورسله وإن المكذبين بولايته في زمرة الكافرين ؛ بل هذا كما يدل على إمامته يدل على انها من اصول الدين إذ لا يكفر من كذب بغير اصوله .

آية الذين اذا أصابهم مصيبة

قال المصنف أعلى الله مقامه

(الحادية والثمانون) (الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) « ١ » نزلت في علي { ع } لما وصل اليه قتل حمزة رضي الله عنه فقال إنا لله وإنا اليه راجعون فنزلت هذه الآية . وقال الفضل : هذا ليس من تفاسير أهل السنة وإن صح فهو كسائر أخواته في عدم دلالاته على النص .

وأقول

هذا أيضاً نقله السيد السعيد (ره) عن تفسيري الشعلي والنقاش والاستدلال به على المطلوب من وجهين : (الاول) انزال الله سبحانه القرآن في صبر علي «ع» وتسلية الأمر الله تعالى وجعل الصلوات العديدة والرحمة عليه ، ومن الواضح ان ذكره «ع» بذلك مع كثرة الصابرين القائلين إنا لله وإنا اليه راجعون دليل على تميزه بالصبر والتدبير للكاشفين عن كماله الذاتي وفضله على غيره فيكون هو الامام (الثاني) تعبير الكتاب العزيز عنه بصيغ الجوع مع حصر الاهتداء به بقوله اولئك هم المهتدون الدال على ان اهتداء غيره بالنسبة اليه كلاهتداء ، فان ذلك من أعظم الدلائل على عظمته عند الله سبحانه وارتفاع شأنه لديه وكونه أهدي الامة وأفضلها فيكون هو الامام .

ما في القرآن آية إلا وعلي رأسها

قال المصنف طاب ثراه

(الثانية والثمانون) في مسند أحمد بن حنبل قال ابن عباس ما في القرآن آية إلا وعلي رأسها وقائدها وشريفها وأميرها ولقد عاب الله أصحاب محمد «ص» في القرآن وما ذكر علياً إلا بخير وعنه ما نزل في احد من كتاب الله ما نزل في علي وعن مجاهد نزل في علي سبعون آية وعن ابن عباس ما نزل الله آية وفيها يأياها الذين آمنوا إلا وعلي رأسها وأميرها .

وقال الفضل : هذه أخبار لو صحت دلت على فضائل علي ، وكل ما ينقله من مسند أحمد بن حنبل فهو يدل على ان أهل السنة لا يألون جهداً في ذكر فضائل أمير المؤمنين ولو كان النص موجوداً في إمامته لكانوا يروونه وينقلونه ولا يكتبونه فلم أن لا نص هناك

وأقول

نقل المصنف «ره» في منهاج السكرامة حديث أحمد فأ نكر ابن تيمية أن يكون من أصل المسند وزعم انه من زيادات القطيعي ثم ناقش في سنده ، ونحن لا يهنا اثبات

كونه من اصل المسند فان القطيعي أيضاً معتبر النقل عندهم ؛ واما ضعف سند بركريا ابن يحيى الكسائي فقد سبق جوابه في المقدمة لاسيما ولا داعي لهم الى الطعن بركريا إلا روايته فضائل أهل البيت ومثاب أعدائهم ؛ وهو كما سبق في المقدمة دليل وثاقته على ان الحديث ونحوه مستفيض عن ابن عباس وروى عن غيره . فقد نقل في كنز العمال (١) عن أبي نعيم عن ابن عباس قال : ما نزل الله آية بأيهم الذين آمنوا إلا وعلي رأسها وأميرها ؛ ونقل فيه (٢) عن أبي نعيم أيضاً عن ابن عباس قال : ما نزل الله سورة في القرآن إلا وكان علي أميرها وشريفها ولقد عاتب الله اصحاب محمد «ص» وما قال لعلي إلا خيراً ، ونقل ابن حجر في الصواعق (٣) عن الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : ما نزل الله بأيها الذين آمنوا إلا وعلي أميرها وشريفها ولقد عاتب الله اصحاب محمد «ص» في غير مكان وما ذكر علياً إلا بخير ؛ ونقل في كشف الغمة عن ابن مردويه نحو ذلك من عدة طرق عن ابن عباس وحذيفة وهو دال على امامة أمير المؤمنين لأن المراد بكون علي (ع) رأسها وأميرها هو كونه رأس من خطب بها وهم المؤمنون وانه أميرهم وان لم يكن داخلاً معهم في الخطاب في بعض الآيات كقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا ما لا تفعلون } وقوله سبحانه : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة } الى غير ذلك مما عاتب الله به المؤمنين ؛ ولو سلم ان مراد ابن عباس دخول أمير المؤمنين معهم في الخطاب بجميع تلك الآيات فلا بد من تخصيصه بغير هذا النحو من الآيات لقوله : وما ذكر علياً إلا بخير .

هذا وقد استنهضت ابن تيمية حجة النصب لمعارضة هذه الاخبار فحضر زبد الباطل وروى ما افتراه بعض اسلافه من التواصب من ان الله تعالى انزل في علي (ع) { يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى } بدعوى انه صلى وهـ سكران فقراً وخطأ وكيف يصدق حديث يكذب خبر الله سبحانه بطهارة علي عليه السلام وازهاب الرجس عنه والخر رجس كما صرح به الكتاب العزيز ، سكن القوم لم يبالوا بتكذيب الله (١) ص ١٥٣ من الجزء ٦ . (٢) ص ٣٩١ من الجزء ٦ . (٣) في الفصل ٣

ورسوله اذا صدقوا هوام ، وقد اجترأ هذا الناصب على امام الحق وسيد الخلق بما هو أعظم من ذلك ضاعف الله تعالى له جزاء ما عمل انه خير الحاكمين ، وما اكثر ما لفا في المقام . بنقل اخبار قومه التي لا تقوم حجة على خصمه وبذكر الامور الواهية التي لا يليق بنا نقلها وردّها .

ثم ان من جملة ما نقله المصنف «ره» قول ابن عباس ما نزل في احد من كتاب الله ما نزل في علي «ع» : وهو ما نقله ابن حجر في الصواعق (١) عن ابن عساكر ، ويشهد لصحته وصحة قول مجاهد الذي ذكره المصنف الاخبار المستفيضة الدالة على نزول ما سبق من الآيات وغيرها فيه ، بل حكى ابن حجر أيضاً عن ابن عساكر عن ابن عباس انه قال : نزل في علي ثلاثمائة آية بل في ينابيع المودة عن الطبراني عن ابن عباس انه قال نزل في علي اكثر من ثلاثمائة آية في مدحه : وأنت تعلم ان كثرة نزول الكتاب بمدح شخص : ولو لأدنى مناسبة دليل على فضله على غيره وعظمته عند الله سبحانه : والأفضل هو الامام ، لاسيما وقد كانت الآيات مختلفة البيان فبعضها يفيد تفضيله وبعضها يفيد عصمته وبعضها وجوب اتباعه وبعضها انه المسؤول عن ولايته الى غير ذلك مما سبق .

واما قول الفضل ان ما ينقله المصنف «ره» عن مسند أحمد يدل على ان أهل السنة لا يألون جهداً في ذكر فضائل امير المؤمنين وانه لو كان نص في امامته لقلوه : فباطل إذ كيف يروون ما يرونه نصاً مع ما عرفت في المقدمة من احوال ملوكهم وعلمائهم وعوامهم مع من يروي له فضيلة . فكيف بمن يروي ما يرونه نصاً عليه : وقد عرفت أيضاً في الآية الخامسة والعشرين ان الزنجشري حكى بكرامة الصلاة على آل محمد (ص) اذا افردوا بالذكر لأنه يؤدي الى الانهماج بالرفض : مع اعترافه برجحان الصلاة عليهم بالكتاب والسنة : فكيف يروي أحدهم النص الصريح على إمامة علي «ع» ، بل كيف يروون النص عليه وهو خلاف مذهبهم كما يشهد له ما في مسند أحمد (٢) حيث اخرج عن ابي هريرة عن النبي «ص» قال : (يهلك امة هذا الحي من قريش) قالوا : فأتأمرنا يا رسول الله ؟ قال : (لو ان الناس اعزلوه) : (قال عبد الله بن أحمد قال أبي في سرهه (١) في المقام السابق . (٢) ص ٣٠١ من الجزء الثاني .

اضرب على هذا الحديث فانه خلاف الأحاديث عن النبي «ص» - يعني قوله : اسمعوا وأطيعوا واصبروا - ، فأنت ترى ان أحمد أمر بالضرب على هذا الحديث مع صحة سنده عندهم لمخالفته للاحاديث الدالة على السمع والطاعة لأئمة الجور والضلالة ، فكيف يروي هو أو غيره ما يمتقدونه نعتاً على إمامة أمير المؤمنين «ع» وخلافته للنبي «ص» المستلزم لظلم الأولين له وبطلان خلافهم ، وما روى أكثر الخصوم فضائل أهل البيت إلا لتوهينها أو دفع وصمة النصب الحبيشة عنهم أو للفخر بالاطلاع ، أو غير ذلك من الغايات الفاسدة ، ومع ذلك ترى جملة ممن رواها ساقطاً عندهم اذا توهّموا فيه حب أهل البيت «ع» وان كان من أعلامهم ، فكانت من إتمام الله تعالى الحجة عليهم ان أجراها على أسنة أعلامهم اثلاً يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ، ولا يضرها الطعن بالسند لصحة الكثير منها عندهم واستفاضة أكثرها مع ما يبيّنه في المقدمة ، كما لا يضرها توهين الدلالة فان الكثير منها صريح الدلالة وما آفتها إلا عناد المخاصمين كما عرفته في جملة مما سبق ، وتعرفه في حديث المزلّة والثقلين ونحوهما . ولو نقلوا أحاديث فضائل أمير المؤمنين «ع» على وجوها لظهر لك كيف دلالتها على إمامته حتى انهم لم ينقلوا من نص الغدير إلا اليسير وأخذوا أكثر ما فيه الصراحة الذي يقطع كل عاقل بوجوده ، إذ لا يمكن أن يجمع النبي «ص» نحو مائة الف من المسلمين ويقوم فيهم بحر الحجاز وقت الظهيرة على منبر يقام له من الأحجاج ويخطبهم لداعي حضور أجله ، وهو لا يقول ألا من كنت مولاه فعلي مولاه أو بزيادة قايمة عليه ، ومع ذلك لا يريد إلا بيان ان علياً ناصر لمن كنت ناصره أو نحوه ، ما طأن أن عاقلاً يرتضيه .

(آية فاسألوا أهل الذكر)

قال المصنف أُمِرَزل الله نوابه

(الثالثة والثمانون) روى الحافظ محمد بن موسى الشيرازي من علماء الجمهور واستخرجه من التفاسير الاثني عشر عن ابن عباس في قوله تعالى : (فاسألوا أهل

الذكر) (١) قال : هم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين هم أهل الذكر والعلم والعقل والبيان ، وهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ، والله ماسمي المؤمن مؤمناً إلا كرامة لأمر المؤمنين ورواه سفيان الثوري عن السدي عن الحارث .
وقال الفضل : ليس هذا من روايات أهل السنة وهي أشياء تدل على فضيلة آل العباء وهذا أمر لا ريب فيه ولا ينكره إلا المنافق ولا يعتقده إلا المؤمن الخالص ولا يمكن لا يثبت به النص .

وأقول

الحافظ المذكور هو من علماء القوم والتفاسير الاثنى عشر من أشهر تفاسير قدماءهم كما سيذكرها المصنف «ره» في مطاعن الصحابة فانكار الفضل لكونه من روايات تفاسيرهم انكار بارد وظني انه لم يركب كتاب الحافظ المذكور وانكر رجماً بالغيب ، وبمعضد هذه الرواية ما نقله في ينابيع المودة «٢» عن تفسير الشعلي عن جابر بن عبد الله قال : قال علي «ع» : نحن أهل الذكر .

وذكر في القرآن قد اطلق على معنيين مناسبين للمقام نبّه عليها إمامنا الصادق «ع» وقال نحن أهل الذكر بكلا المعنيين : أحدهما رسول الله «ص» قال تعالى في سورة الطلاق (قد انزل الله اليكم ذكراً رسولا يتلو عليكم آيات الله) وثانيهما القرآن وهو في الكتاب العزيز كثير كقوله تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) وقوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر) واتاه لحافظون (ومن الواضح ان أهل البيت أهل الذكر بكلا المعنيين ، كما سبق عن إمامنا «ع» لأنهم أهل رسول الله «ص» وأهل القرآن لأن علم القرآن عندهم وهما الثقلان اللذان لا يفترقان ، والأظهر إرادة المعنى الثاني في قوله تعالى : (واسألوا أهل الذكر) ولا ينافي إرادة الأول دخول رسول الله «ص» في أهل الذكر على الرواية التي نقلها المصنف «ره» لصحة إطلاق أهل رسول الله «ص» على ما يشمله تغليباً . وعلى كلا المعنيين فأمر الله سبحانه بسؤالهم دليل على ان لهم العلم

الوافر والامتنان والفضل على الناس فنكون الامامة فيهم ، مع ان قوله في الحديث والله ماسمي المؤمن مؤمناً إلا كرامة لأمر المؤمنين قد تضمن من بيان الفضل على غيره مالا يوازيه بيان وقرب منه قوله هم أهل الذكر والعلم والعقل والبيان إلى آخره .

(آية عم يتساءلون)

قال المصنف فرس سره

(الرابعة والثمانون) وعن الحافظ في قوله تعالى : (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) باسناده إلى السدي عن رسول الله «ص» ان ولاية علي يتساءلون عنها في قبورهم فلا يبقى ميت في شرق ولا غرب ولا في بر ولا بحر إلا ومنكر ونكير يسألانه عن ولاية أمير المؤمنين «ع» بعد الموت يقولون لميت من ربك وما دينك ومن نبيك ومن إمامك ، وعنه عن ابن مسعود قال : وقعت الخلافة من الله تعالى لثلاثة نفر آدم في قوله تعالى : (اني جاعل في الأرض خليفة) «١» وداود (انا جعلناك في الأرض خليفة) «٢» وأمير المؤمنين (ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) «٣» داود وسليمان (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) يعني الاسلام (وليبدلنهم من بعد خوفهم) يعني من أهل مكة . (اما) يعني في المدينة (يعبدوني لا يشركون بي شيئاً) يعني يوحّدوني (ومن كفر بعد ذلك) بولاية علي (فاولئك هم الفاسقون) يعني العصاة لله ولرسوله . وهذا كله نقله الجمهور واشتهر عنهم وتواتر .

وقال الفضل : ما ذكر أن المراد بعم علي فلا يصح بحسب المعنى والتركيب ، ويكون هكذا (علي يتساءلون عن النبأ العظيم) وأنت تعلم ان هذا تركيب فاسد ، واما ما ذكر من السؤال في القبر عن ولاية علي فلم يثبت هذا في الكتاب ولا السنة ولو كان من المسؤولات في القبر لمكان ينبغي ان يعلمنا رسول الله «ص» وتواتر واشتهر كما اشتهر باقي أركان الاسلام ، واما ما نقل عن ابن مسعود انه وقعت الخلافة من الله لثلاثة آدم وداود

(١) البقرة . الآية ٢٨ . (٢) سورة ص . الآية ٢٥ . (٣) النور . الآية ٥٤ .

وعلي فآدم وداود قد صرح باسمها في الخلافة في القرآن وأما أن يكون المراد من قوله ليستخلفهم علي حسب فغير ظاهر ولا خير صحيح يدل على هذا ، بل الظاهر يشمل الخلفاء الأربع وملوك العرب في الاسلام ، فان ظاهر الآية ان الله وعده المؤمنين بأن يجعلهم خلفاء الأرض وينزع الملك من كسرى وقيصر ويؤتيه المؤمنين ، وهذا مضمون الآية وما فسره في الآية فنكاه من باب التفسير بالرأي ، وما ذكر ان كل الأشياء التي ذكرها نقله الجمهور واشتهر عنهم وتواتر فهذا كذب أظهر وأبين من كذب مسيئة الكذاب لأن مراده من الجمهور أهل السنة والجماعة وليس كل ما ذكر متواتراً عند أهل السنة وكأنه لا يعلم معنى التواتر .

وأقول

ما ذكره في صدر كلامه دليل الغفلة أو المغالطة ، إذ لا يتصور أحد ان الرواية أو ذكر المصنف «ره» نزول الآية في علي «ع» يقتضي كون مجموع الجارو المجرور علياً ، ضرورة ان صريح الرواية ان المراد بالمجرور وهو ما الاستفهامية ولاية علي «ع» التي هي النبأ العظيم ، ويحتمل أن يكون النبأ العظيم علياً نفسه وانه المسؤول عنه ، لكن لما كان السؤال عنه لأجل التقرير بولايته عبرت الرواية بالسؤال عن ولايته ، وأشار الشاعر الى انه المراد بالنبأ العظيم بقوله :

هو النبأ العظيم وفلك نوح وباب الله وانقطع الخطاب

واما ما زعمه من عدم ثبوت السؤال عن ولاية علي في القبر ، فيكفي في ثبوته هذه الرواية المؤيدة بالأخبار السابقة في الآية الحادية عشرة وهي قوله تعالى : (وقفهم انهم مسؤولون) واما قوله ولو كان من المـؤـلـات لكان ينبغي أن يعلمنا رسول الله «ص» وتواتر ، فيرد عليه ان النبي «ص» اعلمهم به كما في هذه الرواية ونحوها وقد تواتر عندنا وإنما لم يتواتر عندهم لأنه على خلاف رأي ملوكهم ، وكيف لا يسأل عن ولاية علي وإمامته والامامة كالنبوة من أركان الايمان واصول الدين كما سبق ، فاذا كان علي «ع» هو المسؤول عن إمامته فيقال الميت : من إمامك ؟ كان هو الامام لا من قبله

وإلا لوقع السؤال عنه بالأولية .

واما ما رواه المصنف «ره» عن ابن مسعود : فبؤيده ان الاستخلاف المذكور في قوله تعالى : (ايستخلفنهم) مسند إلى الله تعالى ، وهو مطابق بظاهره لمذهبننا في الامامة لا لمذهب القوم فيها فانما عندهم إنما تثبت بالاختيار لا باستخلاف الله سبحانه ، مع ان الآية صريحة بتمكين الخليفة من دين الله الذي ارتضاه وهو فرع العلم بالدين كله والخلفاء الثلاثة ليسوا كذلك ، وأظهر منهم بعدم الارادة بقية ملوك العرب كعاقبة يزيد والوليد وأشباهم ، بل الظاهر دخولهم في قوله تعالى بعد هذا القول : (ومن كفر بعد ذلك فلائلكم الفاسقون) كما بينه الزمخشري بقوله في تفسير الآية : (انجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الأكرسة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الدين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك النعم وفسقوا وذلك قوله «ص» : الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكاً ثم تصير بيزي قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها) فان كلامه كما ترى دال على ماقلناه من كفر بقية ملوك العرب وان أخطأ في دعوى إرادة الاستخلاف للخلفاء الأربعة جميعاً لما عرفت من عدم تمكين الثلاثة من الدين الذي ارتضاه ، ولأن الاستخلاف من الله تعالى إنما هو لعلي واما غيره فامامته بالاختيار ولنذكر كلام الرازي هنا لأن به وبرده تمام المطلوب قال : « المسئلة الثامنة دلت الآية على إمامة الأئمة الأربعة وذلك لأنه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين في زمن محمد «ص» وهو المراد بقوله ايستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وان يمكن لهم دينهم المرضي وان يبدلهم بعد الخوف أمناً ومعلوم ان المراد بهذا الوعد بعد الرسول هؤلاء لأن استخلاف غيره لا يكون إلا بعده ومعلوم انه لا نبي بعده لأنه خاتم النبيين ، فاذن المراد بهذا الاستخلاف طريقة الامامة ومعلوم ان بعد الرسول الاستخلاف الذي هذا وصفه إنما كان في أيام أبي بكر وعمر وعثمان لأن في أيامهم كانت الفتوح العظيمة وحصل التمكن وظهور الدين والامن ولم يحصل في أيام علي لانه لم يتفرغ للجهاد لاشتغاله بمحاربة من خالفه من أهل الصلاة فثبت بهذا

دلالة الآية على صحة خلافة هؤلاء .

« (فان قيل) الآية متروكة الظاهر لانها تقتضي حصول الخلافة اسكل من آمن وعمل صالحاً ولم يكن الامر كذلك (نزلنا) عنه لـكن لم لا يجوز أن يكون المراد من قوله لـدستخلفنهم هو انه تعالى يسكنهم في الارض ويمكنهم من التصرف لان المراد منه خلافة الله تعالى ومما يدل عليه قوله كما استخلف الذين من قبلهم واستخلاف من كان قبلهم لم يكن بطريق الامامة فوجب أن يكون الامر في حقهم أيضاً كذلك (نزلنا) عنه لـكن ههنا ما يدل على انه لا يجوز حمله على خلافة رسول الله «ص» لأن مذهبكم انه «ص» لم يستخلف أحداً وروي عن علي انه قال : أترككم كما ترككم رسول الله «ص» (نزلنا) عنه لـكن لم لا يجوز أن يكون المراد منه علياً والواحد قد يعبر عنه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كقوله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وقال تعالى في حق علي والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، (نزلنا) عنه ولـكن نحمله على الأئمة الاثني عشر .

« والجواب عن (الأول) ان كلمة من للتبعض فقوله منكم يدل على ان المراد بهذا الخطاب بعضهم ، وعن (الثاني) ان الاستخلاف بالمعنى الذي ذكرتموه حاصل لجميع الخلق فلذلكور هنا في معرض البشارة لا بد أن يكون مغايراً له ، واما قوله كما استخلف الذين من قبلهم فالذين كانوا قبلهم خلفاء تارة بسبب النبوة وتارة بسبب الامامة والخلافة حاصلة بالصورتين ، وعن (الثالث) انه وان كان من مذهبنا انه «ص» لم يستخلف أحداً بالمعنيين ولـسكنه قد استخلف بذكر الوصف والامر بالاختيار ، فلا يمنع في هؤلاء الأئمة الأربعة انه تعالى يستخلفهم وان الرسول استخلفهم وعلى هذا الوجه قالوا في أبي بكر يا خليفة رسول الله فلذي قيل انه عليه السلام لم يستخلف اريد به على وجه التعيين واذا قيل استخلف فالمراد على طريقة الوصف والامر ، وعن (الرابع) ان حمل لفظ الجمع على الواحد مجاز وهو خلاف الأصل ، وعن (الخامس) انه باطل لوجهين : أحدهما ، قوله تعالى منكم يدل على ان هذا الخطاب كان مع الحاضرين وهؤلاء الأئمة ما كانوا حاضرين الثاني انه تعالى وعدم القوة والشوكة والنفاذ في العالم ولم يوجد ذلك فيهم

«فثبت بهذا هذا صحة إمامة الأئمة الأربعة ؛ وطل قول الرائضة الطاعنين على أبي بكر وعمر وعثمان وبطلان قول الخوارج الطاعنين على عثمان وعلي » انتهى كلام الرازي .
وأقول الكلام معه في هذه الآية الكريمة إنما هو بالنظر إلى ما يستفاد من ظاهرها بلا نظر إلى ما ورد في تفسيرها فإنها عليه نازلة في أمير المؤمنين «ع» كما عرفته في رواياتهم أو في الحجة المنتظر كما ورد في اخبارنا ، ويمكن الجمع بين الأخبار بارادة الاستخلاف لها معاً .

وعليه فبالنظر الى ظاهرها يرد على كلامه امور : (الأول) ان قوله ان المراد بهذا الوعد بعد الرسول هؤلاء لأن استخلاف غيره لا يكون إلا بعده إلى آخره ، غير متجه لان المراد بقوله تعالى ليستخلفنهم بحسب ظاهره هو الاستخلاف عن قبطهم من الامم لا عن النبي «ص» ، فيمكن أن يراد استخلاف المؤمنين وتمكينهم من الدين وتبديل خوفهم أمناً في زمن النبي «ص» ، ولو سلم ان المراد الاستخلاف عن النبي «ص» فلا يتجه حمله على الاستخلاف في أيام الثلاثة إذ لم يحصل لهم التمكين من الدين الذي ارتضاه الله تعالى وأكمله لجهلهم بكثير منه ، بل قد يقال ان ظاهر الآية لا يلائم الحل على الاستخلاف في أيام النبي «ص» وفي أيام الثلاثة وأيام أمير المؤمنين «ع» لظهور الآية في وقوع الاستخلاف في الارض كلها أو أكثرها فينبغي حمله على الاستخلاف أيام الحجة المنتظر عجل الله فرجه (الثاني) ان قوله ولم يحصل ذلك في أيام علي إلى آخره مناف لما زعمه في صدر كلامه من دلالة الآية على خلافة الاربعة جميعاً ، على ان تعليقه له بقوله لانه لم يتفرغ لجهاد الكفار عليل إذ لم تشترط الآية في حصول الاستخلاف أن يكون بجهاد المستخلف نفسه للكفار ؛ ولعله أشار بقوله لاشتداله بمحاربة من خالفه من أهل الصلاة إلى الطعن في حرب أمير المؤمنين بأنه حارب المسلمين ، أو إلى تفضيل حرب من سبقه على حربه لأنهم حاربوا الكفار وهو حارب أهل الصلاة ، وكأنه لم يعلم بما رواه أصحابه من ان رسول الله «ص» قال ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقام اليه أبو بكر ثم عمر وقال كل منها أنا هو ؟ فقال «ص» : لا والله خالص النعل - يعني علياً - فانه دال على ان حرب علي «ع» كحربه «ص»

بأمور به من الله سبحانه دون حرب الرجلين ، فلم يحارب أمير المؤمنين (ع) إلا مهذور الدم ومن لا تقبل صلاته ولم يحارب الرجلان حرباً مشروعاً واقعاً على تنزيل القرآن أو تأويله فانها عزلاً من له المنصب والحرب الالهية وحارباً بلا أمر منه فكانا كمن عزل رسول الله { ص } وحارب باستقلاله (الثالث) ان جوابه عن الاشكال الثالث بدعوى ثبوت الاستخلاف بالوصف والأمر غير صحيح لانا لو لم نقل بالنص على أمير المؤمنين (ع) فلا دليل على الاستخلاف أصلاً لاتباعيه ولا بالوصف كما هو ظاهر ، ولا بالأمر بالاختيار إذ غاية ما استدلوا به على الأمر بالاختيار هو الاجماع وقد أوضحنا لك كذبه في أوائل مباحث الامامة ، وقوله وعلى هذا الوجه قالوا في أبي بكر خليفة رسول الله تخمين محض وفربة اخرى كما سيأتي ان شاء الله تعالى في أول ما أخذ أبي بكر (الرابع) ان دعواه في الجواب عن الرابع مجازية حمل الجمع على الفرد مسلمة - لكن لا بد من المصير إلى هذا المجاز لقيام القرينة عليه كالرواية التي سمعناها الدالة على النزول بأمر المؤمنين وكنسبة الاستخلاف إلى الله لا إلى الناس ، وكالقرينة العقلية المانعة من النزول في الثلاثة كعدم تمكينهم من الدين ونحوه (الخامس) ان ما ذكره من الوجهين لا بطلان الخامس ليس في محله ، اما الوجه الأول فلصحة خطاب الجمع بحضور البعض تغليباً للحاضرين على الغائبين فلا يكون عدم حضور أئمتنا الاثنى عشر مانعاً من الوعد لهم لاسمًا وقد حضر عطاؤهم وهم أمير المؤمنين والحسنان (ع) واما الثاني فلان الوعد للأئمة بالقوة لا يتوقف على ثبوتها لكل فرد منهم بل يكفي ثبوتها لبعضهم كما هو المؤمنين والامام المنتظر لأن قوة البعض قوة للجميع ، على ان القوة حاصلة لكل منهم في الرحمة كما جاءت به أخبارنا .

واعلم ان الآية التي نحن فيها وما قبلها وما بعدها من الآيات مرتبطة ظاهراً وعموم المسلمين الحاضرين حال الخطاب ولكنه تعالى خص الوعد ببعضهم وهم الذين وصفهم الله سبحانه بالذين آمنوا وعملوا الصالحات فيذبغي أن يكون غير هذا البعض غير موصوفين بهذا الوصف اما لعدم عملهم بالصالحات أو لكونهم غير مؤمنين أي غير كاملين الايمان أو غير ثابتي الايمان لانهم غير مسلمين ولا مؤمنين أصلاً لفرض تعاق

الآيات بالمسلمين ، فال بعض الموعود بالاستخلاف ممتاز إما بعمل الصالحات أو كمال الايمان أو ثباته ، وما هو إلا أمير المؤمنين وأبناءؤه الاطهار المعصومون ، لأن الخلفاء الثلاثة فضلاً عن غيرهم ليسوا كذلك ولو لفرارهم من الزحف وتخلفهم عن جيش اسامة وشك عمر يوم الحديبية إلى كثير مما صدر عنهم مما ينافي كمال الايمان وعمل الصالحات .

هذا واما قول الفضل وليس كل ما ذكر متواتراً عند أهل السنة فسلم اذا أراد التواتر لفظاً ، واما معنى بلحاظ الامامة فمنوع لأن كل واحد مما ذكر مفيد لامامة أمير المؤمنين (ع) ، فامامته متواترة معنى كما تواترت شجاعته ، بل قد يدعى تواتر بعض ما ذكر بخصوصه معنى أو لفظاً ولا سيما مع ضم اخبارنا إلى أخبارهم .

« خاتمة »

قد عثرنا في أثناء الكلام في الآيات على آيات اخر ذكرها القوم مضافاً إلى ما سبق من الآيات التي ذكرها المصنف (ره) ، فمنها ما سبق في بيان الآية الثانية وهو قوله تعالى : (سأل سائل بعذاب واقع) « ٩١ » ، ومنها ما سبق في الآية الرابعة وهو قوله تعالى : (ومن يقترب حسنة نرد له فيها حسناً) « ٢٥ » ومنها ما سبق في أثناء بيان الآية الثامنة والحسين وهو قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) « ٣٣ » ومنها ما تقدم في الآية الثامنة والسيمين وهو قوله تعالى : (في بيوت أذن الله أن ترفع) وقد أحببت أن أذكر أيضاً مما عثرت عليه مائة مائة وهو اثنتي عشرة آية :

« الاولى » قوله تعالى من سورة آل عمران - ٩٨ : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) قال ابن حجر في الصواعق عند كلامه في هذه الآية وهي الآية الخامسة من الآيات النارية في أهل البيت : « أخرج الثعلبي في تفسيرها عن جعفر الصادق انه قال : نحن حبل الله الذي قال واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ومثله في بنابيع

المودة عن الثعلبي وزاد عن المناقب، عن ابن عباد قال : « كنا عند النبي { ص } إذ جاء أعرابي فقال : يا رسول الله سمعتك تقول واعتصموا بحبل الله فما حبل الله الذي نعتصم به ؟ فضرب النبي { ص } يده في يد علي { ع } وقال : تمسكوا بهذا هو حبل الله المتين » والمراد بحبل الله السبب الواصل بين الله سبحانه وعباده وبالأعتصام به اتباعه والتمسك به وبعدم التفرق عنه عدم مخالفة أحد له وهذا معنى اتخاذ الامة له إماماً ، ويؤيده حديث الثقلين وما رواه الحاكم وصححه (١) عن ابن عباس قال : قال رسول الله { ص } : « النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس » والظاهر ان المراد بكونهم أماناً من الاختلاف انهم بالنص عليهم يرتفع الخلاف في الامامة لتعيين الامام من الله تعالى وعدم إرجاع أمر الامامة إلى اختيار الناس حتى يحصل بسببه الاختلاف .

« الثانية » قوله تعالى من سورة طه - ٨٤ : (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) ففي الصواعق عند الكلام في هذه الآية وهي الآية الثامنة من الآيات النارية في أهل البيت قال : (قال ثابت البناني اهتدى إلى ولاية أهل بيت نبيه وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر) وفي ينابيع المودة عن أبي نعيم بسنده عن علي { ع } قال في هذه الآية اهتدى إلى ولايتنا ، ثم نقل في الينابيع نحو هذا كثيراً . والمراد بالولاية الامامة لأنها هي التي تعتبر في الغفران ويناسب تعلق الهداية بها ، ولو سلم ان المراد بالولاية المحبة فهو دليل على فضلهم على الامة إذ لا تعتبر محبة غيرهم في الغفران ، والأفضلية تقتضي الامامة ، وإنما عطف سبحانه الهداية بهم ، مع انه قد عطف ما قبلها بالواو ، للنظر إليها بعين الاستقلال الدال على تميزها والاهتمام بها لالا انحطاط رتبها عما قبلها . ضرورة ان الاهتداء إلى الامامة أو محبتهم خير الأعمال الصالحة ومن لم يوالهم فهو منافق .

« الثالثة » قوله تعالى من سورة الزمر - ٢٢ : (أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين) قال الواحدي في أسباب النزول : « نزلت في حمزة وعلي { ع } وأبي لهب وولده ، فعلى (١) ص ١٤٩ من الجزء الثالث .

وحمة ممن شرح الله صدره للإسلام ، وأبو لهب وأولاده الذين قست قلوبهم عن ذكر الله « فقد شهد الله سبحانه بأنه قد شرح صدر علي وحمة للإسلام وانها على نور من ربها ، ولا شك ان من هو كذلك يلتزم بكل أحكام الاسلام اصولا وفروما فيكون معصوماً أو بحكمه وأفضل الامة ، ولا ريب ان علياً ع { اكمل في ذلك من حمة فيكون إمام الامة .

« الرابعة » قوله تعالى من سورة الحج - ٢٠ : (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار) إلى قوله تعالى - ٢٣ : (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحملون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد) روى الحاكم في تفسير سورة الحج من المستدرک (١) عن قيس بن عباد قال : سمعت أباذر يقسم أنزلت هذه الآية في هؤلاء الرهط الستة في يوم بدر : علي وحمة وعبيدة وعتبة والوليد (هذان خصمان اختصموا في ربهم) إلى قوله تعالى : (نذقه من عذاب أليم) ، وقال السيوطي في الدر المنثور أخرج عبد بن حميد عن لاحق بن حميد قال : نزلت هذه الآية يوم بدر (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار) في عتبة وشيبة والوليد ونزلت (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) إلى قوله (وهدوا إلى صراط الحميد) في علي وحمة وعبيدة ، وقال السيوطي أيضاً أخرج سمعدين منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي ذر انه كان يقسم قسماً ان هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) إلى قوله (ان الله يفعل ما يريد) نزلت في الثلاثة الذين تبارزوا يوم بدر وهم حمة وعبيدة وعلي وعتبة وشيبة والوليد ، قال علي : أنا أول من يجثو للخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة .

أقول : جملة لنهاية هذه الآيات قوله تعالى (ان الله يفعل ما يريد) خطأ بل هو (١) ص ٣٨٦ من الجزء الثاني .

نهاية الآية أخرى قبل الآيات المذكورة وهي قوله : (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد) ، فلعل بعض من نقل عنهم السيوطي قد ذكر نزول هذه الآية أيضاً في علي وحمة وعبيدة فغفل عن البيان . وقال السيوطي أيضاً أخر ج ابن أبي شعبة والبخاري والنسائي وابن جرير والبيهقي من طريق قيس بن عباد عن علي «ع» ، قال : أنا أول من بجثو بين يدي الرحمن للخصومة قال قيس فيهم نزلت (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال : هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمة وعبيدة وشيبة وعتبة والوليد .

ودلالة الآيات على المطلوب . ظاهرة لبشارتها لعلي بالجنة مع علمه بذلك لأن عنده علم الكتاب وهو قرين له وقد مر سراً دلالة مثل ذلك على إمامته «ع» كما أوضحناه في الآية الثانية والثلاثين .

« الخامسة » قوله تعالى في سورة القصص - ٦١ : (أفئن وعدناه وعداً حسناً فهو لآقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) روى الواحدي في أسباب النزول عن مجاهد قال : نزلت في علي وحمة وعليها السلام وأبي جهل لعنه الله وهي كالأية التي قبلها في الدلالة على المدعى وكذا الآية الآتية :

« السادسة » وهي قوله تعالى في آخر سورة المجادلة - : (وإنا لك في قلوبهم الإيمان وأيديهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتهم الأنهار خالدون فيها) قال في الكشف نزلت في علي وحمة وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد ابن عتبة يوم بدر ، ولا يلزم من الدلالة المذكورة في هذه الآية والتي قبلها إمامة حمزة وعبيدة لعدم علمهما بالنزول فيهم بخلاف أمير المؤمنين «ع» ، مع أنها مفضولان له ولا تجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل مضافاً إلى موتها قبل النبي «ص» فلا مورد لإمامتها حتى لو قلنا بإمكانها .

« السابعة » قوله تعالى في سورة الأعراف - ٤٤ : (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) قال في الصواعق عند الكلام في هذه الآية وهي الثالثة عشرة من الآيات الواردة في أهل البيت : أخر ج النعماني في تفسيرها عن ابن عباس قال : الأعراف

موضع عال من الصراط عليه العباس وحمة وعلي وجهه يعرفون بحبيهم ببياض الوجوه ومبغضهم بسواد الوجوه ، ومثله في ينابيع المودة عن الثعلبي زيادة روايات اخر عن غيره ، ونقل في كشف الغمة في الآيات التي بعدها وهي قوله تعالى : (ونادى أصحاب الاعراف رجلا يعرفونهم - م بسيماهم) عن ابن مردويه بسنده عن علي «ع» قال : نحن أصحاب الاعراف من عرفناه بسيماه أدخلناه الجنة . ودلائلها على إمامة أمير المؤمنين واضحة كما أشرنا اليها في الآيات الثلاث التي قبلها وأوضحناها في الآيات الثانية والثلاثين وغيرها ، ولا ينافيها عدم صلوح العباس للإمامة عندنا مع بقاءه بعد النبي «ص» ووضوح دلالة هذه الرواية على كونه من أهل الجنة ، وذلك لعدم علمه بأنه من أصحاب الاعراف ولو فرض علمه به ففضوليته مأمنة من إمامته فضلا عن وضوح عدم عصمته .

« الثامنة » قوله تعالى من سورة الجاثية - ٢٠ : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال الرازي في تفسيره : قال الكلبي نزلت في علي وحمة وعبيدة وفي ثلاثة من المشركين عتبة وشيبة والوليد ، وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص قال السدي عن ابن عباس نزلت في علي يوم بدر . دلت الآية على عدم المساواة بين المطيع والعاصي ، ولا رب ان غيره قد اجترح السيئات إذ لا أقل من الفرار من الزحف فلا يساؤون عليا «ع» فهو أحق منهم بالإمامة .

« التاسعة » قوله سبحانه في سورة الضحى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال في الصواعق عند الكلام في هذه الآية وهي العاشرة من الآيات الواردة بأهل البيت «ع» نقل القرطبي عن ابن عباس انه قال رضي محمد {ص} ان لا يدخل أحد من أهل بيته النار ، وقاله السدي ، ثم استشهد ابن حجر له بأخبار كثيرة ، و (أقول) هو غني عن الاستشهاد له بالنسبة إلى علي «ع» ضرورة ان من رضي رسول الله (ص) دخول علي الجنة وعدم دخوله النار ، وهو من أوضح ما تقتضيه الآية وإعلمه علي (ع) منها فيكون مما علمه الله وبشره فتثبت إمامته كما عرفت وجهه في الآيات السابقة وغيرها « العاشرة » قوله تعالى في سورة المطففين : (ان الذين أجمعوا كانوا من الذين

آمنوا بضحكون) ذكر الرازي في تفسيره انه جاء علي (ع) في نفر من المسلمين فسخر منه المنافقون وضحكوا وتغاضوا ثم رجعوا إلى أصحابهم ، فقالوا رأينا اليوم الاصلح فضحكوا منه ، فنزلت هذه الآية قبل أن يصل علي (ع) إلى رسول الله (ص) ، ومثله في السكشاف . ودلالاتها على المطلوب باعتبار تمام الآيات ، وهي قوله تعالى : (فالיום الذين آمنوا من الكفار بضحكون على الأرائك ينظرون) فانها دالة على إشارة علي (ع) بالجنة القاضية بامامته كما سبق ، ولا ريب ان اهتمام الكتاب العزيز فيما يتعلق بعلي (ع) حتى نزل في مثل هذا الأمر اليسير في الظاهر لا كبر دليل على عظمته عند الله عز وجل وفضله على الامة كلها

« الحادية عشرة » قوله تعالى : (والشمس وضحاها) الآيات من سورة الشمس ، حكى السيوطي في اللئالي المصنوعة عن الخطيب في السابق واللاحق بسنده عن ابن عباس مرفوعا اسمي في القرآن والشمس وضحاها ، واسم علي والقمر اذا تلاها ، واسم الحسن والحسين والنهار اذا جلاها ، واسم بني امية والليل اذا يغشاها ان الله بعثني رسولا إلى خلقه ، إلى أن قال (ص) فلواء الله فينا إلى يوم القيامة ولواء ابليس في بني امية إلى أن تقوم الساعة وهم أعداء لنا وشيعتهم أعداء لشيعتنا ، ثم قال السيوطي قال الخطيب منكر جداً بل موضوع والحرضي وموسى وأبوه مجهولان . (أقول) لا عبرة باستنكارهم فانهم لما جحدوا الحق استنكروه واشمال سنده على المجاهيل عندهم لا يقتضي الوضع وإلا لم الحكم بوضع الكثير من أخبار الصحاح الستة ، فقد بينا في المقدمة جملة من المجاهيل الذين رووا عنها في هذه الصحاح كما حققنا فيها وناقة من بروي فضيلة لآل محمد (ص) أو رديلة لأعدائهم ، ومنه يعلم ما في تسكيب الذهبي للحديث لاشتغال سنده على مجاهيل حيث أشار إلى الحديث بترجمة محمد بن عمرو الحوضي من . يزان الاعتدال .

ودلالاتها على المطلوب من وجهين : (الأول) انها سمت علياً (ع) قرأ وهو أنور النيرات بعد الشمس فيكون إشارة الى فضله على الامة وعظم نفعه لهم والافضل هو الامام ، ولا سيما قد قال تعالى : (اذا تلاها) مشيراً إلى أنه تال لرسول الله (ص) في

خلافه له وفضله وفأذنه الامة وإلا خلا هذا الشرط عن كثير فأذنه (الثاني) انها عبرت عن بني امية بالليل مشيرة إلى ظلمة أمرهم ومنهم غنان .

« الثانية عشرة » قوله تعالى من سورة طه - ٢٦ : (رب اشرح لي صدري) الآيات قال السيوطي في الدر المنثور اخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن أسماء بنت عميس قالت : رأيت رسول الله (ص) بازاء ثبير وهو يقول أشرق ثبير أشرق ثبير ، اللهم اني أسألك بما سألك أخي موسى أن تشرح لي صدري وان تيسر لي امري وان تحمل عقدة من لساني بفقها قولي واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي اشد به أزري واشركه في امري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنسأ بصيرا ، وقال السيوطي أيضاً وأخرج السلفي في الطيورات بسند رواه عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) قال لما نزلت (واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي اشد به أزري) ، كان رسول الله (ص) على جبل ثم دعا به وقال : اللهم اشد أزري بأخي علي فأجابه إلى ذلك ، ونقل المصنف (ره) نحوه فيما سيحي . عن أحمد في مسنده ونقل أيضاً نحوه صاحب ينابيع المودة في الباب السابع عشر عن أحمد في مسنده ، وفي الباب السادس والخمسين عن ذخائر العقبي للطبري عن أحمد في الفضائل ، وكذا نقله سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص عن أحمد في الفضائل ، وحكى المصنف (ره) في منهاج الكرامة (١) عن أبي نعيم عن ابن عباس قال أخذ النبي (ص) بيد علي ويدي ونحن بمكة وصلى أربع ركعات ورفع يده إلى السماء فقال : اللهم موسى بن عمران سألك وأنا محمد نبيك أسألك أن تشرح لي صدري وتحمل عقدة من لساني بفقها قولي واجعل لي وزيراً من أهلي علي بن أبي طالب أخي اشد به أزري واشركه في امري ، قال ابن عباس سمعت منادياً ينادي يا أحمد قد اوتيت ما سألت .

وقد سبق في أثناء كلامنا على الآية الاولى من الآيات التي ذكرها المصنف (ره) ان النبي (ص) دعا بمثل هذا الدعاء فترل قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية وقد نقلناه عن التعلي والرازي فراجع وهو مؤيد لهذه الاخبار كما (١) في البرهان السابع والثلاثين على إمامة أمير المؤمنين ع .

يؤيدها حديث المنزلة الذي كاد أن يكون متواتراً أو هو متواتر .

واما دلالتها على إمامة أمير المؤمنين (ع) فلا فادتها ثبوت خصائص هرون له فيكون مثله في تحمل العلوم ووجوب طاعة الامة له ورياسته عليهم ، لأن هرون شريك موسى في أمره ، فعلمي (ع) مثله بالذمة إلى رسول الله (ص) سوى ان عالياً ليس بنبي ، كما استثنى النبوة حديث المنزلة ، ودل الكتاب العزيز على ان محمداً (ص) خاتم النبيين ، فتحمل تلك الاخبار المذكورة على إرادة المشاركة فيما عدا النبوة ، فتثبت لعلمي (ع) الامامة والرياسة العامة على الامة حتى في أيام رسول الله (ص) لكنه ساكت في حياة النبي (ص) إلا فيما قل كما سبق بيانه في الآيات الاولى .

ومما ذكرنا يعلم مافي مطالبة ابن تيمية بصحة حديث ابن عباس واشكاله عليه لزوم نبوة علي (ع) واشكل عليه أيضاً بصغر سن ابن عباس قبل الهجرة ، وفيه مع ان صغر مثله غير ضار انه يحتمل قريباً صدور مارواه ابن عباس حين الفتح أو في حجة الوداع ، وأشكل عليه أيضاً بما حاصله انكم قلتم ان النبي (ص) دعا بهذا الدعاء عند تصدق علي بخاتمته فنزل قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله) الآية وذلك بالمدينة فاذا كان النبي (ص) دعا به قبل ذلك بمكة وقد استجيب له فأى حاجة إلى الدعاء به ثانياً بالمدينة ، وفيه أن تكرر الدعاء إنما وقع لاطهار فضل علي (ع) وبيان إمامته مكرراً تأكيداً للحجة ، على ان كلامه يقتضي أن لا يتكرر من النبي (ص) دعاء بالغفران والرحمة والهداية ونحوها فلا يتكرر منه في الصلوات قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم) بل لا يقع منه الدعاء بمثل تلك الامور أصلاً لعلمه بتحققها ، ولولا طلب الاحاطة في الجملة لقيح بنا التعرض لكلام هذا ومثله .

واعلم ان هذه الآية الشريفة وان لم يكن لزومها دخل بأمر المؤمنين (ع) لكن لما أمكن أخذ الدلائل لامامته منها بضميمة الاحاديث الحاكية لدعاء النبي (ص) له (ع) بمضمونها صح لنا ذكرها في طي الأدلة القرآنية على إمامته ، وان شئت استبدالها بآية اخرى لا تكال المائمة فعليكم بمراجعة آيات تعرض لاكثرها في بنايع المودة ولبعضها في كشف الغمة (كقوله) تعالى في سورة العنكبوت (اهدنا الصراط المستقيم) فقد حكى

في كشف الغمة عن الفر الحنبلي عن بريدة هو صراط محمد وآله ، و (كقوله) تعالى من سورة المؤمنين (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كيون) فقد نقل في كشف الغمة عن الفر الحنبلي أن المراد صراط محمد وآله ، ونقل في ينابيع المودة عن الجويني والمناقب عن أمير المؤمنين « ع » قال الصراط ولا يتنا أهل البيت ، وكقوله سبحانه من سورة المؤمنين أيضاً (إنك لتدعوهم الى صراط مستقيم) ، وكقوله تعالى من سورة الأنعام (إن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ، وقوله تعالى من سورة البقرة (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان) ، وقوله عز وجل من سورة الملك (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون) وقوله سبحانه من سورة الصف (يريدن ليطننوا نورا لله بأفواههم والله متم نوره) ، وقوله تعالى من سورة لقان (ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) ، وقوله تعالى من سورة الزخرف (وجعلها كلمة باقية في عقبه) ، وقوله تعالى من سورة البقرة (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم) الآية ، وقوله تعالى منها (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) : وقوله تعالى من سورة النساء (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) الآية ، ونزولها محكي عن تفسير ابن الحجاج من غير الينابيع وكشف الغمة ، فعن التفسير المذكور أن علياً قال يا رسول الله هل تقدر أن تزورك في الجنة كلما أردنا ؟ فزلت ، فدعا رسول الله « ص » علياً « ع » فقال إن الله قد أنزل بيان ما سألت فجعلك رفيقي لأنك أول من أسلم وأنت الصديق الأكبر ، الى غير ذلك مما لا يخفى على المتتبع ولو ذكرنا لك ما رونه كتب الامامية في نزول آيات اخر في أمير المؤمنين وأهل البيت الطاهرين لا يمكن بلوغ الآيات النازلة بهم ثلاثمائة أو تزيد فراجع وتدبر تصب طريق الرشاد .

تعيين امامة علي بالسنة

١ - حديث النور

قال المصنف رفع الله منزلته

وأما (السنة) فالأخبار المتواترة عن النبي « ص » الدالة على امامته وهي أكثر من أن تحصى وقد صنف الجمهور وأصحابنا في ذلك وأكثروا ، ولنفقصر هاهنا على القليل فإن الكثير غير متناه ، وهي أخبار « الأول » ما رواه احمد بن حنبل في مسنده قال صلى الله عليه وآله : « كنت أنا وعلي بن أبي طالب نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر الف عام فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزءاً بين خزيء أنا وجزء علي » وفي حديث آخر رواه ابن المغازلي الشافعي « فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم يزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبدالمطلب ففي النبوة وفي علي الخلافة » وفي خبر آخر رواه ابن المغازلي عن جابر في آخره حتى قسمه جزءاً بين خزيء علي وجزءاً في صلب عبد الله وجزءاً في صلب أبي طالب فأخرجني نبياً وأخرج علياً وصياً .

وفال الفضل

ذكر ابن الجوزي هذا الحديث في كتاب الموضوعات في طريقين ، وقال هـ هذا حديث موضوع على رسول الله ، والمتهم به في الطريق الأول محمد بن خالف المروزي قال يحيى بن معين كذاب وقال الدارقطني متروك ، وفي الطريق الثاني المتهم به جعفر ابن احمد وكان رافضياً ، وقال أبو سعيد بن يونس كان رافضياً كذاباً يضع الحديث في سب أصحاب رسول الله « ص » والنسبة الى مسند احمد باطل وزور ، وأما ما ذكر من ان الأخبار متواترة عن النبي « ص » على امامة علي « ع » فمسأله أولاً عن معنى التواتر فإن قال : ان يبلغ عدد الرواة حداً لا يمكن للعقل أن يحكم بتواطئهم على الكذب فنقول انفق جميع المحدثين انه ليس لنا حديث متواتر إلا قوله « ص » من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، فهذا الحديث في كل عصر رواه جماعة يحكم العقل على

امتناع تواطئهم على الكذب ؛ وبعضهم ألحق حديث البينة على المدعي والمجن على من أنكر بالمتواتر ؛ فكيف هذا الرجل الجاهل بالحديث والأخبار بل بكل شيء ، حتى إني نذمت من معارضة كتابه وخرافاته بالجواب لسقوطه عن مرتبة المعارضة لانحطاط درجته في سائر العلوم معقولها ومنقولها اصولها وفروعها ، ولكن ابتليت بهذا مرة فصبرت ، بحكم بأن المنقول من مسند احمد متواتراً ، واحمد بن حنبل قد جمع في مسنده الضعيف والمنكر لأنه مسند لا صحيح وهو لا يعرف المسند إلا الصحيح ولا يفرق بين الثقات والسمين ، والمغازلي رجل مجهول لا يعرفه أحد من العلماء من جملة المصنفين والمحدثين ، والعجب أن هذا الرجل لا ينقل حديثاً إلا من جماعة أهل السنة لأن الشيعة ليس لهم كتاب ولا رواية ولا علماء مجتهدون مستخرون للأخبار ، فهو في اثبات ما يدعيه عيال على كتب أهل السنة ؛ فإذا صار كذلك فلم لا يروي عن كتب الصحاح فهو يترك المنقولات في الصحاح بل يطعن فيها ويذكر المناكير والضعفاء والمجهولات من جماعة مجهولة منكورة ويجمعه سنداً لمذهبه الباطل الفاسد ؛ وهذا عين التعصب ، ثم ما ذكر من المتواتر فإن ادعى إنه متواتر عند أهل السنة والجماعة فقد بينا بطلانه وأنه ليس حديث متواتر عندنا إلا ما ذكرناه ، وإن ادعى التواتر عند الشيعة والروافض فكل الناس يعلمون أن عدد الشيعة والروافض في كل عصر من العصر الأول الى هذا العصر ما يبلغ حد الكثرة والاستفاضة فضلاً عن حد التواتر ، فلا يمكن لهم دعوى التواتر في أي مذهب كان ، وما ذكره من الأخبار في هذا الباب أكثرها ضعيف وموضوع فلا يصح الاستدلال به ولا يمكن نذكره على دأبنا ونسكلم على كل خبر بما هو الحق فيه .

وأقول

ذكر السيوطي في الثائي المصنوعة التي هي مختصر كتاب ابن الجوزي حديثين آخرين حكاهما عن الخطيب لا عن احمد وابن المغازلي ، وأرلها لا ربط له بما حكاه المصنف (ره) ها ، وثانيهما يخالف له لفظاً وفي بعض الخصوصيات .

قال السيوطي نقلاً عن ابن الجوزي الخطيب : « أخبرني أبو القاسم علي بن الحسن ابن محمد بن أبي عثمان الدقاق حدثنا محمد بن خلف المروزي حدثنا موسى بن ابراهيم

المروزي حدثنا موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرفوعاً: خلقت أنا وهارون بن عمران ويحيى بن زكريا وعلي بن أبي طالب من طينة واحدة - موضوع آفته محمد بن خلف «
 » جعفر بن احمد بن علي بن بيان حدثنا عمر الطائي حدثنا أبي عن سفيان عن داود ابن أبي هند عن الوليد بن عبد الرحمن عن نعيم الحضرمي عن أبي ذر مرفوعاً: خلقت أنا وعلي من نور وكنا عن يمين العرش قبل أن يخلق الله آدم بألني عام ثم خلق الله آدم فانقلبنا في أصـلاب الرجال ثم جعلنا في صلب عبد المطالب ثم شق أسماءنا من اسمه فآله محمود وأنا محمد والله الأعلى وعلي علي - وضعه جعفر وكان رافضياً وضاعاً « انتهى .

فأنت ترى أن هذين الحديثين غير ما حكاه المصنف (ره) وروايتها وهو الخطيب غير راوي أخبار المصنف (ره) : نغان الفضل في النقل عن ابن الجوزي : ولو كان محمد بن خلف هو الراوي لحديث النور وطعن فيه ابن الجوزي لذكره السيوطي مع حديثه الأول لاتحاد وجه الطعن وهو رواية ابن خاف له ، ويشهد لذلك ان الذهبي في ميزان الاعتدال ذكر بترجمة محمد بن خلف الحديث الأول مع طعن ابن الجوزي فيه ، ولو كان ابن خلف راوياً لحديث النور وكان ابن الجوزي قائلاً بوضعه لكان ذكر الذهبي له أولى لأنه أدل على فضل أمير المؤمنين وإمامته والذهبي أشد اهتماماً بالنكار مثله .

ولو سلم رواية محمد بن خلف لحديث النور وطعن ابن الجوزي فيه فهو لا يستلزم كذب جميع رواة حديث النور ، بل يكون أمدد طريقه دليلاً على صدقه ، على أن ابن الجوزي أيضاً طرف النزاع فكيف يمتنع قوله بوضع حديث النور ، مع أننا نرى القوم أنفسهم لا يعتبرون كلامه ، قال السيوطي في ديباجة اللآلئ المصنوعة : « جمع الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي كتاباً فأكثر فيه من إخراج الضعيف الذي لم ينحط الى رتبة الوضع بل ومن الحسن ومن الصحيح كما نبه على ذلك الأئمة الحفاظ ومنهم ابن الصلاح في علوم الحديث واتباعه » .

وأما ما قيل ان جعفر بن احمد كان رافضياً فلا منشأ له إلا روايته ما يسمعه من فضائل آل محمد « ص » ومساوي أعدائهم وهذه عادتهم فيمن روى فضيلة لأهل البيت أو رذيلة لأعدائهم يريدون بذلك إخفاء الحق وترويج الباطل كما عرفته في مقدمة الكتاب

فلذا خفي جل فضائل آل الرسول « ص » وأكثر مساوي مخالفهم كما لا منشأ لنسبة الوضع الى جعفر إلا اظهاره لاحق .

وأما تكذيب الفضل نسبة الحديث الى مسند احمد فالظاهر أن سببه عدم نقل ابن الجوزي للحديث إلا عن الخطيب ، وإلا فهو أقصر بآناً عن الاطلاع على جميع مسند احمد كما يشهد له انكاره للحديث الآتي مع ثبوته في المسند ، وقد نقل ابن أبي الحديد (١) هذا الحديث بعينه عن احمد في مسنده وفي الفضائل ، ثم قال وذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه « ثم انقلنا حتى صرنا في عبدالمطلب فكان لي النبوة وعلمي الوصية » انتهى ، والكتبي قد طلبت الحديث في المسند فلم أعر عليه وجل ظني أنه غير موجود في النسخة المطبوعة منه التي هي بأيدينا الآن لأنهم إذا رأوا مثل هذه الفضيلة السنية حذفوها مما يمكن كما سذنبك على بعض ما عثرنا عليه مما نقله علماءهم عن المسند ومع ذلك لم يوجد فيه الآن . ثم إن أول ما نقله المصنف (ره) عن ابن المغازلي نقله ايضاً في ينابيع المودة (٢) عن ابن المغازلي بسنده عن سلمان الفارسي ، ونقل عنه ايضاً بسنده عن أبي ذر حديثاً آخر مثل حديث احمد ، كما أنه نقل عن صاحب الفردوس بسنده عن سلمان ما نقله ابن أبي الحديد عنه ، وزاد حديثاً آخر نحو حديث احمد عن الجويني وموفق بن احمد بسنديهما عن أمير المؤمنين « ع » ، ثم نقل عن الجويني بسنده عن ابن عباس قال سمعت رسول الله « ص » يقول لعلي : « خلقت أنا وأنت من نور الله عز وجل » فهذه الأخبار كما ترى معتبرة ، ولو لأجل اعتضاد أسانيدها بعضها ببعض ، وهي أدل دليل على فضل أمير المؤمنين على غيره فيكون هو الامام مع تصريح بعضها بخلافته ووصايته .

وأما ما زعمه الفضل من انحصار المتواتر في خبر آخرين فمن عدم معرفته بالاصطلاح فان هذا إنما هو في المتواتر لفظاً لا معنى فقط ، كيف والأخبار المتواترة معنى أكثر من أن تحصى وقد ادعى نفسه في هذا الكتاب تواتر بعض الأخبار ، فراد المصنف (ره) أن مجموع الأخبار متواترة معنى بامامة أمير المؤمنين « ع » وإن لم يتواتر كل منها لفظاً ولا معنى ، فلا يلزم أن يكون خصوص حديث النور متواتراً ، وإن كان لو ادعى أحد

(١) في شرح النهج ص ٤٥٠ من الجزء الثاني . (٢) في الباب الأول منها .

تواتره معنى بلحاظ أخبار الفريقين لم يبعد عن الصواب كحديث الغدير ، ومن الطريف نسبة الفضل للمصنف « ره » دعوى تواتر المنقول من مسند احمد فان غاية ما يمكن أن يسند الى المصنف « ره » دعوى تواتر حديث النور معنى بسبب تعدد رواه ومخرجه ومنهم احمد فلا يلزم منه القول بصحة ما في مسند احمد فضلاً عن تواتره ، وأطرف منه نقصه للمصنف العلامة « ره » وزعمه الدم من معارضته وأنه ابتلي فصبر وهو كما تراه لا يعرف حتى العبارات الواضحة ، فما أصدق المعري في أبياته المشهورة وكأنه ينظر فيها الى هذا المقام ، وبكفي المصنف « ره » فضلاً عن علماء القوم في عصره عن معارضته حين ما جمعهم السلطان السعيد محمد خدا بنده حتى تشيع السلطان في الحال وجمع كثير من شاهد الحال أو سمعها وتشيعت ايران ببركة علم المصنف ونير برهانه .

وأما ما زعمه من أن احمد جمع الضعيف والمنكر معللاً بأنه مسند لا صحيح فنعدم معرفته للمسميات إلا بأسمائها ، فان مسند احمد كصاحبه قد جمع أخباراً مسندة صحيحة عنده وإن سمي بالمسند ، قال ابن تيمية في رده لمنهاج السكرامة للمصنف عند الكلام على البرهان السابع على امامة أمير المؤمنين « ع » وهو آية المودة : « شرط احمد في المسند مثل أبي داود في سننه » وقال عند الكلام على البرهان السابع والعشرين وهو قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسوله هم الصديقون والشهداء عند ربهم : « وهي - أي احاديث مسند احمد - أجود من احاديث سنن أبي داود » ، وقال المترجم لأحمد بمقدمة مسنده المطبوع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ : « قال السبكي ، أي في الطبقات الكبرى ، قال الحافظ ابو موسى محمد بن أبي بكر المديني : هذا الكتاب يعني مسند احمد أصل كبير ومراجع وثيق لأصحاب الحديث جعل اماماً ومعتمداً وعند التنازع ملجأً ومسنداً » ثم روى عن حنبل بن اسحاق قال : « جمعنا عمي يعني احمد بن حنبل لي ولصالح ولعبد الله وقال لنا : إن هذا الكتاب قد جمعه وأتقنته من أكثر من سبعة وخمسين الفاً اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله (ص) فأرجعوا اليه فان كان وإلا فليس بحجة » ثم نقل عن عبد الله بن احمد عن أبيه قال : « عملت هذا الكتاب اماماً إذا اختلف الناس في سنة رسول الله (ص) رجع اليه » ثم قال ابو موسى

المديني : « لم يخرج أي احمد إلا عن ثبت عنده صدقه وديانته دون من طعن في امانته » ثم روى عن عبد الله بن احمد قول : « سألت أبي عن عبد العزيز بن ابان قال لم أخرج عنه في المسند شيئاً لما حدث بحدث المواقيت تركته » وقد ذكر في ترجمة احمد كثيراً من نحو هذا ما يدل على كون احمد لم يرو في مسنده إلا ما صح عنده فراجع وبجرد جمع احمد فيه الضعيف والمنكر عند غيره لا يقضي بعدم صحته عنده إذ ليس مسنده بأحسن من صحاحهم ، وقد جمعت الضعيف والمنكر وما فيه الكفر كما سبق في مقدمة الكتاب ومسألة النبوة .

وأما قوله والمغازلي رجل مجحول لا يعرفه احد من العلماء ، فيكذبه رواية ابن حجر في الصواعق عنه وكناهه بأبي الحسن كما سبق في الآية السابعة والسبعين ، وكناهه به أيضاً في ينابيع المودة في الباب الأول منها ، وسماه بعلي بن محمد كما سماه به أيضاً في اول الكتاب عند ذكر من روى عنهم ووصفه بالفقيه الشافعي ، وغاية طعن ابن تيمية فيه ان قال ليس الحديث من صنعته ولا يعرف الحديث ، ولا منشأ للتجاهل به والطعن في معرفته الا لأنه يروي ما ليس من هوى ابن تيمية وأنه الف في فضل امير المؤمنين ؛ وهذا كما مر في المقدمة اولي بالدلالة على اطلاعه وحسن انصافه ، ولو الف في فضل الشيخين من مفتعلاتهم لحل عندهم بالحل الأرفع والمنزل الأسنى .

وأما قوله والعجب إن هذا الرجل لا ينقل حديثاً إلا من جماعة أهل السنة (الح) فن عدم تفرقة بين البحث الاثامي وغيره فإن المصنف (ره) إنما ينقل عن كتبهم لازمامهم لا الحاجة به اليها لغناه عنها بالأدلة القطعية العقلية والنقلية التي اشتملت عليها كتب أصحابه وقد تجاهل في معرفتها ومعرفة علماء الامامية ورواتهم ظناً منه أن يخذع الجاهل بذلك وهيهات أن تخفى الشمس على ذي عين نعم ما زالوا الى الآن يتغافلون عن كتب الشيعة ويتعمدون عن النظر اليها كراهة لاتضاح الحق ورغبة في ملة الآباء .

وأما قوله فهو يترك المنقولات في الصحاح فكذب ظاهر لأن المصنف (ره) ينقل عنها وعن غيرها كما ستعرف ، وكلها عنده بمنزلة واحدة في الوهن لـكنه يروي عن الجميع ما يحتاج به عليهم ، ولا يمكن أن نصحح شيئاً منها سوى ما يتعلق بفضائل أهل البيت

ونفائض أعدائهم كما سبق وجهه في المقدمة وبينا فيها حال صحاحهم وانها بالسقم أخرى ومن الطرائف انكاره بلوغ عدد الشيعة الى عصره حد الكثرة فلو صدق فما باله فر من بلاده الى ما وراء النهر ثم استغاث في آخر هذا الكتاب من استيلائهم على ما هنالك، وإن جهل كثرتهم فليسأل عنهم أئمة بني أمية يوم الدار وصفين ويوم استولى عليهم بنو العباس، وليسأل عنهم بني العباس أيام البويهيين والحمدانيين والفاطميين، وقد ذكر المؤرخون أن بلية معاوية على الكوفة أشد لكثرة من فيها من الشيعة، نعم ما زال أعداء آل رسول الله « ص » ومخالفوهم أكثر كما قال عز اسمه: « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » .

٢ - حديث ويكون خليفتي ويكون معي في الجنة

قال المصنف قرى سره

(الثاني) من مسند احمد : « لما نزل وانذر عشيرتك الأقربين جمع النبي (ص) من اهل بيته ثلاثين فأكلوا وشربوا ثلاثاً ثم قال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون خليفتي ويكون معي في الجنة فقال علي انا فقال انت » ورواه الثعلبي في تفسيره بعد ثلاث مرات في كل مرة اسكت القوم غير علي (ع) .

وقال الفضل

هذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات في قصة طوبلة وليس فيه ويكون خليفتي وهذا من وضعه او من وضع مشايخه من شيوخ الرضى واهل التهمة والافتراء وفي مسند احمد بن حنبل ويكون خليفتي غير موجود بل هو من الإضافات الرفضة ، وهذان الكتابان اليوم موجودان وهم لا يبالون من خجلة الكذب والافتراء بل الرواية (ويكون معي في الجنة) وهو من فضائل امير المؤمنين (ع) حيث أقبل إذ الناس أدبر ، واقدم إذ الناس احجم ، وفضائله أكثر من ان تحصى ، عليه سلام الله يترى ، مرة بعد اخرى .

وأقول

من عجب العجب ان يكذب هذا الرجل وينسب الكذب الى آية الله المصنف (ره) وشدّد التنكير عليه وعلى علمائنا اهل الصدق والأمانة ، وإذا اردت ان تعرف كذبه فراجع المسند ص ١١١ من الجزء الأول تجد الحديث مشتملاً على لفظ خليفتي ، وهكذا نقله في كنز العمال (١) عن المسند وعن ابن جرير : قال وصححه عن الطحاوي والضياء في المختارة التي حكى في اول السكز صحة جميع ما فيها عن السيوطي في ديساجة جمع الجوامع ، ونقل في السكز ايضاً (٢) هذا الحديث بقصة طويلة عن ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي : قال النبي «ص» في آخره : « قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أسرنى الله أن أدعوكم اليه فأيتكم يوازرنى على أسري هذا » قال علي « ع » فقلت أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي فقال (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسموا له واطيعوا) فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أسرك أن تسمع وتطيع لعلي ، ونقل هذا الحديث الطبري في تاريخه (٣) وابن الأثير في الكامل (٤) ، وحكى في كنز العمال (٥) عن ابن جرير حديثاً آخر ، قال النبي «ص» فيه مثل قوله الأول (هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسموا له واطيعوا) وحكى ابن أبي الحديد في شرح الحج (٦) عن أبي جعفر الاسكافي انه قال : « وروي في الخبر الصحيح أن النبي «ص» كلف علياً عليه السلام في مبدء الدعوة ان يصنع طعاماً ويدعو له بني عبد المطلب فصنع له طعاماً ودعاهم له ثم ضمن لمن يوازره ويصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيه بعد موته وخليفته من بعده فأمسكوا كلهم واجابه هو وحده فقال لهم : هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدني فقاموا يضحكون ويقولون لأبي طالب أطع ابنك فقد أسره عليك » انتهى ملخصاً ، وهذه الأخبار كلها اشتملت على لفظ « الخليفة » .

(١) ص ٣٩٦ من الجزء السادس . (٢) ص ٣٩٧ من الجزء المذكور . (٣) ص ٢١٧ من الجزء الثاني . (٤) ص ٢٨ من الجزء الثاني . (٥) ص ٣٩٢ من الجزء المذكور . (٦) ص ٢٦٣ من المجلد الثالث .

ونقل في السكز (١) عن ابن مردويه خبر آخر اشتمل على لفظ «الولاية» قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ومد يده «من يبالي عني على ان يكون أخي وصاحبي ووليكم من بعدي» فددت يدي وقلت انا ابالي عك فبالي عني على ذلك ، وانت تعلم ان المراد بالولاية هنا هو المراد بالخلافة بقرينة ما سبق وقوله من بعدي ، فان النصرة والحب لا يختصان بما بعد النبي (ص) وإنما تختص به الخلافة .

وأعجب من الفضل ابن تيمية حيث أنكر وجود أصل الحديث في الصحاح والمسانيد عند ذكر المصنف (ره) له في منهاج السكرامة ، مع ما عرفت من رواية احمد بن حنبل له في المسند وغير احمد ممن عرفت ، نعم أقر بوجوده في تفسير ابن جرير والبغوي والزملي وابن أبي حاتم لكنه ناقش في اسناد كل منهم بما مرّ جوابه اجمالاً في مقدمة الكتاب ، مع انه قد استفاضت الطرق وقوى بعضها بعضاً وحكوا بصحة بعضها كما سمت فلا محل للمناقشة ، على أن مناقشته في سند رواية الثعلبي اجمالية مردودة عليه إلا مع البيان ، ومناقشته في سند رواية ابن أبي حاتم إنما هي باشماله على عبد الله بن عبد القدوس وهو قد ضعفه الدارقطني وقال النسائي ليس بثقة وقال ابن معين ليس بشيء . رافضي خبيث ، وفيه أن تضعيف هؤلاء معارض بما في تقرير ابن حجر انه صدوق ، وقال في تهذيب التهذيب قال محمد بن عيسى ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال البخاري وهو في الأصل صدوق إلا انه يروي عن أقوام ضعاف ، مع انه أيضاً من رجال سنن الترمذي ، ولا ريب ان مدح هؤلاء مقدم على قدح اولئك لعدم العبرة بقدح أحد المتخالفين في الدين بالآخر من غير حجة ، بخلاف مدحه له فان الفضل ما شهدت به الأعداء ، وعبد الله هذا قد زعموه من الشيعة وإن كنا لا نعرف الرجل في الشيعة ، ولعله لما روى في فضل آل محمد «ص» نسبة الى الرافض والخبيث ، وغمزه ابن عدي بقوله عامة ما يرويه في فضائل أهل البيت ، وليت شعري أهبذا صار ضعيفاً واستحق أن يوصف بالخبيث ، كما لا يعتبر أيضاً طعنهم في أبي مريم عبد الغفار بن القاسم راوي حديث ابن جرير والبغوي على ما ذكره ابن تيمية لأنه كما في ميزان الاعتدال من الشيعة

ولا سيما قد شهد بحقه الذمعي انه كل ذا اعتناء بالعلم وبالرجال .
وأما ما نسبته الفضل الى ابن الجوزي فلا يبعد انه من كذباته وإلا لنسبه اليه في
كثير العمال بالنسبة الى بعض الأحاديث التي نقلناها عنه ، فان عاده ان يروي عن كتاب
الموضوعات ، وإيضاً لم يذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة المأخوذة من كتاب الموضوعات
ولو صحت النسبة الى ابن الجوزي فلا عبرة بكلامه لأنه أيضاً طرف النزاع .
وأما ثبوته على أمير المؤمنين « ع » فقد تأبط به شراً لأن قصده به أن يروج
كذبه وإنكاره لما رواه المصنف « ره » وترفع عنه تهمة النصب ، وهيهات أن يخفى
حاله وقد أنكر الواضحات أتراه يفعل ذلك لو كانت الرواية فيما يؤيد طريقته .
ثم ان من جملة الحديث الذي ذكره المصنف « ره » في منهاج السكرامة ان النبي (ص)
جمع بني عبد المطلب وهم اربعمائة رجل ، فجعل ابن تيمية ذلك طريقاً للطعن في الحديث
بدعوى عدم بلوغهم في ذلك الوقت الى هذا القدر . (وفيه) انه لو سلم فلا يبعد ان
المراد ببني عبد المطلب ما يشمل بني المطلب لاختصاصهم بهم حتى كأنتهم منهم ولذا كانوا
معهم في حصار الشعب ، ويشهد له ما في كامل ابن الأثير حيث انه لما نقل الحديث قال
حضرنا ومعهم نفر من بني المطلب ، ولو سلم ان المراد خصوص بني عبد المطلب فغاية
ما يلزم منه خطأ الراوي أو مبالغته في عددهم ، وهو لا ينافي صحة أصل الواقعة المروية
بطرق مستفيضة ، ولا تنكاد تسلم واقعة مروية بطرق عن الخطأ في الخصوصيات ، ومنه
ايضاً يعلم ما في طعن ابن تيمية في الحديث من حيث اشتغاله على ان الرجل منهم كان
يأكل الجذعة ويشرب الفرق مدعياً انهم لم يكونوا معروفين بمثل هذه الكثرة من
الأكل والشرب وذلك لأن غاية ما يلزم منه مبالغة الراوي أو الخطأ في ذلك وهو غير
ضار في صحة أصل الواقعة ، على ان عدم معرفتهم به لا تدل على العدم لا سيما وقد
كان الكثير من قریش كذلك كما تشهد به كتب التاريخ ، وقد أورد ابن تيمية على الحديث
بأنه كيف يقول النبي (ص) للجماعة من يوازرني على أمرى يكن وصي وخليفتي من
بمدي ، والحال ان مجرد الاجابة الى مثل ذلك لا يوجب الخلافة فان جميع المسلمين وازروه
ولم يكن منهم أحد خليفة ، ومن الجائز ايضاً ان يحبيه جماعة منهم وحينئذ فن الخليفة

منهم ؟ و (فيه) ان النبي « ص » لم يقل ان هذا علة نامة للخلافة بعده حتى تلزم خلافة كل من فعل ذلك وإن لم يكن من عشيرته بل أراد بأمر الله انذار عشيرته وترغيبهم لأنهم اولى به وبنصرته فلم يحمل هذه المنزلة إلا لهم وليعلم من اول الأمر ان هذه المنزلة لعلي عليه السلام خاصة فان الله سبحانه ورسوله (ص) يعلمان انه لا يحجب النبي (ص) ويؤزره تماماً إلا علي (ع) فكان ذلك من باب تثبيت امامته والقاء الحجة على قومه وحينئذ فلا يصح فرض تمدد المحبين للنبي (ص) ، ولو صح ووقع لعين النبي صلى الله عليه وآله الاول والاخر .

هذا وقد صرحت بالخلافة لعلي (ع) أخبار اخر « منها » ما سبق في الآية السادسة والثلاثين في سبب نزول سورة النجم ، « ومنها » ما سيأتي في بعض احاديث الثقلين . « ومنها » ما في المواقف في مبحث الامامة عن النبي (ص) انه قال لعلي (أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني) بكسر الدال ، وأجاب عنه هو والشارح بأسرين « الاول » انه معارض بالنصوص الدالة على امامة أبي بكر ، و (فيه) انه لو سلم وجودها ودالاتها فليست حجة علينا لأنها من أخبارهم الخاصة بهم ، بل هي من الكذب المسلم لاقرارهم بأن النبي (ص) لم يخلفه « الثاني » منع صحة الحديث للدليل القاطع على عدم النص الجلي لأنه لو وجد لتواتر ولما رضى علي أباً بكر في الامامة ولصلابة الاصحاب في الدين فكيف لا يتبعون النص المبين .

ويرد على الأول ان حصول التواتر مشروط بعدم الشبهة وهي ثابتة لهم بل الثابت أعظم منها وهو التعصب الذي هو فذى البصائر ، وهل تبقى شبهة مع نص الكتاب العزيز بمحاصرة الولاية بالله ورسوله وأمير المؤمنين ونص حديث الغدير والمنزلة والثقلين وغيرها فانها متواترة ونص في امامته ولو بمجموعها لو أنصفوا ، ولو سلم انها ليست نصاً جلياً ولا متواترة معنى بامامته « ع » فالمطالبة بتواتر ما هو أجلى منها ليست في محلها للصوارف عنه فان عامة قریش وكثير آمن الانصار في الصدر الاول أعداء أمير المؤمنين فمنهم غاصب له ومنهم معين على غصبه ومنهم راض به وللباقى رعا ع وسوقة إلا القليل والقليل لا بقدر على بيان النص الجلي خوفاً من الاسراء بل حتى السكتير يخاف منهم

ولذا خفي أمر الغدير فاحتاج أمير المؤمنين بعد زمن قريب الى الاستشهاد بمن بقى من الصحابة ، مع انه لم يشهد له بعضهم عداوة له فأصابته دعوته كما سبق ، ولوفرص امكان بيان النص الكامل في الصدر الأول فلا ريب بعدم إمكانه ايام معاوية والشجرة الملعونة لأنهم أوجبوا سب امام المتقين وتبعضوا بالقتل والحبس من روى له فضيلة أو رأى له فضلاً فكيف يمكن حينئذ أن تتواتر رواية النص الجلي وكذا في الأيام المتأخرة كأيام كثير من بني العباس الذين هم مثل بني أمية في جحد حق أمير المؤمنين (ع) ولا أعجب من طلب حصول التواتر بالنص الجلي عند قوم يخالف مذهبهم مع اهتمام علماءهم لدنياهم في نقصه وإثبات منغصوليته وإن تمام مناصب سلاطينهم وامراءهم بانكار النص عليه وعلى الأئمة من ولده .

ويرد على دعوى عدم معارضته لأبي بكر أنها ممنوعة وظاهرة المكبرة إذ أي معارضة تطلب في مقام الخوف على الاسلام أكبر من الامتناع عن بيعته وإظهار انه ظالم غاصب ولم يبايعه إلا قهراً بعد ستة أشهر أو أكثر الى غير ذلك مما صدر من أمير المؤمنين (ع) كما عرفت بعضه في المبحث الرابع من مباحث الامامة .

ويرد على دعوى صلاحية الأصحاب في الدين انها محل تأمل ولا سيما بعد النبي (ص) ولنسأل عن قوله تعالى (أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ، وسورة براءة المسماة بالفاضحة لأنها فضحت أكثر الصحابة ، وقوله تعالى (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) حيث تركوا الواجب ولم يبالوا بالنبي «ص» وانفضوا للهو والتجارة ولم يبق معه إلا النادر الى كثير من الآيات الكريمة ، ولنسأل أحاديث الحوض التي حكم بعضها بارتداد جل الصحابة وأنهم الى النار ولم يعلم منهم إلا مثل همل النعم ، الى غيرها من الأخبار التي لا تحصى ، وسيمر عليك بعضها إن شاء الله تعالى .

وقد أجاب القوشجي في شرح التجريد عن الخبر الذي حكيناه عن المواقف بعد ذكر نصير الدين (ره) له فقال (واجيب بأنه خبر واحد في مقابلة الاجماع ولوصح لما خفي على الصحابة والتابعين والمهرة المتقنين من المحدثين سيما علي وأولاده الطاهرين ولو سلم فغابته إثبات خلافته لا نفى خلافة الآخرين) . ويشكل بمنع الاجماع كما مر في

المبحث الرابع وبينا أنه لم يخف على الصحابة ولكن أخفوه عن عمد كحديث الغدير، وكذا أخفاه من علم به من غير الصحابة عداوة لمي «ع» أو خوفاً من معاوية وأشباهه وأما دعوى خفائه على أمير المؤمنين وأبنائه الظاهرين فخالفة لما تواتر عنهم من حصول النص عليه بالخلافة ولما ظهر من أحوالهم في تضليل الأولين فكم صرحوا ولوحوا بالنص من النبي (ص) فما زاد مغاليتهم إلا عداوة واعراضاً عن الحق .

وأما إنكار دلالة على نفي خلافة الآخرين فمكابرة للضرورة إذ أي دليل أصرح في فهمنا من قوله «ص» (خليفتي من بعدي) ولو كان التقييد بقوله من بعدي غير دال على ذلك لم تثبت خلافة أحد بلا فصل بالنص، وليت شعري ما بال وصية أبي بكر لعمرك كانت نصاً في خلافته له بلا فصل دون وصية النبي لأمر المؤمنين وهي ليست بأصرح منها في الدلالة على عدم الفصل وكذا وصايا سائر السلاطين لولاة عهدهم كما سبق في الآية الثانية من الآيات التي ذكرها المصنف (ره) .

ومن (جملة الأخبار) المصرحة بخلافة أمير المؤمنين «ع» ما في ميزان الاعتدال بترجمة عبد الله بن داهر حيث ذكر أنه روى بسنده عن ابن عباس (ستكون فتنة فمن أدركها فعمله بالقرآن وعلي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله «ص» يقول هذا أول من آمن بي وأول من يصالحني وهو فاروق هذه الأمة ويعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة وهو الصديق الأكبر وهو خليفتي من بعدي) قال: في الميزان قال ابن عدي عامة ما يرويه في فضائل علي وهو متهم في ذلك، وقال في الميزان أيضاً: قال العقبلي رافضي خبيث وقال أحمد ومحيي ليس بشيء . و (أقول) إذا كان هذا جفاؤهم وقولهم في راوي ماورد في أخي النبي «ص» ونفسه فكيف يطلبون أن يتواتر النص عليه بما هو أجلى من ذلك، وليت شعري! لم كان عندهم؟ من روى له فضيلة رافضياً خبيثاً منهم؟ ومن روى فضيلة لمشايخهم ثقة صادقاً معتمداً في صحاحهم وصاحب سنة وإن كفره سيد النبيين صلى الله عليه وآله كالحوارج والنصاب وقال سبحانه (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) . ومن (جملة الأخبار) المصرحة بخلافته أيضاً ما في اللآلئ المصنوعة عن ابن حبان بسنده عن أنس مرفوعاً (إن أخي ووزيري وخليفتي من بعدي في أهلي وخير من

أترك بعدي بقضي ديني وينجز موعدي علي « ع ») وما في الاثالي ايضاً عن الخطيب في المتفق والمفترق وعن الجوزقاني بسندهما عن سلمار قال: « سألت رسول الله (ص) من وصيه فقال وصي وموضع سري وخليفتي في أهلي وخير من اخلف بعدي علي » ، وقد نقل في الاثالي عن ابن الجوزي انه قال : « ان الحديث الأول موضوع آفته مطر بن ميمون الاسكافي ، وان الحديث الثاني أكثر رواه مجهولون وضعفاء واسماعيل بن زياد وهو أحد رواه متروك » . و (فيه) انه لو سلم ذلك كله فهو إنما يرفع الاعتماد لا انه يقتضي الوضع علي ان الاخبار الناطقة بخلافة أمير المؤمنين « ع » كثيرة فتعتبر لا اعتضاد بعضها ببعض وإن ضعفت أساسانها فكيف وقد صحح بعضها عندهم كما عرفت ، بل عرفت في مقدمة الكتاب أن رواة فضائل أمير المؤمنين « ع » ثقات في تلك الرواية خصوصاً مثل مطر الذي لم يضعفوه إلا لروايته كثيراً في فضل علي « ع » ، ولعله لم يعتن ابن ماجة بتضمينهم فأخرج له في صحيحه .

هذا وليس قول النبي « ص » في بعض تلك الاخبار فيكم أو في أهلي مقصوداً به تقييد الخلافة للاجماع على عدم الفرق بين عشيرته وغيرهم وللزوم اجتماع خليفته عام وخاص ولا يقوله أحد ، ولا يصح أن يراد بخلافته في أهله في الحديثين الأخيرين قيامه بأمور دنياه لعدم قيام علي « ع » بأرحام النبي « ص » ونسائه وعدم خلافته عن النبي صلى الله عليه وآله في القيام بفاطمة والحسين بل هم عياله الذين تجب نفقتهم عليه اصاله لا بالخلافة عن رسول الله « ص » ، فالقصور في هذه الاخبار هو الخلافة العامة والزعامه العظمى كما يشهد له ذكر الوصية مع الخلافة في الخبر الأخير وقوله خير من اخلف أو أترك بعدي في الأخيرين ، مضافاً الى اطلاق الخلافة في بعض الاخبار السابقة والظاهر ان تخصيص الخطابين وهم العشيرة في أحاديث نزول قوله تعالى وانذر عشيرتک الاقربين إنما هو لسكون الخطاب معهم أو أهميتهم أو لأنه لا امة له حينئذ ، كما لا يبعد أن يكون قيد في أهلي بالخبرين الأخيرين من زيادة بعض الرواة عمداً أو وهماً .

واعلم انه قد ورد عند السنة ايضاً ما هو بمنزلة التعبير بالخلافة كالذي في ترجمة حكيم ابن جبير من ميزان الاعتدال عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن اسحاق عن حكيم بن

جبير عن ابن سفيان عن عبد العزيز بن مسروان عن أبي هريرة عن سلمان (قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله إن الله لم يبعث نبياً إلا بين له من علي بعده فهل بين لك قال : نعم علي بن أبي طالب) قال في الميزان : « هذا حديث موضوع ثم كيف يروي مثل هذا عبد العزيز بن مسروان وفيه انحرافه عن علي رواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق العقيلي عن أحمد بن الحسين عن ابن حميد وليس بثقة » . و (فيه) مع ما عرفت من وثاقة رواية فضائل أمير المؤمنين « ع » فيما يروونه في فضله إن حكيم ابن جبير من رجال السنن الأربع فلا يصح لهم الحكم بوضعه لهذا الحديث وإلجاء الطعن إلى أخبار أصحابهم ، وكذا الحال في محمد بن حميد لأنه من رجال سنن الترمذي وأبي داود وابن ماجه ، مع أنه قد ذكر في الميزان بترجمة ابن حميد : « انه حدث عنه أبو بكر الصنعائي فقليل له : اتحدث عنه ؟ فقال ومالي لا احدث عنه وقد حدث عنه أحمد بن حنبل وابن معين ، وقال أبو زرعة من فاته محمد بن حميد يحتاج أن يترك عشرة آلاف حديث ومن آخر اصحاب ابن حميد أبو القاسم البغوي وابن جرير الطبري » . وحينئذ فلا يصح الحكم بوضع ابن جبير أو ابن حميد للحديث ولا سيما على لسان عبد العزيز المنحرف عن أمير المؤمنين « ع » ، ولا يمنع انحرافه عنه روايته لهذا الحديث لأن الله سبحانه إذا أراد اظهار الحق ألقى في نفوس القوم رواية ما علموه في حق أمير المؤمنين عليه السلام لتلزمهم وغيرهم الحاجة ، ولذا رويوا حديث الغدير ونحوه ، على أنه قد قيل لعمر بن عبد العزيز كيف خالفت من قبلك في منع السب عن علي ؟ فقال عرفته من أبي لأنه إذا خطب وجاء إلى سبه تلجلج ، فسألته عن ذلك فقال لو عرف الناس ما أعرفه من فضل هذا الرجل ما تبعنا منهم أحد ، فظهر أنه لاعتبر بما زعمه الناصبان الذهبي وابن الجوزي من وضع هذا الحديث ، ولا سيما مع كونها طرف النزاع وإن كان لا لوم عليها بعدم مخالفتها لمذهبها لكن الكلام في الدليل من حيث هو .

٣ - حديث الوصية

قال المصنف طاب ثراه

(الثالث) من المسند عن سلمان قال : يا رسول الله من وصيك ؟ قال : يا سلمان من

كان وصي أخى موسى ؟ قال : يوشع بن نون ، قال : فأت وصي ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب .

وقال الفضل

الوصي قد يقال ويراد به من أوصى له بالعلم والهداية وحفظ قوانين الشريعة وتبليغ العلم والمعرفة فإن أريد هذا من الوصي فسلم أنه كان وصياً لرسول الله « ص » ولا خلاف في هذا وإن أريد الوصية بالخلافة فقد ذكرنا بالدلائل العقلية والنقلية عدم النص في خلافة علي ولو كان نصاً جلياً لم يخالفه الصحابة وإن خالفوا لم يطعنهم العساكر وعامة العرب سيما الأنصار .

وأقول

إن معنى الوصية العهد يقال أوصى الى فلان بمعنى عهد اليه فإن اطلق متعاق الوصية حكم بشموله لجميع ما يصلح تعلقها به وإن قيد كما لو قيل أوصى اليه بإيتامه أو ثلث ما له أو نحوهما اختص به ، ومن الواضح أن الرواية من قبيل الأول فتشمل الوصية بالخلافة بل هي أظهر ما تشمله وتنصرف اليه ، بل معنى وصي النبي خليفته كما يشهد له أن النبي « ص » ضرب لساناً مثلاً بوصي موسى وهو يوشع الخليفة لموسى ، ولما رواه أحمد في مسنده (١) عن طلحة بن مصرف قال : « قال أبو الهذيل : أبو بكر يتأمر على وصي رسول الله (ص) ودأ أبو بكر أنه وجد مع رسول الله (ص) عهداً فخرم أنفه بخزام » فإنه صريح في أن معنى وصي رسول الله خليفته مضافاً الى أنه عطف في ذلك الحديث الوارث على الوصي ، والمراد بالوارث إما وارث المنزلة وهو المطلوب أو وارث العلم وهو يستدعي الخلافة لأن علم الأنبياء ميراث لمن هو أحق بالاتباع والرياسة لقوله سبحانه (أفئن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي) الآية ، ومنه يعلم تعلم المطلوب لو أريد بالوصي من أوصى له بالعلم والهداية وحفظ قوانين الشريعة وتبليغ العلم ، ولا سيما أن حفظ قوانين الشريعة يتوقف على الخلافة لأن السوق لا تقدر

على حفظها تماماً لاحتياجه الى بسط اليد ، وقد اشتملت أخبار الوصية على قرآن آخر تقتضي ارادة الخليفة من الوصي كقول النبي « ص » في بعضها في وصف علي « ع » بأنه خير من اخلف أو أترك بعدي ، كالخبرين السابقين عند الكلام في الحديث الثاني ، وكالذي حكاه في كنز العمال (١) عن الطبراني بسنده عن سلمان عن النبي « ص » .

وأما قوله فقد ذكرنا بالدلائل العقلية والنقلية عدم النص ، فحالة على عدم ، ولعله يريد بالدليل ما أعاده هنا بقوله ولو كان نصاً جلياً الى آخره ، وفيه ما عرفت في المبحث الثالث وغيره مما سبق ، ثم لا معنى لقوله لم يخالفه الصحابة ولو خالفوا لم يطعمهم العساكر الى آخره ، لأن معناه وإن خالف الصحابة لم تطعمهم الصحابة إلا ان يريد بالصحابة خصوص الفخيين وأنصارهما فيصح الكلام ولكن يكون الحكم بعدم مخالفتهم من أول المصادر .

ثم ان أحاديث الوصية مستفيضة بل متواترة عند القوم فضلاً عنا ، وقد ذكر في بنابيع المودة (٢) أحاديث منها كثيرة ، وفيها ما حكاه المصنف « ره » عن مسند احمد ، وسطر ابن أبي الحديد ثلاث صفحات أوائل الجزء الأول من الشعر المقول في صدر الاسلام لكثير من وجوههم تتضمن بيان وصية علي « ع » ، ثم قال بعد انتهائها : « والأشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثيرة جداً ، ولـكنا ذكرنا منها هاهنا ما قيل في هذين الحربين يعني حرب الجمل وصفين ، فأما ما عداها فانه يحل عن الحصر ويعظم عن الاحصاء والعد ، ولولا خوف المالة لذكرنا من ذلك ما ميلاً أورافاً كثيرة » وقد ذكر هذا في شرح قوله (ع) من خطبة له : « لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الامة أحد ولا يسوئ بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً ، هم أساس الدين وعماد اليقين اليهم بفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصيصة والوراثه ، الآن إذ رجع الحق الى أهله ونقل الى منتقله » ولا يخفى لطف قوله (ع) رجع الحق الى أهله وما فيه من الدلالة على غصب الأولين له .

١ - حديث من أحب أصحابك إليك؛ وإن كان أمر كنا معه

قال المصنف أعلى الله مقامه

(الرابع) من كتاب المناقب لأبي بكر أحمد بن مردويه وهو حجة عند المذاهب الأربعة رواه بإسناده إلى أبي ذر قال: دخلنا على رسول الله (ص) فقلنا من أحب أصحابك إليك؟ وإن كان أمر كنا معه وإن كانت نائبة كنا من دونه، قال هذا علي أقدمكم سلماً وإسلاماً.

وقال الفضل

هذا الحديث إن صح يدل على فضيلة أمير المؤمنين وأن النبي (ص) يحبه حباً شديداً ولا يدل على النص بامارته ولو كان رسول الله (ص) ناصاً على خلافته لكان هذا محل اظهاره وهو ظاهر فانه لما لم يقل انه الأمر بعدي علم عدم النص فكيف يصح الاستدلال به.

وأقول

المراد بسؤالهم المذكور طلب تعيين الامام بعده (ص) لأن أحب أصحاب الرئيس اليه هو الذي يرجى بعده للرئاسة وينبغي أن يقيمه مقامه، ولذا قالوا وإن كان أمر كنا معه وإن كانت نائبة كنا دونه، فان معناه إن كان أمر اتبعناه وإن كانت نائبة نصرناه وفديناه كما هو شأن الاتباع والامير، وقد فهم الفضل هذا المعنى ثم جرده، فان قوله (لكن هذا محل اظهاره) الى آخره دال على أن معنى السؤال طلب معرفة الامام كما ذكرناه، وإلا فكيف كان المقام محل اظهار النص وكان عدم اظهاره موجباً للعلم بعدم النص.

فاذا كان المراد هو السؤال عن الامام والخليفة بعده كان قوله (ص) «هذا على» كافياً في الجواب غنياً عن أن يضيف قوله الأمر بعدي، نعم بحسن الاشارة الى علة تعينه للأحبيّة والامامة فأشار اليها بقوله (أقدمكم سلماً وإسلاماً)، فانه موجب لأحبيته وكاشف عن زيادة معرفته على غيره وأنه أسبقهم الى الخير وأفضلهم عملاً والافضل علماً وعملاً أحق بالامامة، ثم ان كلام الفضل يدل على انه (ص) لو قال علي خيلتي من

بعدي ووليكم بعدي كان نصاً في خلافته مثبتاً لمداينا عنده وعند أصحابه ، وهو كذب فانه (ص) قال هو خليفتي من بعدي ووليكم بعدي ، وقالوا لا يدل على عدم الفصل بينها حتى تنتفي خلافة غيره ، كما صنعه القوشجي فيما حكيناه عنه في الخبر الثاني ، وليس هذا الذي أقر الفضل بأنه نص بأعظم نصوصية من قوله تعالى (إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية ، ولا من حديث الغدير والمنزلة والثقلين وأشباهاها : ومع ذلك كابروا الضرورة وعاندوا الحقيقة ، فليتدبر من يريد لنفسه السلامة والقيام بالمعز والحقبة يوم القيامة .

هـ - حديث لكل نبي وصي ووارث

قال المصنف طاب مرقه

(الخامس) من كتاب ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن رسول الله « ص » انه قال لكل نبي وصي ووارث وان وصيي ووارثي علي بن أبي طالب .

وقال الفضل

قد ذكرنا معنى الوصاية وانه غير الخلافة فقد يقال لهذا وصي فلان علي الصبي وبراد به انه القائم بعده بأمر الصبي وهو قريب من الوارث ولهذا قرنه في هذا الحديث بالوارث وليس هذا بنص في الخلافة إن صح الرواية .

وأقول

رواه الذهبي في ميزان الاعتدال بترجمة شريك بن عبد الله من طريق عن بریده وحكاة السيوطي في اللؤلؤ عن العتيبي والحاكم كل منهما بطريق آخر عن بریده وطعنوا في أسانيد هاجمياً ، وقد مرّ مراراً ما فيه وحكاة في ينابيع المودة في الباب الخامس عشر عن أخطب خوارزم عن بریده ونحوه عن أم سلمة ، وحكاة في الباب السادس والخمسين عن كنوز الدقائق عن الديلمي ، فلا ريب باعتباره لكثرة طرقه واعتضاده ببقية أخبار الوصية المستفيضة ، كما لا ريب بدلالته على امامة أمير المؤمنين لما سبق في الحديث

الثالث ، مضافاً الى ظهوره بلزوم الوصي لسكل نبي واللازم هو الخليفة إذ لا بد للناس من امام ، وأما قوله : فقد يقال هذا وصي فلان على الصبي ويراد به انه القائم بعده بأمر الصبي ، فهو مثبت للمطلوب لاناف له لأن وصي النبي هو خليفته القائم بأمر امته ، وأما قوله : وهو قريب من الوارث ولهذا قرنه بالوارث ، فصحيح ولذا أفاد اللفظان الخلافة فان المراد بالوارث هو وارث العلم والمنزلة في الامة لا المال فيكون هو الامام .

٦ - حديث لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك

قال المصنف طاب ثراه

(السادس) في مسند احمد وفي الجمع بين الصحاح الستة ما معناه : ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث براءة مع أبي بكر الى أهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث اليه علياً فردّه ، فرجع ابو بكر الى النبي (ص) فقال يا رسول الله أنزل في شيء ؟ قال لا . ولكن جبرئيل جاءني وقال لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك .

وقال الفضل

حقيقة هذا الخبر ان رسول الله (ص) في السنة الثامنة من الهجرة بعث أبا بكر الصديق أميراً للحاج وأمره أن يقرأ أوائل سورة براءة على المشركين في الموسم وكان بين النبي (ص) وقبائل العرب عهود ، فأمر أبا بكر بأن ينفذ اليهم عهدهم الى مدة اربعة أشهر كما جاء في صدر سورة براءة عنده قوله تعالى فسيحوا في الأرض اربعة أشهر ، وأمر ايضا أبا بكر بأن ينادي في الناس أن لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك ، فلما خرج ابو بكر الى الحج بدا لرسول الله (ص) في أمر تبليغ سورة براءة لانها كانت مشتملة على نبذ العهود وارجاعها الى اربعة أشهر وأن العرب كانوا لا يعتبرون نبذ العهد وعقده إلا من صاحب العهد ومن أحد من قومه ، و ابو بكر كان من بني تيم نخاف رسول الله (ص) أن لا يعتبر العرب نبذ العهد وعقده الى اربعة اشهر من ابي بكر لانه لم يكن من بني هاشم فبعث علياً لقراءة سورة براءة ونبذ العهود المشركين وأبو بكر على أمره من اماراة الحج والنداء في الناس بأن لا يطوف في البيت عريان ولا يحج بعد

الامام مشرك ، فلما وصل علي الى أبي بكر قال له أبو بكر أمير؟ قال لا ؛ بل مبلغ نبيذ اليهود ، فذهبوا جميعاً الى أمرهم فلما حجوا ورجعوا قال ابو بكر لرسول الله (ص) فذاك أبي وامي يا رسول الله أنزل في شيء ؟ قال لا ولاكن لا يبلغ غني إلا أنا ورجل من أهل بيتي ، هذا حقيقة الخبر وليس فيه دلالة على نص ولا قدح في أبي بكر وأما ما ذكر ان رسول الله (ص) قال لا ولاكن جبرئيل أناني ، فهذا من ملحقاته وليس في أصل الحديث هذا الكلام .

وأقول

آثار الوضع فيما زعمه حقيقة الخبر ظاهرة والدلة على وضعه كثيرة (اولها) انه لو كان العرب لا يعتبرون عقد العهد ونبذه إلا بمباشرة من له الأمر أو أحد أقاربه لما خالف النبي « ص » هذه القاعدة : فهل خالفها عمداً تساهلاً بتنفيذ أمر الله تعالى او جهلاً بما يعرفه الناس ؟ وكل ذلك لا يصح (ثانياً) ان ابا بكر اشفق من عزله حتى خاف ان يكون نزل به شيء كما ستسمع ، ولو كان عزله بعلي « ع » على مقتضى القاعدة لما اشفق ، ولا سيما انه قد بقي بزعمهم على امرة الحج والنداء بأن لا يطوف في البيت عريان وان لا يحج بعد الامام مشرك ، وخصوصاً قد صار علي « ع » تحت امرته في الحج كما زعموا ، فهل مع هذا كله محل لاشفاقه وبكأنه مجرد العزل عن نبذ العهد إذا قضت به القاعدة ؟ (ثالثاً) انه لا وجه لهذه القاعدة المزعومة فان العهد ونبذه إنما يحتاجان الى اليقين بحصولها ممن له الأمر فأبي وجه لتخصيص قرابته دون خاصته ، فلا بد بعد توقف اداء هذا الأمر على النبي او من هو منه كما نطقت به الاخبار ان يكون هناك خصوصية خارجة عن العادات (رابعاً) الاخبار المصرحة بأن ذلك من خواص علي (ع) دون سائر اقاربه كما في مسند احمد (١) عن يحيى بن آدم السلولي قال : قال رسول الله « ص » (علي مني وانا منه ولا يؤدي إلا انا او علي) وفيه ايضاً (٢) عن حبشي بن جنادة مثل ذلك من ثلاثة طرق ومثله ايضاً في سنن الترمذي بفضائل علي « ع » وقال حسن صحيح

وفي كنز العمال (١) عن النسائي وابن ماجه ونحوه في بعض الاخبار الآتية .

(خامسها) الاخبار الدالة على رجوع ابي بكر عند وصول علي «ع» اليه (منها) ما رواه احمد في مسنده (٢) عن ابي بكر ان النبي «ص» بعثه ببراءة لأهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة من كان بينه وبين رسول «ص» فأجله الى مدته والله بريء من المشركين ورسوله ، قال فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي الخقه فرد علي أبا بكر وبلغها انت ففعل ، فلما قدم علي النبي صلى الله عليه وآله أبو بكر بكى ، قال يا رسول الله حدث في شيء ، قال ما حدث فيك إلا خير ولكن امرت ان لا يبلغه إلا انا او رجل مني ، وحكاه في كنز العمال بتفسير سورة التوبة (٣) عن ابن خزيمة وأبي عوانة والدارقطني في الأفراد . و (منها) ما رواه احمد ايضاً (٤) عن علي «ع» قال : لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي «ص» دعا النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر فبعثه بها ، ثم دعاني النبي «ص» ، فقال لي ادرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فأذهب به الى مكة فأقرأه عليهم فلحقته بالجنحة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر الى النبي «ص» فقال يا رسول الله نزل في شيء ، قال لا : ولكن جبرئيل جاءني فقال لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك ، ونقله في كنز العمال (٥) عن أبي الشيخ وابن مردويه ونحوه في الكشف ايضاً . وهذا مصدق لما نقله المصنف «ره» من قول جبرئيل و (منها) ما رواه احمد في مسنده ايضاً (٦) عن أنس ان رسول الله «ص» بعث ببراءة مع ابي بكر الى أهل مكة قال ثم دعاه فبعث بها علياً ونحوه في سنن الترمذي في تفسير سورة التوبة وقال هذا حديث حسن وفي كنز العمال (٧) عن ابن أبي شعبة و (منها) ما رواه الحاكم في كتاب المغازي (٨) عن ابن عمر من حديث قال فيه أن رسول الله «ص» بعث أبا بكر وعمر ببراءة الى أهل مكة فانطلقا فاذا هما براكب فقال من هذا ؟ قال : أنا علي يا أبا بكر هات الكتاب الذي

(١) ص ١٥٣ من ج ٦ . (٢) ص ٢ من ج ١ . (٣) ص ٢٤٦ من ج ١ .

(٤) ص ١٥١ من ج ١ . (٥) ص ٢٤٧ من ج ١ . (٦) ص ٢٨٣ من ج ٣ .

(٧) ص ٢٤٩ من ج ١ . (٨) ص ٥١ من ج ٣ .

معك فأخذ علي الكتاب فذهب به ورجع أبو بكر وعمر إلى المدينة فقالا: ما لنا يا رسول الله قال مالكما إلا خير واسكن قيل لي لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك .

(سادسها) الأخبار المصروفة بأن علياً بعث أيضاً بأن لا يحج بعد العام مشرك وأن لا يطوف بالبيت عريان كالذي رواه الترمذي في سورة التوبة وصححه عن زيد بن تبسيع قال : « سألنا علياً بأي شيء بعثت في الحجة قال بعثت بأربع أن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي (ص) عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا » ونقله في كنز العمال (١) عن الحميدي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والعمدني وأبي داود وابن مردويه والدارقطني وجماعة ، كالذي رواه الحاكم في المستدرک (٢) في سورة براءة وصححه عن أبي هريرة قال : « كنت في البعث الذي بعثهم رسول الله (ص) مع علي براءة إلى مكة فقال له ابنه أو رجل آخر فبم كنتم تداون؟ قال كنا نقول لا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله (ص) عهد فإن أجله أربعة أشهر فنأيت حتى صحل صوني » وروى الطبري في تفسيره نحو هذين الحديثين عن علي وابن عباس وأبي هريرة من عدة طرق .

فثبت بما ذكرنا كذب ما زعمه الفضل حقيقة الخبر ، وظهر أن أبا بكر رجع قبل الحج معزولاً لا لقضاء قواعد العرب بأرسال علي «ع» بل لتوقف مثل هذا العمل عند الله سبحانه على النبي «ص» أو علي «ع» لأنه منه ونفسه ، فلا بد أن يكون نصب أبي بكر ثم عزله بعلي «ع» في أثناء الطريق بعد اشتهاار نصبه إنما هو للتنبيه من الله تعالى ونبيه «ص» على أن أبا بكر غير صالح للقيام مقام النبي «ص» في ذلك ، فلا يصلح بالأولية للرعاية العظمى بعده ، وللتنبيه أيضاً على أن مثل هذا العمل إذا لم يصلح إلا لمن هو من النبي «ص» ونفسه فالإمامة أولى ، ففيه إرشاد إلى فضل علي وأنه هو المتعين للقيام مقام رسول الله «ص» في الإمامة والزعامة العامة دون سائر الناس ، ولوأرسل النبي (ص) أمير المؤمنين «ع» من أول الأمر لم يحصل ذلك التنبيه والإرشاد .

٧ - حديث اختصاص المناجاة بملي

قال المصنف فرس الله روم

(السابع) في الجمع بين الصحاح الستة وتفسير الشعلي ورواية ابن المغازلي الشافعي آية المناجاة واختصاص أمير المؤمنين « ع » بها (تصدق بذينار حال المناجاة ولم يتصدق أحد قبله ولا بعده) ، ثم قال علي « ع » ان في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، وهي (يأيتها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول) الآية وبني خفف الله تعالى عن هذه الامة فلم تنزل في أحد بعدي .

وقال « الفضل » قد ذكرنا ان هذا من فضائل أمير المؤمنين ولم يشاركه أحد في هذه الفضيلة وهي مذكورة في الصحاح ولكن لا تدل على النص المدعى .
و « أقول » قد أوضحنا دلالتها على امامته فراجع وتبصر .

٨ - حديث المباهلة

قال المصنف طبرستان

(الثامن) آية المباهلة في الجمع بين الصحيحين انه لما أراد المباهلة لنصارى نجران احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة ثمشي خلفه وعلي ثمشي خلفها وهو يقول لهم إذا دعوت فأمنوا ، فأبى فضل أعظم من هذا والنبي « ص » يستسعد بدعائه ويجعله واسطة بينه وبين ربه تعالى !

وقال الفضل

قصة المباهلة مشهورة وهي فضيلة عظيمة كما ذكرنا وليس فيه دلالة على النص ، وأما ما ذكره من أن النبي « ص » كان يستسعد بدعائه فهذا لا يدل على احتياج النبي « ع » الى دعاء أهل بيته وتأمينهم ولكن عادة المباهلة كما ذكر الله في القرآن أن يجمع الرجل أهله وقومه وأولاده ليكون أهيأ في أعين المباهلين ويشمل البهلة إياه وقومه وأتباعه ، وهذا سر طلب التأمين منهم لا انه استعان بهم وجعلهم واسطة بينه وبين ربه ليلزمهم كانوا أقرب

الى الله منه ؛ هذا يفهم من كلامه ومن معتقده الميشوم الباطل نموذ بالله من أن يمتقد
أن في امة رسول الله ﷺ من كان أقرب الى الله منه .

وأقول

لا ريب ان النبي ﷺ وكل صالح مقرب لا يرى لنفسه استحقاقاً في استجابة
دعائه ولا يجعل الاعمال على نفسه ، بل يتوسل الى الاجابة بأنواع الوسائل التي يقتضيها
المقام ، كتمعظيم الله سبحانه وتمجيده بأسمائه الحسنى والمثاق له بحمده وشكر نعمائه واظهار
المدلة والخضوع لجناحه الأرفع قولاً وفعلاً بأن يجلس على الأرض ويعتبر وجهه بالتراب
مثلاً ، وربما تقتضي أهمية المطلوب أن يجمع معه المقربين لاحتمال أن للاجتماع مدخلية
في حصول الاجابة أو مبادرتها أو كونها تخص أحدهم لخصوصية هناك ، فيضئذ لا مانع
من استسعاد النبي ﷺ { ص } بدعاء أهل بيته عليهم السلام واستمعاته بهم في التأمين على دعائه
وجعلهم واسطة بينه وبين ربه ، وإن كان هو أقرب منهم الى الله تعالى ، ولا سيما إذا
كان المراد مع ذلك اظهار فضلهم على سائر الامة من الأقارب والأباعد والأكابر والأصاغر
فلا معنى لما زعمه الفضل من لزوم انهم أقرب الى الله منه ، وليس هو معتقداً للمصنف
« ره » ولا يجوز أحد منا ، ولكن يجوز به بعض القوم كما عرفت في الجزء الأول
ص (٣٧٤) ان ابن حزم نقله عن الباقلاني الأشعري ، وهو لازم مذهب الأشاعرة من نفي
الحسن والقبح العقلين ، وبالجملة المباهلة إنما تقع بين الخصمين ومن المعلوم أن خصم أهل
نجران هو النبي (ص) خاصة ، لكن لما كان ادخال علي وفاطمة والحسين معه في
المباهلة يشتمل على دلائل ادخلهم معه :

(الأولى) اظهار اعتماده على انه الحق فان ادخال أعز الناس في محل الخطر دليل على
ذلك وعلى اعتقاده بالنجاح والسلامة . (الثانية) الاستسعاد بهم والاستماعة بدعائهم ولذا أمرهم
بالتأمين على دعائه ولا وجه لما قاله الفضل من أن سر طلب التأمين شمول البهلة لهم لا
الاستماعة بدعائهم فان خروجهم معه كاف في شمول البهلة لهم بلا حاجة الى تأمينهم ، ولو
كان التأمين هو السر في شمول البهلة لهم فن أين علم شمولها لقوم النبي ﷺ { ص } وأنبساعه
ولم يأخذهم معه وما أراد تأمينهم . « الثالثة » بيان فضلهم على الامة بأشراكهم معه كما

أمر الله تعالى دون أنأزليه وخاصته في إثبات دعوى الجوة بالمقام الشهير المشهود ، فانه منزلة عظمى لا سببا لعلي عليه السلام الذي عبر الله سبحانه عنه بنفس النبي . ودعوى ان عادة المبالغة أن يجمع الرجل أهله وقومه وأولاده كاذبة كما سبق في الآية السادسة ، وإلا لما خالفها النبي { ص } ولا عترض عليه النصارى في المخالفة ، كدعوى شمول البهالة الاتباع وإلا لادخل النبي { ص } معه ولو واحداً منهم ، وكون وجوده هو الأصل والمدار فيستغني عن وجودهم وورد في المرأة والطفلين بالألوية فلم لا استغنى عنهم ومن المضحك قوله ليكون أهيب في عيون المباهلين فانه لو كان الداعي لوجودهم هو الهيبة فلم خص شاباً و امرأة وطفلين وترك المشايخ الكبار والحفدة والأنصار وقد مرّ في الآية السادسة ما يزيدك تحقيقاً وبياناً للمطلوب .

٩ - حديث المنزلة

قال المصنف أعلى الله مقام

« التاسع » في مسند احمد من عدة طرق وفي صحيح البخاري ومسلم من عدة طرق ان النبي { ص } ، لما خرج الى تبوك استخلف علياً في المدينة وعلى أهله فقال علي ما كنت اوترأ أن تخرج في وجهي إلا وأنا معك فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي .

وقال الفضل

هذا من روايات الصحاح وهذا لا يدل على النص كما ذكره العلماء ، ووجه الاستدلال به انه نفى النبوة من علي وأثبت له كل شيء سواه ومن جملة الخلاف ، والجواب ان هارون لم يكن خليفة موسى لأنه مات قبل موسى بل المراد استخلافه بالمدينة حين ذهابه الى تبوك كما استخلف موسى هارون عند ذهابه الى الطور لقوله تعالى واخلفني في قومي ، وايضاً يثبت به لأمر المؤمنين فضيلة الاخوة والموازرة لرسول الله صلى الله عليه وآله في تبليغ الرسالة وغيرها من الفضائل وهي مثبتة يقيناً لا شك فيه .

وأقول

لأرب أن الاستثناء دليل العموم فتثبت لعلي (ع) جميع منازل هارون الثابتة له في الآية سوى النبوة ومن منازل هارون الامامة لأن المراد بالأمر في قوله تعالى « واشركه في أمري » هو الأعم من النبوة التي هي التبليغ عن الله تعالى ومن الامامة التي هي الرياسة العامة فانها أمران مختلفان ، ولذا جعل الله سبحانه ابراهيم نبياً وإماماً يحملين مستقلين وكان كثير من الأنبياء غير أئمة كمن كانوا بمن ابراهيم وموسى فانهم أتباع لها وخاضعون لسلطانها ، ويشهد للحاظ الامامة واداتها من الأمر في الآية الأخبار السابقة المتعلقة بآخر الآيات التي ذكرناها في الخاتمة المصراحة تلك الأخبار بأن النبي {ص} دعا فقال : « اللهم إني أسألك بمأسألك اخي موسى ان تشرح لي صدري وان تيسر لي امري وتحل عقدة من لساني يفتحها قولي واجعل لي وزيراً من اهلي علياً اخي اشدد به ازري واشركه في امري » فان المراد هنا بالاشراك في امره هو الاشراك بالامامة لا الاشراك بالنبوة كما هو ظاهر ولا المعاونة على تنفيذ ما بث فيه لأنه قد دعا له اولاً بأن يكون وزيراً له .

وبالجملة معنى الآية الكريمة اشركه في امانتي الشاملة لجهتي النبوة والامامة ، ولذا نقول ان خلافة هارون لموسى لما ذهب الى الطور ليست كخلافة سائر الناس ممن لاحكم ولا رياسة له ذاتاً بل هي خلافة شريك لشريك اقوى ولذا لا يتصرف بحضوره ، فكذا علي بحكم الحديث لدلالته على ان له جميع منازل هارون التي منها شركته لموسى في امره سوى النبوة ، فيكون علي إماماً مع النبي في حياته كما اوضحناه عند الكلام على الاولى من الآيات التي ذكرها المصنف {ص} ، فلا بد ان تستمر امامته الى ما بعد وفاته ولا سيما ان النظر في الحديث الى ما بعد النبي (ص) ايضاً ولذا قال : إلا انه لا نبي بعدي ، ولو تنزلنا عن ذلك فلا اشكال بأن من منازل هارون ان يكون خليفة لموسى لو بقي بعده لأن الشريك اولى الناس بخلافة شريكه فكذا يكون علي (ع) ، مع ان الآية الكريمة قاضية بفضل هارون على سائر قوم موسى فكذا علي بالنسبة الى المسلمين فيكون إمامهم .

وقد علم على جميع الوجوه انه لا ينافي الاستدلال بالحديث على المدعى موت هارون قبل موسى كما علم بإطلاق ان يكون المراد مجرد استخلاف امير المؤمنين في المدينة خاصة فان خصوص المورد لا يخصص العموم الوارد ، ولا سيما ان الاستخلاف بالمدينة ليس مختصاً بأمر المؤمنين (ع) لاستخلاف النبي (ص) غيره بها في باقي الغزوات ، ومقتضى الحديث ان الاستخلاف منزلة خاصة به كمنزلة هارون من موسى التي لم يثبت منها إلا النبوة ، فلا بد ان يكون المراد بالحديث إثبات تلك المنزلة العامة له الى ما بعد النبي (ص) . واستدل الفضل على إرادة الاستخلاف بالمدينة خاصة حين ذهاب النبي (ص) الى تبوك بقوله تعالى (واخلفني في قومي) وهو خطأ ظاهر لأن مجرد وقوع الاستخلاف الخاص من موسى لا يدل على اختصاص خلافة هارون في ذلك المورد دون غيره ، فكذا استخلاف النبي (ص) لعلي (ع) بل العبرة بعموم الحديث مع اقتضاء شركة هارون لموسى في أمره ثبوت الخلافة العامة له فكذا علي (ع) .

وبدل على عدم إرادة ذلك الاستخلاف الخاص بخصوصه ورود الحديث في موارد لا دخل لها به (فنها) ما سيجيء إن شاء الله تعالى من ان النبي (ص) علل تحليل المسجد 'علي جنباً بأنه منه بمنزلة هارون من موسى . (ومنها) ما رواه في كنز العمال (١) عن ام سليم ان النبي (ص) قال لها يا ام سليم ان علياً لجه من لحمي ودمه من دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى (ومنها) ما رواه في السكزايضاً (٢) عن ابن عباس ان عمر قال: « كفوا عن ذكر علي بن ابي طالب فاني سمعت رسول الله (ص) يقول في علي ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهن احب إلي مما طلعت عليه الشمس : كنت وابو بكر وابو عبيدة وتفر من اصحاب رسول الله (ص) والنبي متكئ على علي حتى ضرب على منكبه ثم قال انت يا علي اول المؤمنين إيماناً واولهم اسلاماً ثم قال انت مني بمنزلة هارون من موسى وكذب من زعم انه يحبني ويبغضك » (ومنها) ما في السكزايضاً (٣) عن زيد بن ابي اوفى في قصة المؤاخاة ان النبي (ص) قال والذي بعثني بالحق ما اخرتك إلا

(١) ص ١٦٦ من ج ٦ . (٢) ص ٣٩٥ من ج ٦ . (٣) ص ٣٩٠ من ج ٦

لنفسى وانت مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي الحديث (ومنها) ما رواه النسائي في الخصائص بالنسبة الى ما يتعلق ببذت حمزة حيث اختصم بترتيبها علي وجعفر وزيد فقال رسول الله « ص » يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى الحديث . الى غيرهما من الموارد الكثيرة . ويشهد ايضاً لعموم المنزلة ما ورد ان النبي (ص) سمى الحسنين بالحسنين اقتفاء لهارون في تسمية ولديه بشير وشبير كما في مسند احمد بموارد عديدة (١) فان ذلك ونحوه شاهد بأن علياً (ع) شبيه بهارون بجميع المزايا وان له خصائصه كلها واطاهاها الامامة بل يستفاد من حديث التسمية امامة الحسنين ايضاً كولي هارون (ع) .

١٠ - حديث إني دافع الراية غداً

قال المصنف سرف الله منزلته

(العاشر) في مسند احمد من عدة طرق وصحيحي مسلم والبخاري من طرق متعددة وفي الجمع بين الصحاح الستة ايضاً عن عبدالله بن بريدة ، قال سمعت أبي يقول : حاصرنا خيبر وأخذ اللواء ابو بكر فانصرف ولم يفتح له ثم أخذه عمر من الغد فرجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد ، فقال رسول الله (ص) إني دافع الراية غداً الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرا ر غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله له . فبات الناس يتداولون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال اين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا انه ارمد العين فأرسل اليه فأثنى فبصق رسول الله (ص) في عينيه ودعا له فبرئ ، فأعطاه الراية ومضى علي فلم يرجع حتى فتح الله على يديه .

وقال الفضل

حديث خيبر صحيح وهذا من الفضائل العلية لأمير المؤمنين لا يكاد يشاركه فيها أحد وكل له من فضائل مثل هذا ، والعجب ان كل هذه الفضائل يرويه من كتب أصحابنا

« حاصرنا خير فأخذ اللواء أبو بكر فأنصرف ولم يفتح له ثم أخذه عمر من الغد فخرج فرجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله « ص » إني دافع الريبة غداً إلى رجل يحببه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له ، فبقينا طيبة أنفسنا ان الفتح غداً فلما ان أصبح رسول الله « ص » صلى الغداة ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا علياً وهو أرمذ فتقل في عينه ودفع إليه اللواء وفتح له . »

(ومنها) ما رواه أحمد أيضاً (١) قال لما نزل رسول الله (ص) بحمصن أهل خير أعطى رسول الله (ص) اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من نهض من المسلمين فلقوا أهل خير ، فقال رسول الله لأعطين الريبة غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما كان الغد دعا علياً وهو أرمذ فتقل في عينه وأعطاه اللواء ونهض الناس معه فلقى مرحب ، إلى ان قال : فضربه على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه وسمع أهل المعسكر صوت ضربته ، قال : وما تمام آخر الناس مع علي حتى فتح له .

(ومنها) ما رواه الحاكم في كتاب المغازي من المستدرک (٢) عن أبي ليلى عن علي « ع » انه قال : يا أبا ليلى اما كنت معنا بخير؟ قال : بلى والله كنت معكم ، قال : فان رسول الله (ص) بعث أبا بكر إلى خير فصار بالناس وانهمز حتى رجع ، وروى الحاكم أيضاً عن علي (ع) قال : سار النبي (ص) إلى خير فلما اتاها بعث عمر وبعث معه الناس فقاتلهم فلم يلبثوا ان هزموا عمر واصحابه فحاروا ينجونونه ويحبينهم الحديث . وروى الحاكم أيضاً عن جابر نحو هذا وصحح الأحاديث كلها ، ثم روى الحاكم عن جابر قال : لما كان يوم خير بعث رسول الله « ص » رجلاً من بني النضير بن سلمة فقال يا رسول الله لم أركأ اليوم قط إلى ان قال : ثم قال رسول الله « ص » : لأبعثن غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ولا يولي الدبر يفتح الله على يديه ، فتشوف لها الناس وعليه يومئذ أرمذ ، فقال له رسول الله « ص » : سر ، فقال : يا رسول الله ما أبصر موضعاً ، فتقل في عينيه وعقد له ودفع إليه الريبة ، إلى ان قال فلقبهم ففتح الله عليه

« أقول » : المراد بالرجل الذي جبن هو أبو بكر أو عمر بدلالة الأخبار الاخر على أن الفار هو أحدهما لا غيرها .

(ومنها) ما نقله في كثر العمال (١) في فضائل علي (ع) عن ابن أبي شبة واحمد ابن حنبل وابن ماجه والبرار وابن جرير ، قال : وصححه ، والطبراني والحاكم والبيهقي والضياع المقدسي في المختارة بأسانيدهم عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، قال : كانت علي يخرج في الشتاء في ازار ورداء ثوبين خفيفين وفي الصيف في القباء المحشو والثوب الثقيل فقال الناس : لو قلت لأبيك فانه يسمر معه فسألت أبي ، الى أن قال : فسمر معه فقال يا أمير المؤمنين إن الناس قد تفقدوا منك شيئاً ، الى أن قال : قال : أو ما كنت معنا يا أبا ليلى بخير ؟ قال : بلى والله كنت معكم ، قال : فان رسول الله { ص } بعث أبا بكر فسار بالناس فانهزم حتى رجع عليه وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى اليه ، فقال رسول الله { ص } لا عطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله له ، ليس بفرار فأرسل إليّ فدعاني فأتيته وأنا أرمد لا ابصر شيئاً فتغل في عيني ، وقال : اللهم اكفه الحر والبرد فما آذاني بعده حر ولا برد ، ونحوه في خصائص النسائي .

(ومنها) ما نقله في السكز في غزوة خيبر (٢) عن ابن أبي شبة والبرار قال وسنده حسن عن علي (ع) قال : « سار رسول الله (ص) الى خيبر فلما أتاها بعث عمر ومعه الناس الى مدينتهم فقاتلهم ، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه فجاء يجنبهم ويحبونهم ، فساء ذلك رسول الله (ص) ، فقال : لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يقاتلهم حتى يفتح الله له ليس بفرار » الحديث ، ونقل ايضاً في المقام المذكور عن ابن جرير عن بريدة قال : « لما كان يوم خيبر أخذ اللواء ابو بكر فرجع ولم يفتح له فلما كان من الغد أخذ عمر اللواء وقتل ابن مسلمة ورجع الناس ، فقال رسول الله (ص) : لأدفعن لواي هذا الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح عليه » الحديث ، ونحوه في خصائص النسائي ايضاً ، ونقل في السكز ايضاً عن ابن أبي شبة عن بريدة قال : « لما نزل رسول الله (ص) بمحضر خيبر فزع أهل خيبر فبعث

رسول الله (ص) عمر بن الخطاب بالناس فلقى أهل خيبر فردوه وكشفوه هو وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله (ص) يحبون أصحابه ، ويحبونه أصحابه ، فقال رسول الله (ص) لأعطين اللواء غدًا رجال يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما كان الغد تصادر لها أبو بكر وعمر ، فدعا علياً وهو يومئذ أرمد فتقل في عينه وأعطاه اللواء فانطلق بالناس فلقى أهل خيبر ولقي مرحباً « إلى أن قال : » فضربه علي ضربة على هامته بالسيف عض السيف منها بالأضراس وسمع صوت ضربته أهل العسكر فما تنام آخر الناس حتى فتح لأولهم « ونحوه في تاريخ الطبري (١) .

(ومنها) ما أخرجه الطبري بعد الحديث المذكور عن بريدة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله ربما أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس ، وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله (ص) ثم نهض فقاتل قتلاً شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتلاً شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله (ص) فقال : أما والله لأعطينها رجالاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة « إلى أن قال : » وخرج مرحب فبدره علي فضربه فقد الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع في الأضراس وأخذ للمدينة « ومثله في كامل ابن الأثير (٢) إلا أنه قال في آخره : « فضربه فقد الجعفة والمغفر ورأسه حتى وقع في الأرض وأخذ المدينة » .

إلى غير ذلك من الأخبار التي يطول ذكرها وليت شعري ما هذا القتال الشديد من الشيخين الذي لم يصب فيه أحد بكلم ولم يهرق فيه دم .

وأما ما ذكره الفضل من أن المصنف (ره) يروي هذه الفضائل من كتبهم ، فسلم لأن المطلوب الزامهم بما هو حجة عليهم وليس ذكرهم لهذه الفضائل دليلاً على اهتمامهم بنقل ما يروونه نصاً لو اطلعوا عليه كما سبق بيانه في الآية الثانية والثمانين ، وما رويوا تلك الفضائل إلا لزامهم عدم دلائلها على إمامته لاخلوهم عن الأغراض ، ولذا لما نهىهم الشيعة على دلائلها على إمامته حذف المتأخرون منهم ما يمكن حذفه من كتب المتقدمين كحديث النور ونحوه من مسند أحمد ، وأوكلوا كثيراً منها بما هو أشبه بشبه السوفسطائية وناقشوا

في أسانيد الكثير منها مع تعدد طرقها السكافي في اعتبارها ، على انهم قل ما يروون فضائله على وجهاً ويوافون بالحقائق على حالها .

وأما قوله : وما عم كالروافض والشيعة في اخفاء مناقب مشايخ الصحابة ، فلمعري لقد أراد أن يفضح فافتضح لأنه يطالب منا أن نكذب ونحدث بما لا أصل له مما أحدثه حب الدنيا وحدا اليه الرجاء والخوف في أيام معاوية وأشباهاه ، كما سبق في المقدمة ، ويطالب منا أن نزوي ما يخالف العقل والدين : كالأخبار القائلة ان أبا بكر وعمر لا يحبان الباطل الدالة على أن النبي (ص) يحبه حيث غلب له المغنون والمغنيات كايروون وكالأخبار القائلة لو لم ابعث عمر ولو كان نبي اهدي لسكان عمر المستلزمة لجواز بعثة من سبق منه الكفر وكروايات تبشير العشرة بالجنة التي عرفت حالها في الآية الثانية والثلاثين ، وكرواية ان أبا بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة مع انه لا كهول فيها ، وكرواية دعاء النبي (ص) لمعاوية أن يجعله الله هادياً مهدياً مع ظهور الضلال على صفحات أفعاله وأقواله : من قتل النفوس البرية ، وحربه لمن حربه حرب لله ورسوله ، وسببه لمن سببه سببها ، والحقه المعيار بالنسب مراغمة للشريعة الاحمدية . الى نحو ذلك من أخبار فضائلهم .

١١ - حديث برز الايمان كله الى الشرك كله

قال المصنف طاب رحمه

(الحادي عشر) روى الجمهور انه لما برز الى عمرو بن عبدود العامري في غزاة الخندق وقد عجز عنه المسلمون قال النبي (ص) : « برز الايمان كله الى الشرك كله » .

وقال الفضل

انه صح هذا ايضاً في الخبر وهذا ايضاً من مناقبه وفضائله التي لا ينكرها إلا سقيم الرأي ضيف الايمان والسكن الكلام على النص وهذا لا يثبت .

وأقول

لما جعل رسول الله (ص) علياً كل الايمان دل على انه قوامه وانه أفضل إيماناً واثراً من جميع المؤمنين ، إذ لم يقم لهم ايمان لولاه ، والأفضل أحق بالامامة ، ويشهد لفضله

عليهم في الأثر ما جاء عن رسول الله (ص): لضربة علي أفضل من عبادة الثقلين، أو لمبارزة علي لعمر و أفضل من أعمال امتي الى يوم القيامة ، كما سبق في الآيات الحادية والخمسين ، وهذا مما يؤيده قوله (ص) : « الساعي بالخير كفاعله » ويقضي به العقل إذ يقتل أمير المؤمنين « ع » لعمر و خدعت جرة الكفر وانكسرت عزمة الشرك ، فكان هو السبب في بقاء الايمان واستمراره ، وهو السبب في تمكين المؤمنين من عبادتهم الى يوم الدين ، لسكن هذا بركة النبي الحميد ودعوته وجهاده في الدين فان علياً حنة من حسناته فلا أفضل من سيد الوصيين إلا سيد المرسلين زاد الله في شرفهما وصلى عليهما وعلى آلهما الطاهرين .

١٢ - حديث سد الأبواب عدا باب علي

قال المصنف أعلى الله درمته

(الثاني عشر) في مسند احمد من عدة طرق ان النبي «ص» أمر بسد الأبواب إلا باب علي ، فتكلم الناس فخطب رسول الله «ص» فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فاني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم ؛ والله ما سدت شيئاً ولا فتحته وإنما أمرت بشيء فاتبعته .

وقال الفضل

كان المسجد في عهد رسول الله «ص» متصلاً ببیت رسول الله «ص» وكان علي ساكن بيت رسول الله «ص» لمكان ابنته وكان الناس من أبوابهم في المسجد يترددون ويزاحمون المصلين ، فأمر رسول الله «ص» بسد الأبواب إلا باب علي ، وقد صح في الصحيحين ان رسول الله «ص» أمر بسد كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر والخوخة الباب الصغير فهذا فضيلة وقرب حصل لأبي بكر وعلي .

وأقول

لا يخفى أن حقيقة الفضل في هذه الفضيلة ليس لمجرد الاختصاص بمدم سد الباب ،

بل لما يكشف عنه من طهارة علي «ع» وأنه محل له أن يجنب في المسجد ويمكث فيه جالساً ولا يكره له النوم فيه كما كان ذلك لرسول الله «ص»، فإن عمدة الغرض من سد الأبواب تنزيه المسجد عن الأدناس وتبعيده عن المسكروهاة والامور البيتية، وكان علي «ع» كالنبي «ص» لا تؤثر فيه الجنابة والنوم دنساً معنوياً وكان بيت الله كبيتة لكونه حبيبته القريب منه فاستثنى كالنبي لذلك كما ستعرفه .

وأما قوله : كان علي سادس بيت رسول الله «ص» الى آخره فالظاهر أن غرضه به إنكار فضل أمير المؤمنين «ع» لأن المستثنى حينئذ هو باب رسول الله «ص» لأن البيت له إذ لا يتعلق في المقام بهذه المندمة فأندة سوى هذا الغرض السوء وإن ناقض نفسه يجعل الاستثناء فضيلة لعلي «ع» شارك بها أبا بكر فكان يلزمه أن يخص الفضيلة بأبي بكر وحده .

وفي كلا مقصديه من إنكار فضل أمير المؤمنين «ع» وإثبات فضل أبي بكر نظر «أما الأول» فلأن كون البيت لرسول الله «ص» لا يمنع من اختصاص علي بباب منفرد ، كيف وقد صرحنا الأخبار بأن الباب لعلي حتى تكلم الناس في استثناء بابه ، ولو كان الباب للنبي «ص» لما كان محل لكلامهم فيه ولا لحسدهم لعلي «ع» ؛ بل هذا مما يقرب أن البيت كالباب مختص بعلي «ع» إماماً لمساكماً والظاهر أو بالسكنى فقط والملكية لرسول الله «ص» ، وعليه ينبغي أن يقبضه أبو بكر كما قبض فدك فيتركهم بلا دار ولا عمار . «وأما الثاني» فلأن الخوخة إذا كانت هي الباب الصغير كما يشهد له رواية البخاري للحديث في مناقب أبي بكر بلفظ الباب بدل الخوخة ثم كذب خبر استثناء باب أبي بكر لأنه إذا أقر باستثناء باب علي وهو متقدم زماناً كما ستعرف فلا بد من العمل بأمر النبي «ص» فلا يبقى باب مفتوح سوى باب علي «ع» ، وحينئذ لم يكن محل الأمر بسد الأبواب واستثناء باب أبي بكر ، مضافاً الى اشتغال خبر استثناء باب أبي بكر على أمور تشهد بكذبه كما ستعرفها إن شاء الله تعالى عند ذكر الفصل له في مقدمة ما أخذ أبي بكر (فان قلت) : ما الدليل على تقدم استثناء باب علي «ع» فلم لم يكونا في وقت واحد أو في وقتين متقاربين بحيث يكون الاستثناء الآخر قبل سد

جميع الأبواب وحينئذ فلا يلزم التعارض والكذب (قلت) : استثناء باب أبي بكر كان في وقت قرب موت للنبي (ص) على ما زعموا واستثناء باب علي (ع) في أيام حمزة كما صرح به بمض أخبارهم ودل باقي الاخبار الآتية وغيرها على تقدم زمانه ، مع انه لو كان زمانها واحداً لقال سدوا الأبواب إلا باب علي وأبي بكر ولا عذر للنبي « ص » عن فتح باب أبي بكر كما اعتذر عن فتح باب علي « ع » ، ويشهد لكون الاستثناء من خواص علي « ع » ما رواه احمد في مسنده (١) عن ابن عمر وصححه ابن حجر في الصواعق (٢) قال : كننا نقول في زمن النبي رسول الله (ص) خير الناس ثم أبو بكر ثم عمر ، ولقد اوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهم أحب إلي من حمر النعم زوجة رسول الله (ص) ابنته وولدت له ، وسد الأبواب إلا باب في المسجد وأعطاه اراية يوم خيبر ، فانه صريح بأن الاستثناء أحد خواص الثلاثة ولا سيما بهـد ذكر أبي بكر المتخير بينهم ، وقد تمت قبل ابن عمر أبوه احدى هذه الخصال ، كما رواه الحاكم في المستدرک (٣) وصححه ونقله ابن حجر في الصواعق (٤) عن أبي يعلى عن أبي هريرة عن عمر ، ونقله في كنز العمال (٥) عن ابن أبي شيبه عن ابن عمر عن أبيه (٦) عن ابن أبي شيبه عن علي عن عمر ، قال فيه على الرواية الأخيرة : « وسكناه المسجد مع رسول الله (ص) يحل له فيه ما يحل له » كما في لفظ رواية الحاكم ايضاً ، وقال في رواية أبي يعلى : « وسكناه المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له » فلا ريب أن هذا من خواص أمير المؤمنين « ع » إذ لا يتصور أن يظهر من عمر وابنه اختصاص علي (ع) بهذا الأمر لو شاركه فيه أبو بكر الذي هو أساس شرفهم ومستند أمرهم والمتخير بينهم وقد تكلف ابن عمر في تخيير رسول الله (ص) على الناس حتى على أبيه وصاحبه .

هذا مضافاً الى ضعف خبر استثناء خوذة أبي بكر لضعف سنده بمجاعة منهم فليح بن سليمان عدو آل محمد (ص) الذي سبقت ترجمته في مقدمة الكتاب ؛ وزيدك هنا بياناً لحاله بذكر ما في ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب مضافاً الى ما تقدم في المقدمة

(١) ص ٢٦٦ من ج ٢ . (٢) في الفصل ٣ من الباب ٩ . (٣) ص ١٢٥ من ج ٣ .

(٤) في الفصل المذكور . (٥) ص ٣٩١ من ج ٦ . (٦) ص ٣٩٣ من ج ٦ .

قالا : « قال ابن معين مرة : لا يحتج به ، ومرة : ضعيف ما أقر به من أبي إويس ، وقال مرة والنسائي وأبو حاتم . ليس بالقوي ، وفي التهذيب أيضاً قال النسائي مرة : ضعيف ، وقال ابن المديني : فليح وأخوه عبد الحميد ضعيفان » ، وقد روى البخاري هذا الحديث أيضاً في أواخر الجزء الثاني في باب هجرة النبي (ص) وأصحابه إلى المدينة في سنة ١٢ هـ . إسماعيل بن عبد الله الكذاب الوضاع كما عرفت بعرض ترجمته في المقدمة ، فإذا كان خبر استثناء باب أبي بكر بهذا الحال من الضعف لم يصلح الاحتجاج به على استثنائه فضلاً عن أن يعارض به أخبار استثناء باب أمير المؤمنين المستفيضة أو المتواترة .

وأعجب من القول بمعارضته لها دعوى ابن الجوزي وضعها لأجله لكنه ذكر منها ثمانية كما ستعرف ، وذكر السيوطي في اللآلئ المصنوعة ما يزيد على ثلاثين حديثاً منها هذه الثمانية .

ولنذكر منها ما يدل على أن استثناء باب علي (ع) لطهارته وجواز أن يجنب في المسجد أو يمر فيهجنباً وليكونه من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى لتعرف عدم صحة استثناء باب أبي بكر (فنها) ما حكاه عن ابن حجر في القول المسدد عن أحمد والنسائي بسنديهما عن ابن عباس قال في حديث سد الأبواب إلا باب علي : « فيكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق آخر » ، ثم قال ابن حجر وأخرجه السكلاذفي في معاني الأخبار ، ثم ذكر له طريقاً آخر ، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي نعيم ثم ذكر له طريقاً آخر أيضاً ، (ومنها) ما حكاه عن ابن حجر أيضاً عن الطبراني في الكبير بسنده عن جابر بن سمرة قال : « أمر رسول الله ﷺ ص » بسد الأبواب كلها غير باب علي ، فقال العباس : يا رسول الله قدر ما ادخل وحدي ، قال : ما امرت بشيء من ذلك ، فسد ها غير باب علي . قال : « وربما مرء وهو جنب » . (ومنها) ما حكاه عن أبي نعيم في فضائل الصحابة بسنده عن بريدة الأسلمي قال : أمر رسول الله ﷺ ص بسد الأبواب فشق ذلك على أصحابه ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ص دعا الصلاة جامعة حتى إذا اجتمعوا صعد المنبر ، ولم نسمع لرسول الله ﷺ ص « نحميداً وتعظيماً في خطبة مثل يومئذ ، فقال : أيها الناس ما أنا

سددتها ولا انا فتحتها بل الله فتحها وسدها ، ثم قرأ « والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غرى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » ، فقال رجل : دع لي كوة تنكون في المسجد فأبى وترك باب علي مفتوحاً فكان يدخل ويخرج منه وهو جنب . (ومنها) ما حكاه أيضاً عن أبي نعيم في الفضائل بسنده عن ابن مسعود قال : انتهى إلينا رسول الله « ص » ذات ليلة ونحن في المسجد جماعة من الصحابة فينا أبو بكر وعمر وعثمان وحزمة وطلحة والزبير وجماعة من الصحابة بعد ما صليت العشاء ، فقال : ما هذه الجماعة ؟ قالوا : يا رسول الله قعدنا نتحدث منا من يريد الصلاة ومنا من ينام ، فقال : إن مسجدي لا ينام فيه انصرفوا إلى منازلكم ومن أراد الصلاة فليصل في منزله راشداً ومن لم يستطع فليتم فإن صلاة المرء تضعف على صلاة العلانية فقمنا فتفرقنا وفينا علي بن أبي طالب فقام معنا ، فأخذ بيد علي وقال : أما أنت فانه يحل لك في مسجدي ما يحل لي ويحرم عليك ما يحرم علي ، فقال له حمزة بن عبد المطلب : يا رسول الله أنا نعمك وأنا أقرب إليك من علي ، قال : صدقت يا عم انه والله ما هو غني إنما هو عن الله عز وجل . (ومنها) ما حكاه عن ابن الجوزي في الموضوعات عن أبي نعيم بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) لعلي : إن موسى سأل ربه أن يطهر مسجده هارون وذريته وإني سألت الله أن يطهر مسجدي لك ولذريتك من بعدك ، ثم أرسل إلى أبي بكر أن سد بابك فاسترجع وقال : سمعاً وطاعة فسد بابه ، ثم إلى عمر كذلك ثم صعد المنبر فقال : ما أنا سدت أبوابكم ولا فتحت باب علي ولكن الله سد أبوابكم وفتح باب علي (ومنها) ما حكاه أيضاً عن ابن الجوزي عن ابن مردويه بسنده عن أبي سعيد أن النبي (ص) قال لعلي : لا يحل لأحد أن يجنب غيري وفيرك ، ثم حكاه السيوطي عن الترمذي وعن البيهقي في سننه من طريقين ، قال البيهقي : وقد ورد من طرق ، ثم حكاه السيوطي عن البزار بسنده عن سعد « أقول » : وقد وجدت الحديث في فضائل علي « ع » من سنن الترمذي وحسنه . (ومنها) ما حكاه عن ابن منيع في مسنده عن جابر قال : جاء رسول الله (ص) ونحن مضطجعون في المسجد ، فضر بنا بعسيب كان بيده رطباً وقال : ترقدون في المسجد ! إنه لا يرقد فيه ، فأنجفنا وأنجفل

معنا علي ، فقال له رسول الله (ص) : يا علي إنه يحل لك في المسجد ما يحل لي . (ومنها)
ما حكاه عن ابن أبي شيبه بسنده عن أم سلمة (رض) قالت : قال رسول الله (ص) :
« ألا إن مسجد علي حرام على كل حائض من النساء وكل جنب من الرجال إلا على محمد
وأهل بيته - علي وفاطمة والحسن والحسين . »

ويعضد هذه الأخبار وبفيد مفادها أخبار عديدة (منها) حديث عمر السابق المروي
بطرق كثيرة كما سمت ، فظهر حليلة المسجد لعلي « ع » جنابة ونوماً وليس هو إلا
لطهارة نفسه القدسية طهارة لا يدنسها ما يدنس غيره : فكيف يثني باب أبي بكر وهو
من سائر الناس ، بل في بعض الأخبار أن علياً « ع » مطهر للمسجد ففي كنز
العمال (١) عن البرار عن علي « ع » قال : أخذ رسول الله « ص » بيدي فقال : إن
موسى سأل ربه أن يطهر مسجده بهرون وإني سألت ربي أن يطهر مسجدك بك
وبذريتك : ثم أرسل إلى أبي بكر أن سد بابك فاسترجع ثم قال : سمعاً وطاعة فسد بابه
ثم أرسل إلى عمر ، ثم أرسل إلى العباس بمثل ذلك ، ثم قال رسول الله « ص » : ما أنا
سدت أبوابكم وفتحت باب علي ولكن الله فتح باب علي وسد أبوابكم .

وبالجملة لا وجه لاستثناء باب أبي بكر وهو ليس بمن طهرهم الله من الرجس حتى
يحبس دخوله المسجد جنبا ولا هو من النبي « ص » بمنزلة هرون من موسى حتى يجعل
الحاقه به ، فيكون ما دل على استثناء بابه باطلا ولا سيما مع ضعفه سنداً ومعارضته بالأخبار
المصرحة بسد بابه وباب من هو أولى منه بالرعاية والكرامة ، وهو حمزة أسد الله وأسد
رسوله ، والعباس عم النبي « ص » ، حتى أن العباس طلب فتح بابه قدراً يدخل وحده
فمنعه النبي « ص » ومنع حتى الكوفة وبذلك علم فضل أمير المؤمنين « ع » على جميع
الصحابة فيكون أولاه بالامامة .

واعلم انه قد تضمن كلام السيوطي في الثلثي الجواب عن دعوى ابن الجوزي وضع
الأحاديث الدالة على استثناء باب علي « ع » ، وذكر في الأثناء رد ابن حجر لابن
الجوزي ، فلنذكر ما يدينه السيوطي ملخصاً ، فانه نقل فيها عن ابن الجوزي في الموضوعات

ثمانية أحاديث حديثان منها لأحمد في مسنده أحدهما عن سعد بن أبي وقاص والآخـر عن ابن عمر ، وحديثان للسنائي أحدهما عن سعد والآخـر عن زيد بن أرقم ، وحديثان لأبي نعيم كلاهما عن ابن عباس ، وحديث للخطيب عن جابر بن عبد الله ، وحديث لابن مردويه عن أبي سعيد ، وقد زعم ابن الجوزي ان هذه الأحاديث جميعاً باطلة موضوعة ، قال : « هي من وضع الرافضة قائلوا بها حديث أبي بكر في الصحيح » ثم نقل السيوطي عن ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند أحمد انه قال : « قول ابن الجوزي في هذا الحديث انه باطل موضوع دعوى لم يستدل عليها إلا بمخالفة الحديث الذي في الصحيحين وهذا اقدام على رد الأحاديث الصحيحة بمجرد التوهم » ، ثم قال : « وهذا الحديث مشهور له طرق متعددة كل طريق منها على انفراد لا يقصر عن رتبة الحسن وبجوعها مما يقطع بصحته على طريقة كثير من أهل الحديث » ، ثم نقل ابن حجر عن البزار أن الروايات فيه جاءت من وجوه بأسانيد حسان ، ثم ذكر ابن حجر جملة أخرى من طرق الحديث تزيد على الطرق التي ذكرها ابن الجوزي وقد صحح هو بعضها وصحح الحاكم بعضها ، وروى أحمد بعضها ، والضياع في المختارة وغيرهم من عظماء علمائهم ، وفي أثناء ذلك تعرض للجواب عن طعن ابن الجوزي في أسانيد الاخبار التي ذكرها وخطأه فيما أعلمها به ، وذكر أن بعضاً من رجال هذه الأسانيد قد صحح له الترمذي ووثقه غير واحد وبعضهم من رجال مسلم ، ثم قال : « فهذه الطرق المتظافرة بروايات المقات تدل على أن الحديث صحيح » الى أن قال : « ولو فتح هذا الباب لرد الأحاديث لأدى في كثير من الأحاديث الصحيحة البطلان والمكن بأبي الله ذلك وانؤمنون » ، ثم ذكر السيوطي بعد انتهاء هذا الكلام من ابن حجر سبعة طرق أخرى للحديث ، ثم نقل بعدها حديث ابن مردويه الذي ذكره ابن الجوزي في الموضوعات الذي أشرنا اليه ، ثم أورد له ثمانية طرق آخر فكان جميع طرق الحديث في الأمالي المصنوعة ما يناهز الأربعين طريقاً مسندة الى جماعة من الصحابة منهم أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وجابر بن عبد الله وابن مسعود وابن عمر وابو سعيد وأنس بن مالك وبريدة الأسلمي وجابر بن سمرة وام سلمة وعائشة

مضافاً الى البراء بن عازب وحذيفة بن أسيد على ما في حديث ابن المغازي المشتمل سنده عليها وعلى جماعة آخرين ممن عرفت ، وقد ذكره في الباب السابع عشر من ينابيع المودة مع عدة أخبار ، ومضافاً الى عمر كما سمعته في رواية الحاكم وغيره من طرق مروية عنه . ولنعمين لك صفحات روايات احمد في مسنده لترجع اليها عند الحاجة فانه روى :

(١) حديث سعد ص ١٧٥ من الجزء الأول .

(٢) وحديث ابن عباس ص ٣٣١ من الجزء الأول ايضاً .

(٣) وحديث ابن عمر ص ١٦ من الجزء الثاني .

(٤) وحديث زيد بن أرقم ص ٢٦٩ من الجزء الرابع .

ولعل لا أحمد أحاديث أخر ، فأنت ترى أن طرق الحديث مستفيضة أو متواترة ولا سيما بضميمة أخبارنا . وقد صحح القوم جملة من أحاديثهم كما عرفت ، حتى صحح الحاكم في المستدرک طريقين منها ، وأقره الذهبي مع ما تعلمه من حاله على صحة حديث زيد بن أرقم الذي رواه مع حديث عمر ص ١٢٥ من الجزء الثالث ، فمع هذا كله كيف يجوز لابن الجوزي دعوى الوضع لمجرد رواية الصحيحين لحديث استثناء باب أبي بكر وهو أقرب الى الوضع لأنه من حديث المتهمين والنصاب ، مع ضعف رجال سنده كما عرفت وعدم تعدد طرقه : ولكن لا حيلة مع التعصب ومجانبة الانصاف .

١٣ - حديث المؤاخاة

قال المصنف طاب ثراه

(الثالث عشر) في مسند احمد بن حنبل من عدة طرق ان النبي (ص) أخى بين الناس وترك علياً حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً ، فقال : يا رسول الله أخيت بين اصحابك وتركنتي ، فقال : إنما تركتك لنفسي ، أنت أخي وأنا أخوك ، فإن ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدعيها بعدك إلا كذاب ، والذي بعثني بالحق ما أتخرتك إلا لنفسي ، وأنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وأنت أخي ووارثي . وفي الجمع بين الصحاح الستة عن النبي « ص » قال : مكتوب على باب الجنة

محمد رسول الله علي أخو رسول الله قبل أن يخلق الله السموات بألفي عام .

وقال الفضل

حديث المؤاخاة مشهور معتبر معول عليه ، ولا شك أن علياً أخ رسول الله (ص) ومحبه وحبيبه وكان رسول الله (ص) شديد الحب له ، وهذا كله يؤخذ من صحاحنا ومن مذهبنا ، ولكن لا يدل على النص لأن أبا بكر كان خذل رسول الله (ص) ووزيره وقريته ، وله أيضاً من الفضائل ما لا يمد ولا يخص ، والكلام ليس في عدد الفضائل وإثباتها بل وجود النص .

وأقول

نقل في نيسابور المودة في الباب التاسع حديث المؤاخاة عن أحمد في مسنده عن زيد بن أبي أوفى ، كما نقله المصنف (ره) في منهاج السكراة عن المسند أيضاً ، وقد سبق ذكره في الآيات الثانية والثلاثين وأن ابن تيمية زعم أنه من زيادات القطيعي ، وسبق أنه قد نقله في كنز العمال وتذكرة الخواص عن أحمد في الفضائل ، ثم حكى في النيسابور أيضاً عن أحمد في مسنده عن حذيفة بن اليمان قال : آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار وكان يواخي بين الرجل ونظيره ثم أخذ بيد علي (ع) فقال : هذا أخي وحكى أيضاً عن عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ثمانية أحاديث في مؤاخاة النبي (ص) لعلي (ع) ، فيمكن أن يكون المصنف (ره) أشار إلى هذه الأحاديث بقوله من عدة طرق وكأن القوم قد تملأوا لحذفها من المسند في الطبع بدعوى أنها من الزيادات فأنى لم أعثر على شيء منها ، وروى (الترمذي) حديث المؤاخاة في فضائل علي (ع) من سننه عن ابن عمر وجسسه ثم قال : وفيه عن زيد بن أبي أوفى ، ورواه في (الاستيعاب) بترجمة أمير المؤمنين (ع) عن أبي الطفيل ، قال : « لما احتضر عمر جعلها شورى بين علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد ، فقال لهم علي : انشدكم الله هل فيكم أحد آخى رسول الله (ص) بيته وبينه إذ آخى بين المسلمين غيري ؟ قالوا : اللهم لا » ثم قال : « وروينا من وجوه عن علي أنه كان يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها

أحد غيري إلا كذاب » ، ثم قال : « قال أبو عمرو : آخى رسول الله بين المهاجرين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار وقال في كل واحد منها لعلي أنت أخي في الدنيا والآخرة وآخى يمينه وبين نفسه فلذلك كان هذا القول وما أشبهه من علي » انتهى ما في الاستيعاب .

وروى (الحاكم) حديث المؤاخاة في المستدرک في کتاب الهجرة (١) من طرق عن ابن عمر .

وحكى في « الكنز » (٢) عن الخلمي والبيهقي في سننه والضياء في المختارة عن علي (ع) قال : آخى رسول الله « ص » بين عمر وأبي بكر وبين حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة الى أن قال : وبينه وبين نفسه . وحكى في الكنز أيضاً (٣) عن أبي يعلى في مسنده عن علي « ع » بين الناس وتركني ، الى أن قال : قال إنما تركتك لئلا يسيأت أخي وأنا أخوك فإن حاجك أحد فقل إني عبد الله وأخو رسوله لا بدعها أحد بعدك إلا كذاب . وحكى في الكنز أيضاً نحوه (٤) عن ابن عدي بسنده عن يعلى بن مرة . ومكى فيه أيضاً عن الطبراني عن ابن عباس قال رسول الله (ص) لعلي « ع » : أغضبت حين واخيت بين المهاجرين والأنصار ولم اواخ بينك وبين أحد منهم ؟ أما ترى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ألا من أحبك حاف بالأمن والإيمان ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية . وحكى فيه أيضاً (٥) حديث المؤاخاة بين النبي وعلي عن ابن عساكر عن أبي رافع عن أبي امامة .

ونقل سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ثلاث روايات في المؤاخاة عن أحمد في الفضائل كما هي عادته في النقل عنها وأثبت وثاقها . ونقل أيضاً عن أحمد ما نقله المصنف رحمه الله عن الجمع بين الصحاح .

وحكى في (بنابيع المودة) في الباب التاسع عن ابن المغازلي انه اخرج ستة احاديث في المؤاخاة ، وعن اخطب خوارزم اثني عشر حديثاً وعن الحموي حديثين بأسانيدهم

(١) ص ١٤ من ج ٣ . (٢) ص ٣٩٤ من ج ٦ . (٣) ص ٣٩٩ من ج ٦ .

(٤) ص ٥٤ من ج ٦ . (٥) ص ٤٠٠ من ج ٦ .

عن ابن عباس وابن عمر وحذيفة وأنس وزيد بن أرقم وزيد بن أبي أوفى وأبي أمامة وغيرهم . وقد مر في الآية الثالثة والعشرين الأحاديث في قول أمير المؤمنين : أنا عبد الله وأخو رسوله .

ونقل في كنز العمال أيضاً (١) عن المدني عن أبي يحيى قال : سمعت علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقوله أحد بمدي إلا كاذب ، ففأهاها رجل فأصابته جنة .
ويشهد لصحة أخبار المؤاخاة بين المهاجرين ما رواه البخاري في باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان من كتاب الصلح ، وفي باب عمرة القضاء من كتاب المغازي : أنه اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في كفالة ابنة حمزة لما تبعت النبي «ص» وتناولها علي «ع» ، فقال علي عليه السلام : أنا أخذتها وهي بنت عمي ، وقال جعفر : هي ابنة عمي وخالتها نحتي ، وقال زيد : ابنة أخي . ومثله في مستدرک الحاكم (٢) إذ لامعني بقول زيد ابنة أخي ومنازعتي لأمر المؤمنين وجعفر وهما معا مع رحلها الماسة بابنة عمها لولا المؤاخاة التي عقدها النبي (ص) بين حمزة وزيد وهما مهاجريان .

لسكن ابن تيمية . انكر المؤاخاة بين المهاجرين وبين النبي (ص) وأمير المؤمنين قال : لأن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لارتباط بعضهم ببعض ولتأليف قلوب بعضهم ببعض فلا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري ، (وفيه) أن الارتباط والتأليف أيضاً مطلوبان بين المهاجرين بعضهم مع بعض مع اشتغال المواخاة على حكم كثيرة أخر ، قال في السيرة الحلبية : (٣) قال الحافظ ابن حجر : « وهذا رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمسال والمشيقة فأخى بين الأعلى والأدنى ايرتفق الأدنى بالأعلى وليستعين الأعلى بالأدنى ولهذا تظهر مؤاخاته (ض) لعلي (ع) لأنه كان هو الذي يقوم بأمره قبل البعثة . وفي الصحيح في عمرة القضاء أن زيد بن حارثة قال : أن بنت حمزة بنت أخي أي بسبب المؤاخاة انتهى ، وهو كلام حسن سوى أن مؤاخاة النبي (ص) لعلي ليست للارتفاق لغنى علي (ع) حيثئذ بالغنائم وغيرها وبلوغه منزلة يعمل بها ولا يعال به ، وإنما الغرض من مؤاخاته لعلي تعريف منزلته وبيان فضله على غيره لأن

(١) ص ٣٩٦ من ج ٦ . (٢) ص ١٢٠ من ج ٣ . (٣) ص ٢٢ من ج ٢

النبي (ص) كان يواخي بين الرجل ونظيره كما دل عليه بعض الأخبار لأن ذلك أقرب إلى التعاون والتعاقد وأوجب للتأليف فيكون أمير المؤمنين عليه السلام هو النظر لرسول الله (ص) كما جعلته آية المباهلة نفسه وذلك رمزاً لامامته ، ولذا احتج به أمير المؤمنين يوم الشورى ، كما أشار رسول الله (ص) أيضاً إلى ذلك بقوله في كثير من هذه الأحاديث : أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وقوله : أنت أخي ووارثي . فقال علي : وما أرت منك ؟ قال : ما ورث الأنبياء ، قبلي قال : وما ورثه ؟ قال : كتاب الله وسنن أنبيائه ، كما سبق في الآية الثانية والثلاثين ، فإن علياً (ع) إذا ورث موارث الأنبياء كان من خلفائهم وامام الامة ، إذ ليس الامام إلا من كان كذلك ويشهد لذلك وصف علي (ع) بالاخوة في عرض وصف النبي (ص) برسالة فيما هو مكتوب على باب الجنة كما في الخبر الذي حكاه المصنف (ره) عن الجمع بين الصحاح ونقلناه عن تذكرة الخواص ونقله في كنز العمال (١) عن الطبراني والخطيب (٢) عن ابن عساکر بأسانيدهم عن جابر .

وأما مناظرة الفضل للحديث بأن أبا بكر خليل رسول الله ووزيره وقرينه فنمقاومة حجتنا عليهم بما ليس حجة علينا . والظاهر انه أشار بقوله : « خليل رسول الله » إلى ما رووه من قوله (ص) : « لو كنت متخذاً خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً » وأنت ترى انه نفى للاخوة لا اثبات لها ، نعم فيه خلة فرضية لا تساوي الاخوة الفعلية مع أن الاخوة فوق الخلقة ، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما على هذا الخبر من دلائل انه من الموضوعات .

١٢ - حديث إن علياً مني وأنا من علي

قال لمصنف طبائره

(الرابع عشر) من مسند احمد بن حنبل وفي الصحاح الستة عن النبي (ص) من عدة طرق « أن علياً مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي لا يؤدي غني إلا أنا

أو علي « وفيه أيضاً لما قتل علي أصحاب الألوية يوم أحد قال جبرئيل لرسول الله (ص) إن هذه المواصلة فقال النبي (ص) : « إن علياً مني وأنا منه » فقال جبرئيل : وأنا منكما يا رسول الله .

وقال المفصل

اتصال النبي {ص} إلي في النسب واخوة الاسلام والنصرة والمواصلة غير خفي على أحد ولا دلالة على النص بخلافته ، لأن مثل هذا الكلام قال رسول الله (ص) لغير علي كما ذكر انه قال الأشعريون إذا فحطوا أرمولوا أنا منهم وهم مني ، ولا شك أن الأشعرين بهذا الكلام لم يصيروا خلفاء فلا يكون هذا نصاً .

وأقول

روى البخاري والحاكم في المستدرک أن النبي {ص} قال لعلي : أنت مني وأنا منك وذلك في قصة مخاضة أمير المؤمنين وجعفر وزيد في ابنة حمزة كما أشرنا إليها في المبحث السابق ، وروى الحاكم في المستدرک (١) عن عمران بن حصين وصحبه على شرط مسلم قال عمران ما حاصله ان النبي {ص} استعمل علياً على سرية فأصاب جارية فأنكر وأعليه فتعاقد أربعة أن يخبروا النبي {ص} ، فأخبره أحدهم فأعرض عنه ، وكذلك الثاني والثالث ، ثم قام الرابع فأخبره فأقبل عليه رسول الله {ص} والغضب في وجهه فقال : ما تريدون من علي ؟ إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن . ونحوه في سنن الترمذي في مناقب علي {ع} وفي مسند احمد (٢) وكثير المال (٣) نقلاً عن ابن أبي شيبه جميعاً عن عمران ، وفي رواية أخرى لأحمد (٤) ولابن أبي شيبه كما في السكز (٥) كلاهما عن بريدة ان النبي (ص) قال : لا تقع في علي {ع} فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي ، وفي حديث آخر لابن أبي شيبه كما في السكز (٦) عن عمران ، وقال صحيح ، علي مني وأنا من علي وعلي ولي كل مؤمن بعدي ، وقد سبق في الحديث السادس أن النبي (ص)

(١) ص ١١٠ من ج ٣ . (٢) ص ٤٣٧ من ج ٤ . (٣) ص ١٥٤ من ج ٦ .

(٤) ص ٣٥٦ من ج ٦ . (٥) في الصحيفة السابقة . (٦) في الصحيفة السابقة أيضاً .

قال : علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي ، رواه احمد والترمذي والذسائي وابن ماجه .

ودلالة الجميع على امامة أمير المؤمنين { ع } ظاهرة لأن جعل كل من النبي { ص } وعلي عليه السلام بعضاً من الآخر دليل على اتحادهما بالزاي والفضل والامامة كما يشهد له مضي فعل علي عليه السلام في اصطفاة الجارية من السبي كما مر في رواية عمران وبريدة ، وبهذا يعلم انه أراد الامامة بقوله : هو ولي كل مؤمن ، إذ لا يصلح إرادة غيرها في المقام . وبالجملة قد دلت هذه الروايات على صحة اصطفاة أمير المؤمنين للجارية ومضي فعله لأنه من رسول الله ورسول الله منه ، فيفهم منها انه امام فعلاً ، بل يفهم من مجرد قوله هو مني وأنا منه أنه بمنزلة فعلاً ، فيكون اماماً فعلياً ، ولا ينافيه التقييد بالبعدية في بعض الأخبار المذكورة لأن المراد بها التأخر في الرتبة والاشارة الى قيامه بعده بنام شؤون الامامة ، كما سبق تحقيقه في الآية الاولى من الآيات التي استدلت بها المصنف (ره) على الامامة .

وأما معارضة الفضل بما ورد عندهم في شأن الأشعرين ، ففي غير محلها ، لأنه من حديث المخالفين ، وهو ليس حجة علينا ، مع انه من رواية أبي موسى الأشعري وهو محل التهمة وموافق لبغضه علياً ، والمناقض أعظم الفاسقين فلا تقبل روايته لو صح السند اليه ، ولو سلم قبولها فاستعمال التبعية في حديث الأشعرين بغير الامامة بقرينة المقام وغيره لا يستلزم مثله فيما نحن فيه الذي عرفت ظهوره في الاتحاد بالفضل والمنزلة ، ولذا اقتضى قوله (ص) في قصة براءة : لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني انزال أبي بكر والحال انه ليس دون الأشعرين عند القوم ، ومما بينا يعلم وجه الاستدلال بقول النبي (ص) لجبرئيل : إن علياً مني وأنا منه لدلالته على انه نفس النبي (ص) فله منزلته وفضله وقد كرم جبريل نفسه بجعلها بعضاً منها ، وقد روى هذا الحديث المصنف « ره » عن مسند احمد في ظاهر كلامه وحكاة في كنز العمال (١) عن الطبراني عن رافع بن خديج ، ورواه الطبري في تاريخه (٢) وذكر فيه قتل علي « ع » لأصحاب الألوية

وتفريقه لمن أراد النبي (ص) من جماعات المشركين وقتله لبعضهم ، ومثله في كامل ابن الأثير (١) ، ونحوه في شرح النهج لابن أبي الحديد (٢) نقلاً عن غلام تغلب ومحمد بن حبيب في أماليه وجماعة من المحدثين وقال : هو من الأخبار المشهورة .

١٥ - حديث إن فيك مثلاً من عيسى

قال المصنف فرس الله روم

(الخامس عشر) في مسند احمد بن حنبل أن رسول الله (ص) قال لعلي : إن فيك مثلاً من عيسى أبغضه اليهود حتى اتهموا أمه واحبه النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس له بأهل ، وقد صدق النبي « ص » « لأن الخوارج أبغضوا علياً » ع » والنصيرية اعتقدوا فيه الربوبية .

وقال الفضل

الحمد لله الذي جعل أهل السنة معتدلين بين الفريقين . من المفرطة في حب علي كالنصيرية التي يدعون ربوبيته وكالامامية التي يدعون أن أصحاب محمد « ص » كفروا كلهم لمخالفة النص في شأنه ، ومن المفرطة في بغضه كالخوارج المبغضة ، وأما أهل السنة والجماعة بحمد الله فيحبونه حباً شديداً وينزلونه في منزلته التي هو أهل لها من كونه وصياً وخليفة من الخلفاء الأربع وصاحب ودائع العلم والمعرفة .

وأقول

هذا الحديث كما هو مذكور في مسند احمد مذكور في مستدرک الحاكم وخصائص النساء وغيرهما كما سبق في الآيات الثانية والستين ، وبمعناه ما في الاستيعاب بترجمة أمير المؤمنين (ع) انه قال له رسول الله « ص » « تعترق فيك امتي كما افرقت بنو اسرائيل في عيسى ، ولا ريب أن انزال النصارى لعيسى بغير منزلته إنما هو لانتهازم له إلهاً ، وبمقتضى التمثيل يكون انزال علي « ع » بغير منزلته هو انتخاذ إلهاً كعيسى كما فعل

النصيرية وغيرهم من الغلاة فلا يدخل الامامية فيمن أنزله بغير منزلته لأنهم يقولون انه عبد من عبيد الله تعالى أكرمه بالخلافة بالنص عليه ، وحينئذ فينحصر أمر الامامية بين أن يكونوا ممن أبغضه ولا سبيل اليه بالضرورة ، وبين أن يكونوا من النمط الأوسط الحق وهو المطلوب ، كما ينحصر أهل السنة بين هذين والتمتين فيهم الأول لأن النمط الأوسط لا يمكن ان يجمع الفريقين المتباينين ولأن أهل السنة اجتهدوا في تأخير عمن لا يقاس به علماً وعملاً ولا يلتفتون الى آية نزلهم على منزلته ولا الى سنة ترشدكم الى فضله وعلو محله ، بل يحتالون الى نفي النصوصية بالأوهام والشبه البعيدة ويتناولون الأسانيد القوية الكثيرة بالتضعيف بكل وسيلة بعكس ما يرد عندهم في حق مشايخهم ، فلا بد أن يكون من قال أن علياً هو الخليفة الأول محتكاً ناجحاً ، ومن قال : انه رعية لغيره مبطلاً هالكاً ، وبه يتم اثبات امامته وخلافته للنبي « ص » بلا فصل ، وقد سبق في الآية الثانية والاستيف دلالة ذلك على امامته بوجوه أخر فراجع .

وأما ما زعمه الفضل من ان الامامية يكفرون أصحاب محمد (ص) فان أراد به انهم يقولون بتركهم أو انكارهم الرسالة فيساطل ، وإن أراد انهم يقولون ان اكثر الصحابة خالفوا نص النبي « ص » على علي وألغوا أمر الله تعالى وأمر رسوله « ص » في حقه فصحيح لأن الامامة عندنا أصل من اصول الدين ومن لم يعرف امام زمانه ففسد مات ميتة جاهلية كما سرت تحقيقه في اول مباحث الامامة ، وقد أشار الله تعالى الى ذلك بقوله أفطن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، وصرحت به السنة المستفيضة كأخبار الخوض التي منها ما رواه البخاري في باب الخوض من أن الأصحاب ارتدوا على أديارهم القهقري ولا يخلص منهم إلا مثل همل النعم كما سرت وبأنني إن شاء الله تعالى .

وأما ما زعمه من أن أهل السنة يحبون علياً حباً شديداً فلا نعرف منه إلا الدعوى ولو كشف الله سبحانه حجاب ضلالتهم لعرفت انهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بل الوجدان يشهد بخلافه ، فهذه أقلامهم عند تلاوة آيات فضله ، وهذه أرقامهم عند سماع نصوص امامته ، وهذا ولاؤهم لا ظاهر مبغضيه وأعدائه كما عايناه وأشبهناه :

نود عـدوِّي ثم زعم اني صديقك ان راأي عنك لعازب

١٦ - حديث لا يحبك إلا مؤمن

قال المصنف ضاعف الله أمره

(السادس عشر) في مسند احمد بن حنبل وهو مذكور في الجمع بين الصحيحين وفي الجمع بين الصحاح الستة ان النبي « ص » قال : لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق .

وقال الفضل

هذا الحديث صحيح لا شك فيه ، وفي رواية هذا الحديث عن علي انه قال : لعهد رسول الله « ص » إليّ انه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق ، والحمد لله الذي جعلنا من اهل محبته وملاً قلوبنا من صفو مودته وبالله التوفيق .

وأقول

إذا عرف صحة هذا الحديث وصدق بحمد الله على حبه ، فباله والى اشد اعدائه واكبر مبغضيه كعاوية وابن العاص وسروان واشباههم ، ولم يحكم عليهم بالنفاق مع انضاح حالهم في بغض امير المؤمنين واستمرارهم على هداوته وسبه ، بل يلزمه ان لا يوالى عائشة بل يصفها بالنفاق لعلمه بعداوتها له واستدامتها على بغضه ، ففي مسند احمد (١) عن عبيد الله بن عبيد الله عن عائشة قالت : لما مرض رسول الله « ص » في بيت ميمونة فاستأذن نساءه ان يمرض في بيتي فأذن له فخرج رسول الله « ص » معتمداً على العباس وعلى رجل آخر ورجلاه تخيطان في الأرض ، وقال عبيد الله : فقال ابن عباس : اندري من ذلك الرجل ؟ هو عني بن ابي طالب ، ولكن عائشة لا تطيب بهما نفساً . ورواه ايضاً في مقام آخر (٢) .

فهل ترى اشد في البغض من ان لا تطيب نفس الشخص ان يتلفظ باسم عدوه . ورواه الطبري في تاريخه (٣) ، وفيه ولكنها لا تقدر على ان تذكره بخير وهي تستطيع

وهو اصرح في الدلالة على بغضها لامام المتقين ونفس النبي الامين .

ورواه البخاري : في باب الغسل والوضوء في المحض من كتاب الوضوء ، وفي باب حد المريض ان يشهد الجماعة من كتاب الاذان ، وفي باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها من كتاب الهبة ، وفي باب مرض النبي « ص » في اواخر كتاب المغازي ، وفي كلها لم تسم الرجل الآخر وإنما سماه ابن عباس ، ولم يرو البخاري تنمة كلام ابن عباس رعاية لشأن عائشة ، ولم يدر ان تركها لاسم امير المؤمنين مع ذكر اسم عديله كاف في الدلالة على بغضها له .

وروى احمد ايضاً (١) عن عطاء بن يسار قال : جاء رجل فوقع في علي وعمار عند عائشة فقالت : اما علي فلست قائمة لك فيه شيئاً ، واما عمار فاني سمعت رسول الله « ص » يقول : لا يخير بين امرين إلا اختار أرشدهما ، الى غير ذلك من الاخبار الكاشفة عن بغضها له وإن كان لا حاجة في بيان عداوتها وبغضها له الى دليل ، واعظم من ذلك حربها له وهي تعلم ان حربه حرب لرسول الله ، مقدمة على قتله لو قدرت . وهي تدري انه اخ رسول الله ونفسه ، وعلى هذه فقس ما سواها إذ لم تأت ذلك عنوة بل ورثت عن اسلافها .

واما وجه الدلالة في الحديث الذي ذكره المصنف (ره) ونحوه على امامة امير المؤمنين عليه السلام فقد تقدم في اول مباحث الامامة وفي الآية الثانية عشرة .

١٧ - حديث ولكنه خاصف النمل

قال المصنف أمهل الله ثوابه

(السابع عشر) في مسند احمد بن حنبل ان رسول الله « ص » قال ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت علي تنزيهه ، فقال ابو بكر : انا هو يا رسول الله ؟ قال : لا ، قال عمر : انا هو يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكنه خاصف النمل ، وكان علي يخصف نعل رسول الله « ص » في الحجرة عند فاطمة « ع » ، وفي الجمع بين الصحاح

السة قال رسول الله « ص » لتذهن معشر قريش اوليبعثن الله عليكم رجلا مني امتحن الله قلبه للايمان يضرب اعناقكم على الدين ، قيل : يا رسول الله ابو بكر ؟ قال : لا ، قيل : عمر ؟ قال : لا ، ولسكن خاصف النعل في الحجره .

وقال الفضل

صح الحديث وهذا يدل على انه يقاتل البغاة والخوارج وكان مقاتلة البغاة والخوارج على تأويل القرآن حيث كانوا يؤولون القرآن ويدعون الخلافة لا نفسهم فقاتلهم امير المؤمنين وعلم الناس قتال الخوارج والبغاة كما قال الشافعي انه لو لم يقاتل امير المؤمنين البغاة ما كنا نعلم كيفية القتال معهم ، وهذا لا يدل على النص بخلافته بل إخبار عن مقاتلته في سبيل الله مع العصاة والبغاة .

وأقول

ذكر المصنف « ره » هنا حديثين تقدم بيان رواتهما في الآية الثانية والعشرين وكل منهما دال على المقصود : اما « الأول » فلان المراد بالقتال على تأويل القرآن اما القتال على وفق ما ادى اليه القرآن باجتهاد المقاتل ، او ما ادى اليه في الواقع لعلم المقاتل به ، فيكون المشبه به على الوجهين هو قتال النبي « ص » على حسب ما انزل اليه ، واما ان يكون المراد القتال على مؤل القرآن ليعملوا به كما قاتل رسول الله « ص » للاقرار بأنه منزل من الله تعالى . والظاهر احد الوجهين الاخيرين لأنها امكن في التشبيه ، ومن المعلوم ان القتال على اي الوجوه الثلاثة شأن خليفة الرسول وزعيم الامة فتثبت امامة امير المؤمنين « ع » ، ولما نفي النبي « ص » ذلك عن الشيخين مع صدور القتال منهما علم انها ليسا بامامين . وليت شعري إذا لم يكن قتالهما على وفق القرآن ولا لأجل العمل به فكيف وليا امر القتال والامة وكيف اتخذهم الناس أئمة .

(فان قلت) لعل المراد بقتال علي « ع » على التأويل قتاله لمن تأول القرآن وادعى الخلافة لنفسه فلا يكون نفي النبي « ص » لهذا القتال عن الشيخين منافية لامامتهما لان هذا النفي مطابق للواقع إذ لم يقاتلا إلا المشركين وإن كانا امامين ، ولعله الى هذا اشار

الفضل بقوله : وكان مقاتلة البغاة والخورارج على تأويل القرآن حيث كانوا يؤولون القرآن ويدعون الخلافة لأنفسهم ، (قلت) : لو اريد ذلك كان قوله (ص) : كما قاتلت على تنزيله بمقتضى المشابهة ان يكون رسول الله (ص) قاتل من تنزل عليه القرآن وهو كما ترى ، ولا ادري آية آية تأولها البغاة والخورارج حتى استباحوا بها قتال امير المؤمنين والخروج على امام زمانهم ! ومتى قاتله الخورارج مدعين للخلافة وكذا معاوية وعائشة وانصارها ، فانهم إنما قاتلوا في ظاهر امرهم امير المؤمنين (ع) طلباً بدم عثمان واتخذوه واقفاً وسيلة لبلوغ الرياسة اولاً للانتقام من علي « ع » عداوة له كإفك عائشة ، ولوا عرضنا عن هذا كله فأبو بكر عندهم أيضاً حارب المتأولين ، ولو كان اماماً وحر به حقاً لما اجابه النبي (ص) بقوله لا ، ونفي بالمتأولين مانعي الزكاة لأنهم قالوا كما في شرح النهج لابن أبي الحديد (١) : « ان الله قال لرسول الله (ص) خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ، فوصف الصدقة بأنها من شأنها ان يطهر رسول الله (ص) الناس بأخذها ويبين ان صلاته سكن لهم وهذه الصفات لا تتحقق في غير النبي (ص) » .

وأما (الحديث الثاني) فهو أيضاً دال على المدعى لأن النبي «ص» وصف فيه الرجل الذي يبعثه الله تعالى بأنه قد امتحن الله قلبه أي ابتلاه بأنواع المحن ، فوجده خالص الإيمان لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يصانع أحداً في دينه ، وهذا يفيد بمفهومه ان غير هذا الرجل ليس كذلك لاسيما الشيطان للتصريح بها ، ولأنها أشارا برد المؤمنين الى بلاد الكفر وجعل السبيل للكافرين عليهم خلافاً لحكم الله ورسوله ووفقاً لرغبة الكافرين ، لاسيما عمر فانه وافق أبا بكر على قوله صدقوا ولم يبال باستيلاء النبي «ص» من أبي بكر وتغير وجهه الشريف من قوله ، كما سبق في بعض الأخبار المصححة عندهم المذكورة في الآية الثانية والعشرين ، ولو كانا ممن امتحن الله قلبه للإيمان وخالصي الإيمان لما فعلنا ذلك ، بل يستفاد من وصف النبي «ص» للرجل الذي يبعثه الله بأنه امتحن الله قلبه للإيمان ويضرب أعناقهم على الدين - بعد موافقة الشيخين لقريش - أن النبي (ص)

أراد التعريض بها بأنها ليسا بهذا الوصف ، وبالضرورة ان من ليس كذلك لم يبال بالنبي «ص» مواجهة في حياته ولا بكتاب الله وحكمه أحق وأولى بعدم المبالاة بأحكام الله ودينه ونبيه بعد وفاته ، فلا يصلح للإمامة ، وإنما الصالح لها من ثبت له ذلك الوصف الجليل الجليل ، وقد أشار النبي «ص» مع ذلك الى عصمة علي «ع» وفضله بمجمله منه أو مثل نفسه كما في رواية الجمع بين الصحاح وغيرها مما سبق في الآية المذكورة فيتمتعين للإمامة .

١٨ - حديث الطائر

قال المصنف ضاعف الله أمره

(الثامن عشر) في مسند احمد بن حنبل والجمع بين الصحاح الستة عن انس بن مالك قال : كان عند النبي «ص» طائر قد طبخ له فقال : اللهم انقني بأحب الناس اليك يأكل معي فجا علي فأكل معه ، ومنه انه لما حضرت ابن عباس الوفاة قال : اللهم اني اتقرب اليك بولاية علي بن ابي طالب .

وقال الفضل

حديث الطير مشهور وهو فضيلة عظيمة ومنقبة جسيمة ولكن لا يدل على النعم وليس الكلام في عدد الفضائل ، واما التوسل بولاية علي فهو حق ومن اقرب الوسائل .

وأقول

روى الترمذي حديث الطائر بسنده عن السدي عن أنس ثم قال : وقد روي من غير وجه عن أنس ورواه النسائي في الخصائص عن أنس بهذا اللفظ « انه أتى النبي {ص} وعنده طائر فقال : اللهم ائتني بأحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطير فجا ابو بكر فرده ، ثم جاء عمر فرده ، ثم جاء علي فأذله » . ورواه الحاكم في المستدرک (١) عن أنس ايضاً ، وذكر فيه « انه جاء علي مرتين فقال له : ان رسول الله {ص} علي حاجة .

ثم جاء فقال النبي | ص | : افتتح فدخل ، فقال رسول الله | ص | : ما حبسك علي ؟ قال : إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس يزعم أنك على حاجة » الحديث ، ثم قال الحاكم : هذا حديث على شرط الشيخين ، وقال : قد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً ، ثم صحت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفيينة ، ثم رواه الحاكم أيضاً من طريقين عن إبراهيم بن ثابت البصري الفصاح عن ثابت البناني عن أنس ، وتعقبه الذهبي بأن إبراهيم بن ثابت ساقط ، ويشكل بأن هذا مناقض لما ذكره هو في ميزان الاعتدال فإنه قال فيه لا أعرف حاله جيداً ، كما أنه تعقب الحديث الأول بأن في سنده محمد بن أحمد بن عياض عن أبيه ، فقال ابن عياض : لا أعرفه ، وقال في الميزان بترجمة محمد المذكور بعدما ذكر روايته لحديث الطير بالسند الذي ذكره الحاكم : « قال الحاكم : هذا على شرط البخاري ومسلم ثم قال الذهبي : السكت ثقات إلا هذا يعني محمداً فأنا أنهجه به ثم ظهر لي أنه صدوق » الى أن قال : « فأما أبوه فلا أعرفه » ، وعليه فالأمر هين لأن عدم معرفته له لا تضر فيه بعدما عرفه الحاكم وصححه حديثه على شرط الشيخين وقد روى الذهبي حديث الطير بترجمة جعفر بن سليمان الضبعي من ميزان ، وسنده صحيح ، لأنه رواه عن قطن بن نسير وهو من رجال مسلم ، عن جعفر المذكور وهو من رجاله أيضاً ، عن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس وهو من رجال البخاري ، عن أنس . وحكاها في كثر الأعمال (١) عن ابن عساكر من ثلاثة طرق ، وعن ابن النجار من طريق ، ونقله سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص عن أحمد في الفضائل بسنده عن سفيينة ، ونقله في ينابيع المودة في الباب الثامن عن أحمد في مسنده عن سفيينة ، كما نقله المصنف | ره | هنا عن مسند أحمد عن أنس . والظاهر أن القوم أسقطوا الحديثين الأخيرين من المسند الموجود بأيدينا اليوم بطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هجرية كما هي عاذتهم في إسقاط كثير من الأحاديث المتعلقة بفضل أمير المؤمنين ، فع ما ذكرناه الذي هو قليل من كثير كيف يزعم ابن تيمية أنه لم يرو حديث الطير أحد من أصحاب الصحاح ولا صححه أئمة الحديث ، والحال أنه قد رواه الترمذي والنسائي وصححه

الحاكم ورواه الذهبي بترجمة جعفر بطريق لا شبهة في صحته عندهم كما سمعت ، بل زعم ابن تيمية كعادته في فضائل امام المتقين ان الحديث عند أهل المعرفة والعلم من المكذوبات والموضوعات ، والحال انه حكى عن أبي موسى المديني انه قال : جمع غير واحد من الحفاظ طرق أحاديثه ، وقال في ينابيع المودة ولابن المغازلي حديث الطير من عشرين طريقاً ، وقد سمعت قول الحاكم رواه عن أنس زيادة على ثلاثين نفساً وأوليت شعري أي أهل المعرفة يدعي وضعه فانا لا نعرف أحداً من سائر الناس ادعاه فضلاً عن أهل المعرفة ، ولو سلم فما زعمهم أهل المعرفة إنما هم الخصوم والنواصب امثاله الذين يريدون أن يطعموا نور الله بأفواههم وأن يتبع الحق أهواءهم .

وأما دلالة الحديث على امامة أمير المؤمنين « ع » فن أظهر الامور ، لأن أحب الناس الى الله تعالى إنما هو أفضلهم وأتقاهم وأعملهم بطاعته فلا بد أن يكون أحقهم بالامامة لاسيما من أبي بكر وعمر ، إذ مع دخولهما بعموم الناس صرح حديث الثنائي باسمهما بالخصوص كما سمعت . واشكل في المواقف وشرحها على الحديث بأنه لا يفيد انه أحب اليه في كل شيء لصحة التقسيم وادخال لفظ السكل والبعض ، ألا ترى انه يصح أن يستفسر ويقال أحب اليه في كل الأشياء أو في بعض الأشياء فلا بد على الأفضلية مطلقاً و « الجواب » أن الاطلاق مع عدم القرينة على الخصوص يفيد العموم في مثل المقام ، ألا ترى أن كلمة الشهادة تدل على التوحيد ويعتقضي ما ذكرناه ينبغي أن لا تدل عليه لامكان الاستفسار بأنه لا إله إلا هو في كل شيء أو في السماء أو في الأرض الى غير ذلك ، فلا تفيد نفي الشريك مطلقاً ، وهذا لا يقوله عارف والمعجب منها أن يقولوا ذلك وهما يستدلان على فضل أبي بكر بقوله تعالى : « وسيجزيها الاتقي » زاعمين أن المراد بالأتقي أبو بكر فيكون أفضل والحال انه يمكن الاستفسار بأنه الاتقي في كل شيء أو في بعض الأشياء ، مضافاً الى انه لا يصح حمل الحديث على ارادة الأحب في بعض الامور وإلا لجاء مع علي « ع » كل من هو أحب منه بزعمهم في بعض الامور كالشيخين لاستجابة دعاء النبي « ص » والحال أن النبي « ص » قد ردهما كما في حديث النسائي ، ونحن نمنع أن يكون أحد أحب الى الله سبحانه بعد النبي { ص } من علي « ع » في شيء من الأشياء

لما سبق في المبحث الثاني من مباحث الامامة أرا الامام أفضل الناس في كل شيء . فيكون أحبهم الى الله تعالى في كل شيء .

وقد زاد ابن تيمية في الطنبور نعمة فأورد على الحديث بامور تشهد بحمله أو نصبه « منها » ان أكل المير ليس فيه أمر عظيم هنا يناسب أن يجيء أحب الخلق الى الله ليأكل ممه فان اطعام الطعام مشروع للبر والفاجر وليس في ذلك زيادة وقربة عند الله لهذا الآكل ولا معونة على مصلحة دين ولا دنيا فأى أمر عظيم يناسب أن يجيء أحب الخلق الى الله بفعله . و « الجواب » أن الأمر العظيم تعريف الأحب الى الله تعالى للناس بدليل وجداني فانه أكد من اللفظ وأقوى في الحجة ، كما عرفهم نبي الهدى (ص) أن علياً حبيب الله في قصة خبير باخبارهم انه يعطي الراية من محبه الله ورسوله ويجب الله ورسوله وان الفتح على يده ، على انه يكفي في المناسبة رغبة النبي « ص » بأن يأكل مع أحب الخلق الى الله واليه . « ومنها » أن هذا الحديث يناقض مذهب ارافضة قائمهم بقولون أن النبي كان يعلم أن علياً أحب الخلق الى الله وانه جعله خليفة من بعده ، وهذا الحديث يدل على انه ما كان يعرف أحب الخلق الى الله ؟ « الجواب » انا لا نعرف وجه الدلالة على انه لا يعرفه . أترام لو قال ائمتي بعلي يدل على عدم معرفته له ، وكيف لا يعرفه وقد قال كما في بعض الاخبار اللهم ائمتي بأحب الخلق اليك وإلي ، وقال لعلي في بعض آخر ما حبسك علي ، وقال له في بعضها ما الذي أبطأ بك ، فائتني « ص » كان عارفاً به لسكنه أبهم ولم يقل ائمتي بعلي ليحصل التمييز من الله سبحانه : فيعرف الناس أن علياً هو الأحب الى الله تعالى بنحو الاستدلال « ومنها » ما حاصله انه مناقض للأحاديث الثابتة في الصحاح القاضية بأن أبا بكر هو الأحب كما في الصحيحين من قوله « ص » : لو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً ، ومناقض لقوله تعالى : وسيجزيها الأنبياء فان أئمة التفسير يقولون انه أبو بكر ، والأنبياء هو الأحب لله ورسوله . و « الجواب » ان روايتهم لا تقوم حجة علينا وكذا قول أهل تفسيرهم لأنه من التفسير بالرأي التابع للاهوى ولمفدمات باطلة على انه ليس مجمعا عليه بينهم ، وسيأتي الكلام في الآية إن شاء الله تعالى ، كما أن روايته غير نامة الدلالة على مدعاه .

١٩ - حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها

قال المصنف طلب تراه

(التاسع عشر) في مسند احمد بن حنبل وصحيح مسلم قال لم يكن أحد من اصحاب رسول الله « ص » يقول سلوني إلا علي بن أبي طالب ، وقال رسول الله « ص » : أنا مدينة العلم وعلي بابها .

وقال الفضل

هذا يدل على وفور علمه واستحضاره أجوبة الوقائع وإطلاعه على شتات العلوم والمعارف وكل هذه الامور مسلمة ولا دليل على النص حيث لا يجب أن يكون الأعلّم خليفة بل الأحفظ للحوزة والأصلح للأمة ولو لم يكن أبو بكر أصلح للإمامة لما اختاروه كما مر .

وأقول

معنى كونه باب مدينة علم النبي « ص » انه الواسطة للناس في وصولهم الى علم النبي « ص » فلا واسطة غيره ، والآخذ من غيره كالسارق ، فيكون أخذ العلم منه واجباً ومن غيره حراماً فهو الامام دون غيره لعدم اجتماع امامة الشخص وحرمة الآخذ عنه واتباعه فيما يحكم به ، كما أن وجوب الآخذ عنه الموصول الى علم الرسول « ص » لا يتم إلا بمصمته فيتعين للإمامة ، وكذلك جعله الباب لعلمه دال على احاطته بجميع ما يصدر عن النبي « ص » من العلوم ، وذلك شأن الامام ، ويشهد لاختصاص طريق علم النبي « ص » بعلي « ع » جبل الامة بأكثر الأحكام لما عرضوا عنه ، والحال ان الله سبحانه قد أكمل دينه فزال آراؤهم مضطربة وأحكامهم مختلفة حتى كأن الله تعالى قد أوكل الى أهوانهم أحكامهم ؛ ولما رجع الأمر الى أمير المؤمنين « ع » لم يقدر على امضاء ما علم ولا على نشره لأن الناس قد ألفوا خلافه ، فقد نهى عن صلاة التراويح فصاح الناس وا سنة عمره ، ونهى عن أكل الجري والمارمجي فلم يتبعوه ، وأمر بالتمتعين فخافوه

الى غير ذلك من الأحكام ، ولذا قال « ع » كما رواه البخاري في باب مناقبه : « افضوا كما كنتم تقضون فاني أكره الخلاف حتى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات اصحابي » فانه صريح في أن قضاء من كان قبله ليس حقاً لكنه لا يتمكن من الخلاف ما لم يتم له الأمر ، ولولم عدم دلالة الحديث على انحصار طريق علم النبي « ص » بعلي « ع » فلا اشكال بدلالته على أعلميته كما أقر به الفضل في ظاهر كلامه فيقبح تقديم المفضول عليه أفن ، يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فالحكم كيف تمحكون ، وقوله : « لا يجب أن يكون الأعلم خليفة بل الألفظ للمحوزة والأصلح للامة » ظاهر البطلان كما أوضحناه في المبحث الثاني من مباحث الامامة ، وقد أوضحنا أيضاً في المبحث الثالث فساد قوله ولولم يكن أبو بكر أصلح للامامة لما اختاروه ، فان الاختيار لا يصلح أن يكون طريقاً للامامة على أن من اختاروه إنما هم نفر محدود كما سبق .

ثم ان هذا الحديث اعني حديث الباب قد رواه الحاكم في المستدرک (١) من طرق عن ابن عباس وصححه ، وذكر في بعض طرقه أبا الصلت وقال : ثقة مأمون وتقل توثيقه عن ابن معين وانه قيل له : ليس قد حدث بهذا الحديث عن ابي معاوية فقال : قد حدث به جعفر بن محمد الفيدي وهو ثقة مأمون ، ومع ذلك زعم الذهبي انه موضوع لزعمه أن ابا الصلت ليس بثقة ولا مأمون ، وفيه انه مناف لوصفه له في ميزان الاعتدال بالرجل الصالح وقال : إلا انه شيعي جلد ولو سلم أن أبا الصلت ليس ثقة فلا معنى للحكم بوضع الحديث مع رواية الفيدي الثقة له عن أبي معاوية ، وإذا صحت الرواية الى ابي معاوية فقد صح الحديث لأن ابا معاوية رواه عن الانعمش عن مجاهد عن ابن عباس وكلام ثقات عندهم ، ورواه الحاكم أيضاً عن جابر وصححه ، وتلقيه الذهبي بأن في سنده احمد بن عبد الله بن يزيد الحراني وهو دجال كذاب ، وقد تبع فيه ابن عدي لقوله في حقه كما في ميزان الاعتدال كان سامراً يضع الحديث ، والظاهر أن لامناً للنسبة الوضع والكذب اليه عندها لإروايته لهذا الحديث فكان مؤاخذاً بالرواية في فضل أمير المؤمنين

وله اسوة بأبي الصلت ، ونقل السيوطي في اللثالي المصنوعة عن ابن الجوزي انه نقل هذا الحديث بلفظه أو ما يشبهه من خمسة عشر طريقاً أخرجه ابن عدي وابن نعيم وابن مردويه والطبراني والخطيب والعقيلي وابن حبان عن علي وابن عباس وجابر ، ولغظ حديث جابر هكذا : سمعت رسول الله (ص) يوم الحديبية وهو آخذ بيد علي يقول : هذا أمير البررة ، وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله يمد بها صوته أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فلْيأت الباب ، وهذا هو الذي رواه الحاكم عن جابر لكنه ذكر صدر الحديث في مقام متأخر ، وقد زعم ابن الجوزي انها كلها موضوعة مستنداً الى اضطراب اسناد بعضها وجهل بعض الرواة في بعضها وان بعضهم لا يجوز الاحتجاج به وبعضهم منهم بسرفة هذا الحديث وبعضهم كذاب ، وأنت تعلم ان هذا لو تم لا يستوجب الحكم بوضع الحديث مع استفاضة طرقه ، وغاية ما يقتضيه - على نظر - عدم الاعتماد عليها على ان السيوطي في اللثالي قد تعقبه فقال : حديث علي أخرجه الترمذي ، وحديث ابن عباس أخرجه الحاكم في المستدرک ثم نقل كلام الحاكم الذي أشرنا اليه ، ونقل عن الخطيب انه روى عن ابن معين توثيق أبي الصلت وان القاسم ابن عبد الرحمن الأنباري سأل ابن معين عن الحديث فقال : صحيح . قال الخطيب : أراد انه صحيح من حديث ابي معاوية . « أقول » : وفيه الكفاية في مطلوبنا ، ثم نقل السيوطي عن الحافظ صلاح الدين العلائي انه قال في جملة جوابه عن دعوى الوضع : « أي استحالة في أن يقول النبي « ص » مثل هذا في حق علي ، ولم يأت كل من تكلم في هذا الحديث وحكم بوضعه بجواب عن هذه الروايات الصحيحة عن ابن معين ، ومع ذلك فله شاهد » وذكر رواية الترمذي وغيره له عن شريك عن سلمة عن سويد ثم قال : « وشريك احتج به مسلم وعلق له البخاري ووثقه ابن معين وقال المعجلي : ثقة حسن الحديث ، وقال عيسى بن يونس ما رأيت احداً قط اورع في علمه من شريك ، فعلى هذا يكون تفرده حسناً فكيف إذا انضم الى حديث ابي معاوية » الى ان قال العلائي : « ولم يأت ابو الفرج ولا غيره بعلّة في حديث شريك سوى دعوى الوضع دفعا بالصدر » ، ثم نقل السيوطي عن ابي الفضل ابن حجر انه قال : هذا الحديث من قسم الحسن ثم قال

السيوطي وبقى للحديث طرق وذكر منها طريقين للخطيب عن علي (ع) وطريقاً لابن النجار عنه (ع) ايضاً وطريقاً لأبي الحسن علي بن عمر الحرابي في اماليه عنه (ع) ايضاً ولفظه : « قال رسول الله (ص) انا مدينة العلم وانت بها يا علي كذب من زعم انه بدخلها من غير بها » ، وطريقاً لأبي الحسن شاذان الفضلي في خصائص علي (ع) عن جابر بن عبدالله ، وطريقاً للمدائلي بسنده عن ابي ذر ولفظه : « قال رسول الله (ص) علي باب علمي وهدى لأمي ما ارسات به من بعدي حبه ايمان ، وبفضه نفاق ، والنظر اليه رافة » . وحكى في كنز العمال (١) كلاماً للسيوطي نحو ما هنا وذكر في طيه ان ابن جرير روى في تهذيب الآثار الحديث الذي رواه الترمذي وصححه ثم ذكر في الكنز ان السيوطي قال اخيراً بصحة هذا الحديث بعدما كان يرى حسنه . « اقول » : ولا ريب لمنصف في صحته لاستفاضة طرقه بل تواترها لاسيما بضميمة اخبارنا وله شواهد من الكتاب والسنة لا تحصى .

هذا واما ما حكاه المصنف (ره) في صدر كلامه عن مسند احمد فقد رواه في الاستيعاب بترجمة امير المؤمنين (ع) عن سميد بن المسيب قال : ما كان احد من الناس يقول سلوني غير علي بن ابي طالب .

٢٠ - حديث من آذى علياً فقد آذاني

قال المصنف أعلى الله مقامه

(العشرون) في مسند احمد من عدة طرق ان النبي « ص » قال : من آذى علياً فقد آذاني ايها الناس من آذى علياً بعث يوم القيامة يهودياً او نصرانياً .

وقال الفضل

لا شك ان علياً سيد الأولياء وقد جاء في الحديث من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب فإذا كان معاداة احد من الأولياء وأذاه محاربة مع الله تعالى فكيف لا يكون إيذاه سيد الأولياء موجباً الدخول النار ولا يمكن لا بد لهذا على النص .

وأقول

لم اجد فعلاً في مسند احمد تمام الحديث وإنما وجدت فيه صدره (١) عن عمرو بن شاش ان النبي (ص) قال من آذى علياً فقد آذاني ، ورواه الحاكم عنه ايضاً في المستدرک (٢) وصححه ، ورواه البخاري في تاريخه ، كما حكاه عنه في كنز العمال ، ورواه ايضاً في الاستيعاب بترجمة أمير المؤمنين وزاد فيه « ومن آذاني فقد آذى الله تعالى » وهو يقتضي وجوب طاعة علي (ع) لأن عصيانه يؤذيه بالضرورة ووجوب طاعته على الاطلاق يقتضي عصمته وامامته وإذا ضمنت الى الحديث قوله تعالى : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً » . علمت حال الناكثين والقاسطين .

أما بقية الحديث وهي من آذى علياً بعث يهودياً أو نصرانياً فيشهد لصحتها ما حكاه المصنف (ره) في منهاج الكرامة عن أخطب خوارزم بسنده عن سوية بن حيدة القشيري قال : سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي (ع) : « من مات وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً » . وما حكاه السيوطي في الثمالي عن العقيلي بسنده عن بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً « من مات وفي قلبه بغض لعلي فليمت يهودياً أو نصرانياً » . وزعم ابن الجوزي انه موضوع لأن في سنده الجارود بن يزيد وعلي بن قرين ، واسكن السيوطي تعقبه بذكر رواية للدبليسي أخرجه عن بهز بسندين خليين عن الجارود وابن قرين قال فيها رسول الله (ص) : « يا علي ما كنت ابالي من مات من أمتي وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً » فهذه الأخبار متفقة في المعنى مع ذيل الرواية التي حكاه المصنف (ره) عن مسند احمد لأن بغض علي ابداء له ، ولا ريب بصحة هذه الروايات لما تقدم من أن بغض علي (ع) علامة النفاق ومن الواضح أن المناق بمزلة اليهود والنصارى . ومن الغريب مسارة ابن الجوزي للحكم بوضع الأخبار بمجرد احتمال سندها على ضعيف أو متهم عنده فانه على هذا ينبغي أن يحكم

بوضع رواياتهم جميعاً حتى أخبار الصحاح الستة إذ لا يخلو خبر عندهم إلا النادر من اشكال سنده على ضعف كما أشرنا اليه في المقدمة ، وهذا مما لا يرتضيه اصحابه والله إنما يفعل ذلك في خصوص أخبار فضائل امام الهدي انحرافاً عنه وهو غير بعيد .
وأما الحديث الذي ذكره الفضل وهو من آذى لي ولياً فقد آذنته بحرب ، فليس بمنزلة قوله (ص) : من آذى علياً فقد آذاني الى آخره ، لأن معنى الحديث الذي ذكره من آذى لي ولياً فليستعد للعقوبة ، وهذا ليس بمنزلة إيذاء علي « ع » الذي هو إيذاء الله ورسوله وموجب لعنة الله في الدنيا والآخرة والعذاب المهين والبعث على اليهودية أو النصرانية ، فإن هذا لا يكون إلا في إيذاء من هو بمنزلة النبي (ص) وامام الوقت .

٢١ - حديث تزويج علي من فاطمة

قال المصنف أعلى الله درجته

(الحادي والعشرون) في مسند احمد بن حنبل ان ابا بكر وعمر خطبا الى رسول الله (ص) فاطمة (ع) فقال : انها صغيرة فخطبها علي فزوجها منه .

وقال الفضل

صح في الأخبار ان أبا بكر وعمر خطبا فاطمة فقال رسول الله (ص) اني انتظر أمر الله فيها ولم يقل انها صغيرة ، وهذا افتراء على احمد بن حنبل وكل من قال هذا فهو ممتز على رسول (ص) وناسباً للكذب اليه ، فان فاطمة كانت وقت الخطبة كبيرة لأنها ولدت عام حجارة الكعبة ، والعجب من هذا الرجل انه يبالغ في احتراز الأنبياء عن الكذب وبسبب الكذب الصراح الى رسول الله (ص) نعوذ بالله من هذا وانه خباط خبط عشواء .

وأقول

ما نقله المصنف (ره) عن المسند قد رواه بعينه النسائي في أوائل كتاب النكاح من سننه في باب تزويج المرأة مثلها في السن ، ورواه الحاكم في المستدرک في كتاب النكاح (١) وصححه على شرط الشيخين ولم يتعقبه الذهبي ، والحق انها تزوجت وهي

صغيرة لأنها ولدت بعد البعثة باجتماع واختاره الحاكم في المستدرک ، فانه عنون (١) بقوله (ذكر ما ثبت عندنا من أعقاب فاطمة وولادتها) ، ثم روى انها ولدت سنة احدى واربعين من مولد رسول الله (ص) ، ولم يتعقبه الذهبي ، وروى ايضاً (٢) انها ماتت وهي ابنة احدى وعشرين سنة ، وولدت على رأس احدى واربعين من مولد النبي «ص» ، وروى في الاستيعاب بترجمة فاطمة عليها السلام انها ولدت سنة احدى واربعين من مولد النبي (ص) وأنكح رسول الله (ص) فاطمة علياً بعد وقعة أحد ، فعلى هذا كله تكون حين تزويجها صغيرة ابنة اثني عشرة سنة تقريباً ، ويروى عندنا انها تزوجت وهي ابنة تسع ، وقد يوافقه ما في الاستيعاب بترجمة خديجة «ع» قال : « قال الزبير : ولد لرسول الله (ص) القاسم وهو أكبر ولده ثم زيف ثم عبدالله وكان يقال له الطيب ويقال له الطاهر ولد بعد النبوة ثم ام كلثوم ثم فاطمة » ، فان فاطمة (ع) إذا ولدت بعد الطاهر وام كلثوم - وكلاهما بعد النبوة - لم يبعد أن يكون تزويجها وهي ابنة تسع ، وزعم بعضهم أن سنهما يوم تزوجت خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف كما ذكره في الاستيعاب بترجمتها ، واختاره لهن حجر في الصواعق قال في اول الباب الحادي عشر : « تزويج النبي (ص) فاطمة من علي أواخر السنة الثانية من الهجرة على الأصح وكان سنهما خمس عشرة سنة ونحو نصف سنة » وكيف كان فهي صغيرة إما حقيقة أو بالاضافة الى الشيخين فلا يكذب قول النبي (ص) انها صغيرة ، نعم هو عذر إقناعي والعذر الحقيقي انها ليسا أهلاً لها ولذا زوجها من علي (ع) بأثر هذا العذر ، ويشهد له ما في الصواعق في الفصل الأول من الباب المذكور في أثناء الكلام على الآية الحادية عشرة عن أبي داود السجستاني قال : « ان ابا بكر خطبها فأعرض (ص) عنه ثم عمر فأعرض عنه فأثابتا علياً فنبهاه الى خطبتها فجاء فخطبها فقال (ص) : ما معك » الحديث . ثم قال : « وأخرج احمد وابو حاتم نحوه » . وحكى في كنز العمال (٣) عن ابن جرير عن أنس : « ان النبي (ص) أعرض عن ابي بكر فرجع الى عمر وقال هلك وأعرض عن عمر فرجع الى ابي بكر وقال : انه ينتظر أمر الله فيها » ، فان اعراض النبي (ص) عنها دليل على عدم اهليتها لها وانه

(١) ص ١٦١ ج ٣ . (٢) ص ١٦٣ من الجزء المذكور . (٣) ص ١١٣ ج ٧ .

من سدخط عليهم . اطلبها ما لا يلبق بها ولذا قال ابو بكر هـلكت . وفي السكز ايضا (١) عن ابن جرير قال وصححه ، والدولابي في الذرية الطاهرة عن علي (ع) قال : « خطب ابو بكر وعمر فاطمة الى رسول الله (ص) فأبى عليها فقال عمر أنت لها » الحديث . وفي الصواعق في أول الباب المذكور عن احمد وابن ابي حاتم عن أنس قال : « جاء ابو بكر وعمر يخطبان فاطمة الى النبي (ص) فسكت ولم يرجع اليها شيئاً فانطلقا الى علي بأمرانه بطلب ذلك » الحديث ، ثم قال : « وفي رواية اخرى عن أنس ايضا عند أبي الخير القزويني الحاكمي خطبها بعد ان خطبها ابو بكر ثم عمر فقال قد أمرني ربي بذلك » الحديث وفي هذا دلالة اخرى على عدم أهليتها للتزويج بسيدة النساء فان منعها دون علي (ع) بأمر الله كاشف عن ان النظر في أمرها راجع الى الله سبحانه مع وجود أيها سيد النبيين الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما عرفه عمر حيث قال في رواية ابن جرير المذكورة « انه ينتظر أمر الله فيها » وليس ذلك إلا لعظم شأنها عند الله تعالى وكرامتها عليه فلا يزوجه إلا بمن هو أهل لها ويلقب بقدرها الرفيع ، فزوجها في السماء بسيد أوليائه وهو أدل دليل على فضله على الشيخين عند الله عز وجل وعند رسوله (ص) والأفضل أحق بالامامة ، وياهل ترى أن الله تعالى يصون عنها تزويج فاطمة ولا يعقبه ضرر ظاهر أدهو يرضى أن تزف اليها إمامة الامة والحكم في الدين والدنيا والنفس والمنفيس ، وأعظم من هذه الأحاديث في الدلالة على عدم أهليتها للزهره وللإمامة ما في اللثالي المصنوعة عن العقيلي والطبراني معاً عن علي بن عبد العزيز عن أبي نعم عن موسى بن قيس الحضرمي عن حجر بن عنبس قال : « خطب ابو بكر وعمر فاطمة فقال النبي (ص) : هي لك يا علي است بدجال » ، فان قوله (ص) : لست بدجال تعريض بالشيخين بأنها دجالان لا يصلحان لتزويج فاطمة ولا للإمامة بالضرورة ، ولذا هاجت حمية ابن الجوزي فقال موضوع موسى من الغلاة في الرفض ، وتعمقه السيوطي بقوله : « روى له ابو داود ووثقه ابن معين » ، وقال ابو حاتم لا بأس به » ، ثم قال السيرطي : « والحديث اخرجه البزار » ، وذكر ايضا في سننه موسى بن قيس ثم حكى عن الهيثمي في زوائده

انه قال : رجاله ثقات إلا ان حجراً لم يسمع من النبي (ص) ، وفيه انه لو سلم أن حجر ابن عنبس لم يسمع من النبي (ص) فهو ممن أسلم في أيامه (ص) فيكون راوياً عن الصحابة ولا يضر ارساله .

٢٢ - حديث اجلس يا أبا تراب

قال المصنف أعلى الله منزلته

(الثاني والعشرون) في الجمع بين الصحيحين ان رسول الله (ص) دخل على ابنته فاطمة فتمبّل رأسها ونحمرها وقال : أين ابن عمك ؟ قالت : في المسجد فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب الى ظهره فجعل يمسح عن ظهره التراب ويقول : « اجلس يا أبا تراب » مرتين .

وقال الفضل

هذا حديث صحيح وهو من تلافات النبي (ص) لأمير المؤمنين (ع) واطهار المحبة له ولا يثبت به النص .

وأقول

نعم هو من تلافاته (ص) وديه لأمير المؤمنين (ع) ولكن تلافاه به حال نومه في المسجد من دون اشعار بالكرهه دليل على عدم كراهة النوم له فيه وعلى مساواته للنبي (ص) في الحكم والطهارة كما يفيد حديث سد الأبواب إلا بابه ، وقد سبق وجه دلالة على امامته (ع) مضافاً الى دلالة هذا الحديث على شدة زهده البالغ أقصى الغايات الذي يمتاز به على سائر أهل الدرجات لأنه من بيت النعمة والشرف وابن شيخ البطحاء وبيضة البلد مع ما هو عليه من علو النفس وعزتها وما هو فيه من الشجاعة وريعات الشباب فيكون ذلك الزهد منه دليلاً على فضل إيمانه ومعرفته وزيادة تقواه ويقينه .

٢٣ - احاديث كسر الأصنام وصك الولاية ورد الشمس وغيرها

قال المصنف قرى الله روم

(الثالث والعشرون) روى الجمهور من عدة طرق ان رسول الله (ص) حمل علياً حتى كسر الأصنام من فوق السكبة ، وانه لا يجوز على الصراط إلا من كان معه كتاب بولاية علي بن أبي طالب ، وانه ردت له الشمس بعدما غابت حيث كان النبي (ص) نائماً على حجره ودعا له بردها ليصلي علي العصر فردت له ، وانه نزل اليه سطل عليه منديل وفيه ماء فتوضأ للصلاة ولحق بصلاة النبي (ص) ، وان منادياً من السماء نادى يوم أحد (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي) وروى انه نادى به يوم بدر ايضاً .

وقال الفضل

ما ذكر من الأشياء بعضه منكر (منها) أن النداء يوم بدر بأن لا سيف إلا ذو الفقار من المنكرات ، لأن ذو الفقار كان سيفاً لمنبه بن الحجاج من أشراف قریش وهو قتل يوم بدر وصار سيفه المشهور بذی الفقار لرسول الله (ص) فكان ذو الفقار يوم بدر في يد السكفار وكانوا يقتلون به المؤمنين فكيف يجوز أن ينادي مناديهـا أن لا سيف إلا ذو الفقار ، نعم هو مطابق لمذهبه فانه يدعي أن قتل أصحاب محمد (ص) واجب فلا يبعد أن يدعي ان المنادي يوم بدر نادى بذكر منقبة ذي الفقار وهو في يد الكفار وهذا السفیه ما كان يعلم الحديث ولا التاريخ ومدار أمره ذكر المنكرات والمجهولات ولا يبالي .

وأقول

ما يدَّعیه في وجه الانكار خطأ لاحتمال ان يكون لأمر المؤمنين (ع) سيف ذو فقار حارب به يوم بدر، أو أن سيف منبه أو ابنه العاص على الخلف الذي ذكره ابن أبي الحديد (١) صار الى علي (ع) وقاتل به لما قتلها وقتل نبيها أخا منبه كما في شرح النهج ايضاً (٢) فعلى أحد هذين الاحتمالين لا يمتنع أن ينادي المنادي يوم بدر لا سيف إلا

ذو الفقار ، وقد حكى السيوطي في الثالي رواية النداء يوم بدر عن ابن عدي وذكر أن ابن الجوزي زعم أنها موضوعة لأن في سندها عمار ابن اخت سفيان وهو متروك فتعقبه السيوطي بقوله : « كلا بل هو ثقة ثبت من رجال مسلم وأحد الاولياء الأبدال : والمصنف تبع ابن حبان في تجريجه وقد رد عليه » .

ثم انه ينبغي التعرض لثبوت الأخبار التي ذكرها المصنف بطرقهم وبيان وجه الاستدلال بها ، أما (الخبر الأول) وهو خبر كسر الأصنام فقد أخرجه الحاكم في المستدرک (١) عن علي (ع) وصححه قال : « لما كانت الليلة التي أمرني رسول الله (ص) أن أبيت على فراشه وخرج من مكة مهاجراً انطلق بي رسول الله (ص) الى الاصنام فقال اجلس فجلست الى جنب السكبة ثم صعد رسول الله (ص) على منكبي ثم قال : انهض فنهضت به فلما رأى ضعفي تحته قال : اجلس فجلست فأزلتني عني وجلس لي رسول الله (ص) ثم قال لي يا علي اصعد فصعدت على منكبيه ثم نهض بي رسول الله (ص) وخيل لي اني لو شئت نلت السماء وصعدت الى السكبة » الحديث ، ونحوه في مسند احمد (٢) لكن من دون تبيين الليلة ، وكذا في كنز العمال (٣) نقلاً عن ابن أبي شيبه وأبي يعلى في مسنده وابن جرير والخطيب . ووجه الدلالة فيه على المطلوب ان اختصاص أمير المؤمنين (ع) بمشاركة النبي (ص) في هذه الواقعة الجليلة الخطيرة بطلب من النبي (ص) دليل على فضله على غيره لاسيما وقد رقى على منكب دونه العيوق وهام الملائكة والملوك وقد أشار الشافعي الى هذه الواقعة مادحاً لأمر المؤمنين (ع) كما حكاه في نوابيع المودة (٤) فقال :

ذكره يحمد ناراً موصده	قيل لي قل في علي مدحاً
ضل ذو الالب الى أن عبده	فلم لا أقدم في مدح امرى
ليلة المعراج لما صعد	والنبي المصطفى قال لنا
فأحس القلب أن قد برده	وضع الله بظمري يده

(١) ص ٥ ج ٣ . (٢) ص ٨٧ ج ١ . (٣) ص ٤٠٧ ج ٦ .

(٤) في الباب ٤٨ .

وعلي واضح أقدامه في محل وضع الله يده
بل قد يقال بدلالة الحديث على امامة امير المؤمنين (ع) من وجه آخر وهو أن
ضعفه عن حمل النبي (ص) لما كان مخالفاً لما هو عليه من القوة العظيمة دل على أن
المنشأ في ضعفه هو رعاية جهة النبوة ولذا خيّل له ان لو شاء أن ينال السماء نالها فلا يرفع
على منكبيه بما هو نبي ملحوظ به جهة النبوة إلا من هو شريك له في أمره ومن هو
كنفسه وخليفته في أمته .

وأما (الحديث الثاني) وهو أنه لا يجوز على الصراط إلا من كان معه كتاب
بولاية علي (ع) فقد سبق مع دلالاته على المطلوب في الآية الحادية عشرة .

رد الشمس

وأما (الحديث الثالث) وهو حديث رد الشمس فقد أخرجه كثير بطرق كثيرة
وصححه جماعة قال ابن حجر في الصواعق (١) : « حديث ردها صححه الطحاوي
والقاضي في الشفاء وحسنه شيخ الاسلام أبو زرعة وتبعه غيره » ، لكن ابن الجوزي
على عادته في انكار ما صح في فضائل أمير المؤمنين (ع) زعم وضع الحديث وذكر بعض
طرقه فوهنها كما حكاه عنه السيوطي في اللئالي ، ولنذكر مجمل كلام ابن الجوزي قال بعد
ذكر حديث العقيلي عن أسماء بنت عميس : « موضوع اضطربت فيه الروايات رواه
سعيد بن مسعود عن أسماء بنت عميس بسند فيه فضيل بن مزروق ضعفه يحيى ، وقال
ابن حبان : يروي الموضوعات ، ويخطي على الثقات ، وذكر حديثاً آخر عن ابن شاهين
عن أسماء وفي سنده عبد الرحمن بن شريك قال أبو حاتم : وإني الحديث ، وشيخ ابن
شاهين ابن عقدة رافضي ربي بالكذب وهو المتهم به ، وذكر أيضاً حديثاً عن ابن
مردويه عن أبي هريرة وفي سنده داود بن فراس ضعفه شعبة » انتهى ما عن ابن الجوزي
وتعقبه السيوطي بقوله : « فضيل الذي أعل به الطريق الأول ثقة صدوق احتج به مسلم
في صحيحه وأخرج له الأربعة . وعبد الرحمن بن شريك وإن وهاه أبو حاتم فقد وثقه
غيره ، وروى عنه البخاري في الأدب . وابن عقدة من كبار الحفاظ والناس مختلفون
(١) في الفصل الثالث من الباب التاسع .

في مدحه وذمه ، قال الدارقطني كذب من اتهمه بالوضع ، وقال حمزة السهمي ما يتممه بالوضع إلا ذو الأباطيل ، وقال أبو علي : الحافظ أبو العباس امام حافظ محله محل من يسأل عن التابعين واتباعهم . وداود وثقه قوم وضعفه آخرون ! ثم الحديث صرح جماعة من الأئمة والحفاظ بأنه صحيح . قال القاضي عياض في الشفاء : أخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين أن النبي (ص) كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فذكر هذا الحديث : قال الطحاوي : وهذان الحديثان ثابتان ، وروايتها ثقات ، وحكي الطحاوي أن احمد بن صالح كان يقول : لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لأنه من علامات النبوة ، ثم ذكر السيوطي للحديث الأول طريقاً للطبراني ، وآخر للعقيلي ، وثالثاً للخطيب في تلخيص المتشابه ، ورابعاً لأبي بشير الدولابي في الذرية الطاهرة ، ثم قال : « ثم وقتت على جزء مستقل في جمع طرق هذا الحديث تخرج أبي الحسن شاذان الفضلي » ، ثم ساق له اثني عشر طريقاً عن علي واسماء وأبي هريرة وجابر بن عبد الله وأبي ذر ، لكن حديث أبي ذر هكذا : « قال علي يوم الفوري انشدكم بالله هل فيكم من ردت عليه الشمس غيري حين نام رسول الله (ص) وجعل رأسه في حجري حتى غابت الشمس فأنقته فقال يا علي : صليت العصر؟ قلت اللهم لا ، فقال : اللهم ارددها عليه فإنه كان في طاعتك وطاعة رسولك » ، ثم قال السيوطي : « وروى ابن أبي شيبه طرقاً من حديث اسماء » ، ثم قال : « ومما يشهد بصحة ذلك قول الامام الشافعي وغيره ما اوتي نبي معجزة إلا اوتي نبينا نظيرها أو أبلغ منها وقد صح أن الشمس حبست على يوشع ليالي قاتل الجبارين فلا بد أن يكون لنبينا نظير ذلك فكانت هذه القصة نظير تلك » انتهى ما في الأمثالي .

وقد نسج ابن تيمية على منوال ابن الجوزي فخكم بوضع الحديث قال المصنف (ره) في منهاج الكرامة : « التاسع رجوع الشمس له مرتين احدهما في زمن النبي (ص) والثانية بعده ، أما الاولى فروى جابر وأبو سعيد الخدري أن رسول الله (ص) نزل عليه جبرئيل يوماً يناجيه من عند الله فلما تغشاها الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين (ع) فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس فصلى علي العصر بالإيماء فلما استيقظ النبي (ص) قال

له : سل الله يرد عليك الشمس لتصلي العصر قائماً فدعا فردت الشمس فصلى العصر قائماً ،
وأما الثانية فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل استعمل كثير من أصحابه دوابهم وصلى
لنفسه في طائفة من أصحابه العصر وفاتت كثيراً فتكلموا في ذلك فسأل الله رد الشمس
فردت ، ونظمه الحميري فقل :

ردت عليه الشمس لما فاته وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
حتى تبلى نورها في وقتها للعصر ثم هوت هوي الكوكب
وعليه قد ردت ببابل مرة أخرى وما ردت لخلق مغرب

وأجاب ابن تيمية بانكار الحديثين ، واستشهد بكلام ابن الجوزي ، ثم نقل عن أبي
القاسم الحسكاني انه جمع طرق حديث ردها في أيام النبي (ص) في مصنف سماه (مسئلة
في تصحيح رد الشمس وترغيب النواصب الشمس) ثم ذكر ابن تيمية طريقه وهي اكثر
مما سبق أخرجه عن أمير المؤمنين واسماء وأبي سعيد وأبي هريرة ، وأورد عليه بامور ،
ولنذكرها مفصلة وإن كانت مشوشة في كلامه .

« الأمر الأول » عدم صحة طريقه وبالغ في النقد عليها حتى ضعف جملة من رجالها
وهم ممن احتج بهم مسلم والبخاري في الصحيحين ، فليت شمري كيف يجتمع هذا مع
قولهم بصحة أخبار الصحيحين أجمع وهل يسلم لهم خبر من نقد بعض رجاله بمثل تلك
النقود حتى يصح القول بصحته ، وكيف كان فنحن لا نضيع الوقت برد نقوده بعدما
صحح جملة من طرق الحديث الطحاوي والقاضي عياض والحافظ السيوطي والحاكم
الحسكاني وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ، وحسنها ابو زرعة وغيره ، ولا سيما
أن المطلوب الوثوق ولا ريب بحصوله من الطرق المستفيضة بل هو أشد وأقوى من
الوثوق من خبر صحيح أو أخبار صحاح ، وإذا ضمنت الى تلك الأحاديث أخبارنا
علمت أن ردها لأمير المؤمنين متواتر .

« الأمر الثاني » انه لو كان الواقعة أصل لكائن من أعظم عجائب العالم التي تتوفر
الدواعي الى نقلها ولم يختص نقلها بالقليل . ويرد عليه (أولاً) ان الدواعي الى عدم نقلها
اكثراً لأن الناس في أيام الأمويين وكثير من الأوقات أعداء لأمير المؤمنين «ع» ومجتهدون

في نقضه فكيف يستفيض بينهم نقل هذه الفضيلة العظيمة . (وثانياً) انه منقوض بانشقاق القمر الذي هو معجزة لنبينا « ص » ولا يشاركه فيها علي حتى تتوفر الدواعي الى اخفائها ومع ذلك لم يروها اكثر من رواية رد الشمس . ودعوى ابن تيمية الفرق بأن انشقاق القمر كان بالليل وقت نوم الناس باطلة لما في صحيح البخاري في تفسير اقتربت الساعة عن أنس قال : سألت أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر ، وفي سنن الترمذي في تفسير هذه السورة عن جبير بن مطعم قال : انشق القمر على عهد رسول الله « ص » حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقالوا : سحرنا محمد ، فقال بعضهم : لان كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم . (وثالثاً) ان السبب في عدم تواتر نقل مثل هذه الوقائع في الكتب هو أن عامة الناس كانوا أميين وما كان التاريخ والتأليف مألوفاً بين من يعرف الكتابة منهم بلا فرق بين المسلمين وغيرهم ، ولذا لم يعرف مؤلف في تلك العصور ولم يصل إلينا من معجزات النبي « ص » إلا القليل ولا سيما من طرق السنة وإنما وقع التأليف نادراً في التابعين وكثر في تبع التابعين ، على حين لم يبق من ذكر الحوادث السالفة إلا ما ندر وتناسى الناس فضائل أمير المؤمنين خوفاً أو عناداً لا سيما ما هو صريح في امامته .

« الأمر الثالث » ان خصوصيات الروايات متنافية من وجوه وهو يكشف عن كذب الواقعة (الأول) دلالة بعضها على طلوع الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض وبعضها حتى توسطت السماء وبعضها حتى بلغت نصف المسجد وهذا دال على أن ذلك بالمدينة لأن المقصود مسجدها وكثير من الأخبار يدل على أنه بالصها في غزوة خيبر (الثاني) ان بعضها يدل على أن النبي « ص » كان يوحى اليه وبعضها كان ناعماً ثم استيقظ (الثالث) دلالة بعضها على أن علياً كان مشغولاً بالنبي « ص » وبعضها على انه كان مشغولاً بقسم الغنائم الى غير ذلك من الخصوصيات المتنافية . و (الجواب) أن تنافي الخصوصيات لا يوجب كذب أصل الواقعة وإنما يقتضي الخطأ في الخصوصيات ، إذ لا ترى واقعة تكررت طرقها إلا واختلف النقل في خصوصياتها ، حتى أن قصة انشقاق القمر قد وردت في الرواية التي تقدمت عن الترمذي بأن القمر صار فرقتين على جبلين

وفي رواية أخرى للرمذي انشق فلقَتين فلقمة من وراء الجبل وفلقة دونه وفي صحيح البخاري فرقة فوق الجبل وفرقة دونه على أنه لا تنافي بين تلك الخصوصيات لأن المراد بجميع الخصوصيات في الوجه الأول هو رجوع الشمس الى وقت صلاة العصر كما صرح به بعض الأخبار لاسكن وقعت المبالغة في بعضها بأنها توسطت السماء والمبالغة غير عزيزة في الكلام ، كما أن وقوع رد الشمس في غزوة خيبر لا ينافي بلوغها نصف المسجد ، وأما (الخصوصيات) في الوجه الثاني فلا تنافي بينها ايضاً لصحة حمل نوم النبي « ص » على غشية الوحي والاستيقاظ على تسريبه ولذا عبر بعض الأخبار بالاستيقاظ بعد ذكر نزول جبرئيل وتمشي الوحي للنبي « ص » ، وأما (الخصوصيات) في الوجه الثالث فهي أظهر لعدم التنافي بينها إذ لا يبعد أن قسم الغنائم هو الحاجة اليه وقعت قبل شغل علي « ع » بالنبي « ص » لا في عرضه ، وعلى هذا القياس في سائر الخصوصيات التي يتوهم تنافيا .

« الأمر الرابع » اشتمال الأحاديث على المنكرات ! منها (ان رسول الله « ص » قال : يا رب ان علياً في طاعتك وطاعة رسولاك فأردد عليه الغموس . قال ابو سعيد : فوالله لقد سمعت للشمس صريراً كصرير البكرة حتى رجعت بيضاء نقية .) (ومنها) انها لما غابت سمع لها صرير كصرير المنشار . (ومنها) انها أقبلت ولها صرير كصرير الرحي ، وإنما قلنا ان هذه منكرات لأن الشمس لا تلاقي من الأجسام ما يوجب هذه الأصوات التي تصل من فلك الشمس الى الأرض ، و (الجواب) ان الله سبحانه لا يعجز عن احداث الصوت ليكون للسمع حظ من هذه الفضيلة كما للبصر فيزيد التيقن بها والاتلفات البها ، ولو تسربنا الى هذه المناقشات منعنا انشقاق القمر وسقوط شقيه على الجبلين أو الجبل وما دونه فانه اكبر من ذلك ، فإذا اجيب ههنا بأن الله شقه وصغر جرمه وأنزله الى الأرض ايضاحاً للحجة فليجب بمثله في المقام ، (ومما اشتملت عليه من المنكرات) بزعم ابن تيمية نوم النبي « ص » بعد صلاة العصر وهو مكروه لا يفعله النبي « ص » ، وهو ايضاً تنام عيناه ولا ينام قلبه فكيف يفوت على علي صلانه ، ثم ان تفويت الصلاة ان كان جائزاً لم يكن على علي اثم إذا صلى العصر بعد الغروب وليس علي أفضل من النبي (ص)

والنبي قد فاتته العصر يوم الخندق ولم ترد عليه الشمس وقد نام ومعه علي وسائر الصحابة عن الفجر حتى طلعت الشمس ولم ترجع الى الشرق ، وإن كان التفويت محرماً فهو من الكبار ، ومن فعل هذا كان من مثالبه لا من مناقبه . ثم إذا قات لم يسقط الاثم عنه بعود الشمس .

والجواب ان النبي « ص » لم ينم كما عرفت وإنما تغشاه الوحي وما ذكره من أن النبي « ص » تنام عيناه ولا ينام قلبه يجب أن يجعله دليلاً على كذب رواية نومه (ص) عن صلاة الصبح وكذب رواية نسيانه الصلاة يوم الخندق كما أوضحناه في مباحث النبوة ، فحينئذ يبطل نقضه بعدم رد الشمس للنبي « ص » لما فاتته الصلاة في الوقتين وهو أفضل من علي « ع » ، علي أن فضل النبي (ص) لا يستلزم أولوية ردها له لجواز أن يكون ردها لعلي (ع) دفعاً لطمع أهل النفاق فيه بترك الصلاة فردت له ليعلم انه في طاعة الله تعالى بشاهد جلي أو لغير ذلك من الحكم المقتضية لتخصيصه دون النبي (ص) على أن علياً (ع) لم يترك أصل الصلاة فإنه صلاها ايماء كما صرح به بعض الأخبار وإنما ردها الله سبحانه له لينال فضل الصلاة قائماً في وقتها ، ويظهر فضله وكمال طاعته وليقطع ألسنة المنافقين ، وبهذا يعلم ما في قوله ان كان جائزاً لم يكن علي عليه السلام إذا صلى العصر بعد الغروب ، فإن الداعي لردها ليس رفع الاثم بل تلك الحكم المذكورة ، فقد ظهر أن المناقشة في الحديث إنما هي من السفاسف .

وأما دلالة علي امامة أمير المؤمنين (ع) فأجلى من الشمس لأنه من أعظم الأدلة على الاهتمام بشأنه وفضله على جميع الأصحاب بما لا يحلم أن يناله أحد منهم . هذا كله في ردها له في حياة النبي (ص) وبروى ردها له بعد وفاته (ص) ، كما ذكره المصنف (ره) ، وحكاه ابن أبي الحديد في شرح النهج (١) عن نصر بن مزاحم بسنده عن عبد خير قال : « كنت مع علي في أرض بابل وحضرت صلاة العصر فجعلنا لأنا في مكاناً إلا رأيناه أقبح من الآخر حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا وقد كادت الشمس أن تغيب ، قال : فنزل علي فنزلت معه فدعا الله فرجعت الشمس فكفدارها من صلاة

العصر فصليت العصر ثم غابت « ونقل في ينابيع المودة (١) عن المناقب عن الحسين عليه السلام قال : « لما رجع أبي من قتال النهر وان سار في ارض بابل وحضرت صلاة العصر فقال هذه ارض مخسوفة وقد خسفها الله ثلاثاً ولا يحل لوصي نبي ان يصلي فيها قال جويرية بن مسهر العبدي : صلى الناس هنا وتبعت بمائة فارس أمير المؤمنين الى أن قطعنا ارض بابل والشمس قد غربت فزل وقال : آتني الماء فأتيته الماء فتوضأ وقال يا جويرية اذن للعصر فقلت في نفسي : كيف يصلي العصر وقد غربت الشمس فأذنت وقال لي أقم فأقت وإذ أنا في الإقامة تحركت شغته وإذ رجعت الشمس وصلينا وراه فلما فرغنا من الصلاة غابت الشمس بسرعة كأنها سراج وقعت في طشت ماء واشتبتك النجوم والتفت إلي وقال : اذن للمغرب يا ضعيف اليقين . ونقل في الينابيع ايضا عن اخطب خوارزم بسنده عن مجاهد أن ابن عباس أتى على أمير المؤمنين (ع) في كلام قال فيه : « وردت عليه الشمس مرتين » .

حديث السطل والماء والمندبل

وأما الحديث الرابع وهو حديث السطل والماء والمندبل فقد حكاها ايضا في الينابيع (٢) عن ابن المغازلي وصاحب المناقب واخطب خوارزم بأسانيدهم عن انس .

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وأما الحديث الخامس وهو حديث النداء يوم أحد فقد رواه الطبري في تاريخه (٣) وابن الأثير في كامله (٤) وكذا ابن أبي الحديد في شرح النهج (٥) ناقلا له عن غلام تغلب ومحمد بن حبيب في أماليه وجماعة من المحدثين ، ثم قال : « وهو من الأخبار المشهورة ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن اسحق ورأيت بعضها خاليا عنه وسألت شيخني عبد الوهاب بن سكينه عن هذا الخبر فقال صحيح » . أقول : ويكفي في صحته استفاضته لاسيما بضميمة أخبارنا .

(١) في الباب ٤٧ . (٢) في الباب ٤٩ . (٣) ص ١٧ ج ٣ .

(٤) ص ٧٤ ج ٣ . (٥) ص ٣٧٢ ج ٣ .

وأما صدور النداء يوم بدر فقد تقدمت روايته في أول المبحث وأشار إليها صبط ابن الجوزي في تذكرة الحفاظ ، ونقل أيضاً عن أحمد في الفضائل وصححه: وقوع النداء يوم خير وانهم سمعوا تنكبيراً من السماء في ذلك اليوم وقائلاً يقول : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » .

فاستأذن حسان رسول الله (ص) أن ينفذ شعراً فأذن له فقال :

جبريل نادى معلماً	والنقع ليس ينجلي
والمسلمون أهدقوا	حول النبي المرسل
لا سيف إلا ذو الفقار	ر ولا فتى إلا علي

فلا ريب بصدور النداء بذلك من جبرئيل ولو في أحد هذه المواطن الثلاثة وهو صريح في نفي الفتوة أي السخاء بالنفس عن غير علي (ع) ، فيدل على أنه استخفى الناس بنفسه لله واطوعمهم له والفضل في الطاعة فرع الفضل الذاتي والأفضل أحق بالامامة ويشهد لفضله الذاتي قول النبي (ص) في الحديث هو مني وأنا منه وقول جبرئيل : وأنا منكما .

٢٤ - حديث الحق مع علي

قال المصنف رفع الله ربه

(الرابع والعشرون) في الجمع بين الصحاح الستة عن النبي (ص) قال : رحم الله علياً اللهم ادر الحق معه حيث دار ، وروى الجمهور قال (ص) نهار: ستكون في امتي بمدي هناة واختلاف حتى يختلف السيف بينهم حتى يقتل بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض ، يا عمار تقتلك الفئة الباغية وانت إذ ذاك مع الحق والحق معك إن علياً لن يدينك من ردى ولن يخرجك من هدى ، يا عمار من تقلد سيفاً اعان به عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در ومن تقلد سيفاً اعان به عدوه قلده الله وشاحين من نار فإذا رأيت ذلك فمليك بهذا الذي عن يميني يعني علياً وإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادياً سلكه علي واخل الناس طراً ، يا عمار إن علياً

لا يزال على هدى ، يا عمار إن طاعة علي من طاعتي وطاعتي من طاعة الله تعالى ، وروى احمد بن موسى بن مردويه من الجمهور من عدة طرق عن عائشة ان رسول الله (ص) قال : الحق مع علي وعلي مع الحق لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .

وقال الفضل

صح في الصحاح ان رسول الله (ص) قال لعمار : ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، وباقي ما ذكر ان صح دل على ان علياً كان مع الحق ايماً دار وهذا شيء لا يرتاب فيه حتى يحتاج الى دليل بل هذا دليل على حقيقة الخلفاء لأن الحق كان مع علي وعلي كان معهم حيث تابعهم وناصحهم فثبت من هذا خلافة الخلفاء وانها كانت حقاً صريحاً ، واما من خالف علياً من البغاة فذهب اهل السنة والجماعة ان الحق كان مع علي وهم كانوا على الباطل ولا شك في هذا .

وأقول

روى لفظ الحديث الأول الترمذي في فضائل علي (ع) والحاكم ايضا في فضائله من المستدرک (١) ونقل في الصواعق (٢) عن الذهبي انه صحح طرقاً كثيرة لدعاء النبي (ص) لعلي في غدیر خم المشتمل على قوله : « وأدر الحق معه حيث دار » وحكى ابن ابی الحديد (٣) عن ابی القاسم البجلي وتلامذته من المعتزلة قالوا : لو نازع علي عقيب وفاة رسول الله (ص) وسل سيفه لحكنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه كما حكنا بهلاك من نازعه حين اظهر نفسه الى ان قالوا : وحكه حكم رسول الله (ص) لأنه قد ثبت عنه في الاخبار الصحيحة انه قال : علي مع الحق والحق مع علي يدور حينا دار ، وحكم ابن ابی الحديد ايضا بثبوت هذا الحديث (٤) في شرح الخطبة التي يقول فيها ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ، ونقل في كنز العمال (٥) عن ابی يعلى وسعيد بن منصور بسندهما عن ابی سعيدان النبي (ص) قال : الحق مع ذا الحق

(١) ص ١٢٤ ج ٦ . (٢) في الفصل ٥ من الباب ١ في الشبهة ١١ . (٣) ص ٢١٢

ج ١ . (٤) ص ٤٢٢ ج ٢ . (٥) ص ١٥٧ ج ٦ .

مع ذا يعني علياً ، وحكى في السكز ايضاً (١) عن الديلمي عن عمار وابي ايوب ان رسول الله (ص) قال : « يا عمار ان رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ودع الناس انه لن يهلك على ردى ولن يخرجك من هدى » وهذا بعض الحديث الذي ذكره المصنف (ره) ، وذكره بنامه إلا القليل في كشف الغمة نقلاً عن الخوارزمي عن أبي أيوب ، والأخبار الدالة على أن الحق مع علي والحق معه إما بلفظه أو بمعناه أكثر من أن تحصى وهي متواترة معنى ، وقد تقدم منها ما صرح بأنه فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل ، ومنها أحاديث التمسك بالثقلين وان أهل البيت سفينة النجاة ، فإذا كان علي مع الحق والحق معه يدور حيث دار وجب أن يكون معصوما والعصمة شرط الامامة ولا معصوم غيره من الصحابة اتفاقاً ، وايضاً يلزم منه بطلان خلافة أبي بكر ولا سيما في الستة أشهر التي امتنع فيها عن بيعة أبي بكر كما رواه البخاري في غزاة خيبر وغيره ، وأما مبايعته بعد ذلك فلم تقع إلا قهراً كما أن مناصحته لهم بعد مشاورتهم له في بعض الامور إنما هي لاصلاح الدين لا لترويج امرتهم ، ولذا ما زال يتظلم منهم ووقع بينهم وبينه من النفورة والعداوة ما هو جلي لـ لكل احد .

وأما ما ذكره في شأن البغاة فهو اقرار بأن صاحبة الجمل واصحابها ومعوية وأنصاره كانوا مبطلين ومطالبيين عند الله تعالى بأمر عظيم وهو إلقاء الفتنة الى يوم الدين وازهاق نفوس الآلاف من المسلمين الذي لا تنجي منه التوبة بالقول لو صدرت ما لم يعطوا النصف من أنفسهم ويخرجوا عن المظالم الى أهلها ، والاقرار بذلك لا يناسب تعظيمهم لهم وجعل تفضيل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام وجعل الزبير حوارى رسول الله « ص » ومعوية هادياً مهدياً .

٢٥ - حديث الثقلين وما بعناه

قال المصنف طاب ثراه

(الخامس والعشرون) روى احمد بن حنبل في مسنده أن النبي « ص » أخذ بيد

الحسن والحسين وقال : من أحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة ، وفيه عن جابر قال : قال رسول الله « ص » ذات يوم بعرفات وعلي نجاهاه : اذن مني يا علي خلقت أنا وأنت من شجرة فأنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعاق بعصن منها ادخله الله الجنة ، وفيه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله « ص » : إني قد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : الثقلين ، وأحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وإنها لن يفترقا حتى يردها علي الحوض ، ورواه احمد بن محمد بن عمار ، وفي صحيح مسلم في موضعين عن زيد بن أرقم قال : خطبنا رسول الله « ص » بماء يدعى خأ بين مكة والمدينة ثم قال بعد الوعظ : أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإنني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي : وروى الزمخشري وكان من أشد الناس عناداً لأهل البيت وهو الثقة المأمون عند الجمهور قال بإسناده قال رسول الله « ص » : فاطمة مهجة قلبي وابناها عمرة فؤادي وبعلمها نور بصري والأئمة من ولدها امناء ربي وجبل ممدود بينه وبين خلقه من اعتصم بهم نجا ومن تخلف عنهم هوى ، وروى الثعلبي في تفسير قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » بأسانيد متعددة عن رسول الله « ص » قال أيها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتي إن أخذتم بها لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنها لن يفترقا حتى يردها علي الحوض ، وفي الجمع بين الصحيحين إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي خيراً .

وفال الفضل

هذه الأخبار بعضها في الصحاح وبعضها قريب المعنى منها ، وحاصلها التوصية بحفظ أحكام الكتاب وأخذ العلم منه ومن أهل البيت وتعظيم أهل البيت ومحبتهم وموالاتهم ، وكل هذه

الامور فرضة على المسلمين ولا فائل بعدم وجوبه على كل مسلم ، واسكن ليس فيما ذكر نص على خلافة علي بعد رسول الله ص « لأن هذا هو الوصية بالحفظ وأخذ العلم منهم وجعلهم قراءا للقرآن يدل على وجوب التعظيم وأخذ العلم عنهم والافتداء بهم في الأعمال والأقوال وأخذ طريق السنة والمتابعة من أعمالهم ، ولا يلزم من هذا خلافتهم ، وليس هو بالنص في خلافتهم بعد رسول الله ص « و مراد النبي ص « توصية الأمة بحفظ القرآن ومتابعة أهل البيت وتعظيمهم وهذا ما لا نزاع فيه .

وأقول

حديث الثقلين مستفيض أو متواتر ، وقد رواه احمد في مسنده من طرق كثيرة جداً عن جماعة ، ورواه الترمذي في مناقب أهل البيت من سنده عن خمسة من الصحابة ورواه مسلم في فضائل علي « ع » من عدة طرق عن زيد بن ارقم ، ورواه الحاكم في المستدرک (١) عن زيد ايضاً من طريقين ، وقال ابن حجر في الصواعق عند تعرضه لحديث الثقلين (٢) : « الحاصل ان الحث وقع على التمسك بالكتاب والسنة وبالعلماء بها من أهل البيت ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الامور الثلاثة الى قيام الساعة » ، ثم قال : « اعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً » . ودلالته على امامة علي وولده ظاهرة من وجوه : (الأول) أن نصريحه بأن الكتاب والعترة لا يفترقان دال على علمهم بما في الكتاب وانهم لا يخالفونه قولاً وعملاً ، والأول دليل الفضل على غيرهم والأفضل أحق بالامامة ، والثاني دليل العصمة التي هي شرط الامامة ولا معصوم غيرهم .

(الثاني) انه جعلهم عديلاً للقرآن فيجب التمسك بهم مثله واتباعهم في كل أمر ونهي ولا يجب اتباع شخص على الاطلاق إلا النبي أو الامام المعصوم .

(الثالث) انه عيّر عن الكتاب والعترة بخليفتين كما في حديث الثعلبي الذي ذكره المصنف {ره} وحديث احمد في مسنده (٣) عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ص { :

(١) ص ١٠٩ ج ٣ . (٢) في الآية الرابعة من الآيات الواردة في أهل البيت وهي

قوله تعالى : « وقفوهم انهم مسؤولون » . (٣) ص ١٨٢ و ص ١٨٩ ج ٥ .

« إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي وإنها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » ومن الواضح ان خلافة كل شيء بحسبه ، خلافة القرآن بتحملة احكام النبي { ص } ومواعظه وانذاره وسائر تعاليمه ، وخلافة الشخص بامامته وقيامه بما يحتاج اليه الأمة ونشر الدعوة وجهاد المعاندين .

(الرابع) ان النبي { ص } ذكر في مفتتح الحديث قرب موته كقوله : يوشك أن يأتيني رسول ربي فاجيب ، أو قوله : كئأني قد دعيت فأجبت ، أو نحو ذلك كما في احاديث مسلم وأحد حديثي الحاكم وحديث احمد (١) عن زيد بن ارقم وحديثه (٢) عن أبي سعيد ثم قال النبي { ص } : « إني تارك فيكم الثقلين » ومن المعلوم أن ذا السلطان والولاية الذي له نظام يلزم العمل به بعده إذا ذكر موته وقال إني تارك فيكم فلاناً وكتاباً حافظاً لنظامي لم يفهم منه إلا ارادة العهد الى ذلك الشخص بالامرة بعده خصوصاً وقد قال رسول الله « ص » من كنت مولاه فعلي مولاه أو من كنت وليه فعلي وليه كما في حديثي الحاكم وغيرها ، ولا يبعد أن وصية النبي { ص } بالثقلين كانت في غدير خم أو انه أحد مواردها لقوله في حديث مسلم : خطبنا رسول الله { ص } بماء يدعى خمّاً ، ولقوله { ص } في بعض الأحاديث : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فانه صادر بالغدير فيكون قد عهد النبي { ص } في خم بالخلافة الى أهل البيت عمومًا وإلى علي خصوصاً فكان الخليفة بعده أمير المؤمنين ثم الحسنان ، وقد بيّنا في الآية الثالثة ان أهل البيت لا يشمل بقية أقارب النبي { ص } .

(الخامس) قوله ص : إني تارك فيكم أسرين لن تضلوا إن اتبعتموها ، كما في أحد حديثي الحاكم وصححه على شرط الشيخين ، ونحوه ما في الصواعق (٣) وصححه ، وقوله { ص } : قد تركت فيكم الثقلين خليفتين ان أخذتم بها لن تضلوا بعدي ، كما في حديث الثعالبی الذي ذكره المصنف « ره » ، وقوله « ص » : إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي ، كما في حديث الترمذي عن زيد بن ارقم ، وقوله (ص) : إني تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا ، كما في حديث الترمذي عن جابر وحديث احمد (٤)

(١) ص ٣٦٧ ج ٤ . (٢) ص ١٧ ج ٣ . (٣) في المقام السابق .

(٤) ص ٥٩ ج ٣ .

عن أبي سعيد ، فإن كل واحد من هذه الأقوال صريح في إعلان خلافة المشايخ الثلاثة لأنه (ص) رتب عدم ضلال امته دائماً وأبداً على التمسك بالثقلين وبالضرورة ان الضلال واقع ولو أخيراً لا اختلاف الأديان وفساد الأعمال ، فيعلم انهم لم يتمسكوا في أول الأمر بالعترة والكتاب وان خلافة الثلاثة خلاف التمسك بها ولذا وقع الضلال ، ولا يرد النقص بأن الأمة تمسكت بالعترة حين بايعت علياً « ع » ومع ذلك وقع الضلال المذكور ، وذلك لأن المراد هو التمسك بالعترة كالكتاب بعد النبي (ع) بلا فصل ، على ان الأمة لم تتمسك بعلي « ع » بعد مبايعته لمخالفة الكثير منهم له حتى انتقضت آيانه بحرب الأمة فأين تمسكها بالعترة وأين تمسكها بالكتاب وهو قد قاتلهم على تأويله « فإن قلت » لعل المراد انكم إن تمسكتم بها لن تضلوا ما دمتم متمسكين بها فلا يدل ضلالهم أخيراً على عدم تمسكهم أولاً « قلت » هذا احتمال خارج عن الظاهر حتى بلحاظ قوله في خبري الترمذي المذكورين ما أن تمسكتم به وما أن أخذتم به ، لأن (ما) فيها مفعول به اتركت وتارك ، لا ظرفية زمانية .

فقد ظهر من هذه الوجوه الخمسة دلالة الحديث على أن الامامة في العترة الطاهرة لا على مجرد الوصية بأخذ العلم منهم ، ولوسلم فن الواضح دلالة الحديث على وجوب أخذ العلم منهم وعدم جواز مخالفتهم كالقرآن ، وحينئذ فيجب اتباع قولهم في الامامة وفي صحة امامة شخص وعدمها لأنه من أخذ العلم منهم ، ومن المعلوم اذ علياً خالف في امامة أبي بكر ولو في بعض الأوقات فتبطل ولو في الجملة ، وهذا خلاف مذهب القوم فكيف وقد ادعى ان الحق له من يوم وفاة الرسول (ص) الى حين موته هو « ع » ، وتظلم منهم مدة حياته كما سبق ، وايضاً لم تتبع الامامة عترة النبي (ص) في أمر الخمس والمتمتعين وكثير من الأحكام فيكونون ضلالاً ، وما أدري متى تمسكت الامامة بالعترة أي في زمن أمير المؤمنين أو في زمن أبنائه الطاهرين ، وقد تركوا كلا منهم حبيساً بمتته لا يسمع له قول ، ولا يتبع له أمر ، ولا يؤخذ منه حكم ، بل جعلوا عداوتهم وسبهم ديناً وحاربوهم بالبصرة والشام والكوكة وسبوا نساءهم سبي الترك والديلم . فهل تراهم مع هذا قد تمسكوا بهم أو نبذوهم وراء ظهورهم وانقلبوا على الأعقاب كما ذكره سبحانه في عزيز الكتاب ! .

هذا ولا يخفى أن الحديث دال على بقاء العترة الى يوم القيامة لامور : « الأول » قوله (ص) فيه : إني تارك فيكم الثقلين ، فانه دال على انه ترك فيهم ما يحتاجون اليه وما هو كاف في حصول حاجتهم ، وبالضرورة انه لو لم يدم الثقلان لم يكفيا لأن الامة محتاجة مدى الدهر الى الأحكام والحكام .

« الثاني » قوله : إن تمسكنم بها لن تضلوا فإن تأييد عدم الضلال موقوف على تأييد ما يتمسك به .

« الثالث » قوله (ص) : لن يفترقا ، فانه لو لم يكن في وقت من الأوقات من قرين الكتاب من العترة لافترق الكتاب عنهم ، وقد أقر ابن حجر في عبارته السابقة بأفادة الحديث بقاء العترة الى يوم القيامة : وقال بمد ذلك : « وفي احاديث التمسك بأهل البيت اشارة الى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به الى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك ، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي ، ويشهد لذلك الخبر السابق في كل خلف من امتي عدول من أهل بيتي ... » الى آخره . أقول : أراد بالخبر السابق ما نقله قبل هذا الكلام عن الملا في سيرته ان النبي (ص) قال : (في كل خلف من امتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، ألا وان أمتكم وفدكم الى الله عز وجل فانظروا من توفدون) وليت شعري إذا علم ابن حجر ذلك فما باله أنكر امامة العترة ودان بامامة أضدادهم وتمسك بالشجرة الملعونة في القرآن ، وكيف حل له أن يترك الأخذ بمن ينفون عن الدين تحريف الضالين ويرجع في أحكامه الى من حرفوا الدين بشهادة مخالفهم لمن ينفون عنه التحريف ، بل لم يكتف ابن حجر وأصحابه حتى عينوا لأخذ الأحكام أنفسهم الأربعة وحرّموا الرجوع الى أهل البيت ، فهل هذا من التمسك بالكتاب والعترة الذين لا يفترقان الى يوم القيامة .

هذا كله في حديث الثقلين ، وأما غيره مما ذكره المصنف (ره) فالخبر الأول قسم رواه احمد (١) ورواه الترمذي في منساقب علي من سفته وحسنه ، ودلالته على أن الامامة في العترة ظاهرة لأن النبي « ص » ساواهم معه دون من سواهم في أن

من أجهم نال تلك المنزلة الرفيعة والمرتبة السامية الدالة على الفضل عند الله سبحانه والقرب منه فيثبت لهم الفضل على غيرهم وتكون الامامة بهم . ومثله في الدلالة على المطلوب الخبر الثاني الذي حكاه المصنف عن احمد بن جابر ولم أجده في مسنده ولا يبعد انه مما نالته يد الاستقاط كما هو العادة ، وقد تقدم في الآيات الحادية والأربعين ما يصدق هذا الحديث ، ونقل السيوطي في الثمالي المصنوعة ما هو قريب منه عن ابن مردويه بسند فيه عباد بن يعقوب أن النبي « ص » قال : مثلي مثل شجرة أنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمرتها والشيعمة ورقها فأني شيء يخرج من الطيب إلا الطيب ، قال ابن الجوزي : « عباد رافضي يروي المناكير » . أقول : لا وجه لذكر حديثه في الموضوعات وإلا لجر الطعن الى صحاحهم ، لأنه ممن روى له البخاري في صحيحه وروى له الترمذي وابن ماجة ووثقه جماعة ، ونست مناكيره عندهم إلا رواياته في فضل آل محمد « ص » ، قال ابن عدي : « روى أحاديث في الفضائل أنكرت عليه » كما حكاه عنه في ميزان الاعتدال ، وأظهر من الحديثين المذكورين في الدلالة على مذهب الامامية حديث الترخشري فتبصر واعتبر .

٢٦ - حديث الكساء

قال المصنف فرس الله روم

(السادس والعشرون) في مسند احمد بن حنبل من عدة طرق وفي الجمع بين الصحاح الستة عن ام سلمة قالت : كان رسول الله « ص » في بيتي فأنت فاطمة فقالت : ادعي زوجك وابذك فجاء علي وفاطمة والحسن والحسين وكان تحته كساء خيري ، فأنزل الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فأخذ فضل الكساء وكساهم به ، ثم أخرج يده فألوى بها الى السماء وقال : هؤلاء أهل بيتي ، فأدخلت رأسي البيت وقلت : وأنا معهم يا رسول الله ، قال : إنك الى خير ، وقد روي نحو هذا المعنى من صحيح أبي داود وموطأ مالك وصحيح مسلم في عدة مواضع وعدة طرق .

وقال الفضل

ان الامة اختلفت فيها انها فيمن نزلت وظاهر القرآن بدا، على انها نزلت في أزواج النبي « ص » ، وان صدق في النقل عن الصحاح فكانت نازلة في آل العباء، وهي من فضائلهم ولا تدل على النص بالامامة .

وأقول

سبق في الآية الثالثة ما فيه تبصرة ومعتبر وليت شعري كيف تكون ذاهبة الرجس طاهرة عند الله سبحانه من ضرب مثلها في الكتاب العزيز بامرأة نوح وامرأة لوط .

٢٧ - حديث اهل بيتي أمان لأهل الأرض

قال المصنف طاب ثراه

(السابع والعشرون) في مسند احمد بن حنبل قال رسول الله (ص) : النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب ذهبوا وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض ، ورواه صدر الأئمة موفق بن احمد المكي ، وفي مسند احمد قال رسول الله (ص) : اللهم إني أقول كما قال أخي موسى : اجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي اشدد به ازري وأشركه في أمري .

وقال الفضل

هذا موافق في المعنى للحديث المذكور قبل ، وهو انه (ص) قال لعلي : أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا انه لا نبي بعدي ، ومراد موسى في قوله : وأشركه في أمري الاشراك في أمر النبوة ودعوة فرعون وهذا لا يصح هناك لقوله : إلا أنه لا نبي بعدي ، اللهم إلا ان يراد المشاركة في دفع الكفار بالحرب وتبليغ العلم .

وأقول

التي

سبق دلالة هذا الحديث ورواه في آخر آية من الآيات ذكرناها في الخاتمة فراجع وما زعمه من إرادة المشاركة في دفع الكفار وتبليغ العلم ظاهر البطلان لأن النبي (ص)

إنما سأل عمن ما سأله موسى «ع» بقوله : وأشرکه فی أمری ، ومن الواضح أن موسى لم يرد المشاركة في دفع الكفار لانه قد طلب دفعهم بطلب جملة وزيراً ، فإن دفع الاعداء أظهر فوائد الوزارة فلا حاجة لاعادة هذا الطلب بقوله : وأشرکه فی أمری ، فينبغي أن يريد المشاركة في النبوة والرياسة على الامة وتحمل العلوم الى نحو ذلك ، فإذا دعا النبي «ص» بما دعا به موسى عليه السلام ثبتت لعلي المشاركة في كل ذلك سوى النبوة للدليل المخرج لها ، على أن ظاهر الاخبار كون المشاركة من خواص أمير المؤمنين «ع» فلا يراد بها المشاركة في دفع الكفار وتبليغ العلم لأنها لا تخص علياً «ع» إلا أن يراد بها أعلى مراتب المشاركة في الدفع والتبليغ بحيث لا يعد غيره مشاركاً بالنسبة اليه فله وجه ، ولكنه ايضاً مثبت للمطلوب لانه فرع الفضل العظيم على غيره والا فضل أحق بالامامة وقد تقدم في الحديث التاسع ما ينفعك فراجع .

واعلم ان الحديث الأول الذي حكاه المصنف «ره» عن احمد وموفق بن احمد لم يتعرض الفضل لجوابه غفلة أو تغافلاً ، وقد حكاه غير المصنف عن المسند كصاحب بنابيع المودة وابن حجر في الصواعق كما ستعرف وأنا لم أجده في المسند بعد التتبع ، والظاهر أن ايدي التلاعب لعبت في اسقاطه ، ولعل الحديث الآخر كذلك ، ولا ريب أنه من أدل الامور على امامة أهل البيت عليهم السلام ، إذ لا يكون المكلف أماناً لأهل الأرض إلا لكرامته على الله تعالى وامتيازه في الطاعة والمزايا الفاضلة مع كونه معصوماً فان العاصي لا يأمن على نفسه فضلاً عن أن يكون أماناً لغيره ، ولا سيما إذا كان عظيماً فان المعصية من العظيم أعظم والحجة عليه أتم ، فإذا كانوا أفضل الناس ومعصومين فقد تعينت الامامة لهم وهو دليل على بقائهم ما دامت الأرض كما هو مذهبنا ، وقد جعل الله تعالى هذه الكرامة العظيمة لنبيه «ص» قبل أهل بيته فقال سبحانه : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » وأشار الى ذلك ابن حجر في صواعقه (١) فقال : « السابعة قوله تعالى : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) أشار (ص) الى وجود هذا المعنى في أهل بيته وانهم أمان لأهل الأرض كما كان هو «ص» أماناً لهم ، وفي ذلك احاديث

(١) عند الكلام على الآية السابعة من الآيات الواردة في أهل البيت «ع» .

كثيرة » ثم ذكر أخباراً من جملتها رواية احمد التي ذكرها المصنف (ره) اولاً ، وحكى في كنز العمال في فضائل أهل البيت (١) عن ابن أبي شيبه ومسدد والحكيم وأبي يعلى والطبراني وابن عساكر ، انهم رَوَوْا عن سلمة بن الأكوع ان النبي (ص) قال : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي ، وروى الحاكم في المستدرک (٢) وصححه عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : النجوم أمان لأهل الأرض من الفرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس . وهو كالأول في الدلالة على امامتهم إذ شأن الامام أن يكون أماناً من الاختلاف لعلمه وعصمته فلا يختلف في الدين من اتبعه ولا في الدنيا لمنعه الناس عن ظلم بعضهم بعضاً لو بسطت يده . وقريب من هذه الأخبار ما استفاض عن رسول الله : « إنا مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح » ، « وإنا مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل » قال ابن حجر بعد كلامه السابق : « جاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضها ، إنا مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ، وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق وفي رواية هلك ، وإنا مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غمر له وفي رواية غمر له الذنوب » وروى الحاكم في المستدرک (٣) عن أبي ذر : سمعت رسول الله (ص) يقول : ألا ان مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وحكى مثله في كنز العمال (٤) عن البزار عن ابن عباس ، وحكى مثله أيضاً بابدال غرق بهلك عن ابن جرير والحاكم عن أبي ذر ، وكذا عن الطبراني عن أبي ذر مع زيادة قوله ومثل باب حطة في بني اسرائيل .

وهذه الأخبار كالتى قبلها في الدلالة على المطلوب لأنها صريحة في أن أهل البيت (ع) محل الاتباع ووجوب الطاعة وأنه باتباعهم تحصل النجاة والفقران وبالتخلف عنهم يكون الهلاك ، وهو مقتضى الامامة ، ولذا جاء في الخبر على باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً نقله في السكز (٥) عن الدارقطني عن ابن عباس

(١) ص ٢١٧ ج ٦ . (٢) ص ١٤٩ ج ٣ . (٣) ص ٣٤٣ ج ٢ و ص ١٥١

ج ٣ . (٤) ص ٢١٦ ج ٦ (٥) ص ١٥٣ ج ٦ .

٢٨ - حديث اثني عشر خليفة

قال المصنف طاب مرقره

(الثامن والعشرون) في صحيح البخاري في موضعين بطريقين عن جابر وابن عيينة قال رسول الله (ص) : لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثني عشر خليفة كلهم من قريش ، وفي رواية عن النبي (ص) : لا يزال أمر الاسلام عزيزاً الى اثني عشر خليفة كلهم من قريش ، وفي صحيح مسلم ايضا لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثني عشر خليفة كلهم من قريش ، وفي الجمع بين الصحاح الستة في موضعين قال رسول الله (ص) : هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثني عشر خليفة كلهم من قريش ، وكذا في صحيح أبي داود والجمع بين الصحيحين ، وقد ذكر السدي في تفسيره وهو من علماء الجهور وثقاتهم قال : لما كرهت سارة مكان هاجر أوحى الله الى ابراهيم فقال : انطلق باسمعيل وامه حتى تنزله بيت النبي التهامي يعني مكة ، فآني ناشر ذريتك وجاعلهم نقلاً على من كفر بي وجاعل منهم نبياً عظيماً ومظهره على الأديان وجاعل من ذريته اثني عشر عظيماً وجاعل ذريته عدد نجوم السماء . وقد دلت هذه الأخبار على امامة اثني عشر اماماً من ذرية محمد (ص) ولا قائل بالحصص إلا الامامية في المعصومين ، والأخبار في ذلك اكثر من أن تحصى .

وقال الفضل

ما ذكر من الأحاديث الواردة في شأن اثني عشر خليفة فهو صحيح ثابت في الصحاح من رواية جابر بن سمرة ، وأما ابن عيينة فهو ليس بصحابي ولا تابعي بل يمكن أن يكون أحد من سلسلة الرواة وهو من عدم معرفته بالحديث وعلم الاسناد يزعم أن ابن عيينة وجابر متقابلان في الرواية ، ثم ما ذكر من عدد اثني عشر خليفة فقد اختلف العلماء في معناه فقال بعضهم هم الخلفاء بعد رسول الله (ص) وكان اثني عشر منهم ولاية الأمر الى ثلاثمائة سنة وبعدها وقع الفتن والحوادث فيكون المعنى أن أمر الدين عزيز في مدة خلافة اثني عشر كلهم من قريش ، وقال بعضهم : لأن عدد صلحاء الخلفاء من

قريش اثني عشر وهم الخلفاء الراشدون وهم خمسة وعبد الله بن الزبير وعمر بن العزيز ، وخمسة آخر من خلفاء بني العباس ، فيكون هذا إشارة الى الصلحاء من الخلفاء القرشية ، وأما حمله على الأئمة الاثني عشر فإن اريد بالخلافة وراثة العلم والمعرفة واليضاح المحجة والقيام بتمام منصب النبوة فلا مانع من الصحة ويجوز هذا الحمل ، وإن اريد به الزعامة الكبرى والايالة العظمى فهذا أمر لا يصح لأن من اثني عشر اثنين كان صاحب الزعامة الكبرى وهما علي وحسن : والباقيون لم يتصدوا للزعامة الكبرى ولوقال الخصم : انهم كانوا خلفاء لكن منعهم الناس عن حقهم قلنا سلمت انهم لم يكونوا خلفاء بالفعل بل بالقوة والاستحقاق وظاهر ان مراد الحديث أن يكونوا خلفاء قائمين بالزعامة والولاية وإلا فما الفائدة في خلافتهم في اقامة الدين وهذا ظاهر والله اعلم .

ثم ان كل ما ذكره من الآيات والأحاديث وأراد بها الاستدلال على وجود النص بالخلافة في شأن علي ، قد علمت ان أكثرها كان بعيداً عن المدعى ولم يكن بينها وبين المدعى نسبة أصلاً وما كان مناسباً فقد علمت انه لا يدل على النص فلم يثبت بسائر ما أورده مدعاه فأى فائدة في قوله والاخبار في ذلك أكثر من أن تحصى .

وأقول

لا يخفى أن التقابل بين جابر وابن عيينة لا يتوقف على كونها صحابين بل يتوقف على انتهاء السلسلة اليهما ، غاية الأمر أن تكون رواية ابن عيينة مرسلة وهو كثير في اخبار صحابهم ، ولم أعثر في مراجعتي لصحيح البخاري إلا على رواية واحدة في آخر كتاب الأحكام عن جابر قال : سمعت النبي (ص) يقول : يكون اثني عشر اميراً ، فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي انه قال : كلهم من قريش ، وحكى في تنبيه المودة (١) عن كتاب العمدة ان البخاري روى الحديث من ثلاثة طرق . ولاريب ان المراد به أئمتنا لامور : (الأول) انه لولا أرادتهم لكان الخبر كاذباً ان أراد جميع امراء قريش وغير مفيد بظاهره ان أراد البعض ، (الثاني) ان بعض أحاديث المقام يفيد بظاهره وجود الاثني عشر

في تمام الأوقات بمد النبي (ص) إلى قيام الساعة وهو لا يتم إلا على إرادة أئمتنا كخبر مسلم في أول كتاب الامارة عن جابر قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم اثني عشر خليفة كلهم من قريش ، ومثله في مسند احمد (١) وكخبر مسلم ايضا عن جابر ان هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثني عشر خليفة ، (الثالث) ما رواه مسلم في المقام المذكور عن عبدالله قال : قال رسول الله (ص) : لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان ، ورواه البخاري في أول كتاب الأحكام في باب الاسراء من قريش ، ورواه احمد (٢) عن ابن عمر ، فان المراد به حصر الامامة الشرعية في قريش مادام الناس لا السلطة الظاهرية ضرورة حصولها لغير قريش في اكثر الأوقات فيكون قرينة على أن المراد من الحديث الأول حصر الخلفاء الشرعيين في اثني عشر وهو لا يتم إلا على مذهبنا ، (الرابع) ما رواه احمد (٣) عن مسروق قال : كما جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن هل سألت رسول الله (ص) كم يملك هذه الامة من خليفة ؟ فقال عبد الله : ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم ولقد سألتنا رسول الله (ص) فقال : اثني عشر كعدة نقيب بني اسرائيل ، وروى نحوه أيضاً بعد قليل (٤) وذكره ابن حجر وحسنه في الصواعق (٥) ، فانه دال على انحصار الخلافة في اثني عشر وانهم خلفاء بالنص لقوله (ص) : كعدة نقيب بني اسرائيل ، فان نقيبهم خلفاء بالنص لقوله تعالى : (ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وبمشايهم منهم اثني عشر نقيباً) مع أن سؤال الصحابة للنبي (ص) إنما هو عن خلفائه بالنص لا بتأثير الناس أو بالتغلب إذ لا يهم الصحابة السؤال عن ذلك لأن تأثير الناس وتغلب السلاطين لا يبتغي عادة على الدين حتى بهم الصحابة السؤال عنه ، ولأن السلاطين بلا نص لا يحتاج الى السؤال عنهم وعن عددهم لأن العادة جرت على وجود مثلهم وانهم لا ينحصرون بمدد ، فظهر أن السؤال إنما هو عن الخلفاء بالنص عنهم أجاب النبي (ص) ، ولا قائل بأن الخلفاء اثني عشر بالنص غير أئمتنا عليهم السلام

(١) ص ٨٩ ج ٥ . (٢) ص ٢٩ و ص ١٢٨ ج ٢ . (٣) ص ٣٩٨ ج ١ .

(٤) ص ٤٠٦ ج ١ . (٥) في الفصل ٣ من الباب الأول .

فيكونون هم المراد بالاثني عشر في هذا الحديث فكذا في الحديث السابق ، (الخامس)
 ان المنصرف من الخليفة من استخلفه النبي (ص) خصوصاً قبل حدوث دعوى حصول
 الخلافة بلا نص ، بل لا يتصور الصحابة وكل العقلاء أن يتركهم النبي (ص) بلا امام
 منصوب منهم حتى يسألوا عن غيره أو الاُعم منه أو يفهموا من إخباره ارادة الغير أو
 الاُعم ، فلا بد أن يراد بالاثني عشر في الحديثين اُمتنا ، فهم أئمة الامة بالفعل ولهم
 الزعامة العظمى الالهية عليها ، ولا يضر في امامتهم الفعلية عدم نفوذ كلماتهم لأن معنى
 امامتهم وولايتهم انهم يملكون التصرف وان منعهم الناس كالانبياء المقهورين فانهم ولاية
 الامر وان تغلب عليهم الظالمون ، وكما انه لا يصح أن يقال لا فائدة في نبوة النبي الممنوع
 عن التصرف لا يصح أن يقال لا فائدة في امامة الامام الممنوع عنه ، فان الفائدة لا تنحصر
 بالتصرف لكفاية أن يكون بهم ايضاح الحجة وانارة المحجة ونشر العلم ، بل لولم يتمكنوا
 حتى من هذا الحبس أو نحوه ففاندتهم أن وجودهم حجة لله على عباده ودافع لعدوهم كما
 قال سبحانه في شأن الرسل : « لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل » ، فكما أن النبي
 حجة لم تبطل نبوته بحبسه أو غيبته كما غاب نبينا في الغار وغاب موسى عن قومه ،
 فكذا الامام ولا أثر لطول الغيبة أو قصرها في الفرق

وأما الحلان اللذان ذكرهما الفضل اعني ارادة من لم تقع الفتن في أيامهم أو الخلفاء
 الصالحاء فيرد عليهم « أولاً » ان المراد بهذه الاخبار دوام الاسلام وعزته الى آخر
 الدنيا الذي تنتمي به الاُمة الاتني عشر كما سبق لا أن المراد انتهاء عزة الاسلام في
 قليل من السنين ويسير من الخلفاء ، « وثانياً » ان ظاهر هذه الاخبار اتصال عزة
 الاسلام في مدة خلافة الاتني عشر فلا يتجه حمله على المتفرقين ، ودعوى ارادة المجتمعين
 باطلة فانها لا تجتمع أحد الحلين : أما الأول فلكثرة الفتن في أيام الاتني عشر ببدا
 الاسلام ، وأما الثاني فلان من الخلفاء في مبدأ الاسلام يزيد بن معاوية وعبد الملك
 وأشباههما ممن هم غير صالحاء بالاتفاق ، وكيف يصح أن يقال ان الدين قائم في أيام معاوية
 وهو قد ألحق العمار بالنسب علانية وحارب الحق جبهة وقتل خيار عباد الله صبراً
 كهجر واضحابه وابن الحق وامثاله ، وفي أيام يزيد وعبد الملك وقد هدموا الكعبة وهتكوا

حرمه الله ورسوله ولم يترك الله محرماً إلا أضاعها والناس لها اعوان
وبهم قام لها السلطان فأبى الاسلام وعزته وأبى الدين وقيامه ، « وثالثاً » ان الجمل الاول
لا يناسب عدد الاثني عشر لأن من لم تقع الفتى في أيامهم أضاع هذا العدد ، والجمل
الثاني منافي لاختبارهم لانها ان خلافة الصلحاء منحصرة في ثلاثين سنة ، روى الحاكم
في المستدرک (١) عن سفينة ان النبي « ص » قال : خلافة النبوة ثلاثون سنة ، وقال
ابن حجر في الصواعق (٢) : « الحادي عشر اخرج احمد عن سفينة واخرجه ايضا أصحاب
السنن وصححه ابن حبان وغيره قال : سمعت رسول الله « ص » يقول : الخلافة ثلاثون
عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك ، وفي رواية الخلافة بمدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً
عضوياً » فكيف يصح عندهم حمل الخلفاء الاثني عشر على الصلحاء على أن الحكم
بصلاح من زعمهم من الصلحاء باطل لما ستعرف في الجزء الثالث .

واما ابن عسبد العزيز فيكفيه انه من الشجرة الملعونة في القرآن للذين رداهم
رسول الله « ص » ينزون على منبره نوز القردة فسامه ذلك ولم ير ضاحكاً بمدها .
واما ابن الزبير فهو من ابعد الناس عن الخلافة والصلاح ، روى مسلم في باب ذكر
كذاب ثقيف ومبيرا من كتاب الفضائل ان ابن عمر لما مر على ابن الزبير وهو مقتول
قال : اما والله لامة انت اشرها لامة خير ، وهذه شهادة من ابن عمر ان ابن الزبير شر
الامة ، وروى البخاري في كتاب الفتى (٣) عن ابي برزة الأسلمي انه حلف بالله ان
ابن الزبير ان يقاتل إلا على الدنيا ، وروى احمد في مسنده (٤) ان عثمان بن عفان لما قال
له عبد الله بن الزبير هل لك ان تتحول الى مكة ؟ قال : سمعت رسول الله « ص » يقول :
ياخذ بمكة كبش من قریش اسمه عبد الله عليه مثل نصف اوزار الناس ، وروى احمد
ايضاً (٥) عن سميد بن عمرو قال : أتى عبد الله بن عمر ابن الزبير وهو جالس في الحجر
فقال يا ابن الزبير إياك والاحاد في حرم الله ، فأتى اشهد اسمعت رسول الله « ص »
يقول : يحلها ويحل به رجل من قریش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنها ، وروى
(١) ص ١٤٥ ج ٣ . (٢) في الفصل ٣ من الباب الاول . (٣) في باب إذا قال
عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه . (٤) ص ٦٤ ج ١ . (٥) ص ٢١٩ ج ٢ .

البخاري في تفسير سورة براءة (١) عن ابن عباس قال : ان الله كتب ابن الزبير وبني امية محلين ، « اقول » : هو من اكبر الذنوب فقد روى البخاري في كتاب البيوع (٢) عن ابن عباس ان رسول الله قال ان الله حرم مكة ولم تحل لأحد قبلي ولا لأحد بعدي وإنما حلت لي ساعة من نهار ، ورواه أيضاً في كتاب المغازي وغيره ، وقال في الاستيعاب بترجمة ابن الزبير كان فيه خلال لا تصلح معها الخلافة فانه كان بخيلاً ضيق العطن سيء الخلق حسوداً كثير الخلاف ، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج (٣) : « كان شديد البخل يطعم الجنيد تمرأ ويأمرهم بالحرب ، فإذا فروا من وقع السيوف لامهم وقال اكلمتم تمري وعصيتم امري » ، وذكر المؤرخون اشياء كثيرة تشهد بفسقه وسوء ذاته كترك الصلاة على النبي « ص » اربعين جمعة قائلاً ان له اهيل سوء ، وكفاك من فسقه حربه لمن حربه حرب لله ورسوله « ص » ومن نفاقه بغضه الشديد له ، وقد مر مراراً ان بغض علي علامة النفاق ، هذا فيما انتخبه من خلفائهم وزعم انهم من اهل الصلاح فكيف حال غيرهم ولا افسد من مذهب يلتزم اهله بعدم صلاح من تجب طاعتهم طول الدهر سوى اثني عشر فتدبر .

(١) من كتاب التفسير من صحيحه في باب قوله تعالى : ثاني اثنين إذ هما في الغار .

(٢) في باب ما قيل في الصواع . (٣) ص ٤٨٧ ج ٤ .

المبحث الخامس في بعض فضائل علي

قال المصنف أعلی الله درجه

المبحث الخامس في ذكر بعض الفضائل التي تفتضي وجوب امامة امير المؤمنين عليه السلام ، هذا باب لا يحصى كثرة روى اخطب خوارزم من الجمهور باسناده الى ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) لو ان الرياض اقلام والبحر مداد والجن حساب والانس كتاب ما احصوا فضائل علي بن ابي طالب ، فمن يقول عنه رسول الله « ص » مثل هذا كيف يمكن ذكر فضائله لئلا يكون لابد من ذكر بعضها لما رواه اخطب خوارزم ايضا قال : قال رسول الله « ص » : ان الله جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرأ بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم ومن استمع الى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتبها بالاستماع ومن نظر الى كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتبها بالنظر ، ثم قال : النظر الى علي عبادة وذكره عبادة ولا يقبل الله ايمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه . وقد ذكرت في كتاب كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين ، أن الفضائل إما قبل ولادته مثل ما روى اخطب خوارزم من علماء الجمهور عن ابن مسعود قال : قال رسول الله (ص) : لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم فقال : الحمد لله ، فأوحى الله تعالى اليه حمدني عبدي وعزني وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك ، قال : إلهي فيكونان مني ؟ قال : نعم يا آدم ، ارفع رأسك وانظر ، فرفع رأسه فاذا مكتوب على العرش لا إله إلا الله محمد نبي الرحمة وعلي مقيم الحجة ، من عرف حق علي زكا وطاب ومن أنكر حقه لعن وخاب ، أقسمت بعزتي وجلالي ان ادخل الجنة من أطاعه وإن عصاني ، وأقسمت بعزتي ان ادخل الجحيم النار من عصاه وإن اطاعني ، والأخبار في ذلك كثيرة .

وقال الفضل

لا يشك مؤمن في فضائل علي بن أبي طالب ولا في فضائل أكابر الصحابة كالخلفاء.
 فإن النبي « ص » قد خص كل واحد منهم بالفضائل التي كانت فيه وهي مذكورة في كتب
 الصحاح ؛ وكما أن هذا الرجل يذكر فضائل أمير المؤمنين من كتب أصحابنا كذلك كل
 على حسب مرادهم يذكرون فضائل من يريدون من الخلفاء الراشدين ، ولكن يشترط في
 ذكر الفضائل أن يروى من الصحاح المعتمدة ومن العلماء الذين اعتمدتهم الناس ويكونوا
 صاحب قول مقبول ويعرفون سقيم الأخبار من صحيحها وجيدها من رديها ومقبولها
 من مردودها ، فإن الممارس لفن الحديث المبالغ في التبصير والافتقار لا يخفى عليه صحة
 الحديث وضعفه ووضعه فإن المنكر والشاذ معلومان موسومان بوسم الشذوذ لأنهما غير
 المألوف مثل هذه الأحاديث والأخبار التي يرويها عن أخطب خوارزم ، أثر النكر والوضع
 ظاهر عليها بحيث لا يخفى على المتدرب في فن الحديث ، فإن هذه المبالغة التي نسبها للنبي
 في فضائل علي بقوله لو أن الرياض أقلام والبحر مداد والجن حساب والانس كتاب
 ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب ، لا يخفى على الماهر في فن الحديث أن هذا ليس
 من كلام رسول الله (ص) وليتصف المنصف المتدرب في معرفة الأخبار ، أن من شأن
 رسول الله (ص) أن يبالغ مثل هذه المبالغة في مدح أحد من المخلوقين وهذا من
 أوصاف الخالق . قل لو كان البحر مداداً لكلمات الله لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي .
 ثم إن لفظ الفضائل لا يوجد في كلمات النبي (ص) ومحال أن يحكم المحدث أن
 النبي (ص) تكلم بلفظ الفضائل فإن هذا من ألفاظ المحدثين المولدين وليس من كلام
 العرب والمحدث لا يخفى عليه أن هذا موضوع وأكثر ما ذكر من مناقب الخوارزمي
 موضوعات ، وأما الحديث الذي رواه الخوارزمي عن ابن مسعود وهو أن الله خلق آدم
 لأجل محمد وعلي وإن العاصي لله أن اطاع علياً فهو من أهل النجاة والطيع بعد أن
 عصى علياً فهو من أهل النار ، فقد تحتم الحكم بأنه من الموضوعات لأنه يخالف لحكم
 الشرع فإن علياً عبد من عباد الله تعالى وهو ليس بأكرم على الله من محمد ومن اعتقد
 أن علياً أكرم على الله من محمد فهو كافر بالله العظيم ولا يرتاب في هذا أحد من المؤمنين

ومحمد لا يمكن أن يدعى فيه أن من اطاعه وعصى الله فهو من أهل النجاة لأن طاعة الله وطاعة رسوله واحد فكيف يمكن الدعوى أن من اطاع علياً وإن عصى الله فهو من أهل النجاة ، وهذا من موضوعات غلاة الرضا ذكروه هذا الرجل الرافضي ولا اعتداد بهذا النقل ولا اعتبار ثم أن كل ما يذكروه من هذه الفضائل وإن صح لا يدل على وجوب امامته كما لا يخفى .

وأقول

يرد عليه امور (الأول) أن قوله : « كل على حسب مردهم يذكرون فضائل من يريدون » الى آخره خطأ ظاهر ، لأن ذكرنا لفضائل أمير المؤمنين « ع » من كتبهم يفيدنا حجة عليهم بخلاف ذكرهم لفضائل أصحابهم من كتبهم فإنه لا يفيدهم حجة علينا لاسباب مع معارضتها بما في كتبهم من مطاعنهم . (الثاني) أن قوله : « ولكن يشترط في ذكر الفضائل أن يروى من الصحيح » الى آخره . مخالف لما ذكره ابن حجر في أوائل الفصل الأول من كتابه المسمى (بتطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معوية ابن أبي سفيان) قال بعد نقل حديث في فضل معوية : « فإن قلت هذا الحديث المذكور سنده ضعيف فكيف يحتج به قلت الذي أطبق عليه أئمتنا الفقهاء والاصوليون والحفاظ أن الحديث الضعيف حجة في المناقب » ثم انه إن أراد بالصحيح صحاحهم الستة فهو ظاهر البطلان إذ ليست الرواية عنها شرطاً في الأحكام فضلاً عن الفضائل ، وإن أراد بها الأخبار الصحيحة وإن لم توجد في صحاحهم الستة كالأخبار التي استدرکها الحاكم في المستدرک ورواها الضياء في المختارة فهو أيضاً باطل إذ ليست الفضائل بأعظم من الأحكام وقد اکتفوا في ثبوتها بغير الأخبار الصحيحة لعدم انحصار الحجة بها فإن الخبر الحسن كاف في الثبوت وكذا الخبر الكثير الطرق فإن الأخبار إذا كثرت في معنى واحد قوتى بعضها بعضها وصارت حجة وإن كان سند كل منها ضعيفاً ، ونحن كما رأيت نذكر كثيراً من أخبار الصحاح الستة ومستدرک الحاكم ومسند احمد ونحوها من كتبهم المعتبرة عندهم ونذكر غيرها مما يؤيد بعضها بعضها أو قامت قرينة على قوتها والجميع حجة عليهم . (الثالث) أن ما جملة اماره للوضع من المبالغة الواقعة فيما حكى عن النبي (ص) لا محل

له إذ لا مبالغة فيه ولا سيما إذا أريد عدم احصاء الثواب على فضائله لاعداد احصاء انفسها فان من كان عبارة عن الايمان كله وله ضربة واحدة تعدل عبادة الثقلين لا يكون ذلك مبالغة في حقه ، وهل يكون ذلك مبالغة فيمن هو نفس النبي (ص) وأخوه وعديل القرآن ؟ على انهم رويوا نحو ذلك في حق الشيخين وما حكموا بوضعه ، فقد نقل ابن حجر في الصواعق (١) عن أبي يعلى عن عمار بن ياسر قال : « قال رسول الله (ص) : أناني جبرئيل آتفاً فقلت يا جبرئيل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال : لو حدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح في قومه ما نفذت فضائل عمر وإن عمر حسنة من حسنات ابي بكر » ، ومن أعجب العجب روايتهم لهذا الحديث عن عمار وهم يملكون انحرافه عن خلفائهم وسوء رأيه فيهم ، فلو روي عن غيره لكان أولى لهم ، ومن هذا الحديث ونحوه يعلم وجود لفظ الفضائل عندهم فيما نسبوه الى النبي (ص) ، وقد روى احمد في مسنده (٢) عن ابن عمر عن النبي (ص) حديثاً قال في آخره : « وركعتا الفجر حافظوا عليهما فانها من الفضائل » . (الاربع) ان قوله : « هذا من أوصاف الخائى » لا يعرف له معنى ، ولعله يريد ان الله جل وعلا يوصف بأنه متكلم بكلمات لا تنفذ بنفاد البحر فكيف يقال أن علياً متصف بفضائل لا تحصى وإن كان البحر مداداً ، وفيه ما لا يحصى . (الخامس) ان قوله : « أكثر ما ذكر من مناقب الخوارزمي موضوعات » دعوى بلا دليل وطعن بجمل غير مقبول . (السادس) ان حكمه بوضع حديث ابن مسعود خطأ ، ويعلم وجهه بعد بيان مقدمة فنقول : لاشك ان الاقرار بالله وبنبوة محمد (ص) شرط للايمان وكذا الاقرار بالامامة علي (ع) ، بناء على ان امامته بنفس الله ورسوله وأنها كالنبوة اصل من اصول الدين ، لكان الاقرار بها فرع الاقرار بالله ورسوله ومن أقر بها تم ايمانه ومن لم يقر بها كان ناقص الايمان وإن أقر بالله ورسوله ، فإذا عرفت هذا عرفت ان من أطاع علياً عارفاً بحقه كما هو المراد بالحديث كان مؤمناً مطيعاً لله ورسوله بطاعة علي عليه السلام لأن طاعته له بما هو امام من الله تعالى مستلزمة للايمان بها وطاعتها ، فيكون صالحاً لدخول الجنة ، وإن عصى الله في بعض الأحكام وعصى بها علياً أيضاً لأن عصيانه

حينئذ عصيان مؤمن أهل للغفران ، كما أن من عصى علياً جاحداً لامامته عاص لله ورسوله ومحل لدخول النار وإن اطاعها في الظاهر لأن طاعته لها ليست طاعة مؤمن حتى تكون مقبولة كمن اطاع الله في الظاهر وعصى رسول الله جاحداً لرسالته كاهل الكتاب ، فصح ما في الحديث من قوله سبحانه (أقسمت أن ادخل الجنة من أطاعه وإن عصاني وأن ادخل النار من عصاه وإن أطاعني) أي في الظاهر ، كما يصح القول بأن من أطاع علياً كان من أهل النجاة والجنة وإن عصى رسول الله (ص) ، وأن من عصى علياً كان من أهل النار وإن اطاع رسول الله في الظاهر ، وذلك كله لا ينافي اكرمية محمد (ص) من علي (ع) كما هو ظاهر .

وبالجملة المراد بالحديث أن من أطاع الله في الظاهر وعصى علياً منكراً لحقه فهو من أهل النار لعدم إيمانه ، وأن من أطاع علياً عارفاً بحقه فهو من أهل الجنة وإن عصى الله في بعض الفروع لأن عصيانه عصيان مؤمن فيكون أهلاً للمغفرة والرحمة ، فذلك إشارة الى امامة أمير المؤمنين (ع) وأن الاقرار بها شرط للإيمان وأنه لا عبرة بطاعة المسلمين ظاهراً الذين لم يقرروا بالنص على علي (ع) واتبعوا غيره وعصوه وإن كانت طاعة الله ورسوله وخليفته في الواقع واحدة ومعصيتهم الواقعية معصية واحدة . ويشهد لارادة الامامة من الحديث وصفه لعلي فيما كتب على العرش بأنه مقبم الحجة في عرض وصف الله تعالى بالوحدانية ومحمد بالنبوة ، فإنه من أوضح ما يدل على الامامة ، مضافاً الى تصريحه بأن محمداً وعلياً علة خلق آدم فإنه دليل الفضل على آدم فضلاً عن الامامة ، فلا بد أن يكون علي سيدها وامامها بل علة خلقها بالأولوية ، كما قال (ع) في نهج البلاغة بكتابه الى معوية : « نحن صنائع الله والناس بعد صنائع لنا » . ثم ان الخبرين الأولين ظاهران ايضاً في امامة أمير المؤمنين (ع) لاقتضاها فضل علي غيره مع تصريح ثانيهما بأن الله تعالى لا يقبل إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه كما هو شأن الامام ولذا كان بغضه علامة النفاق .

هذا وقد نقل الذهبي هذين الخبرين في ميزان الاعتدال بترجمة محمد بن احمد بن علي بن الحسن ابن شاذان عن نور الهدى أبي طالب الزيني ، ثم قال بعد الخبر الثاني : « هذا من أفضع

ما وضع ولقد ساق خطيب خوارزم من طريق هذا الدجال ابن شاذان أحاديث كثيرة باطلة ركيكة في مناقب علي ، من ذلك بأسناد مظلم عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً : من أحب علياً أعطاه الله بكل عرق في بدنه مدينة في الجنة ، وهذه المؤاخذة لابن شاذان إنما هي روايته في فضل أمير المؤمنين ما لا يتحمله اعتقاد الذهبي فيه ، وإلا فالرجل لا ذنب له سواء ، وقد عرفت في مقدمة الكتاب ان رواية الشخص لفضائل أمير المؤمنين دليل على وثاقته ولا فضاة ولا ركاكة في هذه المناقب التي يسطع من خلالها نور امامة المرتضى عند من عرف بمض حقه ، وقد نقل سبط ابن الجوزي في اوائل تذكرة الخواص نحو اول الحديثين عن ابن عباس ونقله في ينابيع المودة في الباب السادس والخمسين آخر المناقب السبعين التي حكاهما عن كتاب امام الحرم الشريف بمكة ابي جعفر احمد بن عبد الله الطبري الآملي الشافعي رواه عن الديلمي في الفردوس .

وأما الحديث الثاني فأكثر مضافاته قد وردت من عدة طرق ولا سيما قوله : « النظر الى علي عبادة » فإنه ورد مستفيضاً بلفظه أو بلفظ النظر الى وجهه علي عبادة ، وقد اخرج الحاكم في المستدرک (١) بطريق عن عمران بن حصين وطريقين عن ابن مسعود وصححها جميعاً وتعبه الذهبي بعد حديث عمران ، وأحد حديثي ابن مسعود بقوله : ذا موضوع ، ولم يذكر له علة ، وغاية ما يوجه به دعوى أن بعض رجال الحديثين ضعيف وهو لا يستوجب الوضع ولا سيما مع الافرار بصحة الحديث الثالث ، وقد سبقه الى دعوى الوضع امامه في النصب ابن الجوزي كما ذكره السيوطي في اللثالي المصنوعة ، مع ان ابن الجوزي ذكر له سبعة عشر طريقاً عن ابي بكر وعثمان وابن مسعود ومعاذ وابن عباس وجابر وأبي هريرة وانس وثوبان وعمران وعائشة ، واحتج الوضع بضعف بعض رواة بعضها والجهل بالآخرين ، وتعبه السيوطي بالجواب عن بعض من طعن بهم وبإخراج عشرة طرق اخرى عن كثير من هؤلاء الصحابة منها روايات الحساکم الثلاث ، وليت شعري كيف يكون الحديث موضوعاً مع استفاضة طرقة وصحة بعضها ، والحال أن الكثرة وحدها كافية في الاعتبار .

فضائله حال الولادة

قال المصنف أعلى الله مقامه

وأما حال ولادته فإنه ولد يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة ولم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده وكان عمر النبي (ص) ثلاثين سنة فأجبه ورباه وكان يظهره وقت غمسه ويوجره اللبن عند شربه وبحرك مهده عند نومه وبناغيه في يقظته وبحمله إلى صدره ويقول : هذا أخي ووليي وناصري وصفيي وذخري وكهني وصهري وزوج كريمي وأميني على وصيقي وخليفتي ، وكان يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها ، رواه صاحب كتاب بشار المصطفى من الجمهور .

وقال الفضل

المشهور بين الشيعة أن أمير المؤمنين ولد في الكعبة ولم يصححه علماء التواريخ ، بل عند أهل التواريخ أن حكيم بن حزام ولد في الكعبة ولم يولد فيها غيره ، وأما ما ذكره من أحوال النبي (ص) بالنسبة إليه في صغره فلا يصح به نقل إلا ما ذكره ، ولا رد عليه إلا في قوله : (وخليفتي) أن أريد به الخلافة بعده وأن أريد أنه من الخلفاء فهذا صحيح لا شك فيه .

وأقول

يكفي في الحزم بولادة أمير المؤمنين (ع) بالكعبة موافقة بعض الجمهور فيها . وروايتهم لها قائمات مقبلة تنكرها استماع أعداء فضله وتنداعى لدرسها نفوس حساد مجده ، إذ بها الشرف الأعلى ، والدلالة على أنه محل عناية الله سبحانه من يوم ولادته وأنه قد طهره بطهارته حتى جعل مولده أعظم بيوت عبادته ، فإذا رواه واحد منهم كانت حجة عليهم ، فكيف وقد ادعى الحاكم في المستدرک تواترها فإنه (١) روى في مناقب حكيم عن مصعب بن عبد الله أن أم حكيم ولدت في الكعبة ضربها الخاض وهي في جوفها

فولده فيها وحلت في نطع قال مصعب : ولم يولد قبله ولا بعده في الكعبة احد ، فقال الحاكم : « ومم مصعب في الحرف الأخير فقد نواترت الأخبار ان فاطمة بذت اسد ولدت امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة » ، وأقول الحق أن حكيماً لم يولد في الكعبة لكن المنحرفين عن الامام المطهر ذكروا ذلك لينقصوا فضله ، فعن ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة في معرفة الأنمة ص ١٤ قال : (لم يولد أحد قبله في البيت سواء) ، ونحوه عن الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب ص ٣٦١ وعن الشبلنجي في نور الأبصار ص ٧٦ ومحمد بن ابي طحمة الشافعي في كتابه مطالب السؤل ص ١١ ، ولو سلم ولادة حكيم بالكعبة فهي من باب الاتفاق كما يدل عليه خبر ولادته لا لكرامة له فإنه من مسلمة الفتح ومن انوالة قلوبهم كما ذكره في الاستيعاب ، وهذا بخلاف ولادة امير المؤمنين (ع) فإنها كجنايته في المسجد من طهارته وغناية الله به ، كما يشهد له ما رواه صاحب كتاب بإشار المصطفى على ما حكاه عنه في كشف الغمة قال : « ومن بإشار المصطفى مرفوعاً الى يزيد بن قعنب قال : كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من بني عبد العزى بأزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بذت اسد ام امير المؤمنين (ع) وكانت حاملاً به لتسعة اشهر وقد أخذها الطلاق ، فقالت : يارب اني وؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإني مصدقة بكلام جدي ابراهيم الخليل وانه بنى بيتك العتيق فبحق الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني إلاما يسرت علي ولادتي ، قال يزيد بن قعنب : فرأيت البيت قد انشق من ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا وعاد الى حاله فرمنا ان ينفتح لما قفل الباب فلم ينفتح فعلمنا أن ذلك من امر الله تعالى ، ثم خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها امير المؤمنين علي بن ابي طالب ثم قالت : إني فضلت على من تقدمني من النساء لأن آسية بذت مزاجم عبت الله في موضع لا يجب الله ان يعبد فيه إلا اضطراراً ، وان مريم بذت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنيماً ، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وارضاقها فلما أردت ان اخرج هتف بي هاتف يا فاطمة سميه علياً فهو علي والله العلي الأعلى يقول : شققت اسمه من اسمي وادبته بأدبي وواقفته على غامض علمي

وهو الذي يكسر الأصنام في يدي وهو الذي يؤذن فوق ظهر يدي ويقدسني ويمجدني
 فطوبى لمن أحبه واطاعه وويل لمن أبغضه وعصاه ، ثم ذكر فعل النبي (ص) معه
 وقوله فيه كما ذكره المصنف (ره) ، ونقل أيضاً في كشف الغمة خبر ولادته (ع) في
 الكعبة عن ابن المغازلي ورواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ، وقال عبد الباقي
 العمري مادحاً لأُمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام :

انت العلي الذي فوق العلي رفعا يبطن هكّة وسط البيت إذ وضعها
 وقال الحميري في مدحه عليه السلام ومدح والدته الطاهرة :

ولدته في حرم الآله وأمنه	والبيت حيث فناؤه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة	طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها	وبدا مع القمر المنير الأنسعد
ما لف في خرق القوابل مثله	إلا ابن آمنّة النبي محمد

وهذا كاشف عن معلومية ولادته بالكعبة في الصدر الأول ، كما هو كذلك في
 جميع الأوقات .

فضائله بعد الولادة

من فضائل النفسانية إيمانه

قال المصنف فرس الله روحه

وأما بعد ولادته فأقسامها ثلاثة : نفسانية وبدنية وخارجية . أما النفسانية فينظمها مطالب : « الأول » الإيمان ، وبواسطة سيفه تمهدت قواعده وتشيدت أركانه وبواسطة تعليمه الناس حصل لهم الإيمان أصوله وفروعه لم يشرك بالله طرفة عين ولم يسجد لصنم بل هو الذي كسر الأصنام لما صعد على كتف النبي (ص) وهو أول الناس اسلاماً ، روى أحمد بن حنبل انه أول من أسلم وأول من صلى مع النبي (ص) ، وفي مسنده أن النبي (ص) قال لغاطمة : أما ترضين أني زوجتك أقدم امتي اسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً ، وحديث الدار يدل عليه أيضاً .

وقال الفضل

ما ذكر أن علياً أول الناس اسلاماً فهذا أمر مختلف فيه ، وأكثر العلماء على أن أول الناس اسلاماً هو خديجة ، وقال بعضهم : أبو بكر ، وقال بعضهم : زيد بن حارثة ، وحاكم بعضهم فقال : أول الناس اسلاماً من الرجال أبو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن العبيد زيد بن حارثة ، وقد حققنا هذا في تلخيص كتاب كهف الغمة .

وأقول

تعرضه لتقدم الاسلام خاصة ظاهر في تسليمه ما عداه مما ذكره المصنف (ره) وهو كاذب في المطلوب : ومن رام المناقشة في شيء من ذلك فقد كشف عن قصوره ، وأما ما ذكره من الخلاف في تقدم اسلام أي الجماعة فلا يضرنا لأننا نحتج على الخصوم بروايتهم بلا حجة لهم علينا ، بل يظهر من بعضهم الاجماع على تقدم اسلام امير المؤمنين عليه السلام كما ذكره ابن حجر في الصواعق (١) قال : « قال ابن عباس وانس وزيد

(١) في اول الفصل الأول من الباب التاسع .

ابن ارقم وسلمان الفارسي وجاعة انه اول من أسلم ونقل بعضهم الاجماع عليه . أقول: ويظهر من نفس الحاكم في المستدرك (١) دعوى الاجماع عليه فانه روى عن زيد بن ارقم ان أول من أسلم مع رسول الله (ص) علي ، ثم قال : « هذا حديث صحيح الاسناد ، وإنما الخلاف في هذا الحرف ان ابا بكر الصديق كان اول الرجال البالغين اسلاماً وعلي ابن أبي طالب تقدم اسلامه قبل البلوغ . فان معنى هذا الكلام أن علياً « ع » تقدم اسلامه قبل البلوغ على الناس جميعاً بلا خلاف ، وإنما الخلاف في تقدم اسلام أبي بكر على البالغين لا على علي « ع » .

وأما ما زعمه الفضل من المحاكمة لخطأ الفتن حمل الأخبار المستفيضة في تقدم اسلام علي على تقدمه على الصبيان من المضاحك ولا يتفوه به ذو رأي ، إذ أي صبيان أسلموا في ذلك الوقت حتى يكون اسلام علي « ع » متقدماً لهم ! مع أن من جملة ما ورد في تقدم اسلامه ما دل على تفضيل النبي « ص » له به على الأمة كما في خطابه لفاطمة « ع » وما اشتمل على افتخار علي « ع » به على الناس ، فان التفضيل والافتخار إنما يناسبان تقدم اسلامه على جميع الأمة لا على الصبيان لو فرض اسلامهم ، كما أن اكثر الأخبار صريح في سبق اسلامه على المسلمين جميعاً ، على أن تلك المحاكمة لو صحت في نفسها لم تمنع من تقدم اسلام امير المؤمنين « ع » على أبي بكر وخديجة وزيد لأن تقدم اسلامهم على امثالهم لا يناق في تقدم اسلام صبي على اسلامهم كما صرح بعض الأخبار بتقدم اسلامه على اسلام أبي بكر .

والحق أن أمير المؤمنين « ع » ولد مسلماً مقرأً بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله « ص » كالنبي فانها معصومان طاهران من حين ولادتهما ، أترى أن رسول الله « ص » كان غير مؤمن بربه ولا عارفاً بنبوته كما يتخيله الجاهلون حتى زعموا أن خديجة وورقة علماه نبوته كما سبق في آخر مباحث النبوة ، كيف لا وقد خلقهما الله سبحانه نوراً واحداً قبل أن يخلق آدم كما مر ، وهما خيرة الله من أرضه ، روى الحاكم في المستدرك (٢) عن ابي هريرة وصححه على شرط الشيخين قال : « قال

رسول الله (ص) : أما ترضين ان الله اطلع الى أهل الأرض فاختر رجلين أحدهما أبوك والآخر بملك ، وحكاه في كنز العمال (١) عن الحاكم عن ابي هريرة وعن الطبراني والحاكم والخطيب عن ابن عباس ، وحكى في السكز أيضاً قبل هذا بحديث عن الطبراني عن ابي أيوب أن النبي (ص) قال لفاطمة : « أما علمت أن الله عز وجل اطلع على أهل الأرض فاختر منهم أباك فبعثه نبياً ثم اطاع الثانية فاختر بملك فأوحى إلي فأنكحته واتخذته وصياً » . وحكى في السكز الحديث الأول أيضاً (٢) عن الخطيب وقال : « سنده حسن » ونقله ابن ابي الحديد (٣) عن احمد في مسنده ، فكيف يتصور فيمن اختاره الله تعالى من جميع ربه حتى الأنبياء أن لا يكون مؤمناً عالماً بالحق حين ولادته ، وقد كان عيسى وهما مختاران عليه مؤمناً عالماً بأنه رسول الله ساعة الولادة ، وحينئذ فهل يمكن أن يسبق علياً في الاسلام غيره ممن نشأ على عبادة الأوثان ، وكيف يتصور ان يكون مسبوفاً وقد امتاز على الناس بالصلاة قبلهم بسبع سنين ، روى الحاكم في المستدرک (٤) عن علي (ع) قال : « إني عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقوها احد بعدي إلا كاذب صليت قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبد أحد من هذه الأمة » ، ونقله في السكز (٥) عن ابن ابي شيبة والنسائي في الخصائص وابي نعيم وغيرهم ، وروى الحاكم بعد الحديث المذكور أن علياً (ع) قال : (عبدت الله مع رسول الله (ص) سبع سنين قبل أن يعبد أحد من هذه الأمة) ، ونقله في السكز عن الحاكم وابن مردويه ، ونقل ايضاً عن الطبراني واحمد وابي يعلى في مسنديهما والحاكم في المستدرک أن علياً قال : « اللهم ما أعرف أن عبدك لك من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك (ثلاث مرات) لقد صليت قبل أن يصلي الناس سبعة » الى غيرها من الأخبار . ولبت شمري كيف يدعى أن أحداً أسبق من أمير المؤمنين (ع) في الاسلام وهو كان من رسول الله (ص) بمنزلة هرون من موسى .

(١) ص ١٥٣ ج ٦ . (٢) ص ٢٩١ ج ٦ . (٣) ص ٤٥١ ج ٢ .

(٤) ص ١١٢ ج ٣ . (٥) ص ٣٩٤ ج ٦ .

علمه عليه السلام

قال المصنف فرسى الله روحه

(المطلب الثاني) العلم والناس كلهم بلاخلاف عيال عليه في المعارف الحقيقية والعلوم اليقينية والأحكام الشرعية والقضايا النقلية لأنه (ع) كان في غاية الذكاء والحرص على التعلم وملازمته لرسول الله وهو أشفق الناس عليه لا ينفك عنه ليلاً ولا نهاراً فيكون بالضرورة أعلم من غيره ، وقال رسول الله (ص) في حقه : أقضاكم علي ، والقضاء يستلزم العلم والدين ، وروى الترمذي في صحيحه أن رسول الله (ص) قال : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، وذكر البغوي في الصحاح أن رسول الله (ص) قال : أنا دار الحكمة وعلي بابها .

وقال الفضل

ما ذكره من علم أمير المؤمنين فلاشك أنه من علماء الأمة والناس محتاجون إليه فيه ، وكيف لا وهو وصي النبي في ابلاغ العلم وودائع حقائق المعارف فلا نزاع لأحد فيه ، وأما ما ذكره من صحيح الترمذي فصحيح ، وأما ما ذكره من صحاح البغوي فإنه قال : الحديث غريب لا يعرف هذا عن أحد من الثقات غير شريك واسناده مضطرب ، فكان ينبغي أن يذكر ما ذكره من معائب الحديث ليكون أميناً في النقل .

وأقول :

لا يخفى ما في كلامه من التنافي لأن قوله أنه من علماء الأمة يدل على أنه فرد من جماعة لا فضل له عليهم ، وقوله : كيف لا وهو وصي النبي (ص) في ابلاغ العلم وودائع حقائق المعارف يدل على فضله على غيره ، وقد استدل المصنف { ره } على أعلمية أمير المؤمنين بأمور : « الأول » أنه كان في غاية الذكاء والحرص على التعلم إلى آخره وهو دليل اقتناعي ذكره تقريباً إلى أذهان السامعين ، وإلا فعمل أمير المؤمنين « ع » كعلم النبي { ص } { رشة من الفيض الإلهي سوى أن علم علي { ع } بواسطة النبي وعلم

النبي {ص} بواسطة جبرئيل ، فكما أن النبي {ص} لا يحتاج في علمه الى ملازمة جبرئيل فكذا علي لا يحتاج الى ملازمة النبي {ص} ، كيف وقد علمه رسول الله {ص} في مقام واحد الف باب من العلم يفتح له من كل باب الف باب . « الثاني » انه قال فيه رسول الله {ص} { أقضاكم علي كما في الاستيعاب بترجمة علي وفي الصواعق (١) نقلا عن الطبراني وابي يعلى والعقيلي وابن عساكر ورواه الحاكم في المستدرک (٢) وروى البخاري في تفسير قوله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها) من سورة البقرة أن عمر قال : اقرؤنا أبي وأقضانا علي ، ونحوه في الاستيعاب ووجه الاستدلال به ظاهر من كلام المصنف رحمه الله . « الثالث » ما رواه الترمذي وذكره البغوي وقد سبق الكلام في سنده ودلالته في الحديث التاسع عشر ولا يفترق الحال بين الحديثين حيث قال في أحدهما : أنا مدينة العلم ، وفي الآخر أنا دار الحكمة ، وذلك للتلازم بينهما فان من يكون باباً لعلم النبي {ص} لا بد أن تكشف له وجوه الحكمة فيكون باباً لحكمته ، وإنما لم يذكر المصنف رحمه الله قول البغوي واسناده مضطرب لأن الاضطراب الذي أراده هو رواية بعضهم للحديث عن سويد عن علي {ع} ورواية بعض آخر له عن سويد عن الصنابحي عن علي {ع} ، وهو ليس بعيب في الحديث بعد اعتبار الصنابحي علي انه لو كان عيباً لم يلزم التعرض لمثله بعد استفاضة طرق الحديث وتصحيح جماعة من علمائهم لبعضها . « تنبيه » لفظ الحديث في الذسخة التي عندنا من صحيح الترمذي أنا دار الحكمة وعلي بابها والمصنف « ره » نقله بلفظ أنا مدينة العلم وعلي بابها وصحح الفضل نقله ، وقد نقله ابن حجر (٣) عن الترمذي باللفظين معاً ، فلم يرواه باللفظين في مقامين ، كما أن البغوي ذكر الحديث في الحسان لا في الصحاح بحسب نسخة المصباح التي عندنا فيحتمل خطأها ، ويحتمل خطأ المصنف « ره » والفضل أيضاً بأقراره للمصنف علي نقله .

قال المصنف طاب ثراه

وفيه عن أبي الحمراء قال رسول الله « ص » : من أراد أن ينظر الى آدم في علمه

(١) في الفصل ٣ من الباب ٣ في الحديث ٩٤ . (٢) ص ٥٥٣ ج ٣ . (٣) في

الفصل ٢ من الباب ٩ .

والى نوح في فهمه والى يحيى بن زكريا في زهده والى موسى بن عمران في بطشه فلينظر الى علي بن أبي طالب وروى البيهقي بأسناده الى رسول الله « ص » قال : من أراد أن ينظر الى آدم في علمه والى نوح في تقواه والى ابراهيم في حلمه والى موسى في هيئته والى عيسى في عبادته فلينظر الى علي بن أبي طالب .

وفال الفضل

خان في هذا النقل لأنه ذكر أن في صحاح البغوي هذا الحديث وهذا كذب باطل فإن الحديث لم يذكره البغوي أصلاً لا في صحاحه ولا في حسانه ، وأثر الوضع على هذا الحديث ظاهر ولا شك انه منكر مع ما نسبته الى البيهقي لأنه يوم أن علي بن أبي طالب أفضل من هؤلاء الأنبياء وهذا باطل فإن غير النبي لا يكون أفضل من النبي ، وأما انه موم لهذا المعنى ، لأنه جمع فيه من الفضائل ما تفرق في الأنبياء والجامع للفضائل أفضل ممن تفرق فيه الفضائل ، وأمثال هذا من موضوعات الغلاة وإن صح فيمكن حمله على أن له كمال هذه الفضائل .

وأقول

لم يفهم الفضل مراد المصنف « ره » فإن الضمير في قوله (فيه) لو رجع الى صحاح البغوي لقال (وفيها) ، كما انه لا يرجع الى صحيح الترمذي لعدم ذكره للحديث في مناقب علي « ع » وبعده ذكره له في محل آخر ، فالظاهر انه راجع الى حقه في قول المصنف سابقاً . (وقال رسول الله «ص» في حقه) : وما أبعد الخيانة عن المصنف « ره » ويحتمل سقوط حديث آخر نقله المصنف من كتاب آخر فيعود الضمير الى ذلك الكتاب ولا يبعد على هذا انه مسند احمد فإن المصنف «ره» ينقل عنه كثيراً وهو موجود فيه بحسب ما ذكره ابن أبي الحديد (١) وصاحب بن عمار المودة (٢) كما نقله أيضاً عن البيهقي ، لسكي لم أجده في المسند ولا يبعد انه مرسل يد التصرف ، ونقل السيوطي في اللآلئ المصنوعة عن الحساكم انه أخرج عن أبي الحمراء مرفوعاً من أراد أن ينظر الى آدم في

علمه ونوح في فهمه و ابراهيم في حلمه ومحبي في زهده وموسى في بطشه فليتنظر الى علي ،
ونقل عن ابن الجوزي انه قال : موضوع ، متمللاً باشتغال سنده على أبي عمرو والأزدي وهو
متروك ، وتعبقه السيوطي بأن له طريقاً آخر عن أبي سعيد أخرجه ابن شاهين في السنة
عنه ، قال : كُنَّا حَوْلَ النَّبِيِّ « ص » فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَأَدَامَ رَسُولُ اللَّهِ « ص » النَّظَرَ إِلَيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ وَإِلَى نُوحَ فِي حِكْمِهِ وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ
فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا ، ونقل السيوطي طريقاً آخر لابن شاهين عن أبي الجراء ، فعليه يكون
الحديث كثير الطرق ومعتبراً وإن فرض ضعف كل من أسانيدده ، مع انه قد رواه
صاحب المواقف وما أعلَّ سنده هو ولا الشارح ، ولا يضر اختلاف خصوصياته بخذف
بعض الأنبياء وتبديل صفاتهم لجواز تعدد أقوال النبي « ص » أو خطأ بعض الرواة ،
ولا ريب بدلالة الحديث على فضل أمير المؤمنين « ع » على الامة وامامته لهم لدلالته
على فضله على هؤلاء الأنبياء العظام فكيف بأحد الأئمة ، وذلك لأنه صرح بأن علياً
عليه السلام جمع ما تفرق في أعظم الأنبياء من الأوصاف التي كل واحدة منها أعظم
الأفراد من نوعها ، ودعوى أن غير النبي لا يكون أفضل منه دعوى بلا حجة ، نعم
لا يجوز أن يكون النبي مفضولاً لواحد من امته كما يحكم به العقل وإن خالف به بعض
القوم كما سبق في مباحث النبوة ، وقد بينا في آية المباهلة وغيرها أن علياً أفضل من
جميع النبيين سوى ابن عمه سيد المرسلين وقد تواتر عندنا أن علياً سيد الوصيين ومن
جملتهم الأنبياء كيوشع بن نون وصي موسى « ع » .

العلوم كلها مستندة اليه

قال المصنف فرسي سره

وايضاً جميع العلوم مستندة اليه ، أما (الكلام واصول الفقه) فظاهر ، وكلامه في
النهج يدل على كمال معرفته في التوحيد والعدل وجميع جزئيات علم الكلام والاصول
وأما (الفقه) فالفقهاء كلهم يرجعون اليه أما الامامية فظاهر ، وأما الحنفية فإن أصحاب
أبي حنيفة أخذوا عن أبي حنيفة وهو تلميذ الصادق « ع » ، وأما الشافعية فأخذوا عن محمد

ابن ادريس الشافعي وهو قرأ على محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة وعلى مالك فرجع فقهه اليها ، وأما احمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فقهه اليه ، وأما مالك فقرأ على اثنين أحدهما ربيعة الرأي وهو تلميذ عكرمة وهو تلميذ عبدالله بن عباس وهو تلميذ علي عليه السلام ، والثاني مولانا جعفر بن محمد الصادق ، وكان الخوارج تلامذة له ، وأما « النحو » فهو واضعه وكذا « علم التفسير » قال ابن عباس : حدثني امير المؤمنين « ع » في بابه بسم الله الرحمن الرحيم من اول الليل الى الفجر ولم يتم .

وقال الفضل

ذكر أن أبا حنيفة قرأ على الصادق ثم ذكر أن الشافعي قرأ على محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة وعلى مالك فرجع فقهه اليها ، ويفهم من هذا ان كل من قرأ على أحد يرجع فقهه اليه ، فيرجع فقه جميع الأئمة على هذا التقدير الى الصادق وفقهه الصادق عنده لاشك انه حق وصديق فلم يبق له بعد هذا الكلام اعتراض على الأئمة الأربعة وأما قوله : ان الشافعي قرأ على محمد بن الحسن فهو كذب باطل ، وأما قوله : ان جميع العلوم من الفقه والاصول والكلام يرجع الى أمير المؤمنين فإن أراد ان اصحاب هذه العلوم ما استفادوا في تدوين هذه العلوم من غير كلام امير المؤمنين فهو ممنوع ، وإن أراد انهم استفادوا من كلامه ايضا كما استفادوا من كلام باقي علماء الصحابة فهو حق لاشك فيه .

وأقول

ما فهمه من كلام المصنف « ره » وزعم انه لا يبقى بعده اعتراض على أئمتهم خطأ ظاهراً ، إذ ليس معنى الرجوع اليه اتفاق فتاويهم معه ، بل معناه انه اساس تحصيلهم ومنشأ قوتهم وإن خالفوه في امور خطيرة واحكام كثيرة استحسنوها بأرائهم وقاسوها بمقاييسهم ، ومنه يعلم ان ترديده في معنى رجوع العلوم الى امير المؤمنين « ع » غير حاصر فإن مراد المصنف « ره » ان امير المؤمنين « ع » اساس تلك العلوم ومنشأ قوة البحث والاجتهاد فيها وان استفاد العلماء رواية بعض الأحكام أو رواية تفسير بعض الآيات من غيره ، وهو غير ما أراد في شقي الترديد ، ولا يمكن أن ينكر ان امير المؤمنين « ع »

منشأ التحصيل وسبب قوة البحث والاستنباط والاجتهاد في علم الكلام والاصول والنحو بل والفقه والتفسير ، فان اعظم من ينظر اليه فيها هو ابن عباس وهو تلميذ امير المؤمنين « ع » لا في عرضه ، واما ابن مسعود فعلمه بالنسبة الى علم امير المؤمنين به كقطرة بالنسبة الى البحر المحيط ، اذ ليس هو بأعظم من ابن عباس وهو قد كان كذلك ، قال ابن ابي الحديد في مقدمة شرح نهج البلاغة : « ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه اخذ ومنه تفرع وإذا رجعت الى كتب التفسير علمت صحة ذلك لأن أكثره عنه وعن عبدالله بن عباس : وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له وانقطاعه اليه وانه تلميذه وخريججه وقيل له : أين علمك من ابن عمك ؟ فقال : كذسبة قطرة من المطر الى البحر المحيط » ، بل علمه وعلم جميع الصحابة بالنسبة الى علم امير المؤمنين (ع) كذلك فأين هم ممن عنده علم الكتاب وباب مدينة علم الرسول ، ومن يقول سلوني قبل أن تمقدوني ، وهل يتصور منصف أن يكون اصلاً في الكلام والتفسير والفقه من لا يعرف ان الله سبحانه لا يحويه مكان ويقول هو في السماء على العرش في جواب السائل أين هو ؟ ومن لا يعرف مفردات الكتاب كالأب والكلالة فضلا عن مركباته المتشابهة ويضرب السائل عن تفسير « والذاريات ذروا » فراراً عن جوابه ، ويقر بأن المخدرات أفقه منه .

واما تكذيبه للمصنف « ره » في دعوى قراءة الشافعي على محمد بن الحسن ، فمن الجهل ، قال ابن ابي الحديد في مقدمة شرح النهج : « ومن العلوم علم الفقه وهو (ع) اصله واساسه وكل فقيه في الاسلام عيال عليه ومستفيد من فقهه اما اصحاب ابي حنيفة كابن يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن ابي حنيفة واما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه ايضاً الى ابي حنيفة ، واما احمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه ايضاً الى ابي حنيفة وابو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد وقرأ جعفر على ابيه وينتهي الامر الى علي ، واما مالك بن انس فقرأ على ربيعة الرأي وقرأ ربيعة على عكرمة وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس وقرأ عبد الله بن عباس على علي وإن شئت رددت اليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك » .

قال المصنف طاب مرقره

و « علم الفصاحة » اليه مذسوب حتى قيل في كلامه انه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق ، ومن كلامه نعلم الفصحاء ، قال ابن نباتة : « حفظت من كلامه الف خطبة ففاضت ثم فاضت » وأما المتكلمون فأربعة معتزلة واشاعرة وشيعية وخوارج وانتساب الشيعة معلوم والخوارج كذلك فإن فضلاءهم رجعوا اليه ، وأما المعتزلة فانهم انتسبوا الى واصل بن عطاء وهو تلميذ ابى هاشم عبدالله وهو تلميذ ابيه محمد بن الحنفية وهو تلميذ ابيه علي ، وأما الاشاعرة فانهم تلاميذ ابى الحسن علي بن ابى بشر الأشعري وهو تلميذ ابى علي الجبائي وهو من مشايخ المعتزلة .

وقال الفضل

لا شك في توغل امير المؤمنين في العلم والفصاحة والأسرار المكنونة التي لم يطلع عليها احد غيره ، وأما ما ذكره من رجوع طوائف اهل الكلام اليه فان أراد به ان اصول كلامهم مأخوذ منه فهذا يوجب ان يكون اصول عقائد الخوارج والمعتزلة والاشاعرة مأخوذاً من امير المؤمنين وما كان مأخوذاً منه يكون حقاً وهذا لا يوافق مذهبه ؛ وان أراد به انهم ينتسبون اليه بلا أخذ العلم والعقيدة فانبات هذا لا يفيد فيه فيما يدعيه .

وأقول

ظهر لك بما سبق أن معنى رجوع هذه الطوائف هو أنه المؤسس لهم علم الكلام وطريقة الاستدلال على مسائله فلا ينافي خالفهم له في كثير من العقائد الحقّة ، وبكيفية من تعاليمه ما تضمنه نهج البلاغة الذي هو سنا النور الآسّي ومصباح العلم الأحمدى ، قال ابن أبي الحديد في مقدمة شرح النهج : « ما أقول في رجل تمزى اليه كل فضيلة ، وتذهي اليه كل فرقة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل ويذووعها وأبو عذرها وسابق مضمارها ومجني حلبتها كل من برح فيها إيمده فنه أخذ وله اقتنى وعلى مظهره احتذى وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الآسّي لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومعلومه أشرف الموجودات فكان هو أشرف العلوم ومن كلامه اقتبس وعنه نقل واليه انتهى ومنه ابتدأ

ظن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل وارباب النظر ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته واصحابه لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وابو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه ع « وأما الأشاعرة فأنهم ينتمون الى أبي الحسن علي بن أبي بشر الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي وابو علي أحد مشايخ المعتزلة فالأشعرية ينتمون بالأخرة الى استاذ المعتزلة ومعلمهم علي بن أبي طالب وأما الامامية والزيدية فانماؤم اليه ظاهر » .

قال المصنف أعلى الله درجته

وأما « علم الطريقة » فان جميع الصوفية وارباب الاشارات والحقيقة يسندون الخرقه اليه ، واصحاب الفتوة يرجعون اليه ، وهو الذي نزل جبرئيل ينادي عليه يوم بدر لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي وقال النبي (ص) : « أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى » ، اما انه الفتى فلا نه سيد العرب ، واما انه ابن الفتى فلا نه ابن ابراهيم الذي قال الله تعالى فيه : فتى يقال له ابراهيم ، واما انه أخو الفتى فلا نه أخو علي الذي قال جبرئيل فيه : لا فتى إلا علي .

وقال الفضل

ما ذكره أن الصوفية يرجعون اليه ينافي ما ادعى في صدر الكتاب أن الصوفية هم تاركو الصلاة والمعتقدون للحلول والاتحاد وكيف يجوز نسبهم الى امير المؤمنين وهذا عليهم وعقيدتهم ، ثم انتساب الخرقه لا يوجب أخذ العلم وأخذ العلم هو المدعى ، وفي الجملة هذا الرجل لا يعرف ما يقول وهو كالناقة المعفوء يرتعي كل حشيش .

وأقول

قد عرفت أن معنى الرجوع اليه هو انه الأصل لهم والأساس لأنهم وهو لا يستدعي الموافقة في كل شيء فان الملمين جميعاً ينتسبون الى انبيائهم مع أن الضلال قد غلب عليهم فغيروا وبدلوا ، ومنهم المسلمون بطوائفهم فأنهم ينتسبون الى دين النبي (ص) ويرجعون في علومهم اليه واكثر فرقهم ضلال ومنهم الصوفية فأنهم من المسلمين وينتسبون الى

النبي (ص) بالاسلام كما ينتسبون الى امير المؤمنين (ع) بعلم الطريقة وهما برئاث من عقاندهم وأعمالهم ؛ ويشهد لانتسابهم الى امير المؤمنين (ع) اسنادهم الخرقه اليه التي هي شعارهم سواء أرادوا بها كإيل سر الولاية فاستعاروا له الخرقه كلباس التقوى أم أرادوا بها الخرقه الظاهرية التي يزعم جهالهم انها الخرقه التي أخذوها عن اسلافهم عن أهل البيت عن امير المؤمنين (ع) . قال ابن أبي الحديد في مقدمة الشرح : « ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة واحوال التصوف وقد عرفت أن ارباب هذا الفن في جميع بلاد الاسلام اليه يتهون وعنده يقفون وقد صرح بذلك الشبلي والجنيدي وسري وابوزيد البسطامي وابو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم وبكفيك دلالة على ذلك الخرقه التي هي شعارهم الى اليوم وكونهم يستندونها باسناد متصل اليه (ع) » . فقد ظهر أن مراد المصنف (ره) بذكر الخرقه هو الاستشهاد بها على رجوعهم اليه لا أن اسنادها اليه موجب بذاته لأخذ العلم منه كما تخيله الفضل .

قال المصنف أعلى الله مقامه

وايضاً جميع الصحابة رجعوا اليه في الأحكام واستفادوا منه ولم يرجع هو الى أحد منهم في شيء البتة وقال عمر بن الخطاب في عدة مواضع : لولا علي لهلك عمر ، حيث رده عن خطأ كثير .

وقال الفضل

رجوع الصحابة اليه في الفتوى غير بعيد لأنه كان مفتي الصحابة والرجوع الى المفتي من شأن المستفتين وإن رجوع عمر اليه كرجوع الأنمة وولادة العدل الى علماء الأئمة ، ما ذكره من قوله لولا علي لهلك عمر ؛ فهو من فضائل عمر في عدله وصدقه وانصافه وتواضعه .

وأقول

لاشك في رجوعهم اليه واستفتائهم منه لاسيما في غوامض المسائل التي لا يهتدون اليها سبيلاً ولا يعرفون لها عند أحد مخرجاً وما هو إلا لظهور فضله عليهم والأفضل

أحق بالامامة ، وأما قوله أن رجوع عمر اليه كرجوع الأئمة وولاية العدل الى علماء الامة فهو توجبيل لعمر إذ اعتبره كسائر الولاة الذين يحتاجون الى علم العلماء ، وقد سبق موضحاً ان الامام أجل قدراً وأعلى شأناً من أن يحتاج الى علم الرعية ، وأما ما زعمه من صدق عمر وتواضعه فتتباين ظاهره لأن الحق ان كان مع امير المؤمنين (ع) وكان عمر صادقاً في قوله لزم أن لا يكون ذلك تواضعاً بل اقراراً بالحق وإن كان الحق مع عمر فلا وجه لاقراره بعدم علمه بغير الحق تواضعاً بل لزم أن يكون كاذباً في قوله .

قال المصنف رفع الله درجته

وفي مسند احمد بن حنبل لم يكن أحد من أصحاب النبي « ص » يقول سلوني إلا علي بن أبي طالب : وفي صحيح مسلم أن علياً قال على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني سلوني عن كتاب الله عز وجل فما من آية إلا واعلم حيث نزلت بحضيض جبل أو سهل أرض ، سلوني عن الفتن فما من فتنة إلا وقد علمت كبشها ومن يقتل فيها ، وكان يقول سلوني عن طرق السماء فاني أعرف بها من طرق الأرض ، وقال علي : علمني رسول الله الف باب من العلم في كل باب الف باب ، وقضاياه العجيبة أكثر من أن تحصى كقسمة الدراهم على صاحبي الأرغفة ، وبسط الدية على القامصة والناخسة ، وإلحاق الولد بالقرعة وصوبه النبي (ص) ، والأمر بشق الولد نصفين حتى رجعت المتداعيتان الى الحق ، والأمر بضرب عنق العبد حتى رجع الى الحق ، وحكمه في ذي الرأسين بايقاظ أحدهما واستخراج حكم الخبيث وأحكام البغاة ، قال الشافعي : عرفنا أحكام البغاة من علي ، وغير ذلك من الأحكام الغريبة التي يستحيل أن يهتدي اليها من سئل عن الكلاله والأب فلم يعرفها ، وحكم في الجد بمائة قضية .

وقال الفضل

ما ذكره من الأفضية والأحكام التي قضى فيها أمير المؤمنين فهو حق لا يرتاب فيه وهذا شأنه وهو مشتهر به ، وأما قوله : سلوني فهذا من وفور علمه كالبحر الزاخر الذي يتموج بمافيهِ ويريد إلقاء الدر على الساحل ويش هذا من باب النزاع حتى يقيم فيه

الدلائل ، وأما قوله : من سئل عن الكلالة والأب فلم يعرفها فهو من المطاعن وستعرف جوابه في محله ان شاء الله .

وأقول

مقصود المصنف « ره » بيان فضل أمير المؤمنين « ع » وأنه لا نسبة بينه وبين من تقدم عليه فكيف يكون رعية لهم وهم أعداءه ، والله سبحانه يقول : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . ويقول : « أثن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون » . وليس مراده مجرد بيان علم أمير المؤمنين عليه السلام لثلا يكون محل النزاع ولا مجرد الظن في غيره ليحيل جوابه على ما يأتي .

أخباره بالمغيبات

قال المصنف سرف الله قرره

(المطلب الثالث) الاخبار بالغيب ، وقد حصل منه في عدة مواطن « فنها » انه قال في خطبة : سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة إلا نبأتكم بناعقها وسائقها الى يوم القيامة ، فقام اليه رجل فقال له : اخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر ؟ فقال (ع) : والله لقد حدثني خليلي رسول الله (ص) بما سألت ، وأن على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك ، وأن على كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يستفزك ، وأن في بيتك استخلا يقتل ابن رسول الله (ص) ، ولولا أن الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرت به ، ولكن آية ذلك ما نبأت به من لعنك وسخطك الملعون ، وكان ابنه في ذلك الوقت صغيراً وهو الذي قتل الحسين (ع) . وأخير بقتل ذي الثدية من الخوارج وعدم عبور الخوارج النهر بعد أن قيل له قد عبروا ، وعن قتل نفسه ، وبقطع يدي جوهرية بن مسهر وصلبه فوقع في أيام معوية ، وبصلب ميثم التمار وطلعه بحربة عاشر عشرة وأراه النخلة التي يصلب على جذعها ، ففعل به ذلك عبيد الله بن زياد عليها اللعنة ، وبقطع يدي رشيد الهجري ورجليه وصلبه ففعل ذلك به ، وقتل قنبر فقتله الحجاج ، وبأفعال الحجاج التي صدرت عنه . وجاء رجل اليه

فقال ان خالد بن عرفطة قد مات فقال (ع) إنه لم يمِت ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن حمار ، فقام رجل من تحت المنبر فقال : يا أمير المؤمنين اني لك شيعه ومحب ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا حبيب بن حمار : قال : إياك أن تحملها ولتحملها وتدخل بها من هذا الباب وأمرى بيده الى باب الفيل ، فلما كان زمان الحسين عليه السلام جعل ابن زياد خالد بن عرفطة على مقدمة عمر بن سعد وحبيب بن حمار صاحب رايته فسار بها حتى دخل من باب الفيل . وقال للبراء بن عازب يقتل ابني الحسين وأنت حي لا تنصره فقتل الحسين وهو حي لم ينصره . ولما اجتاز بكر بلا في وقعة صفين بكى وقال : هذا والله مناخ ركابهم وموضع قتالهم ، وأشار الى ولده الحسين واصحابه . وأخير بعارة بغداد وملك بني العباس واحوالهم وأخذ المغول الملك منهم . وبواسطة هذا الخبر سلمت الحلة والكوفة والمشهدان من القتل في وقعة هلاكوا لأنه لما ورد بغداد كاتبه والذي والسيد ابن طاوس والفقير ابن أبي المعز ، وسألوا الأمان قبل فتح بغداد فطلبهم غافوا فمضى والذي اليه خاصة ، فقال : كيف أقدمت على المكاتبة قبل الظاهر ؟ فقال له والذي : لأن أمير المؤمنين (ع) اخبر بك وقال : « انه يرد الترك على الأخير من بني العباس يقدمهم ملك يأتي من حيث بدأ ملكهم جهوري الصوت لا يمر بمدينة إلا فتحها ، ولا ترفع له راية إلا فكسها ، الويل الويل لمن ناره ، فلا يزال كذلك حتى يظفر » . والاخبار بذلك كثيرة .

وقال الفضل

من ضروريات الدين ان علم الغيب مخصوص بالله والنصوص في ذلك كثيرة (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر) الآية . (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) الآية . فلا يصح لغير الله ان يقال إنه يعلم الغيب ، ولهذا لما قيل عند رسول الله (ص) في الرجز : وفيما نبي يعلم ما في الغد ، أنكر على قائله وقال : دع هذا وقل غير هذا ، وبالجملة لا يجوز أن يقال لا أحد فلان يعلم الغيب ، نعم الاخبار بالغيب بتعليم الله جائز وطريق هذا التعليم إما الوحي أو الالهام عند من يجعله طريقاً الى علم الغيب ، فان صح ان أمير المؤمنين أخير بالمغيبات فلا بد أن يقال : انه كان بتعليم الله إما

بالإلهام كما يكون للأولياء أو بالسماع من رسول الله (ص)، وبعض الناس على أنه كان يعلم بالعلم الموسوم بالجفر والجامعة، وهو أيضاً من تعليم الله، فكان ينبغي له أن يبين حقيقة هذا، ولا يطلق القول بالأخبار بالمغيب فإنه يؤهم أن البشر يمكن له الأخبار بالمغيب، وأما ما ذكر من الأخبار بوقائع خروج الترك وخراب بغداد فمقدّم جاء في بعض الأحاديث الأخبار عنه، وهو بتعليم الله كما يقتضيه نصوص الكتاب وضرورة الدين.

وأقول

من نظر الى مفتتح كلامه تخيل أن المصنف (ره) جاء بذنب لا يغفر، وما برح بعد القعقة حتى كانت نتيجة كلامه أنه ينبغي للمصنف (ره) أن يبين الحقيقة ولا يطلق القول بالأخبار بالمغيب، وليت شعري أي جواب في هذا عن كون أمير المؤمنين (ع) ذا الفضيلة على غيره بالأخبار بالمغيبات القاضي بامتيازته على غيره وبإمامته دون من سواه، ثم أي ضرر في الإطلاق وهو مما لا إيهام فيه لمعلومية المراد منه عند الجاهل فضلاً عن الفاضل على أن المصنف (ره) ذكر من الأحاديث ما يدل على أن أخبار أمير المؤمنين (ع) بالمغيب كان من حديث رسول الله (ص) فيرتفع الإيهام لو وجد، وقد نقل ابن أبي الحديد كثيراً مما ذكره المصنف (ره) ومن غيره في عدة صحائف (١) ويشهد لعلمه بالمغيب أيضاً بدفنه خفية مع كون السلطان لهم بالفعل فإنه لم يقع مثله عادة ولا يحسن أن يفعله بنوه لولا علمه وعلمهم باستيلاء معوية وبني أمية على البلاد وهم غير مأمونين من اهانة قبره الشريف بنش أو نحوه، وكذا يعلم بكثرة الخوارج بعد وعدائهم له بخاف منهم ما خافه من بني أمية أو علمه منهم جميعاً، فأوصى سيدي شباب أهل الجنة - العالمين بما يعلم - أن يدفناه ليلاً ولا يظهر قبره، فأخفياه حتى قام الرشيد ببنائه وإظهاره لكرامة ذكرها المؤرخون.

(١) اولها ص ٢٠٨ ج ١، وذكر غيرها ص ١٧٥ ج ٢، وبعدها ص ٥٠٨ ج ٢.

سُبَاغَةُ

قال المصنف أُمِزَلِ اللهُ تَرَاهُ وَأُمِرْهُ

(المطاب الرابع) في الشجاعة ، وقد أجمع الناس كافة على أن علياً (ع) كان اشجع الناس بعد النبي (ص) وتمعجت الملائكة من حملانه ، وفضل النبي (ص) قتله لعمرو ابن عبد ود على عبادة الثقلين ، ونادى جبرئيل : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ، وروى الجمهور ان المشركين كانوا إذا أبصروا علياً في الحرب عهد بمضهم الى بعض.

وقال الفضل

شجاعة امير المؤمنين أسرا لا ينكره إلا من انكر وجود الرخ السمك في السماء أو حصول درع السمك في الماء . مقدام إذ الأبطال تحجم لبث إذ الملاحم تهجم وهذا مما يسلمه الجمهور وليس هذا محل نزاع حتى يقام عليه الدليل .

وأقول

سبق ان الشجاعة شرط في الامام اذا ثبتت اشجعية امير المؤمنين كان اولى بالامامة وقول الفضل شجاعة امير المؤمنين الى آخره دون ان يقول اشجعيته ، غفلة او تغافل إلا ان يرى ان لا شجاعة لغيره ولو بالنسبة اليه فيكون حسناً .

زهده

قال المصنف رَفُوعُ اللهِ ذَرَمُهُ

(المطلب الخامس) في الزهد ، لا خلاف في انه ازهد اهل زمانه طلق الدنيا ثلاثاً ، قال قبيصة بن جابر : ما رايت في الدنيا ازهد من علي بن ابي طالب كان قوته الشيعر غير المأدوم ولم يشبع من البر ثلاثة ايام ، قال عمر بن عبد العزيز : « ما علمنا ان احداً كان في هذه الأمة بعد النبي ازهد من علي بن ابي طالب » . وروى اخبط خوارزم عن عمار ابن ياسر قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « يا علي ان الله تعالى زينك بزينة لم يزين العباد بزينة هي احب اليه منها زهدك في الدنيا وبغضها اليك ، وحبيب اليك الفقراء فرضيت بهم

اتباعاً ورضوا بك اماماً ، يا علي طوبى لمن احبك وصدق عليك ، والويل لمن ابغضك وكذب عليك ، اما من احبك وصدق عليك فاخوانك في دينك وشركاؤك في جنتك ، واما من ابغضك وكذب عليك فحقيق على الله ان يقيمه يوم القيامة مقام الكاذبين .

وقال الفضل

اما زهد امير المؤمنين فهو مسلم عند الجمهور ولو اخذنا في الحكايات الدالة على زهد مما رواه جمهور اصحابنا لطال الكتاب ، وهذا الرجل يزعم ان اهل السنة والجماعة ينكرون فضائل امير المؤمنين حاشا هم عن ذلك اما ينكر فضائل الشمس الخفافيش .

وأقول

ليس الغرض بيان زهد امير المؤمنين (ع) فانه اشهر واظهر من ان يذكر ، وانما الغرض ازهديته الكاشفة عن فضله الذاتي على من سواه وقربه الأقرب الى الله تعالى ، فان اقر القوم بذلك فنعم الوفاق وإلا فليأتوا بسورة من مثله ، وتزيه الفضل لأصحابه لا حقيقة له ، فانهم انكروا اعظم فضائله واجمعها للمزايا وهي خلافته بنص النبي (ص) وانكروا عصمته وفضله على من سواه الذي هو من اظهر الضروريات ، والفضل بنفسه لم يستطع ان يقر لا امير المؤمنين وامام المتقين بالافضلية في العلم والشجاعة والزهد بل اثبت له كما رايت اصل هذه الامور فقط ، فهل يرى ان انكار فضائله انما هو بانكار علمه وشجاعته وزهده فهذا لا يقدر عليه حتى الخوارج . ثم ان الحديث الذي حكاه المصنف (ره) عن اخطاب خوارزم قد حكاه في كنز العمال (١) ، ونقله ابن ابي الحديد في شرح النهج (٢) كلاهما عن ابي نعيم في الحلية بسنده عن عمار ولفظه هكذا (يا علي ان الله قد زينك بزينة لم زين العباد بزينة احب اليه منها هي زينة الأبرار عند الله الزهد في الدنيا ، فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً) ، ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم اتباعاً وبرضون بك اماماً) . ثم قال ابن ابي الحديد وزاد فيه ابو عبد الله احمد بن حنبل في المسند (فطوبى لمن احبك وصدق فيك ، وويل لمن

ابغضك وكذب فيك) . وروى الحاكم هذه الزيادة فقط (١) وقال هذا حديث صحيح الاسناد ، ونقلها أيضاً في السكز (٢) عن الطبراني والخطيب مع الحاكم .

كرمه

قال المصنف ضاعف الله أجره

(المطلب السادس) في السكرم ، لا خلاف في انه كان اسخى الناس جاد بنفسه فأَنْزَلَ الله في حقه « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله » ، وتصدق بجميع ماله في عدة مرار ، وجاد بقوته ثلاثة ايام وكان يعمل بيده حذيقة ويتصدق بها .

وقال المفضل

جود امير المؤمنين اشهر من سخاء البحر والسحاب واظهر من موج القاموس العباب ، فهو اسخى من مدرار الهواطل إذا فاض على الرمال واجود من سيل دوث يسيل بين الجبال .

وأقول

قد عرفت ان الكلام في هذا ونحوه في الأفضلية ، فان اقر به الفضل فهو المراد وإلا فليأت بشبهه وكيف يقاس بمن جاد بنفسه في جميع مواقف الزحام من يحملها في كل مقام وفر مراراً عن سيد الأنام ، او يقاس بمن سخا بجميع ماله على الأبعد من ضنّ بيمضه على الأقارب ، وحمل يوم الهجرة ماله كله وترك بلا قوت اهله ، وهل يلحق من آثر على نفسه ولم يعز عليه قوته من كانت في اموال المسلمين نهمة حتى كبت به بطنته .

استجابة دعائه ومحسن خلقه ومعلمه

قال المصنف قدس الله روحه

(المطلب السابع) في استجابة دعائه ، كان رسول الله (ص) قد استسعد به وطلب

تأمينه على دعائه يوم المباهلة ولم تحصل هذه المرتبة لأحد من الصحابة ، ودعا على أنس ابن مالك لما استشهده على قول النبي (ص) : من كنت مولاه فعلي مولاه فاعتذر بالنسيان فقال : اللهم ان كان كاذباً فاضربه ببياض لا تواريه العمامة فبرص ، ودعا على البراء (١) بالعمى لأجل نقل اخباره الى معوية فعمى ، وردت عليه الشمس مرتين لما دعا به ، ودعا في زيادة الماء لأهل الكوفة حتى خافوا الغرق فنقص حتى ظهرت الحيتان فكلمته إلا الجري والمارماحي والزمار فتمجج الناس من ذلك ، وأما حسن الخلق فبلغ فيه الغاية حتى نسبته اعداؤه الى الدعاية ، وكذا الحلم . قال رسول الله (ص) اعاطمة (ع) إني زوجتك من أقدم الناس سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حِلماً .

وقال الفضل

ما ذكره في هذا المطلب من استجابة دعاء امير المؤمنين فهذا أمر لا ينبغي أن يرتاب فيه ، وإذا لم يكن دعاء سيد الأولياء مستجاباً فمن يستجابه الدعاء ، وأما ما ذكر أن النبي (ص) استسعد بدعائه فقد ذكرنا سر هذا الاستسعاد والاشتراك في الدعاء في المباهلة أن هذا من عادات أهل المباهلة أن يشاركوا القوم والنساء والأولاد في الدعاء ، ويضعهم منه أن النبي استسعد بدعائه لاحتياجه الى ذلك الاستسعاد وهذا باطل عقلاً ونقلاً أما عقلاً لأن النبي لاشك أنه كان مستجاب الدعوة ومن كان مستجاب الدعوة فلا يحتاج الى استسعاد الغير ، وأما نقلاً فلا لأن الاشتراك في الدعاء في المباهلة لم يكن للاستسعاد بل لما ذكرنا ، وأما ما ذكر أن امير المؤمنين استشهد من أنس بن مالك فاعتذر بالنسيان فدعا عليه فالظاهر أن هذا من موضوعات الروافض لأن خبر من كنت مولاه فعلي مولاه كان في غدير خم وكان لكثرة سماع السامعين كالمستفاض فأبي حاجة الى الاستشهاد من أنس ، ولو فرض أنه استشهد ولم يشهد أنس لم يكن من اخلاق امير المؤمنين أن يدعوا على صاحب رسول الله (ص) ومن خدمه عشر سنين بالبرص ووضع الحديث ظاهر .

وأقول

استجابة الدعاء في مثل هذه الامور الخارقة للعادة لا تقع إلا لنبى أو وصي نبى، لاشتمالها على المعجز وليس مثالا لغير امير المؤمنين (ع) فيكون هو الامام، وأما ما ذكره من سر الاستسعاد فهو من الأسرار الخاصة بضائر المخالفين لأهل البيت إذ لم يظهر علمه لغيرهم كما عرفته في الآية السادسة والحديث الثامن، كما أن الاستسعاد لا يتوقف على الحاجة الواقعية بل هو من أمر الله تعالى لبيان شرف آل محمد (ص) عنده وعنايته بهم ومن كمال الرسول حيث لا يظهر منه الاعتماد على نفسه، وإن له حقاً على الله في الاجابة كما سبق موضحاً، وأما تكذيبه للدعاء على انس بحجة انس حديث القدير مستفيض لا يحتاج الى الاستشهاد ففيه ان أمير المؤمنين (ع) إذا أراد بيان استفاضته وكثرة المطلعين عليه لتظهر امامته بالنص، وهذا مما يحتاج الى أعظم الشواهد عند من نشأوا على موالاة الأولين، ولولا هذا ونحوه لم يكثر الشيعة بالكوفة فيكون كتمان الشهادة فيه كتماناً لما أنزل الله تعالى فيستحق كاتمها العقوبة في الدنيا وأشد العذاب في الآخرة، ولا ريب برجحان الدعاء بمثل البرص ليكون شاهداً عياناً مستمرّاً على صدق حديث القدير وامامة امير المؤمنين عليه السلام، ولا يستبعد منه الدعاء على خادم النبي (ص) فان ضرر كتمان في مثل المقام أشد من غيره وهو أولى بالعقوبة، ولذا كان عذاب العاصية من أزواج النبي (ص) ضعفين، وليس هذا اول سيئة من أنس مع امير المؤمنين (ع) بل له نحوها في قصة الطائر وغيرها وهو من المنحرفين عنه قال ابن ابي الحديد (١): «ذكر جماعة من شيوخنا البغداديين ان عدة من الصعابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي (ع) قائلين فيه السوء، ومنهم من كتم مناقبه وأعان عداؤه ميلاً مع الدنيا وايشاءً للعاجلة فتهم أنس بن مالك ناشد علي الناس في رحبة القصر وأقالوا رحبة الجامع بالكوفة: أيكم سمع رسول الله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقام اتى عشر رجلاً فشهدوا بها وأنس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له: يا انس ما يمنعك أن تقوم فتشهد ولقد حضرته؟ فقال: يا امير المؤمنين كبرت ونسيت، فقال: اللهم

ان كان كاذباً فآرمه بها بيضاء لا توارىها العامة : قال طلحة بن عمار : فوالله لقد رأيت
الوضح به بعد ذلك ابيض بين عينيه . وروى عثمان بن مطرف ان رجلاً سأل انس بن
مالك في آخر عمره عن علي بن ابي طالب فقال : إني آليت أن لا اكنم حديثاً سئلت
عنه في علي بعد يوم الرحبة ، ذاك رأس المتقين يوم القيامة ، سمعته والله من نبيكم .
وروى ابو اسرائيل عن الحكم عن ابي سليمان المؤذن أن علياً نشد الناس : من سمع
رسول الله (ص) يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ؟ فسمه له قوم وأمسك زيد
ابن ارقم فلم يشهد وكان يعلما . فدعا علي عليه بذهاب البصر فعمي ، فكان يحدث الناس
بالحديث بعد ما كف بصره . وذكر فيه أمر البرص بمجل آخر (١) ثم قال : « ذكر
ابن قتيبة حديث البرص والدعوة في كتاب المعارف في باب البرص من اعيان الرجال
وابن قتيبة غير مهم في حق علي على المشهور من انحرافه عنه » . وقد روى احمد في
مسنده من عدة طرق استشهاد امير المؤمنين (ع) بالرحبة وقيام من قام للشهادة ، وفي
بعضها فقام إلا ثلاثة ودعا عليهم فأصابتهم دعوته كما سبق في الآية الثانية .

هذا وقد أغفل الفضل ما ذكره المصنف (ره) من فضل امير المؤمنين (ع) بالحلم
وحسن الأخلاق المطلوبين في الأئمة ، ولا ريب بامتياز علي غيره بها .
وأما الحديث الذي نقله المصنف (ره) في تفضيل النبي (ص) لحلم امير المؤمنين
عليه السلام فقد رواه احمد في مسنده (٢) ونقله في كنز العمال (٣) عن ابن جرير قال :
وصححه وعن الدولابي في النرية الطاهرة من حديث ذكر فيه خطبة ابي بكر وعمر
لفاطمة (ع) واباء النبي (ص) وترويحها من علي « ع » وقول النبي « ص » لفاطمة
والله لقد انكحتك اكثرهم علماً وافضلهم حليماً واقدمهم سلماً ، قال : وفي لفظ اولهم
سلماً ، ونقله أيضاً في السكز (٤) عن الطبراني بلفظ : انه لأول صحابي سلماً واكثرهم علماً
واعظمهم حليماً . ولولا خوف الاطالة والملا للذكرت في حله من الأخبار والآثار ما
كثر ، وقد ذكر ابن ابي الحديد في مقدمة الشرح وفي أثنائه نبذاً من حلم امير المؤمنين
عليه السلام وصفحه وحسن اخلاقه فراجع .

عبادته من فضائله البدنية

قال المصنف شرف الله قدره

(القسم الثاني) في الفضائل البدنية وينظمها مطلبان : « الأول » في العبادة لآخلاف انه « ع » كان أعبد الناس ومنه تعلم الناس صلاة الليل والأدعية الماثورة والمنساجة في الأوقات الشريفة والأماكن المقدسة ، وبلغ في العبادة الى أنه كان يؤخذ الذئب من جسده عند الصلاة لا يقطع نظره عن غير الله تعالى بالكلية ، وكان مولانا زين العابدين عليه السلام يصلي في اليوم واليلة الف ركعة ويدعو بصحيفته ثم يري بها كالمتمنجر ويقول : أتني لي بعبادة علي (ع) قال الكاظم « ع » ان قوله تعالى : « تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود » نزلت في امير المؤمنين « ع » ، وكان يوماً في صفين مشتغلاً بالحرب وهو بين الصفيين يراقب الشمس فقال ابن عباس : ليس هذا وقت صلاة إن عندنا لشغلاً فقال علي « ع » : فعلام نقاتلهم إنما نقاتلهم على الصلاة وهو الذي عبد الله حق عبادته حيث قال : ما عبدتك خوفاً من نارك ولا شوقاً الى جنتك ولكن رأيتك أهلاً للعبادة فعبدتك .

وقال الفضل

عبادة أمير المؤمنين لا يقاربه العابدون ولا يدانيه الزاهدون الملائكة عاجزون عن تحمل اعبائها وأهل القدس مقترفون من بحار صفائها ، وكيف لا وهو أعرف الناس بجلال القدس وجمال الملكوت وأعشق النفوس الى وصال الجبروت ، وأما ما ذكر أنه عبد الله حق عبادته فهو لا يصح لأن النبي « ص » قال مع كمال العبادة ما عبدناك حق عبادتك ، وانفق العارفون ان الله لا يقدر أحد أن يعبدته حق عبادته والدلائل على هذا مذكورة في محاله .

وأقول

إنما الممتنع هو العبادة بمحققها من جميع الوجوه كما وكيفا ، وأما من جهة خاصة فلا ، كمبادته سبحانه لذاته لا خوفاً ولا طمعاً ، وهي التي أرادها المصنف « ره » ، ولذا جعل

قوله « ع » : ما عبدتك خوفاً من نارك الى آخره . تعليلاً لكونه عبد الله حق عبادة وهي عبادة الأحرار لا عبادة العبيد والتجار ، قال ابن ابي الحديد في مقدمة الشرح : « كان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له قطع بين الصفتين ليلة الحرير فيصلي عليه ورده والسهم تقع بين يديه وتغر على صاخيهِ يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته ، وما ظنك برجل كانت جبهته كشنة البعير اطول سجوده ، وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ووقعت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه واجلاله وما تتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته والاستحذاء له عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص وفهمت من أي قلب خرجت وعلى أي لسان جرت ، وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان الغاية في العبادة : أين عبادتك من عبادة جدك ؟ قل : عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله . ولا غرو فقد وحد الله قبل الناس طغلاً وعبداه صبياً مع النبي سبع سنين في محل لم يعبد فيه عابد ولم يسجد له من الملائكة ساجداً . وهذا بالضرورة لم يكن إلا من كمال النفس وصفاء الذات وتنام العلم والمعرفة التي امتاز بها على من لم يعرف ضمة الحجارة في اكثر أعوامه ، ولم يتصف بأدنى مراتب تلك العبادة في باقي أيامه ، روى البخاري في باب يفكر الرجل الشيء في صلاته قبل أبواب السهو عن عمر قال : « إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة » وروى في كثر الحال (١) : « أن عمر صلى بالناس المغرب ولم يقرأ شيئاً ، فلما فرغ قيل له : فاعتذر بأنني جهزت إلى الشام وجعلت انقلها منقلة منقلة حتى قدمت الشام فبعيتها وأقتابها وأحلاسها وأماها » . فكيف يقاس هذا بصاحب تلك العبادة والمعرفة وهل يحسن بشرية العقل أن يكون هذا رعباً دينياً وأما ما مذهبياً وذاك مأموماً ما هذا بحكم عدل ولا قول فصل .

(المطلب الثاني) في الجهاد ، وإنما تشيدت مباني الدين وثبتت قواعده وظهرت معالمه بسيف مولانا امير المؤمنين وتمجبت الملائكة من شدة بلائه في الحرب ، في غزاة بدر وهي الداهية العظمى على المسلمين واول حرب ابتلوا بها قتل صناديد قريش الذين طلبوا المبارزة . كالوليد بن عتبة ، والعاص بن سعيده بن العاص الذي احجم المسلمون عنه ، ونوفل بن خويلد الذي قرن أبا بكر وطلحة بمكة قبل الهجرة وأوقفها بمجمل وعذبتها ، وقال رسول الله « ص » : لما عرف حضوره في الحرب اللهم اكفني نوفلا ، ولما قتله علي { ع } قال رسول الله { ص } : الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه ، ولم يزل يقتل في ذلك اليوم واحداً بعد واحد حتى قتل نصف المقتولين وكانوا سبعين ، وقتل المسلمون كافة وثلاثة آلاف من الملائكة المسوطين النصف الآخر . وفي غزاة أحد انهزم المسلمون عن النبي « ص » وربي رسول الله « ص » وضربه المشركون بالسيف والرمح وعلي يدافع عنه ، فظروا اليه النبي « ص » بعد افاقته من غشيته ، وقال : ما فعل المسلمون ؟ فقال : نقضوا العهد وولوا الدبر ، فقال : اكفني هؤلاء ، فكشفهم عنه ، وصاح صائح بالمدينة قتل رسول الله « ص » فأنخلعت القلوب ، ونزل جبرئيل قائلاً : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » ، وقال للنبي « ص » : يا رسول الله لقد عجبت الملائكة من حسن مواساة علي لك بنفسه ، فقال النبي « ص » : ما يمنعه من ذلك وهو مني وأنا منه ، ورجع بعض الناس لثبات علي « ع » ورجع عثمان بعد ثلاثة أيام ، فقال النبي (ص) : لقد ذهبت بها عريضاً . وفي غزاة الخندق أحرق المشركون بالمدينة كما قال الله تعالى : « إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم » ، ونادى المشركون بالبراز فلم يخرج سوى علي : وفيه قتل أمير المؤمنين (ع) عمرو بن عبدود ، قال ربعة السعدي : أتيت حذيفة بن اليمان فقلت : يا أبا عبد الله إنا لنتحدث عن علي ومنافقه فيقول أهل البصرة : إنكم لتفرطون في علي فهل تحدثني بحديث ؟ فقال

حذيفة: والذي نفسي بيده لو وضع جميع أعمال أمة محمد في كفة ميزان منذ بعث الله محمداً إلى يوم القيامة ووضع عمل علي في الكفة الأخرى لرجح عمل علي على جميع أعمالهم ، فقال ربيعة : هذا الذي لا يقام له ولا يقعد ، فقال حذيفة : يا لكع وكيف لا يحمل وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب النبي (ص) يوم عمرو بن عبدود وقد دعا إلى المبارزة فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً ، فانه نزل إليه فقتله ؛ والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم اعظم أجراً من عمل أصحاب محمد إلى يوم القيامة . وفي يوم الأحزاب تولى أمير المؤمنين قتل الجماعة . وفي غزاة بني المصطلق قتل أمير المؤمنين مالئكا وابنه وسبى جويرية بنت الحارث فأصطفاها النبي (ص) . وفي غزاة خيبر كان الفتح فيها لأمر المؤمنين (ع) قتل مرجاً وانهمز الجديش بقتله وأغلقوا باب الحصن فعالجه أمير المؤمنين (ع) ورمى به وجعله جسراً على الخندق المسلمين وظفروا بالحصن وأخذوا الغنائم وكان يقبله سبعون رجلاً ، وقال عليه السلام : والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية بل بقوة ربانية . وفي غزاة الفتح قتل أمير المؤمنين (ع) الحورث بن نفيل بن كعب وكان يؤذي النبي « ص » وقتل جماعة وكان الفتح على يده . وفي غزاة حنين حين استظهر النبي { ص } بالكثرة فخرج بعشرة آلاف من المسلمين فهانهم أبو بكر وقال إن تغلب اليوم من قلة فانهزموا بأجمعهم ، ولم يبق مع النبي { ص } سوى تسعة من بني هاشم ، فأمر الله تعالى : « ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين » يريد علياً ومن ثبت معه ، وكان علي يضرب بالسيف بين يديه والعباس عن يمينه والفضل عن يساره وابوسفیان بن الحارث يسك سرجه ونوفل ربيعة ابنا الحارث وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب ، وقتل أمير المؤمنين جمعاً كثيراً ، فانهزم المشركون وحصل الأسر ، وابتلي بجميع الغزوات وقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . وروى أبو بكر الأنباري في أماليه أن علياً { ع } جلس إلى عمر في المسجد وعنده ناس فلما قام عرض واحد بذكره ونسبه إلى التيه والعجب فقال عمر : حق لمثله أن يتيه والله لولا سيفه لما قام محمود الاسلام وهو بعد أقصى الامة وذو سبقها وذو شرفها ، فقال له ذلك القائل : فما منعكم يا أمير المؤمنين عنه ؟ فقال :

كرهناه على حدائق السن وحبه بني عبدالمطلب وحملة سورة براءة الى مكة وكان النبي {ص} أنفذ بها أبا بكر فنزل عليه جبرئيل وقال ان ربك يقرأك السلام ويقول لك : لا يؤدبها إلا أنت أو واحد منك ، وفي هذه القصة وحدها كفاية في شرف علي وعلو مرتبته بأضعاف كثيرة على من لا يوثق على أدائها ولم يؤمن عليها ، وهذه الشجاعة مع خشونة أكله فانه لم يطمع البر ثلاثة أيام ، وكان يأكل الشعير بغير ادماء ويختم جريشه لثلا يؤدمه الحسنان عليهما السلام وكان كثير الصوم كثير الصلاة مع شدة قوته حتى قلع باب خير وقد عجز عنه المسلمون ، وفضائله أكثر من أن تحصى .

وقال الفضل

ما ذكر من بلاء أمير المؤمنين في الحروب مع رسول الله {ص} فهذا أمر لا شبهة فيه ، وكان في أكثر الحروب صاحب الظفر وهذا مشهور مسلم لا كلام لأحد فيه ، وما ذكر من بلائه يوم بدر وانه قتل الرجال من صناديد قریش فهو صحيح وهو أول من بارز الصف يوم بدر حين خرج عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وطلبوا المبارزة فخرج اليهم فئة من الأنصار فقالوا نحن لا نبارزكم ثم نادوا يا محمد فانتخرج الينا اكفاؤنا من قریش فقال رسول الله : يا عبيدة يا حمزة يا علي اخرجوا فخرجوا وبارز عبيدة بن الحارث عتبة وحمزة شيبة ، وعلي الوليد ، فقتل علي الوليد ، وحمزة شيبة ، واختلف الضرب بين عتبة وعبيدة فعاونه علي وحمزة وقتلوا عتبة . وهذا أول مبارزة وقع في الاسلام وكان أمير المؤمنين فارسه . وأما ما ذكر من بلائه يوم أحد فهو صحيح ولـكن كان الصحابة ذلك اليوم صاحبي بلاء وكان طلحة بن عبيد الله صاحب البلاء ذلك اليوم ، وكذا سعد ابن أبي وقاص وأبي دجانة وجماعة من الأنصار . وأما ما ذكر من أمر حنين وان أبا بكر عانهم فهذا من أكاذيبه وكيف يعين أبو بكر اصحاب رسول الله (ص) وكان هو ذلك اليوم شيخ المهاجرين وصاحب رايهم ، ولـكن رجل من المسلمين أعجبه الكثرة فأزل الله تلك الآية .

وأما ما ذكر من أن عتبة ومعتب ابني أبي لهب وقفوا عند النبي (ص) يوم حنين فهذا من عدم علمه بالتاريخ ، ألم يعلم أن عتبة دعا عليه رسول الله (ص) أن يسلط الله عليه

كلباً من كلابه فافترسه الأسد وذلك قبل الهجرة ومات في الكفر فكيف حضر مع رسول الله « ص » في غزوة حنين وهذا من جهله بأحوال السابقين ، وأما قصة سورة براءة فقد ذكرنا حقيقته قبل هذا وأنه كان لأجل أن يعتبر العرب على نبذ العهد لأنه لم يكن أبو بكر موثقاً به في أداء سورة براءة ، وهذا كلام لا يرتضيه أحد من المسلمين أن مثل أبي بكر وكان شيخ المهاجرين وأمين رسول الله لا يثق عليه رسول الله في نبذ العهد وقراءة سورة براءة ، وهذا من غاية تعصبه وجهله بأحوال الصحابة .

وأقول

لا نعرف بلاء لأحد يوم أحد إلا لأمر المؤمنين « ع » وأبي دجاة والمستشهدين ، وما قيل من بلاء طلحة وسعد فحل نظر لأنها ممن فروا : روى الطبري في تاريخه (١) عن القاسم ابن عبد الرحمن قال : « انتهى انس بن المطرعم انس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة ابن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما بجمعكم ؟ قالوا : قُتل محمد رسول الله « ص » ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ثم استقبل القوم حتى قتل « . ومثله في كامل ابن الأثير (٢) وفي الدر المنثور للسيوطي عن ابن جرير ، هذا مما دل على فرار طلحة وعزم بلانه .

وأما ما دل على فرار سعد (فنه) ما رواه الطبري (٣) عن السدي قال : لم يقف إلا طلحة وسهل بن حنيف (ومنه) ما رواه الحاكم في كتاب المغازي من المستدرک (٤) عن سعد قال : « لما جال الناس عن رسول الله (ص) تلك الجولة تنحيت فقلت أذرب عن نفسي فأما أن استشهد وأما أن أنجوا » الحديث . (ومنه) ما نقله ابن أبي الحديد (٥) عن الواقدي قال : « بإيمه يومئذ على الموت ثمانية ، ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار فأما المهاجرون فعلي وطلحة والزبير « الى أن قال : « وأما باقي المسلمين ففروا ورسول الله (ص) يدعوهم في أخراهم حتى انتهى منهم الى قريب من المهراس « . وروى القوشجي

(١) ص ١٩ ج ٣ . (٢) ص ٧٥ ج ٢ . (٣) ص ٢٠ ج ٣ . (٤) ص ٢٦ ج ٣ .

(٥) ص ٣٨٨ ج ٣ .

في شرح التجريد ما يدل على فرار طلحة وسعد عند ذكر نصير الدين (ره) لغزاة^١ أحد قال : « جمع له أي لعلي الرسول (ص) بين اللواء والراية وكانت راية المشركين مع طاحه ابن أبي طلحة وكان يسمى كبش السكتية فقتله علي ، فأخذ الراية غيره فقتله علي ، ولم يزل يقتل واحداً بعد واحد حتى قتل تسعة نفر فانهزم المشركون واشتغل المسلمون بالغنائم فحمل خالد بن الوليد بأصحابه على النبي (ص) فضربوه بالسيوف والرماح والحجر حتى غشي عليه فانهزم الناس عنه سوى علي فنظر اليه النبي (ص) بعد إفاقته وقال له : اكفي هؤلاء فنهزمهم علي عنه وكان أكثر المقتولين منه . وبهذا جاءت أخبارنا لكن مع ذكرها لثبات أبي دجانه . ولو سلم أن طلحة وسعداً ثبتا فلا نعرف لها بلاء يذكر ودعوى أن طلحة أصابه شلل وقاية لوجهه النبي (ص) محل نظر ولذا نسبته الشعبي الى الزعم ، فقد حكى في كنز العمال (١) في كتاب الغزوات عن ابن أبي شيبه عن الشعبي قال : اصيب يوم أحد أف النبي (ص) ورباعيته وزعم أن طلحة وفي رسول الله بيده ف ضرب فشلت يده . ولعل الشلل كان حين ما فر ، على أن عمدة المستند في ثباتها وبلائها هو نفسها وما محل التهمة ، لاسيما مع العلم بكذبها في بعض ما ادعياه ، روى البخاري في غزاة أحد وفي مناقب المهاجرين عن أبي عثمان قال : « لم يبق مع النبي (ص) في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله (ص) غير طلحة وسعد عن حديثها » ، إذ لا ريب على تقدير ثباتها في أحد قد ثبت معها غيرها كأمر المؤمنين (ع) فكيف يقولان لم يبق غيرها ، وليس هناك مقام آخر فر فيه المسلمون وثبتا فيه وحدهما فإذا علم كذبها في ذلك كانا محل التهمة في كل ما أخبرا به ، ومنه دعوى سعد أن رسول الله جمع له أبويه وفداه بها ، ولوسلم أنها لم يفرأ وان لها بلاء في أحد فلا يقاسان بأمر المؤمنين عليه السلام الذي عجبت الملائكة من حسن مواساته وصاح بمدحه جبرئيل حتى يجعلها الفضل في عرضه .

ولو أعرضنا عن هذا كله فعمدة المقصود تفضيل أمير المؤمنين (ع) على المشايخ الثلاثة في الشجاعة والجهاد كسائر الصفات الحميدة والآثار الجميلة فلا ينفع الفضل اثبات

شجاعة طامحة وسعد وبلائها في أحد وحدها دون المشايخ فكيف يستحقون التقدم على يعسوب الدين ، وليث العالمين ، وزين العلماء العاملين ، ونفس النبي الأمين ، لاسبابا عثمان الذي اتفقت الكلمة والأخبار على فراره بأحد ، وانه انما رجع بعد ثلاثة أيام فقال له النبي (ص) : لقد ذهبت بها عريضاً .

وكذا عمر فان أكثر أخبارهم تدل على فراره . (منها) جميع ما سبق . (ومنها) ما ذكره السيوطي في الدر المنثور بتفسير قوله سبحانه : « وما محمد إلا رسول » الآية قال أخرج ابن المنذر عن كليب قال : خطبنا عمر فكان يقرأ على المنبر آل عمران ويقول : انها أحدية ، ثم قال : تفرقنا عن رسول الله (ص) يوم أحد فصعدت الجبل فسمعت يهودياً يقول : قتل محمد ، فقلت : لا أسمع أحداً يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه ، فنظرت فإذا رسول الله (ص) والباس يتراجعون اليه ، فزلت هذه الآية « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » . وليت شعري من أين جاء اليهودي هناك ؟ وأين كانت هذه الحماسة عن قريش ؟ (ومنها) ما نقله في كثر العمال في تفسير سورة آل عمران بعد ما ذكر حديث ابن المنذر المذكور (١) عن ابن جرير عن كليب قال : خطبنا عمر فقرأ آل عمران فلما انتهى الى قوله تعالى : « إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان » . قال : « لما كان يوم أحد هزمناهم ففررت حتى صعدت الجبل فلقد رأيتني أنزو كأني أروى » الحديث . (ومنها) ما ذكره ابن أبي الحديد (٢) نقلاً عن الواقدي قال : لما صاح ابليس إن محمداً قد قتل تفرق الناس ، الى أن قال : ومن فرَّ عمر وعثمان . (ومنها) ما حكاه أيضاً عن الواقدي في قصة الحديبية قال : « قال عمر : ألم تكن حدثتنا انك ستدخل المسجد الحرام » الى أن قال : « ثم أقبل على عمر فقال : أنسيتم يوم احدى تصعدون ولا تلون على أحد وأنا أدعوكم في اخراكم » الحديث ، الى غير ذلك من الأخبار .

وأما أبو بكر فيدل على فراره ايضاً أخبار منها بعض ما قدمناه في أدلة فرار سعد وطلحة . (ومنها) ما رواه الحاكم في المستدرک (٣) وصححه عن عائشة قالت : قال

أبو بكر : لما جال الناس عن رسول الله (ص) يوم أحد كنت أول من فاه . (ومنها) ما نقله في كنز العمال في غزاة أحد (١) عن أبي داود الطيالسي وابن سعد والبرار والدارقطني وابن حبان وأبي نعيم والضياء في المختارة وغيرهم بأسانيدهم عن عائشة قالت : « كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى ثم قال : ذاك كان كله يوم طلحة ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاه يوم أحد فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله (ص) فقلت : كن طلحة حيث فاني ما فاني فقلت : يكون رجلاً من قومي أحب إليّ » الحديث . (ومنها) ما رواه مسلم في أول غزوة أحد أن رسول الله (ص) أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، ومن المعلوم أن أحد الرجلين علي والآخري ليس بأبو بكر إذ لا رواية ولا قائل في ثباته وفرار سعد أو طلحة . (ومنها) ما رواه الحاكم في فضائل أبي بكر من المستدرك (٢) عن ابن عباس في قوله تعالى : « وشاورهم في الأمر » . قال : أبو بكر وعمر ، ثم قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ونقله السيوطي في الدر المنثور عن الحاكم قال : وصححه : وعن البيهقي في سنده عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في أبي بكر وعمر ، ونقل الرازي في تفسيره عن الواحدي في الوسيط عن عمرو ابن دينار انه قال : الذي أمر الله بمشاورته في هذه الآية أبو بكر وعمر ، ووجه الدلالة في ذلك على فرار أبي بكر وكذا عمر ، ان أمر الله سبحانه بمشاورته هم المنهزمون في أحد الذين أمر النبي (ص) بالعمو عنهم ولذا استشكل الرازي في رواية الواحدي فقال : « وعندي فيه اشكال لأن الذين أمر الله رسوله بمشاورتهم في هذه الآية هم الذين أمره أن يعفو عنهم ويستغفر لهم وهم المنهزمون ، فهب أن عمر كان من المنهزمين فدخل تحت الآية إلا أن أبا بكر ما كان منهم فكيف يدخل تحت هذه الآية والله أعلم » انتهى . وفيه ان الاشكال موقوف على تقدير ثبات أبي بكر وهو خلاف الحقيقة ، وهذا والآية ظاهرة في الأمر بمشاورتهم للتأليف كما يظهر من كثير من أخبارهم ومثله الأمر بالعفو عنهم والاستغفار لهم كما ستعرف ان شاء الله تعالى ، وقال ابن أبي الحديد (٣) : « قال الجاحظ : وقد ثبت أبو بكر مع النبي (ص) يوم أحد كما ثبت علي ، فلا تغر لأحدهما

على صاحبه ، قال شيخنا ابو جعفر : أما ثباته يوم أحد فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه وجهورهم يروي انه لم يبق مع النبي (ص) إلا علي وطلحة والزبير وأبو دجانة وقد روي عن ابن عباس انه قال : ولهم خامس وهو عبد الله بن مسعود ومنهم من أثبت سادساً وهو المقداد بن عمرو ، وروي يحيى بن سلمة بن كهيل قال : قلت : كم ثبت مع رسول الله (ص) يوم أحد ؟ فقال : اثنان . قلت : من هما ؟ قال : علي وأبو دجانة ، وهب أن أبا بكر ثبت يوم أحد كما يدعيه الجاحظ أيجوز له أن يقول ثبت كما ثبت علي فلا نخر لأحدهما على الآخر وهو يعلم آثار علي ذلك اليوم وانه قتل اصحاب الألوثة من بني عبد الدار منهم طلحة بن أبي طلحة الذي رأى رسول الله (ص) في منامه انه مردف كبشاً فأوثقه وقال كبش السكتية نقتله فلما قتله علي مبارزة وهو اول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم كبر رسول الله (ص) وقال : هذا كبش السكتية ، وما كان من المحاماة عن رسول الله (ص) وقد فرّ المسلمون وأسلموه فتصمد له كتيبة من قريش فيقول يا علي اكفني هذه فيحمل عليها فيمزقها ويقتل عميدها حتى سمع المسلمون والمشركون صوتاً من قبل السماء لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ، وحتى قال النبي عن جبرئيل ما قال . أنتكون هذه آثاره وأفعاله ثم يقول الجاحظ لا نخر لأحدهما على صاحبه ؟ ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين . ولبت شعري كيف بتصور ثبات أبي بكر في ذلك اليوم الهائل وحومة الحرب الطاحنة وما أصاب ولا أصيب ، أترام ينعون شلل اصبع طلحة ولا ينعون جرح أبي بكر لو أصيب ! وكيف يسلم وهو قد ثبت للحرب ومحاماة النبي (ص) وهو يرى ما جرى عليه الكافرون ولا سيما قد زعم اولياؤه انه قزبن النبي « ص » في طلب قريش له حتى بذلوا في قتله ما بذلوا في قتل النبي « ص » .

وأما تكذيب الفضل للمصنف (ره) في دعوى أن أبا بكر عانهم يرم حنين ، فن الجهل لأن الرازي والبخاري ذكرنا من الأقوال : أن أبا بكر هو القاتل : (لن نغلب اليوم عن قلة) وروي القوشجي في شرح التجريد عند تعرض المصنف لغزاة حنين قال : « سار النبي { ص } في عشرة آلاف فتمعجب أبو بكر من كثرتهم وقال : لن نغلب اليوم

لقلة فأنهزموا بأجمعهم ولم يبق مع النبي { ص } سوى تسعة نفر: علي والعباس وابنه الفضل وأبوسفيان بن الحارث وربيع بن الحارث وعبدالله بن الزبير وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب فخرج أبو جبرول وقتله علي فأنهزم المشركون ، وأقبل النبي { ص } وسار نحو العدو فقتل علي منهم أربعين وأنهزم الباقون وغنمهم المسلمون . ومن المعلوم أن الاصابة بالعين تحصل من نحو هذا التعجب ، ولذا ساء النبي { ص } قوله : لن نغاب اليوم عن قلة ، قال السيوطي في الدر المنثور : أخرج البيهقي عن الزبير أن رجلاً قال في حنين : لن نغاب اليوم عن قلة ، فشق ذلك على رسول الله « ص » فأنزل الله : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم » ، ونحوه في حاشية صحيح البخاري للسندي ، والظاهر أن الراوي أراد بالرجل أبا بكر وعبر عنه رجل احتشاماً له في مثل المقام كما يشهد له التصريح باسمه في بعض الروايات ، وقول الفضل (كيف يعين أبو بكر أصحاب رسول الله { ص }) وكان ذلك اليوم شيخ المهاجرين إلى آخره خطأ إذ لا يستبعد ذلك ممن لم ينشأ على الحروب ومقارعة الجيوش ، ولا تتوقف اصابة العين على العداوة ، بل تنشأ من أمور نفسية في العائن . راجع شرح ابن أبي الحديد لقوله (ع) : « العين حق » (١) .

وأما ما زعمه الفضل من أن أبا بكر كان صاحب رأيهم يوم حنين فلم أجد أحداً قاله أو رواه ، وإنما صاحبها علي (ع) : روى الحاكم (٢) عن ابن عباس قال : « لعلي أربع خصال ليست لأحد هو أول عربي وأعجمي صلى مع رسول الله (ص) وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف والذي صبر معه يوم الميراس (٣) وهو الذي غسله وأدخله قبره » وروى الحاكم أيضاً (٤) عن مالك بن دينار قال : « سألت سعيد بن جبير عن رجل كان حامل راية رسول الله (ص) - إلى أن قال - : فقال : كان حاملها علي ، هكذا سمعت من عبد الله بن عباس » ، ثم قال الحاكم : « هذا صحيح الإسناد وله شاهد من حديث زنفل المرني وفيه طول فلم أخرجه » ، ونقل في كنز العمال (٥) عن ابن عساكر عن ابن

(١) ص ٤٣٠ ج ٤ . (٢) ص ١١١ ج ٣ . (٣) أي يوم حنين جاء فيه علي (ع) بماء من الميراس . (٤) ص ١٣٧ ج ٣ . (٥) ص ٢٩٥ ج ٥ .

عبادة قال : كانت رواية رسول الله (ص) في المواطن كلها رواية المهـاجرين مع علي ابن أبي طالب (ع) .

وأما ما أنكره على المصنف (ره) من حضور عتبة بن أبي لهب في حنين : فيبطله رواية القوشجي له كما سبق ، وما ذكره في الاستيعاب بترجمة معتب وعتبة من انها مما شهدا مع النبي (ص) حنيناً ، وما زعمه من أن عتبة افترسه الأسد بدعاء النبي (ص) ، فباطل ، لأن ذلك هو لهب بن أبي لهب كما رواه الحاكم في المستدرک (١) بتفسير سورة تبت بدا أبي لهب .

واعلم انه لا خلاف في فرار عثمان يوم حنين ويظهر من الاستيعاب انه لا اشكال ايضاً في فرار أبي بكر ، وإنما الكلام في فرار عمر ، قال في ترجمة العباس بن عبدالمطلب : « انهزم الناس يوم حنين غيره وغير عمر وعلي وأبي سفيان بن الحارث ، وقد قيل غير سبعة من أهل بيته ، وذلك مذكور في شعر العباس الذي يقول فيه :

ألا هل أتى عرسي مكري ومقدي بوادي حنين والأسنة تشرع »

الى أن قال في الاستيعاب : « وهو شعر مذكور في السيرة لابن اسحاق وفيه :

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وقد فر من قد فر عنه وافشعوا

وثامننا لاقى الحمام بسيفه بما مسه في الله لا يتوجع

وقال ابن اسحق : السبعة علي والعباس والفضل بن العباس وأبو سفيان بن الحارث

وابنه جعفر وربيعه بن الحارث واسامة بن زيد ، والثامن أيمن بن عبيد ، وجعل غير ابن

اسحاق في موضع ابي سفيان عمر بن الخطاب ، والصحيح أن ابا سفيان بن الحارث كان

يومئذ معه لم يختلف فيه واختلف في عمر ، ، ويؤيد ما صححه ما ذكره البخاري في

غزاة حنين فانه روى خبرين عن البراء صريحين في ثبات أبي سفيان وخبرين عن أبي قتادة

صريحين في فرار عمر ، قال أبو قتادة في أحدهما : « انهزم المسلمون وانهزمت معهم فاذا

عمر بن الخطاب في الناس فقلت له : ما شأن الناس ؟ قال : أمر الله ، ثم تراجع الناس الى

رسول الله (ص) ، وقال في الآخر : « لما التقينا كانت المسلمين جولة » ، الى أن

قال : « فلهجت عمر فقلت : ما بال الناس ؟ قال : أمر الله ، ثم رجعوا » الحديث ونحوه في كتاب الجهاد من صحيح مسلم في باب استحقاق القاتل سلب المقتول ، وذكر في كنز العمال في كتاب الغزوات (١) حديثين يتضمنان أن الثابتين هم علي والعباس وابوسفیان ابن الحارث وعقيل بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب والزبير بن العوام واسامة بن زيد ، وقد روى في كشف الغمة بيتي العباس الأخيرين كما في الاستيعاب ، إلا أنه أبدل لفظ سبعة بتسعة ولفظ ثامن بعاشر وسمى التسعة كما سماهم المصنف والقوشجي ، وروى أيضاً عن مالك بن عباد الغافقي انه قال :

لم يواس النبي غير بني هــا	شم عند السيوف يوم حنين
هرب الناس غير تسعة رهط	فهم يهتفون بالناس أين
ثم قاموا مع النبي على الموت	فآبوا زيناً لنا غير شين
وفى أين الأمن من القوم	شـهيداً فاعتاض قره عين

وأما ما زعمه من حتمية قصة راء فقد سبق في الخبر السادس انها لا حقيقة لها اختلقوها لتسديد حال أبي بكر ، ويدنا ان النبي (ص) لم يبعثه أولاً إلا ليمزله ثانياً تنبيهاً على فضل علي وعدم كفاية أبي بكر ، ليعتبر الناس ان من ليست له أهلية القيام بتأدية راء مقام النبي (ص) لا يصلح للقيام مقامه في الامامة والزعامة العظمى بالأولوية.

نسبه

قال المصنف أعلى الله مقام

(القسم الثالث) في الفضائل الخارجية وفيه مطالب : « الأول » في نسبه لم يلحق أحد أمير المؤمنين « ع » في شرف الذنب كما قال (ع) : « نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد » . قال الجاحظ وهو من أعظم الناس عداوة لأمير المؤمنين (ع) : « صدق علي في قوله نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد ، كيف يقاس بقوم منهم رسول الله (ص) والأطيان علي وفاطمة ، والسبطان الحسن والحسين ، والشهيدان حمزة وذو الجناحين

جعفر ، وسيد الوادي عبد المطلب ، وسافي الحجيج عباس ، وحليم البطحاء والنجدة والخيرة فيهم ، والأنصار من نصرهم ، والمهاجرون من هاجر اليهم ومعهم ، والصديق من صدقهم ، والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيهم ، والحواري حواريهم ، وذو الشهادتين لأنه شهد لهم ، ولا خير إلا فيهم ولهم ومنهم ، وأبان رسول الله (ص) أهل بيته بقوله : (إني تارك فيكم الخليفتين كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي نبأني اللطيف الخبير أنها لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض) ، ولو كانوا كغيرهم لما قال عمر لما طلب مصاهرة علي : إني سمعت رسول الله « ص » يقول : كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي . فأما علي فلما أوردنا لأيامه الشريفة ومقاماته الكريمة ومنافقه السنية لأفندينا في ذلك الطوامير الطوال . العرق صحيح ، والمثأ كريمة ، والشأن عظيم ، والعمل جسيم ، والعلم كثير ، والبيان عجيب ، واللسان خطيب ، والصدر رحيب وأخلاقه وفق أعراقه ، وحديثه يشهد لقديمه . هذا قول عدوه .

وفال الفضل

ما ذكر من كلام الجاحظ صحيح لاشك فيه وفضائل امير المؤمنين أكثر من أن تحصى ولو اني تصديت لبعضها لأغرقت فيه الطوامير ، وأما ما ذكر أن الجاحظ كان من أعدائه فهذا كذب لأن محبة السلف لا تفهم إلا من ذكر فضائلهم وأيدى هذه المحبة أسراً مشتمياً للطبع ، وكل من ذكر فضائل أحد من السلف فنحن نستدل من ذلك الذكر على وفور محبته إياه ، وقد ذكر الجاحظ امير المؤمنين بالماقب المنقولة ، وكذا ذكره في غير هذا من رسائله ، فكيف يحكم بأنه عدو امير المؤمنين ، وهذا يصح على رأي الروافض فإن الروافض لا يتكلمون بالمحبة إلا بذكر مثالب الغير ، فعندهم محب علي من كان مبغض الصحابة ، وبهذا المعنى يمكن أن يكون الجاحظ عدواً .

وأقول

لا يصح الاستدلال على حب امير المؤمنين (ع) بمجرد ذكر فضائله إذ لا يسم أحد أن يعد فضلاً لسواه ويدعه ويثني على غيره ويمدحه ، وقد علم الله ما في طباط

قلوبهم من بغضه ، وإن اختلف قوة وضعفها ، إذ لا يجتمع حبه الصادق مع موالاة مبغضيه ، لاسيما أظهر أعدائه واكبر حساده وأشد محاربيه كمعوية وابن العاص وسروان والمغيرة وأشباههم ، بل كيف يوالي النبي من والاهم وكيف يؤمن به من نصرهم وأطراهم أليس هو القائل لعلي « ع » : حرك حربي ومن أبغضك أبغضني ومن سبك سبني ، وقال تعالى : « لا نجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » ، فإذا رأيت أحداً ممن يوالي هؤلاء ، يذكر فضلاً لأمر المؤمنين (ع) ، فليس إلا لأنه لا يسمه كما عرفت ، أو لأنه يريد أن يدفع عنه وصمة النصب أو يريد بيان اطلاعه وسعة باعه ، لا حباً له ووفاء بحقه ، ولذا لا يروون له فضيلة إلا وطعنوا معها أمكن بسندها أو دلالتها ، ولا تفسر نفوسهم لها ، بخلاف ما إذا رووا فضيلة لغيره ، ولا بد أن يظهر الله مخفيات سرارهم على صفحات أرقامهم وطفحات أقلامهم ، كما رأيت من هذا الرجل في كثير من كلماته ، وظهر على الجاحظ في رسالته التي تحامل فيها على أمير المؤمنين (ع) كل التحامل وظهر فيها مظهر العداء له التي نقضها أبو جعفر الاسكافي ، ونقلنا كلمة منها في المبحث السابق .

هيئات لا تتكافئ لي الهوى فضح التطبيع شيمة المطبوع
ومما ذكرنا يعلم انه يشترط في حب علي (ع) الحقيقي بغض أعدائه .

شرف زوجته وأولاده

قال المصنف أعلى الله درجته

(المطلب الثاني) في زوجته وأولاده ، كانت فاطمة سيدة نساء العالمين زوجته ، قال ابن عباس : « لما زف النبي (ص) فاطمة (ع) كان قدامها وجبرئيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها وسبعون ألف ملك من وراءها يسبحون الله ويقدمونه حتى طلع الفجر » . فانظر أيها العاقل كيف يروي الجمهور هذه الروايات ويظلمونها ويأخذون حقها ويكسرون ضلعها ويجهضون ولدها من بطنها ، فليحذر المقلد من اتباع هؤلاء ، فإن أخذك منهم باطل قطعاً .

وقال الفضل

ما ذكره من فضائل فاطمة معلوم محقق ثابت ، وما ذكر أن الجمهور يروون فضائلها ويظلمونها فيكلام باطل لأنه على تقدير صحة الظلم عليها فإن الظالمين عليها كانوا جماعة غير الراوين لفضائلها فيكلامه هذا غير مربوط ولا معقول ، كأكثر كلامه في هذا الكتاب .

وأقول

أراد المصنف (ره) بالجمهور من خالفوا أمير المؤمنين « ع » سواء كانوا من الصحابة أم من غيرهم فتصح نسبة الظلم إليهم باعتبار بعضهم نسبة الرواية إليهم باعتبار بعض آخر على أن الراوين لفضائلها إن لم يكونوا من الظالمين لها حقيقة فهم منهم ببعض الوجوه والاعتبارات كموازرتهم لهم وتعظيمهم ونصرتهم لهم بالقلم واللسان . ولذا ذكر من روى حديث سيادتها لفساء العالمين أو المؤمنين أو أهل الجنة على اختلاف في الفاظ الأحاديث ليعلم استغاضته عندهم أو توأمة ، فمن رواه البخاري في باب مناقب فاطمة وأواخر باب علامات النبوة قبيل أبواب فضائل أصحاب النبي (ص) بقليل ، ومنهم مسلم في باب فضائل فاطمة من طريقين عن عائشة عن فاطمة ، ومنهم الحاكم في المستدرک من طريقين عن حذيفة (١) ومن طريق عن أبي سعيد (٢) ومن طريق عن عائشة (٣) ، ومنهم الترمذي في باب مناقب الحسنين من طريق عن حذيفة وفي باب فضل أزواج النبي (ص) من طريق عن أم سلمة ، ومنهم ابن عبد البر في الاستيعاب من عدة طرق عن عائشة وأبي سعيد وعمران بن حصين وأنس وإبي هريرة ، ومنهم أحمد في مسنده عن أبي سعيد (٤) وحذيفة (٥) وعائشة عن فاطمة (٦) ، وأخرجه الذهبي في الخصائص من عدة طرق عن عائشة وأم سلمة وأبي سعيد وإبي هريرة ، وحكاها في كثر المال في فضائل فاطمة (٧) عن ابن جرير عن حذيفة (٨) وعن البزار عن علي « ع » وابن أبي شيبة عن حذيفة ، وحكاها أيضاً (٩) عن البيهقي وابن ماجه والعقيلي عن فاطمة « ع » ، وابن عساكر وابن حبان

(١) عن ١٥١ ج ٣ . (٢) عن ١٥٤ ج ٣ . (٣) عن ١٥٦ ج ٣ . (٤) عن ٦٤ ج ٣ .

(٥) عن ٣٩١ ج ٥ . (٦) عن ٢٨٢ ج ٦ . (٧) عن ١٠٢ ج ٧ . (٨) عن ١١١ ج ٧ .

(٩) عن ٢١٨ ج ٦ .

في صحيحه عن حذيفة ، وابن أبي شبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وأبي يعلى والطبراني عن أبي سعيد ، وابن النجار والطبراني عن أبي هريرة . وفي أكثر هذه الروايات ذكر أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وروى الحاكم في المستدرک (١) عن ابن عباس أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية ، ومثله في مسند أحمد (٢) عن ابن عباس ، وفي رواية أخرى للحاكم عن عائشة سيدات نساء أهل الجنة مريم وفاطمة وخديجة وآسية ، وروى حديثه الأول (٣) بسند آخر عن ابن عباس ، وروى الحديث (٤) عن انس أيضاً من طريقين بلفظ حسبك من نساء العالمين مريم وخديجة وفاطمة وآسية ، ومثله في صحيح الترمذي في فضائل خديجة ، وفي مسند أحمد (٥) عن انس ، وروى في الاستيعاب بترجمة خديجة حديث تفضيل الأربع من أربعة طرق عن ابن عباس وثلاثة طرق عن انس وطريق عن أبي هريرة ، ورواه بترجمة فاطمة بطرق آخر عن هؤلاء ، ورواه جماعة آخرون يطول ذكرهم ، وفي جملة من هذه الروايات خير نساء العالمين أربع مريم وآسية وخديجة وفاطمة (ع) .

وذكر الحاكم (٦) أن مسلماً أخرج حديث أبي موسى عن النبي (ص) خير نساء العالمين أربع ولم أجد في صحيح مسلم لا في فضائل خديجة ولا في فضائل فاطمة (ع) نعم روى في فضائل خديجة عن أبي موسى لم يكمل من النساء غير مريم وآسية ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، فلعل الذمّاخ حرفوا الحديث إثارة لعائشة بالفضل ، كما يشهد له أن هذا الحديث لم يشتمل على ذكر خديجة فكيف أخرجه مسلم في فضائلها ، ولولم يكن أصل لما ذكره الحاكم لتعقبه الذهبي في تلخيصه . وكيف كان فلا ريب عندنا أن فاطمة «ع» أفضل الأربع وسيدة نساء العالمين اجمع كما قضت به أخبارنا وكذا أكثر أخبار القوم لدلائلها على أنها سيدة نساء العالمين بلا استثناء .

وقد رغب بعض القوم أن يعارض حديث سيادة الزهراء «ع» بما وضعه على

(١) ص ١٨٥ ج ٣ . (٢) ص ٢٩٣ ج ١ . (٣) ص ١٦٠ ج ٣ .

(٤) ص ١٥٧ ج ٣ . (٥) ص ١٣٥ ج ٣ . (٦) ص ١٥٤ ج ٣ .

لسان النبي (ص) انه قال : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » . وهو ظاهر الوضع إذ لا يحسن نسبة هذا التشبيه الواهي الى من اعطي جوامع الكلم وكان أفصح من نطق بالضاد ، وكيف لا يجزم بكذبه من عرف طريقة النبي (ص) في نطق كلامه وحسن بيانه وبديع تشبيهاته ، وأين هو من قوله (ص) : « فاطمة سيدة نساء العالمين » . وليت شعري أليكون الفضل جزافاً وقد خالفت أمر الله في كتابه بقرارها في بيتها ، وخرجت على امام زمانها الذي قال فيه رسول الله حربك حربى ، وجاهرت بمداونه وقد قال النبي (ص) « فيه : من عاداك عادانى ومن عادانى عادى الله ، واستمرت على بغضه وقد جعل الرسول بغضه دليل النفاق » وقال فيه : من أبغضك أبغضني ومن أبغضني أبغض الله ، وكيف تكون أفضل النساء وقد ضرب الله سبحانه مثلها وصاحبها في كتابه المجيد بقوله تعالى : « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » .

ثم انه بعد ثبوت حديث سيادتها الجامع لأصناف الفضل لا نحتاج الى اثبات الحديث الذي ذكره المصنف (ره) في زفافها ، فانه من بعض ما يقتضيه سيادتها وشرفها ، ولا سيما بعد ما زوجها الله تعالى في السماء من علي سيد الأولياء ، ولكني رأيت مصادفة في ميزان الاعتدال بترجمة توبة بن عبد الله ، وقال عداوة ودفعاً بالصدر : هذا كذب ، ولندكر عوضه ما هو اعظم منه بل اعظم من حديث سيادتها وهو ما رواه الحاكم (١) وصححه على شرط الشيخين عن عائشة قالت : ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله « ص » من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه قام اليها فقبلها ورحب بها وأخذ ييدها فجلسها في مجلسه وكانت هي إذا دخل عليها رسول الله « ص » قامت اليه مستقبلة وقبلت يده ، ورواه أيضاً (٢) الى قوله : فأجلسها في مجلسه ، وصححه أيضاً على شرط الشيخين ، وأقرّ الذهبي بصحته لكن لا على شرطها ، وروى الترمذي نحوه الأول في فضل فاطمة وحسنه ، ثم قال : وروي أيضاً في الاستيعاب نحوه . فانظر الى ما فيه من الدلالة

على الفضل الباذخ والشرف الشاخ إذ ليس من شأن البذت أن يقوم لها أبوها ويتحنى عنها ويجلسها في مجلسه ، لاسيما وهو سيد البينين وخير الأولين والآخرين ، ولعله يريد بذلك من أمته تعظيمها بعده ورعاية حرمتها علماً منه بما تلقاه منهم من التقصير بحقها ، وغصبها ميراثها ، والهجوم على بيتها ، الى أن مانت غضبي عليهم . وقد كان من تعظيمه لها انه إذا جاء من سفر أتى المسجد فصلى فيه ركعتين ثم ثنى بفاطمة « ع » كما رواه في المستدرک (١) عن أبي ثعلبة ، وروى أيضاً (٢) عن ابن عمر أن النبي (ص) كان إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة ، وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة .

قال المصنف طاب نراه

وكان سبطاه الحسنان أشرف الناس بعده ، روى اخطوب خوارزم بأسناده الى ابن مسعود ، قال : « قال رسول الله (ص) : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » . وعن البراء قال : « رأيت رسول الله (ص) حامل الحسن وهو يقول : اللهم إني احبه فأحبه » . وقال ابو هريرة : « رأيت النبي (ص) يمص لعاب الحسن والحسين كما يمص الرجل التمر » . وعن اسامة بن زيد قال : « قلت يا رسول الله ما هذا الذي أنت مشتمل عليه فإذا هو حسن وحسين على ركبتيه فقال : هذان ابناي وابنا بنتي اللهم انك تعلم إني احبهما فأحبهما ثلاث مرات » . وعن جابر قال : « دخلت على النبي (ص) وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول : نعم الجمل جملكما ، ونعم العبدلان أنما » . وروى صاحب كتاب الطلب وغاية السؤل الحنبلي بأسناده الى ابن عباس قال : « كنت عند النبي (ص) وعلى نخذه الأيسر ابنه ابراهيم وعلى نخذه الأيمن الحسين وهو يقبل هذا تارة وهذا اخرى إذ هبط جبرئيل فقال : يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام وهو يقول : لست أجمعها لك فأفد أحدها بصاحبه فنظر الى ولده ابراهيم وبكى ونظر الى الحسين وبكى ثم قال : إن ابراهيم امه أمة إذا مات لم يحزن عليه غيري وام الحسين فاطمة وابوه علي ابن عمي لحمي ودمه دمي ومتى مات حزنت عليه ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت

أنا أوثر حزني على حزنها يقبض إبراهيم فقد فديت الحسين به ، فقبض إبراهيم بعد ثلاث ، وكان النبي (ص) إذا رأى الحسين مقبلاً قبَّله وضمه الى صدره ورشف ثناياه وقال : فديت من فديته بابني إبراهيم . وفي صحيح مسلم في تفسير قوله تعالى : « فدا بكت عليهم السماء والأرض » ، قال : « لما قتل الحسين بن علي بكت السماء وبكاؤها حمرتها » . وفي مسند احمد بن حنبل : « ان من دمعت عيناه لقتل الحسين دمعة أوقطرت قطرة بوّاه الله عز وجل الجنة » . وفي تفسير الثعلبي باسناده قال : « مطر نادماً أيام قتل الحسين عليه السلام » وكان مولانا (زين العابدين) علي بن الحسين أعبد أهل زمانه وأزهدهم ، يشج ماشياً والمحمل تساق معه ، وولده (الباقر) سلم عليه رسول الله (ص) قال الجابر : أنت تدرك ولدي محمد الباقر انه يقر العلم بقرأ فإذا رأيته فأقرأه غني السلام و (الصادق) أعلم أهل زمانه وأزهدهم وكان يخبر بالغيب ، ولا أخبر بشيء إلا وقع فلهذا سموه الصادق ، وكانت (الكاظم) أزهد أهل زمانه وأعلمهم ، وكذا ولده (الرضا) و (الجواد) و (الهادي) و (العسكري) و (المهدي) . ف هؤلاء الأئمة الاثني عشر لم يسبقهم سابق ولم يلحقهم لاحق اشتهر بفضلهم وزهدهم بين الخالف والموالف ، واقروا لهم بالعلم ولم يؤخذ عليهم في شيء البتة ، كما أخذ على غيرهم . فلينظر العاقل بعين البصيرة هل ينسب هؤلاء الزهاد المعصومون العلماء الى من لا يتوقى المحارم ولا يفعل الطاعات ؟

وقال الفضل

ما ذكر من فضائل فاطمة صلوات الله على أبيها وعليها وعلى سائر آل محمد والسلام أسهل لا ينكر فإن الإنكار على البحر برحمته ، وعلى البر بسعته ، وعلى الشمس بنورها ، وعلى الأنوار بظهورها ، وعلى السحاب بجوده ، وعلى الملك بسجوده ، إنكار لا يزيد المنكر إلا الاستهزاء به ، ومن هو قادر على أن ينكر على جماعة هم أهل السداد ، وخزان معدن النبوة ، وحفاظ آداب الفتوة صلوات الله وسلامه عليهم ؟ ونعم ما قلت فيهم منظوماً :

سلام على المصطفى المحجبي	سلام على السيد المرتضى
سلام على ستننا فاطمة	من اختارها الله خير النساء
سلام من المسك أنفاسه	على الحسن الألمي الرضا

سلام على الأروعي الحسين	شهيد برى جسمه كربلا
سلام على سيد العابدین	علي بن الحسين المجتبی
سلام على الباقر المهتدي	سلام على الصادق المقتدى
سلام على الكاظم الممتحن	رضي السجایا امام التقي
سلام على الثامن المؤمن	علي الرضا سيد الأصفیا
سلام على المتقي التقي	محمد الطيب المرتضى
سلام على الأريحي النقي	علي المكرم هادي الوری
سلام على السيد العسكري	امام يجهز جيش الصفا
سلام على القائم المنتظر	أبي القاسم القرم نور الهدی
سيطلع كالشمس في غاسق	ينجيهِ من سيفه المنتضى
برى علا الأرض من عدله	كما ملأت جور أهل الهوى
سلام عليه وآبائه	وأنصاره ماتدور السما

وأقول

ان سيد المرسلين وآله خيرة الله من العالمين اغنيون بمدح الله لهم في كتابه العزيز عن مدحهم بمثل هذا الذي سماه منظوماً لكننا نشكره عليه فانه غاية مقدوره ومبلغ علمه وينبغي التعرض لهذه الأخبار التي ذكرها المصنف « ره » لسكها كثيرة يطول المقام ببيان من رواها ، فان شئت أن تعرفها فارجع الى كنز العمال وجامع الترمذي وصواعق ابن حجر ونحوها تجدها وأضعافها ، نعم لا يجمل الاخلال بذكرها أصلاً ، فالأولى أن نتعرض لبعضها بنحو الاشارة الى من رواها من الصحابة ومن أخرجه ، كحديث (ان الحسين (ع) سيدا شباب أهل الجنة) . وكل الصيد في جوف الفرا ، فنقول رواه من الصحابة علي عليه السلام وعمر وابنه وابن مسعود وابوسعيد وجابر وحذيفة والبراء واسامة وانس وابو هريرة وقرة ومالك بن الحويرث وابن ابي رمثة وغيرهم ، وأخرجه الترمذي في صحيحه ، والنسائي في الخصائص ، والحاكم في المستدرک ، واحمد في المسند والضياء في المختارة ، وابن عبد البر في الاستيعاب ، والطبراني في الكبير والأوسط ،

وابو يعلى ، والبرزار ، وابو نعيم ، وابن النجار ، وابن مندة ، وابن ابى شيبة ، وابن سعد وابن شاهين ، والديلمي ، وابن عساكر ، وغيرهم . وربما أخرجه الواحد منهم من نحو عشرة طرق عن جماعة من الصحابة . ويعلم الكثير من هذا من مراجعة ما أشرنا اليه من محال روايات سيادة أمهما فاطمة (ع) ، فان كثيراً ممن يروي سيادتها يروي سيادة ولديها ، وقد وجدت حديث سيادتها وحدها أو مع أمهما في مسند احمد عن أبي سعيد من عدة طرق (١) وعن حذيفة من طريقين (٢) .

واعلم انه جاء في بعض ما أشرنا اليه من الأخبار انها سيدة شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ويحيى ، والظاهر انه من قلم المتصرف لأن المراد بالشباب اما الشباب في الدنيا أو في الآخرة ، لاشك انه لا يراد الأول لأن الحسنين في أيام كلام جددها (ص) كانا طفلين وبلعاهما ما بلغاه من السن ، كان الحسن كهلاً والحسين شبيخاً ، كما أن عيسى حين ما رفعه الله تعالى قد بلغ سن السكولة أو تجاوزه لقوله تعالى : « وبكلم الناس في المهد وكهلاً من الصالحين » . وحين ما ينزله يوم خروج المهدي عجل الله فرجه يكون من أكبر الأنبياء سنّاً ، فكيف يقول النبي (ص) الحسن والحسين سيدة شباب أهل الجنة ثم يستثنى عيسى ، فلا بد أن يكون المراد هو الشباب في الآخرة ، وحينئذ فلا وجه لاستثناء عيسى ويحيى وحدهما والناس كلهم شباب في الجنة ، ومنهم من هو أفضل من يحيى كنوح وابراهيم وموسى ، فلا بد أن يكون الاستثناء باطلاً ، ويكون الحسنان سيدة شباب أهل الجنة من دون استثناء كما تواترت به أخبارنا واستفاضت به بقبسة اخبارهم ، ولم يخرج من العموم إلا جددها « ص » لأنه المتكلم مع كون خروجه ضرورياً وأبوها لقول النبي « ص » في كثير من هذه الأخبار : « وأبوها خير منها » ، كما رواه الحاكم في المستدرک (٣) من طريق عن ابن مسعود وطريق عن ابن عمر ، واتفق هو والذهبي على صحة حديث ابن مسعود ، ونقله في كثر المال (٤) بلفظه أو بلفظ « وأبوها أفضل منها » عن ابن عساكر عن علي (ع) ، وعن النسائي وابن عساكر عن ابن عمر ، وعن

(١) ص ٣ و ٦٢ و ٦٤ و ٨٢ ج ٣ . (٢) ص ٣٩١ و ٣٩٢ ج ٥ . (٣) ص ١٦٧

ج ٣ . (٤) ص ٢٢٠ ج ٦ .

الطبراني عن قرة ومالك بن الطويرث ، ونقله أيضاً بعد ذلك (١) عن الديلمي عن انس وعن الطبراني عن حذيفة ولوسلم صحة الاستثناء المذكور فهو كالنص في سيادة الحسنين لبقية الأنبياء وهو الشرف الذي لا يوازي ودليل فضاهما على بقية الأنبياء فكيف بأحداً متناً وغيرها . وإنما قال رسول الله (ص) : سيدا شباب أهل الجنة ولم يقل أهل الجنة للإشارة الى أن أهل الجنة شباب كلهم ، وفي بعض اخبارنا أن جميع أهل الجنة شباب إلا محمداً وعلياً وآدم ونوحاً وإبراهيم فانهم شيب ، وعليه فيتمتع بالتقييد بالشباب ويرتفع الاشكال عن خروج محمد (ص) وعلي (ع) .

هذا ولما أراد بعض القوم أن يناظروا الحسنين بالشيخين وضع على لسان رسول الله (ص) « أنها سيدا كهول أهل الجنة » وما تصور انها في الدنيا بلغا سن الشيخوخة حتى في زمن النبي (ص) ، وان أهل الجنة شباب لا كهل فيهم ، وقد ذكر في ميزان الاعتدال حديث انها سيدا كهول أهل الجنة بترجمة محمد بن كثير الصنعاني كما ذكرناه بترجمته في مقدمة الكتاب وذكرنا ان ابن المديني بعدما سمع روايته لهذا الحديث قال لا احب أن أراه . وينبغي التعرض ايضاً لما رواه المصنف (ره) عن جابر من ركوب الحسنين (ع) على ظهر النبي (ص) وقوله : نعم الجمل جملكما ، ونعم العدلان أنما ، فنقول : نقله في كنز العمال في فضائل الحسنين (٢) عن ابن عدي والرامهرمزي في الأمثال وعن ابن عساكر من ثلاثة طرق ، وكلهم عن جابر إلا انه قال في احسدى روايات ابن عساكر : دخلت على النبي (ص) وهو يمشي بينهما ، فقلت : نعم الجمل جملكما . فقال رسول الله (ص) : ونعم الراكبان هما ، ونقله ايضاً عن الطبراني عن سلمان بقصة طويلة اخرى قال : « كنا حول النبي (ص) فجاءت ام أيمن فقالت : يا رسول الله لقد ضل الحسن والحسين وذلك رأد النهار ، فقال رسول الله (ص) قوموا فاطلبوا ابني ، وأخذ كل رجل نجاة وجهه ، وأخذت نحو النبي (ص) وإذا الحسن والحسين يلتزق كل واحد منهما صاحبه وإذا شجاع قائم على ذنبه يخرج من فيه شبه النار ، فأمرع اليه رسول الله (ص) فانفتحت مخاطباً لرسول الله « ص » ، ثم انساب فدخل بعض الأحجرة ، ثم أتاهما فأفرق

بينهما ومسح وجوههما ، وقال : بأبي وامي أننا ما أكرمكما على الله ، ثم حمل أحدهما على عاتقه اليمين والآخر على عاتقه الايسر ، فقلت : طوبى لكما نعم المطيبة مطيبةكما ، فقال رسول الله (ص) : ونعم الزاكبان هما وابوهما خير منهما . وروى الترمذي في مناقب الحسين عن ابن عباس قال : « كان رسول الله (ص) حامل الحسن على عاتقه فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام ، فقال النبي (ص) : ونعم الزاكب هو . ورواه الحاكم في فضائل الحسن (١) ، وقريب من ذلك ما رواه الحاكم أيضاً (٢) في فضائل الحسين عليها السلام ، وصححه عن أبي هريرة ، قال : « كنا نصلي مع رسول الله (ص) العشاء فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره وإذا رفع رأسه أخذها فوضعهما وضعا رفيقا فإذا عاد عادا فلما صلى جعل واحدا ههنا ، وواحدا ههنا ، فقلت يا رسول الله ألا اذهب بهما الى أمهما قال : لا ، فبرقت برقة ، فقال : الحقاً بأكما ، فما زالوا يمشيان في ضوءها حتى دخلا . ومثله في مسند احمد من طريقين (٣) عن أبي هريرة ، ونقله في كنز العمال (٤) عن ابن عساکر من طريقين عن أبي هريرة .

واما احاديث حب النبي للحسين فتواترة ومن احسنها ما رواه الحاكم (٥) وصححه عن أبي هريرة : « ان النبي (ص) قال : من احبها فقد احبني ومن ابغضها فقد ابغضني » ، ونقله في كنز العمال (٦) عن احمد في مسنده وابن ماجه ، وروى الحاكم ايضاً قبل الحديث المذكور وصححه على شرط الشيخين عن سلمان قال : « سمعت رسول الله (ص) يقول : الحسن والحسين ابناي من احبهما احبني ومن احبني احب الله ومن احب الله ادخله الجنة ومن ابغضها ابغضني ومن ابغضني ابغضه الله ومن ابغضه الله ادخله النار » . وتعبه الذهبي بقوله : هذا حديث منكر ، وإنما رواه بقي ابن خالد باسناد آخر رواه عن زاذان عن سلمان . « اقول : حقا له ان يستنكره لأنه يستوجب دخول اكثر اوليائه النار ومجرد روايته باسناد آخر ولا يمنع من روايته باسناد صحيح على شرط الشيخين ، ولذا لم يناقش الذهبي في هذا الاسناد ، وحكى نحوه

(١) ص ١٧٠ ج ٣ . (٢) ص ١٦٧ ج ٣ . (٣) ص ٥١٣ ج ٢ .

(٤) ص ١٠٩ ج ٧ . (٥) ص ١٦٦ ج ٣ . (٦) ص ٢٢٠ ج ٦ .

في الكنز (١) عن أبي نعيم وابن عساكر عن سلمان وعن أبي نعيم وعن أبي هريرة ،
 لسكن بهذا اللفظ « من أحبها أحبته ومن أحبته أحبه الله ومن أحبه الله أدخله
 جنات النعيم ومن أبغضها أو بغى عليها أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله ومن أبغضه
 الله أدخله جهنم وله عذاب مقيم » .

وأما حديث فداء النبي (ص) ابنه إبراهيم للحسين (ع) فقد وردت به أخبارنا
 أيضاً ، وحكاها السيوطي في المثالي المصنوعة عن الخطيب ، وقال : زعم ابن الجوزي أنه
 موضوع آفته محمد بن الحسن النقاش ، وفيه مع ما عرفت في مقدمة الكتاب من
 أن من روى فضيلة لأهل البيت ثقة فيها ، أن النقاش ممن اتى عليه أبو عمرو الداني
 وكان شيخ المقرين في عصره ورحل إلى عدة مدائن في طلب العلم واحتج إليه كما ذكره
 في ميزان الاعتدال فأى داع له وهو من أهل السنة إلى وضع هذا الحديث ويسقط
 نفسه بين قومه .

محبتة وموالاة

قال المصنف قدس الله نفسه

(المطلب الثالث) في محبتة ، قال رسول الله (ص) كما في مسند أحمد بن حنبل
 وقد أخذ بيد حسن وحسين : « من أحبني وأحب هذين وأحب أباهما وأُمهما كان معي
 في درجتي يوم القيامة » . وعن حذيفة قال : قال رسول الله (ص) : « من أحب أن
 يتمسك بقصبة الياقوت التي خلقها الله تعالى قال لها : كوني فبكانت ، فليقول علي بن أبي
 طالب من يمدني » . وقال رسول الله (ص) : « لو اجتمع الناس على حب علي لم يخلق الله
 النار » . وقال (ص) : « حب علي حسنة لا يضر معها سيئة وبغض علي سيئة لا ينفع
 معها حسنة » . وقال رجل لسلمان : ما أشد حبك لعلي (ع) ! قال : سمعت رسول الله
 (ص) : يقول : « من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني » . ومن
 المناقب لخطيب خوارزم عن ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) : « من أحب علياً

قبل الله منه صلاته وصيامه وقيامه واستجاب دعائه . ألا ومن أحب علياً أعطاه بكل عرق في بدنه مدينة في الجنة ، ألا ومن أحب آل محمد أمن الحساب والميزان والصراف ، ألا ومن ملت على حب آل محمد فأنا كفيله بالجنة مع الأنبياء ، ألا ومن أبغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله . والأخبار في ذلك أكثر من أن نحصى وآيات القرآن دالة عليه ، قال الله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » . جعل مودة علي وآله أجراً لرسالة رسول الله (ص) ، وفي الجمع بين الصحاح الستة عن ابن عباس قال ان رسول الله (ص) قال : « احبوا الله لما يذكركم به من نعمة ولما هو أهله واحبوني لحب الله واحبوا أهل بيتي لحبي » . وفي مناقب الخوارزمي عن أبي ذر قال : قال رسول الله (ص) : « من ناصب علياً الخلالة بمدي فهو كافر وقد حارب الله ورسوله » . ومنه عن معاوية بن وحيد بخط القشيري نال : سمعت النبي (ص) يقول لعلي : « يا علي لا يبالي من مات وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً » . ومنه عن انس بن مالك قال : قال رسول الله (ص) لعلي : « كذب من زعم انه يبغضك وبجني » وعن ابي هريرة قال : أبصر النبي (ص) علياً وحسناً وحسيناً وفاطمة فقال : « انا حارب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم » ومنه عن ابن عباس قال : قال النبي (ص) لعلي : « أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة من أحببك فقد أحبني ومن أحبني أحب الله عز وجل (١) وعدوك عدوي وعدوي عدو الله وبل لمن أبغضك » .

وفال الفضل

ما ذكر في هذا المطلب من وجوب محبة أهل بيت النبي (ص) سيما علي بن أبي طالب فهو أمر لا منازع فيه والأخبار والآثار والدلائل على هذا المقصود عند أهل السنة والجماعة كثيرة ، ولكن ذكر في هذا المطلب أخباراً منكراً موضوعة ظاهر عليها أثر الوضع والتكارة والمجهورية ، ولكن ما يتعلق بذكر الفضائل لا يتعرض لكونه موضوعاً أو مجحولاً لأن ذكر الفضائل مقصود ولا يتعلق بالمذهب ولا يتوجه اليه رد ، وأما ما

ذكره من مناقب الخوارزمي نقلا عن أبي ذر انه قال : من ناصب علياً الخلافة بمسدي فهو كافر فهذا حديث موضوع منكر لا يرضيه العلماء ، واكثر ما ذكر من مناقب الخوارزمي فكذلك ، وهذا الخوارزمي رجل كأنه شيعي مجهول لا يعرف بحال ولا يعمده العلماء من أهل العلم بل لا يعرفه أحد ولا اعتداد بروايته وأخباره .

وأقول

قد سبق كثير مما ذكره المصنف (ره) هنا وبيننا ثبوته ، ولو احتجنا الى اثبات الباقي لذكرناه ، وفي المستدرك والكنز اكثره ، لكن لا حاجة اليه بعد قوله سبحانه : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » وغيرها من الآيات . وبعد استقضاة الروايات في وجوب حبهم وفضله وأن حبهم علامة الايمان وبغضهم علامة النفاق ، وأن من أحبهم أحب الله ورسوله ، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله ، والانسان في غنى عن البحث في سند الأحاديث المتعلقة بحبهم وبغضهم لاشتهارها بل تواترهم معنى ، واذا تأملت كثرة ماورد في الترويج بحبهم ، والتحذير من بغضهم ، والوصية فيهم بالكيفيات المختلفة ، والوجوه المتعددة لعلمت أن ذلك لم يكن إلا الأمر في الأصحاب ، وإلا لو كانوا كما يظن الظنون لما احتاجوا الى ذلك لقضاء العادة بحبهم لأهل البيت (ع) واحترامهم لهم لقربهم من رسول الله (ص) فضلا عن أهليتهم في أنفسهم وكثرة آثار علي (ع) في الاسلام فلا بد أن يكون النبي {ص} قد علم ما نقوله من بغض غالب الأصحاب لهم وظلمهم ايام وأن النفاق قد فشا فيهم وانقلبوا على الأعقاب ، بل لو تأمل المنتصف اخبار حبهم وبغضهم لم يفهم منها إلا ارادة وجوب التمسك بهم ، فهي بيان لاماتهم ولسان في وجوب اتباعهم وحرمة مخالفتهم وإلا فالحب والبغض من حيث ها ليسا بتلك الأهمية التي اشتمل عليها الكتاب والسنة ، وهذا يعلم صحة ما رواه ابو ذر (ره) عن النبي (ص) انه قال : « من ناصب علياً الخلافة فهو كافر » وما زعمه من كونه منكراً موضوعاً عام على مذهبه وإلا فبالنظر الى الخبر بنفسه لا نكارة فيه وهو أشباهه حجة عليهم ، ويؤيده ما في كنز العمال (١) عن الدارقطني في الافراد عن ابن عباس : « على باب حطة من دخل منه

كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً » وما في الكنز أيضاً عن علي وجابر وابن مسعود بطرق « علي خير البشر فمن أبى فقد كفر » . ورواه السيوطي في اللئالي عن ابن عدي بسنده عن أبي سعيد وعن أبي الحسن بن شاذان الفضلي بسنده عن حذيفة ، فهو كثير الطرق حقيق بالاعتبار ، الى نحوها من الأخبار ولا يخفى أن قول الفضل (ولكن ما يتعلق بذكر الفضائل لا يتعرض لكونه موضوعاً) الى آخره مناف لما ذكره في اول المبحث الخامس حيث قال : « يشترط في ذكر الفضائل أن يروى من الصحاح المعتبرة ، ومن العلماء الذين اعتمدتهم الناس » الى آخره ، والظاهر أن السبب في هذا المدول ارادته رواية فضائل اوليائه قريباً لتقبل على علانها ولا يلتفت الى وضعها .

وأما ما طعن به الخوارزمي فليس إلا روايته في فضائل أهل البيت والحال انه قد استفاد اكثرها بطرق اخر عن غيره ، بل كلها بلحاظ شواهدا ومناسباتها ، وهو ممن لا يجهل عند القوم ، فقد روى عنه ابن حجر وكناه بأبي بكر في الصواعق في المقصد الثاني من المقاصد المتعلقة بالآية الرابعة عشرة من الآيات الواردة في أهل البيت (ع) وقد ذكره الذهبي في الميزان بترجمة محمد بن عبد الله بن محمد البلوي فقال : بعد ما ذكر حديثاً في فضل علي (ع) رواه أخطب خوارزم ، وذكره أيضاً بترجمة محمد بن احمد بن علي ابن الحسن بن شاذان ، فانه ذكر في ترجمته احاديث له في فضائل علي (ع) ثم قال : « ولقد ساق خطيب خوارزم من طريق هذا الدجال ابن شاذان احاديث كثيرة باطلة سمجة ركيكة في مناقب السيد علي » . ولولا أن الرجل كبير المنزلة عندهم مسلم الوثاقة بينهم لعرفت كيف رمتهم سهام الستمتهم وطعنات فيه أسنة أقلامهم ، فهذا ابن شاذان قد سمعت مقال الذهبي فيه وهو لم يرو إلا اليسير من فضائل امير المؤمنين (ع) ، فكيف بالخوارزمي وقد روى الكثير لولا فضله الكبير بينهم ، وغاية ما طعن به ابن تيمية على خبث لسانه ان قال ليس الحديث من صنعته ، ذكر هذا في رده لمنهاج الكرامة ، فكأنه لا يكون من أهل صنعته الحديث إلا أن يترك رواية فضائل آل محمد صلى الله عليه وآله أو يروي ما يتحمله رأي ابن تيمية خاصة .

إنه صاحب الحوض واللواء والصراط والاذن

قال المصنف أعلى الله مقامه

(المطلب الرابع) في أنه صاحب الحوض واللواء والصراط والاذن ، روى الخوارزمي عن ابن عباس قال : قال رسول الله : « علي يوم القيامة على الحوض لا يدخل الجنة إلا من جاء بجواز من علي » . وعنه قال : قال رسول الله (ص) : « إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جبرئيل أن يجلس على باب الجنة فلا يدخلها إلا من معه براءة من علي عليه السلام » ، وعن جابر بن سمرة قال : قيل يا رسول الله من صاحب لوائك في الآخرة ؟ قال : « صاحب لوائي في الآخرة صاحب لوائي في الدنيا علي بن أبي طالب » . وعن عبد الله بن أنس قال : قال رسول الله (ص) : « إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على شفير جهنم لم يحجز عليه إلا من معه كتاب بولاية علي بن أبي طالب (ع) » . والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى ، فلينظر العاقل إذا كانت مثل هذه وأضعافها أضعافاً مضاعفة يرويهما السنة في صحاح الأخبار عندهم ، والآيات أيضاً موافقة لها ثم يتركونها هل يجوز له تقليدهم ؟ ومع ذلك لم ينقلوا عن أئمة الشيعة المنقصة ولا ردئية ولا معصية البتة والتجوا في التقليد إلى قوم رووا عنهم كل ردئية ونسبواهم إلى مخالفة الشريعة في قضايا كثيرة ، ولنذكر هنا بعضها في مطالب .

وقال الفضل

من ضروريات الدين أن النبي (ص) صاحب الحوض المورود والشفاعة العظمى والمقام المحمود يوم القيامة ، وأما أن علياً صاحب الحوض فهو من مخترعات الشيعة ولم يرد به نقل صحيح ، وهذا الرجل الذي ينقل كل مطالبه من كتب أصحابنا لم ينقل هذا منهم وذلك لأنه لم يصح فيه نقل عندنا ، ولكن ما ذكره لما كان من الفضائل والمناقب لمولانا علي بن أبي طالب فنحن لا ننكره لأن كل ما نقل من فضائله وفضائل أهل بيت النبي (ص) ما لم يكن سبباً إلى الطعن في أفاضل الصحابة فنقبله ونوافق فيه لأن فضائلهم لا تحصى ولا ينكره إلا منكر نور الشمس والقمر .

وأما ما ذكره أن أمثال هذه الأخبار يروها السنة وهي في صحاح الأخبار عندهم والآيات أيضاً موافقة لها ثم يتركونها هل يجوز لهم تقليدهم ، فإن أهل السنة يعملون بكل حديث وخبر صحيح بشرائطها ، ولكن كما صح عندهم الأحاديث الدالة على فضل علي بن أبي طالب وأهل بيت رسول الله (ص) كذلك صح عندهم الأحاديث الدالة على فضائل الخلفاء الراشدين : فهم يجمعون بين الأحاديث الصحاح وينزلون كلاً منزله الذي أنزله الله ولا ينقصون أحداً ممن صح فيه هذا الحديث ، والشيعية ينقلون الأحاديث من كتب أصحابنا مما يتعلق بفضائل أهل البيت ويسكتون عن فضائل الخلفاء وأكابر الصحابة ليمتشي لهم الطعن والتقدح ، وهذا غاية الخيانة في الدين ، وأية خيانة أعظم من أن رجلاً ذكر بعض كلام أحد مما يتعلق بشيء وترك البعض الآخر بما يتعلق بعين ذلك الشيء ليمتشي به مذهبه ومعتقده ، ونعوذ بالله من هذه العقائد الفاسدة .

ثم ما ذكره أن أهل السنة لم ينقلوا عن أئمة الشيعة منقصه ولا رذيلة ولا معصية البتة ، فجوابه أن نقول أيها الجاهل العامي الضال العاصي الشيعة ينسبون انفسهم الى الأئمة الاثني عشر ، أنرى أئمة أهل السنة والجماعة يقدحون في أهل بيت النبوة والولاية ، أنراهم يا أعمى القلب انهم يفترون مثلك ومثل اضرابك على الأئمة ويفترون المطاعن والمثالب مما لم يصح به خير ، بل ظاهر عليه آثار الوضع والبطلان ولا كظهور البدر ليلة الاضحيان ، ثم ذكر انهم التجؤا في التقليد الى قوم رووا عنهم كل رذيلة ونسبوه الى مخالفة الشريعة ، فجوابه انهم لم يرووا عنهم يقلدونه رذيلة أصلاً بل هو يفتري الكذب عليهم ، ومن ههنا يريد أن يشرع في مطاعن الخلفاء ، ويبدأ بأبي بكر الصديق ، ونحن نقول له : أنت لا تروي شيئاً يعتمد به إلا من صحاحنا ، وهانحن قبل شروعه في مطاعن أبي بكر الصديق ، نذكر شيئاً يسيراً من فضائله المذكورة في صحاحنا وصحاحنا ليس ككتب الشيعة التي اشتهر عند السنة انها من موضوعات يهودي كان يريد تخريب بناء الاسلام فعملها وجعلها وديمة عند الامام جعفر الصادق ، فلما توفي حسب الناس انه من كلامه والله أعلم بحقيقة هذا الكلام ، وهذا من المشهورات ، ومع هذا لا ثقة لأهل السنة بالمشهورات ، بل لا بد من الاسناد الصحيح حتى يصح الرواية ، وأما صحاحنا

فقد اتفق العلماء أن كل ما عدّ من الصحاح سوى التعليقات في الصحاح الستة لو حلف بالطلاق انه من قول رسول الله (ص) أو من فعله وتقريره لم يقع الطلاق ولم يحنث .

وها نحن نشرع في بضع فضائل الصديق اظهراً للحق الحقيقي بالتحقيق ، فنقول :

اول خلفاء الاسلام أبو بكر عبد الله بن ابي قحافة من أولاد تيم بن مرة ونسبه يتصل برسول الله في مرة ، كان له ولدان تيم وكلاب ، فكلاب هو أبو قصي ، وقصي جد رسول الله (ص) ، وتيم هو جد أبي بكر الصديق ، وكان أبو بكر الصديق قبل البعثة من أكابر قريش وأشرفها وصناديدها ، وكان قاضياً حكماً بينهم ، وكان صاحب اموال كثيرة حتى اتفق جميع أرباب التواريخ انه لم يبلغ سال قريش مبلغ مال ابي بكر ، وكان رسول الله (ص) يصادقه ويحبه ويجلس في دكانه ، وهو كان يحب رسول الله { ص } محبة شديدة لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً ، وكان يعين رسول الله بماله وأسبابه ، فلما بعث رسول الله (ص) كان لا يظهر حال نبوته في اول الأمر على الناس فذكر لأبي بكر فصدقه ، وقال رسول الله ما دعوت أحداً الى الاسلام إلا وأظهر تردداً ما خلا ابي بكر كما قال ، فأخذ أبو بكر يدعو الناس الى رسول الله { ص } ، فأخّر ذلك اليوم الذي أسلم أتى بعيون قبائل قريش مما كانوا يصادقونه في مكة وهم عثمان بن عفان من عيون بني امية وسعد بن ابي وقاص من اشراف بني زهرة ، وطلحة بن عبيد الله من اشراف تيم ، والزبير بن العوام من اشراف بني اسد بن عبد العزى وغيرهم من الأشراف ، فبايعوا رسول الله { ص } على الاسلام ، ثم أخذ في الدعوة ، ولا يقدم رسول الله { ص } على أمر إلا بمشاورته وهو يدعو الناس ، وكان عاقلاً لبيباً مدبراً مقبول القول ، وكان يبذل ماله في اعادة المسلمين وفي تشهير الاسلام ، وروى في الصحيح أن رسول الله { ص } قال : من آمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً من امتي لاتخذت أبا بكر ولياً لكن اخوة الاسلام ومودته لا تبقي في المسجد خوذة إلا خوذة ابي بكر ، وفيه أيضاً عن عبد الله بن مسعود عن النبي { ص } انه قال : لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً ، وفي الصحاح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله { ص } : ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فان له

عندنا بدأ يكافيه الله يوم القيامة وما نفعتني مال أحد قط ما نفعتني مال أبي بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابا بكر خليلاً الا وصاحبكم خليل الله ، ثم لما أخذ الكفار في ابداء المسلمين وتعذيبهم قام ابو بكر باعباء أذية قریش واعانة المعذبين والذب عن رسول الله (ص) بما هو مشتهر معلوم لا يحتاج الى بيانه ، وكان يشترى المعذبين من الكفار ، واشترى بلال بن رباح وفدى غيره من الصحابة وابتنى بلال حسناً لا يكون فوقها مرتبة حتى جاء وقت الهجرة فصاحب رسول الله (ص) في الغار وأنزل الله فيه : « ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن » ، وأثنى الله عليه في كتابه العزيز في مواضع عديدة مما يطول ذكرها ، ونولاً أن الكتاب غير موضوع لذكر التفاصيل لفصلنا مناقبه في عشر مجلدات : ثم بعد الهجرة أقام بحفظ الدين والجهاد ولم يقدر أحد من الشيعة أن يدعي أن رسول الله (ص) غزا غزوة وتخلف عنه ابو بكر حتى توفي ، واجماع الأمة على أن رسول الله (ص) كان يقدمه على اصحابه ويفضله عليهم وهو لم يفارق رسول الله (ص) قط في غزاة ولا سفر ولا في غزوة ، ومن ادعى خلاف ذلك فهو مفتر كذاب يخالف لضرورات الدين ، ذكر في صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي : أي الناس خير بعد النبي ؟ قال : ابو بكر . قلت : ثم من ؟ قال : عمر . قال : خشيت أن يقول عثمان قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين . انظروا معاشرة العقلاء ان أمير المؤمنين علي هكذا يذكر الخلفاء ، ثم جاء ابن المطهر الأعرابي البوال على عقبيه ويضع لهم المطاعن قائلة الله من رجل سوء بطاط ، وايضاً عن عبد الله بن عمر قال : كنا في زمن النبي (ص) لانعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ، ثم ترك أصحاب النبي لافاضل بينهم ، وفي رواية كنا نحن نقول ورسول الله حي أفضل أمة النبي بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ، وفي الصحاح عن ابن عمر عن رسول الله انه قال لأبي بكر : أنت صاحبي في الغار وصاحبي في الحوض ، وفيها عنه قال : قال رسول الله : أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم ابو بكر ثم عمر ، ثم يأتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم ينتظر أهل مكة حتى تحشر بين الحرمين ، وفي الصحاح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : أتاني جبرئيل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة التي يدخل منه امتي فقال ابو بكر : يا رسول الله

وددت اني كنت معك حتى انظر اليه ، فقال رسول الله : اما انك يا ابا بكر اول من يدخل الجنة من امتي ، والأخبار في هذا اكثر من أن تحصى ، ثم لما قرب وفاة رسول الله (ص) جعله في مرضه إماماً للناس ليكون تلوياً الى خلفته ، وهذا كالماتواتر عند المسلمين ، ولم يتردد واحد في أن ابا بكر في أيام مرض رسول الله (ص) كان يؤم الناس وفي الصحاح عن عائشة قالت : قال رسول الله (ص) في مرضه : ادعي لي ابا بكر أبأك وأخاك حتى اكتب كتاباً فاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل : أنا أولى ، وبأبي الله والمؤمنون إلا ابا بكر ، وفي الصحاح عن جبير بن مطعم قال : أتت النبي امرأه فكلمته في شيء فأمرها أن ترجع اليه قالت : يا رسول الله أرأيت ان جئت ولم اجدك ؟ كأنها تريد الموت ، قال : إن لم تجدني فاقني ابا بكر ، والأخبار الدالة على الاشارة بخلافته كثيرة ، وهي تعارض الأخبار الدالة على خلافة علي والاجماع فضل زائد ودليل تام على صحة خلافته ، ثم ان الرجل السوء يذكر لمثل هذا الرجل المطاعن لعن الله كل مخالف طاعن ، وكنت حين بلغت باب المطاعن أردت أن أطوي عنه كشعاً ولا أذكر منه شيئاً لأنها تؤلم خاطر المؤمن ويفرح بها المنافق الفاسد الدين ، لأن من المعلوم ان الدين قام في خلافة هؤلاء الخلفاء الراشدين ، ولما سمع المنافق أن هؤلاء مطعونون فرح بأن الدين المحمدي لا اعتداد به لأن هؤلاء المطعونين حاشاهم كانوا مؤسسي هذا الدين وهذا ثلثة عظيمة في الاسلام وتقوية كاملة للكفر أقدم به الروافض لا أفلحوا ، ولكن رأيت لو اني أترك هذا الباب ولم اجابه يظن الناس ان ما أورده من الأباطيل كان كلاماً متيناً ونقلًا صحيحاً لا يقدر على مجاوبته ، فعزمت أن اجري على وفق ما جريت في هذا الكتاب من ذكر كلامه والرد عليه والله الموفق .

وأقول

لا ريب أن النبي (ص) هو صاحب الحوض ولكن علياً هو المتولي عليه فهو صاحبه ايضاً كما أن لواء النبي (ص) في الآخرة وهو لواء الحمد بيد علي (ع) ايضاً ، كما صرح بهذا كله اخبار القوم فضلاً عن اخبارنا فنها ما رواه الحاكم في المستدرک (١) عن

علي بن أبي طلحة وصححه أن الحسن (ع) قال لمعوية بن حديج : أنت الساب لعلي والله ان لقيته وما احسبك تلقاه يوم القيامة لتجده قائماً على حوض رسول الله يذود عنه رايات المنافقين ، ونحوه في الصواعق عن الطبراني (١) . « ومنها » ما في الصواعق ايضا عن الطبراني يا علي مملك يوم القيامة عصي من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض « ومنها » ما في الصواعق عن احمد اعطيت في علي خمساً الى أن قال : وأما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته ، وأما الثالثة فواقف على حوضي يستقي من عرف من امتي ، ونحوه في كنز العمال (٢) ، وروى في السكز ايضا عن الطبراني عن علي (ع) إني أذود عن حوض رسول الله « ص » بيدي هاتين القصيرتين الكفارتين والمنافقين ، وروى فيه أيضاً (٣) عن عمر من حديث طويل عن النبي « ص » قال فيه : وأنت تتقدمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي ، وفيه أيضاً (٤) عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) لعلي : أنت أمامي يوم القيامة فيدفع إليّ لواء الحمد فادفعه اليك وأنت تذود الناس عن حوضي ، وقد ذكر كثير من أخبارهم أمر اللواء فقط ، كخبر السكز (٥) عن الديلمي عن أبي سعيد يا علي أنت صاحب لوائني في الدنيا والآخرة ، وخبره الآخر (٦) عن الخطيب ورافعي عن علي عليه السلام ان النبي « ص » قال له : سألت الله يا علي فيك خمساً الى أن قال : اعطاني فيك ان اول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة أنا وأنت معي مملك لواء الحمد وأنت تحمله بين يدي تسبق به الأولين والآخرين ، وروى نحوه في محل آخر (٧) ، وحكى (٨) عن الطبراني عن بريدة قالوا : يا رسول الله من يحمل رايبتك يوم القيامة ؟ قال : من يحسن ان يحملها إلا من حملها في الدنيا علي بن أبي طالب ، الى غيرها من الأخبار المصروفة بأن علياً صاحب حوض رسول الله « ص » ، ولوائه في الآخرة ، وقد ذكر قسماً منها في بئابيع المودة .

وأما روايات الاذن التي ذكر قسماً منها المصنف « ره » الدالة على انه لا يدخل الجنة

- (١) في المقصد ٣ من المقاصد المتعلقة بالآية ١٤ وهي آية المودة . (٢) ص ٤٠٢ و ٤٠٣ ج ٦ . (٣) ص ٣٩٣ ج ٦ . (٤) ص ٤٠٠ ج ٦ . (٥) ص ١٥٥ ج ٦ . (٦) ص ١٥٩ ج ٦ . (٧) ص ٣٩٦ ج ٦ . (٨) ص ٣٩٨ ج ٦ .

ولا يجوز الصراط إلا من بيده جواز وبراءة من علي « ع » فستفيضة وقد تقدم بعضها في الآيات الحادية عشرة وهي قوله تعالى : « وقفوهم انهم مسؤولون » فراجع .
 واما ما زعمه الفضل من الخيانة في نقل فضائل اهل البيت عليهم السلام من كتبهم والسكوت عن فضائل خلفائهم فخطأ ، لأننا ننقل فضائل اهل البيت من كتبهم للاحتجاج بها عليهم مع علمنا بصحتها ولورودها في اخبارنا وإن كانت اخبارهم متعلجة البيان ، واما ما يرووه في فضائل من خالف اهل البيت فنحن نعتقد كذبهم وانه مما حدث في ايام معاوية وبعده طلباً للدرهم البيض والدينار الصفر ، ومراغمة لآل محمد وتقرباً لأهل الخلاف كما سبق في المقدمة ، وليت شمرى كيف يطلب منا ان نعتد ما ليس حجة عندنا بل قوار لدينا عكسه وظهر لنا ضده حتى علمنا كما دلت عليه اخبارهم ان كل ضلال وقع انما اساسه من رروا لهم الفضائل من يوم منعوا نبي الرحمة عن كتابة كتاب لا يضل المسلمون بعده ابداً .

واما ما نال به كرامة الامام العلامة المصنف « ره » لقوله : « لم ينقلوا عن أئمة الشيعة منقصة » الى آخره ، ففيه انه اي مانع لهم عن القدح بهم لو وجدوا اليه سبيلا وليسوا عندهم بأعظم واحب من خلفائهم وقد نقلوا عنهم ما نقلوا كما ستعرفه ، واما قوله : « انت لا تروي شيئاً يعتمد به إلا من صحاحنا » ففيه انه إن اراد ان صحاحهم مما يعتمد بها حتى عندنا فليس بصحيح وليس ما يرويه منها إلا للاحتجاج به عليهم لأنه حجة عندهم ، وإن اراد انها مما يعتمد بها عندهم خاصة فذكره لما فيها من فضائل اوليائهم لا فائدة فيه لعدم حاجة اصحابه الى نقلها وعدم صلاحها للاحتجاج بها علينا وهذا غير خفي عليه ، ولكن وما حيلة المضطر إلا ركوبها ، او لأنه يريد ان يخدم السذج بها وبما لفقه مما لا يخفى حتى على اهل المعرفة من قومه .

واما قوله : « وصحاحنا ليس ككتب الشيعة التي اشتهر عند السنة » الى آخره ففيه انه لو صح نقله للشهرة عند اصحابه فهي ليست اول شهرة كاذبة اريد بها تشييد الباطل ، فقد اشتهر عندهم إدخال من زعموه بهم رجله في نار جهنم حتى تقول قط قط ، واشتهر بينهم إلقاء الشيطان على لسان رسول الله « ص » تلك الغرائق العلى منها الشفاعة

ترنجي ، واشتهر عندهم رقص النبي (ص) بأكماء واستماعه للغناء الباطل دون عمر وابي بكر ، الى غير ذلك من المشهورات الباطلة قطعاً ، ولو كان لهذا الرجل معرفة لما روى هذه الشهرة عن اصحابه لانها تكشف عن كون شهراتهم من هذا القبيل مخالفة للضرورة والوجدان ، فان كتب الشيعة مملوءة بالنقل عن امامهم الصادق (ع) وما احدث نقل عن كتاب له وانما يروون عن لسانه وألسنة الأئمة الميامين ومراسلاتهم وها هي ذي كتب الشيعة بمنظر لمن أراد الاطلاع عليها .

وأما ما زعمه من اتفاق علماءهم على ان كل ما في الصحاح لو حلف بالطلاق الى آخره ففيه ان من حلف كذلك حانت جزماً لامور : (الأول) ان كثيراً مما فيها متناف فكيف تصدق كلها . (الثاني) اشتغالها على ما فيه نقص لله ورسوله كما سبق في مباحث النبوة وها منزهان عن النقص . (الثالث) ان الكثير من رواياتهم كذبة فسقة كما تقدم في المقدمة فكيف يحلف الخالف على صدقهم ولا يحث . (الرابع) أن بعض اخبارها واضحة الكذب كالذي رواه البخاري في أواخر الجزء الثاني في باب مقدم النبي (ص) واصحابه المدينة عن عثمان قال : « أما بعد فان الله بعث محمداً (ص) بالحق وكنت ممن استجاب لله ورسوله وآمن بما بعث به محمد ثم هاجرت هجرتين ونلت صهر رسول الله وباعته ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله » . فانه قد ثبت عصيانه لرسول الله (ص) ولو بفراره في الغزوات كفراره في أحد ثلاثة ايام ، فاذا وقع مثل هذا الكذب في الرواية فكيف لا يحث الخالف ، ونحوه في ظهور الكذب ما رواه البخاري ايضاً في باب هجرة النبي (ص) : « ان النبي (ص) أقبل الى المدينة وهو مردف أبا بكر وابو بكر شيخ يعرف ونبي الله شاب لا يعرف » الحديث ، فان النبي (ص) كان اكبر سناً وأشأناً وبيتاً وأثراً وشهرةً بدعوته التي تستدعي القصد اليه ورؤيته ومعرفته ، فكيف كان النبي (ص) شاباً لا يعرف وابو بكر شيخاً يعرف ؟ ونحوهما كثير .

وإذا أردت أن تعرف حقيقة صحاحهم فعليك بمراجعة مقدمة الكتاب ، وكفاك أن عمدة أحاديثها تنتهي الى عائشة وابن عمر وأبي هريرة ، وهم ليسوا محل الاعتماد فضلاً عن السند الذي ينتهي اليهم ، أما عائشة) فلما سبق من بغضها لأئمة المؤمنين ، وماسياتي

في المآخذ من صدور الكبار منها ، على انها قد روت كثيراً من النقص للنبي (ص) الذي يعلم الانسان بكذبه ونسبت اليه جهله بذبونه في اول البعثة حتى عرفته خديجة وورقة نبوته ، وهو مخالف لضرورة الدين كما مر بيانه في مباحث النبوة .

وأما (ابن عمر) فيما حاله من عدة وقايع « منها » ما نقله الفضل عنه من تفضيل الصحابة لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان على وجه كان مفروغاً عنه عندهم وانهم يتركون بعد الثلاثة سائر الصحابة بلا تفضيل بينهم . فيكون علي من سائر المسلمين لا يرون له فضلاً على غيره ، وقد تعقبه صاحب الاستيعاب بترجمة امير المؤمنين عليه السلام فانه بعد ما روى حديث ابن عمر المذكور ، قال : « وهو الذي أنكر ابن معين وتكلم فيه بكلام غليظ ، لأن القائل بذلك قد قال بخلاف ما اجتمع عليه أهل السنة من السلف والخلف من أهل الفقه والأثر أن علياً أفضل الناس بعد عثمان ، وهذا مما لم يختلفوا فيه وإنما اختلفوا في تفضيل علي وعثمان ، واختلفت السلف ايضاً في تفضيل علي وابي بكر ، وفي اجماع الجميع الذي وصفناه دليل على أن حديث ابن عمر وهم وغلط وانه لا يضح معناه » .

« ومنها » ما كذبه فيه عائشة في اعتمار النبي (ص) في رجب ، روى مسلم في باب عدد عمر النبي (ص) وزمانهم من كتاب الحج عن عروة بن الزبير ، قال : كنت أنا وابن عمر مستندين الى حجرة عائشة وانا لسمع ضربها بالسواك تسنن ، قال : فقلت : يا أبا عبد الرحمن اعتمر النبي في رجب ؟ قال : نعم ! فقلت لعائشة : يا امته ألا تسمعين ما يقول ابو عبد الرحمن ؟ قالت : وما يقول ؟ قلت : يقول اعتمر النبي في رجب ، فقالت لعمرى ما اعتمر في رجب وما اعتمر من عمرة إلا وأنه لمعه ، قال : وابن عمر يسمع ، فما قال : لا ولا نعم ، سكنت ! وأخرج مسلم ايضاً نحوه عن مجاهد ، قال : دخلت أنا وعروة المسجد فإذا عبد الله بن عمر جالس الى حجرة عائشة والناس يصلون الضحى في المسجد فسألناه عن صلاتهم فقال : بدعة ، فقال له عروة : كم اعتمر رسول الله (ص) ؟ فقال : اربع عمر إحداهن في رجب ، ثم ذكر نحوه الحديث السابق . وروى البخاري مثله في باب كما اعتمر النبي (ص) من كتاب الحج ، وكذا احمد في مسنده في مقامات عديدة (١) .

« ومنها » ما كذبه فيه ايضاً عائشة وهو عدد عمر النبي (ص) ، اخرج احمد في مسنده (١) عن مجاهد عن ابن عمر ، قال : سئل كم اعتمر رسول الله (ص) ؟ قال : مرتين ، فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله {ص} قد اعتمر ثلاثة سوى العمرة التي قرن بها بحجة الوداع ، وروى نحوه في مقام آخر (٢) غير أن ابن عمر قال فيه : اعتمر رسول الله مرتين قبل أن يحج . « ومنها » ما كذبه هي ايضاً فيه ، وهو روايته عن النبي {ص} أن الميت يعذب ببكاء أهله ، روى البخاري ومسلم في كتاب الجنائز ما ملخصه ان ابنة لعثمان ماتت وحضرها ابن عباس وابن عمر فقال ابن عمر لعمر بن عثمان : ألا تنهى عن البكاء فإن النبي قال : إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، فقال ابن عباس : قد كان عمر يقول بعض ذلك ، وذكر ذلك لعائشة فقالت : والله ما حدث رسول الله ان الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ، فوالله ما قال ابن عمر شيئاً ، وروى مسلم نحوه كثيراً وكذا احمد (٣) . « ومنها » ما كذبه هي ايضاً فيه ، وهو ما رواه من كلام النبي لما وقف على قليب بدر ، اخرج مسلم في كتاب الجنائز في باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه عن عروة قال : ذكر عند عائشة أن ابن عمر يرفع الى النبي ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، فقالت : إنما قال رسول الله : يعذب بخبطيته أو بذنبه وإن أهله ليبكون عليه ، وذلك مثل قوله أن رسول الله قام على القليب يوم بدر وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال انهم ليسمعون ما أقول ، إنما قال : انهم ليعلمون أن ما كنت أقول حق . وروى احمد ما تضمنه عجز الحديث (٤) . « ومنها » ما كذبه هي ايضاً فيه ، وهو عدد ايام الشهر ، اخرج احمد (٥) عن ابن عمر عن النبي قال : الشهر تسع وعشرون فذكروا ذلك لعائشة ، فقالت : إنما قال : الشهر يكون تسعاً وعشرين . « ومنها » ما كذبه فيه معوية روى البخاري في أول كتاب الأحكام في باب الامراء من قرش عن الزهري عن جبير بن مطعم انه بلغ معوية أن عبدالله بن عمر يحدث انه سيكون ملك من قحطان ، فغضب ، فقام فأتى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد فانه بلغني أن رجلاً

(١) ص ٧٠ ج ٢ . (٢) ص ١٣٩ ج ٢ . (٣) ص ٣١ و ٣٨ ج ٢ وص ٥٧ و ٢٠٩ ج ٦ . (٤) ص ٣٨ و ٣١ ج ٢ . (٥) ص ٥١ ج ٦ .

منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله وأولئك جهالكم
فأيكم والأمني التي تفضل أهلها فاني سمعت رسول الله { ص } يقول : ان هذا الأمر في
قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين . « ومنها » ما كذبه فيه
بعض أهل روى البخاري في باب ما جاء في البنساء آخر كتاب الاستئذان عن سفيان
قال ابن عمر : « والله ما وضعت ابنة على ابنة ولا غرست نخلة منذ قبض النبي » . قال
سفيان : « فذكرته لبعض أهل قال : والله لقد بنى » . لسكن سفيان حمله على الصحة
فقال : « لعله قال قبل أن يبني » (أقول) أهله أعرف به ولولم يعرفه هذا البعض منهم
بالكذب لما تسرع لتكذيبه ، ولو سلم فلا تتجه بقية الروايات إذ لا وجه لها إلا الحمل
على الخطأ وهو ممتنع عادة في كثير منها ، ولو سلم فن أخطأ في هذه الأمور المحسوسة
الظاهرة لا يمكن الخلف على صدق ما يرويه ، وبالجملة الكذب عمداً أو خطأ فيما اختلف
فيه ابن عمر وغيره لا بد أن يكون صادراً من أحدهما فيمتنع معه صحة الخلف المذكور .
وقد وقع لأنس من ابن عمر مثل ما وقع لابن عمر من عائشة ، اخرج احمد (١)
عن بكر قال : قلت لابن عمر ان انساً حدثت أن رسول الله لبي بالعمرة ، فقال ابن عمر :
هل خرجنا مع رسول الله إلا حجاجاً فلما قدمنا أمرنا أن نجعلها عمرة إلا من كان معه
هدي ، قال : فحدثت انساً بذلك فغضب وقال : لا تمدونا إلا صبياناً .

ثم ان « ابن عمر » قد صدرت منه الكبرياء فلا يعتد بروايته . « منها » انه ترك
صلاة الجمعة ، روى البخاري في اوائل كتاب المغازي عن نافع ان ابن عمر ذكر له أن
سعيد بن زيد مرض في يوم جمعة فركب اليه بمسد أن تعالى التهار واقتربت الجمعة وترك
الجمعة . « ومنها » وهو أعظمها تخلفه عن بيعة امير المؤمنين (ع) ، وقد بايغاه أهل الحل
والعقد ، وعندهم ان الخلافة تنعقد بهم بل ببيعة الواحد والاثنين كما سبق ، مع انه قد
روى مسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب الامارة عن نافع قال : « جاء عبد الله
ابن عمر الى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد ، فقال :
اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة ، فقال : اني لم آتلك لأجلس ، أتيتك لا أحدثك حديثاً

سمعت رسول الله يقول : من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ؛ ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية . وروى احمد نحوه من طرق (١) فياجباً من ابن عمر يروي هذا ويرى أن من ليس في عنقه بيعة ليزيد المنار يموت ميتة جاهلية ويترك بيعة أخيه النبي (ص) ونفسه عامداً مصرأ على الترك اكثر من اربع سنين ! فهل تراه كاذباً في حديثه أو صادقاً فيه غير مبال بالميتة الجاهلية بغضاً لولي المؤمنين ومولاهم وهضماً لحقه والبغض له أعظم الفسق ودليل النفاق ، فكيف يكون مع هذا مقبول الرواية محل الاطمئنان بروايته ، فتدبر واعتبر .

وأما « ابو هريرة » فهو أولى بعدم الاعتماد عليه لكثرة خرافاته التي لا يقبلها عقل عاقل وظهور كذبه في كثير مما رواه واتهام الصحابة والتابعين بل تكذيبهم له أفراداً ونوعاً .

أما خرافاته وكذباته فلا يمكن احصاؤها ولكننا نذكر منها اليسير « فنها » اخباره السابقة في مبحث النبوة التي وصم بها جلال الله سبحانه وشرف انبيائه المعصومين « ومنها » ما سنذكره من سبب حفظه العلم . « ومنها » ما رواه البخاري عنه (٢) : « قال سمعت رسول الله (ص) يقول : لن يدخل أحداً عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا » الحديث . فانه يخالف لقوله تعالى : « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » . وقوله سبحانه : « لكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون » . الى كثير من الآيات الكريمة والسنة المستفيضة ، ولكن اباهريرة ينسج على منوال القصاصين ويمسخ معالم الله سبحانه بما يقتضيه عقله وتحكم به مخيلته ، فيلقي على أسماع القوم هذه السخافات والكذب الظاهر فيقبلونها من دون التفات لاعتمادهم على كل صحابي وان ظهرت منه الكبائر بأنواعها وازا في حديثه حد العقل . « ومنها » ما اخرجه البخاري (٣) عنه عن النبي (ص) : « قال : رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق فقال له : أسرقت ؟ قال : كلا والذي لا إله إلا هو ، فقال عيسى : آمنت بالله وكذبت

(١) منها ص ٨٣ و ٩٧ ج ٢ . (٢) في باب تمني المريض الموت من كتاب المرضى .

(٣) في باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من اهلها من كتاب بدء الخلق .

عيني ، فان الايمان بالله لا ينافي صدق عينه وأي عقل يقتضي تكذيب العين ووجدانها وتصدق الحالف بالله كذباً المستحق للعقاب من جهة السرقة والحلف بالله كذباً ، ولكن وسوس ابي هريرة وخيالياته لم تقنع إلا بالكذب على نبي في نسبة نبي آخر الى الحق والجهل .

«ومنها» ما اخرجه البخاري (١) ومسلم (٢) واحمد (٣) عنه قال : « كانت امرأتان معها ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احدهما فقات صاحبتها : انما ذهب بابنك ، وقالت الاخرى : انما ذهب بابنك ، فتحا كتما الى داود ، ففضى به لـالكبرى ، فخرجتا على سليمان ابن داود فأخبرناه فقال ائتوني بالسكير أشقه بينهما ، فقالت الصغرى : لا تفعل برحمك الله هو ابنها ففضى به للصغرى . قال ابو هريرة : والله ان سمعت بالسكين إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المديّة . فان داود (ع) إضاحكم بلا دليل فقد حكم بغير الحق الذي أمده الله تعالى به وهو مئز عن ذلك ، وان كان بدليل فكيف نقض سليمان حكم الله بمجرد اشفاق الاخرى ، فلحديث طعن من أبي هريرة بأحد النبيين الأكرمين ، ومن المضحك قوله : « والله ان سمعت بالسكين إلا يومئذ » . فان لفظ السكين كثير الدوران في كلام العرب ولا يجهله أحد منهم ، وقد نطق به الكتاب العزيز فقال تعالى من سورة يوسف : « وآتت كل واحد منهم سكيناً » وهي مكينة نزلت قبل اسلام أبي هريرة بعدة سنين لأنه أسلم سنة سبع للهجرة ، فما باله لم يسمع هذه الآية التي عم عليها المسلمين لقدمها ، ولم لم يعلمها وقد زعم أنه حفظ عن رسول الله (ص) وعاءين بث احدهما ولو بث الآخر لقطع منه البلعوم كما رواه البخاري عنه (٤) ، وليت شمري ما هذه الأسرار الغريبة التي خمس النبي (ص) بها ابا هريرة واخفاها عن المسلمين فضاعت عنا فاننا لله وإنا اليه راجعون . «ومنها» ما رواه البخاري (٥) عنه قال : « وكلي رسول الله (ص) بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت : والله لأرفعنك الى

- (١) في باب ووهبنا لداود سليمان الآية من كتاب بدء الخلق . (٢) في باب بيان اختلاف المجتهدين من كتاب الأقضية . (٣) ص ٣٢٢ ج ٢ من المسند .
(٤) في باب حفظ العلم من كتاب العلم . (٥) في أوائل كتاب الوكالة .

رسول الله (ص) : قال : إني محتاج وعلي عيال وني حاجة شديدة ، فخلّيت عنه ، فأصبحت فقال النبي (ص) : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت : يا رسول الله شكّا حاجة شديدة ، فرحمته فخلّيت سبيله ، قال : انه قد كذّبك وسيعود ، فعرفت انه سيعود لقول رسول الله (ص) انه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنك الى رسول الله (ص) ، قال : دعني فاني محتاج وعلي عيال لا أعود ، فرحمته فخلّيت سبيله فأصبحت ، فقال لي رسول الله (ص) : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ، قلت : يا رسول الله شكّا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخلّيت سبيله ، قال : أما انه قد كذّبك وسيعود ، فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنك الى رسول الله وهذا آخر ثلاث مرات ، انك زعم لا تعود ثم تعود ، قال : دعني اعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت : ما هو ؟ قال : إذا آويت الى فراشك تأتيراً آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى تختم الآية ، فانك لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح : فخلّيت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله : ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت : يا رسول الله زعم انه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخلّيت سبيله « الى أن قال : « تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليل يا أبا هريرة ؟ قلت : لا ، قال : ذاك شيطان » . فليت شعري أي حاجة للشيطان في هذه السرقة الخاصة : ولم لم يسرق من حيث لا يراه أبو هريرة ، وكيف قدر أبو هريرة أن بأسره وهو جسم شفاف ، وكيف ساغ لأبي هريرة أن يرحمه وهو أمين في الحفظ ، وكيف لم يصدق رسول الله (ص) في قوله : قد كذّبك وصدق السارق في الدعوى التي كذّبه النبي فيها ، ولا سيما بعد التكرار ، وكيف صدق النبي (ص) في قوله : سيعود ولم يصدق في قوله كذّبك ، وكل منهما خبر للنبي (ص) في كلام واحد ، وهل محل لرحمته لو صدق النبي (ص) في تكذيبه ، وكيف جاز لأبي هريرة أن يحنث في يمينه ثلاث مرات بعد ما حلف ثلاثاً أن يرفعه الى النبي (ص) . بل كيف صح للنبي (ص) مع علمه بأنه شيطان ان يسكت بعد المرة الأولى ولا ينهى أبا هريرة عن مسامحته بمسدها والمال للفقراء وهو (ص) أمينهم في الجمع والحفظ ، فهل يشك عاقل بعد هذه الامور في ان ذلك من كذبات ابي هريرة وسخافاته . « ومنها » مارواه

الحاكم عنه (١) وصححه « قال خلق الله آدم فمسح على ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة أمثال الذر ، ثم جعل بين عيني كل انسان منهم وبيصاً (أي بريقاً من نور) ، ثم عرضهم على آدم ، فقال آدم : من هؤلاء يا رب ؟ قال : ذريتك ، فرأى آدم رجلاً منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال : يا رب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود ، قال آدم : كم جعلت له من العمر ؟ قال : ستين سنة : قال : يا رب زده من عمري اربعين سنة حتى يكون عمره مائة سنة ، فقال الله عز وجل : إذن يكتب ويختتم فلا يبدل ، فلما انقضى عمر آدم جاء ملك الموت لقبض روحه قال آدم : أو لم يبق من عمري اربعون سنة ؟ قال له ملك الموت : أو لم تحملها لابنك داود ، فجحد فجحدت ذريته » الحديث . فانظر الى هذه القصة الخيالية واعتبر في آخرها كيف نسب ابو هريرة نبي الله الى الكذب وجحود ما فعل وكتب عليه وختم كراهة للموت الذي بعده الكرامة التي رآها قبل الهبوط الى الدنيا الدنية وبكى شوقاً اليها ، ولو فرض نسيان آدم فما معنى جحوده وقد ذكره ملك الموت وهو الصادق الأمين ، ولكن بأهريرة لا يبالي بنقص الأنبياء حتى جعل جحود آدم عليه السلام سبباً لجحود ذريته الباطل ، وليت شعري لم دخل في خيال ابي هريرة أن وبيص ما بين عيني داود اعجب الى آدم من وبيص ما بين عيون الأنبياء حتى سيدهم محمد (ص) وأحدهم يوسف ومن زاده الله بسطة في العلم والجسم . « ومنها » مرواه البخاري (٢) عنه عن النبي (ص) قال : « بينا أيوب يغتسل عرياناً فخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن اغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى وعزتك ، ولكن لا غنى بي عن بركتك » . فان جمه للمال ان كان رغبة في الدنيا فالأنبياء أجلُّ قدرأ من ذلك ، وإن كان للآخرة ولو باظهار الحاجة الى كرمه تعالى وتلقى النعمة باغظامها فما وجه عتاب الله تعالى له : واجمال ان العتاب للاختبار ، ليس في محله لأنه ان اريد الاختبار حقيقة فالله عالم بما في نفسه من دون اختبار وان اريد كشف ما في نفس الناس اظهاراً لفضله فهو قد اغتسل وحده عرياناً وقصص ابي هريرة الخرافية لا تنهي حتى ينتهي عنها .

وأما تكذيب الصحابة والتابعين له عموماً أو خصوصاً ، فلا خبير به مستفيضة ، وقد كان امير المؤمنين (ع) بالخصوص وعمر وابنه وعائشة وأفراد آخر من الصحابة يكذبونه أو يتهمونهم بالكذب ، نقل ابن أبي الحديد (١) عن أبي جعفر الاسكافي وابن قتيبة في كتاب المعارف : « ان امير المؤمنين (ع) قال : ألا ان اكذب الناس أو قال : اكذب الأحياء على رسول الله (ص) ابو هريرة الدوسي ، وأن عمر بن الخطاب ضرب ابا هريرة بالدرة وقال : قد اكثرت من الرواية وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله (ص) . وحكى في كنز العمال (٢) عن ابن عساكر : « ان عمر قال له : لتترك الحديث عن رسول الله (ص) أو لأخفئك بأرض دوس أو بأرض القردة » . وروى مسلم (٣) عن ابن عمر : « ان النبي (ص) أمر بقتل الكلاب إلا كلب الصيد أو كلب غنم أو ماشية ، فقبل لابن عمر : أن ابا هريرة يقول : أو كلب زرع ، فقال ابن عمر : إن لأبي هريرة زرعاً ! » . ثم روى مسلم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : « من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع نقص من أجره قيراط » . قال الزهري : فذكر لابن عمر قول أبي هريرة : فقال : يرحم الله ابا هريرة كان صاحب زرع ! وروى أيضاً عن سالم عن أبيه عن رسول الله (ص) قال : « من اقتنى كلباً إلا كلب ضار أو ماشية نقص من عمله كل يوم قيراطان » . قال سالم : « وكان ابو هريرة يقول : أو كلب حرث وكان صاحب حرث » . وروى احمد (٤) عن ابن عمر عن النبي (ص) انه قال : « من اتخذ كلباً ليس بضار ولا كلب ماشية نقص من أجره كل يوم قيراطان » . فقبل له : ان ابا هريرة يقول : و كلب حرث ، فقال : أنى لأبي هريرة حرث . وروى احمد أيضاً (٥) عن عبد الرحمن بن عتاب ما حصله أن ابا هريرة أفتى بشيء فأرسل مروان الى ام سلمة وعائشة فذكرنا عن رسول الله (ص) خلافه ، فقبل لأبي هريرة في ذلك فقال : كذا كنت احسب ، وكذا كنت أظن ، فقال له مروان : بأظن واحسب نفثي الناس ! وروى احمد أيضاً (٦) عن أبي حسان الأعرج : « ان رجلين دخلا على عائشة فقلا :

(١) ص ٣٦٠ ج ١ . (٢) ص ٢٣٩ ج ٥ . (٣) في باب الأمر بقتل الكلاب من كتاب البيوع . (٤) ص ٤ ج ٢ . (٥) ص ١٨٤ ج ٦ . (٦) ص ٢٤٦ ج ٦ .

ان ابا هريرة يحدث ان نبي الله كان يقول : إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار ، قال : فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض ، فقالت : والذي انزل القرآن على أبي القاسم (ص) ما هكذا كان يقول ، ولكن نبي الله كان يقول : كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في المرأة والدار والدابة . وروى مسلم (١) ان ابا هريرة يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : من تبع جنازة فله قيراط بن الأجر ، فقال ابن عمر : أكثر علينا ابو هريرة ، نعم ذكر في ذيل الحديث ان ابن عمر ارسل الى عائشة يسألها فصدقت ابا هريرة ، لكنه لا يخرج ابا هريرة عن كونه متهماً بالكذب .

وروى مسلم أيضاً (٢) عن ابن شهاب : « أن ابا سلمة بن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله (ص) قال : لا عدوى ، ويحدث أن رسول الله (ص) قال : لا يورد ممرض على مصح ، قال ابو سلمة : كان ابو هريرة يحدثها كلتيهما عن رسول الله (ص) ، ثم صحت بعد ذلك ابو هريرة عن قوله لا عدوى ، وأقام على أن لا يورد ممرض على مصح ، قال : فقال الحارث : قد كنت اسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع هذا الحديث حديثاً آخر قد سكته عنه ، كنت تقول قال رسول الله : لا عدوى ، فأبى ابو هريرة أن يعرف ذلك فأراه الحارث في ذلك حتى غضب ابو هريرة فرطن بالحبيشة فقال للحارث : أنتدري ماذا قلت ؟ قال : لا ، قال ابو هريرة : قلت : أبيت ، قال ابو سلمة : ولعمري لقد كان ابو هريرة يحدثنا أن رسول الله (ص) قال : لا عدوى ، فلا أدري أنسي ابو هريرة أم نسخ أحد القولين الآخر . أقول : كلا العذرين باطل أما النسخ فلا أنه إنما يدخل الأحكام مع أن النسخ لو دعا ابا هريرة الى الترتك لاعتذر به عند الحارث ، أو لم يروها أولاً ، وأما النسيان فيمطله عندهم ما رواه البخاري (٣) عن ابي هريرة : « قال يارسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه ، قال : أبسط رداءك ، فبسطته ، قال : فغرف بيديه ثم قال : ضمه ، فضمته ، فما نسيت شيئاً بعده » . و (أقول) : هذا أيضاً من حديث

(١) في باب فضل الصلاة على الجنائز من كتاب الجنائز . (٢) في باب لا عدوى ولا طيرة من كتاب السلام . (٣) في باب حفظ العلم من كتاب العلم وفي موارد كثيرة باختلاف فيه .

خرافة فان النبي (ص) لو كان مريداً له الحفظ كفاه أن يدعو له به كما فعل مع امير المؤمنين لما بعثه قاضياً الى اليمن ، ولما نزل قوله : « وذهب اذن واعية » ، فلم يحتج الى هذا الفضول من البسط والاغتراف من الهواء والضم اللوائي لا تشبه أفعال العقلاء بل المشعبذين والخرافيين ، فكيف ينسب الى نبي الهدى .

وأما تكذيب الصحابة والتابعين له عموماً أو اتهامهم له ، فيدل عليه ما أقر به هو بنفسه فيما رواه مسلم (١) عن ابي رزين قال : « خرج الينا ابوهريرة فضرب بيده على جبهته فقال : انكم تحدثون اني اكذب على رسول الله (ص) لتهتدوا وأضل » الحديث . وما رواه البخاري (٢) عن ابي هريرة قال : « يقولون إن ابا هريرة يكثر الحديث ، والله الموعود ، ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه ، وإن اخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن اخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم وكنت امرأة مسكينة أزم رسول الله على مله بطني فأحضر حين يغيبون وأعي حين ينسون » الحديث فهذا الحديث صريح باتهامهم له ، كما أن الحديث الذي قبله صريح في تكذيبهم له ، فالعجب من السنة كيف يعتبرون حديثه ، وهم يطعنون في الراوي باتهام بعض علمائهم له فضلاً عن التكذيب له ، فكيف وقد اتهمه الصحابة والتابعون وكذبوه عموماً وخصوصاً ، مع أن السنة رأوه في هذا الحديث قد كذب كذباً ظاهراً ، إذ نسب الى جميع المهاجرين الصفق بالأسواق ، والى عامة الأنصار العمل بأموالهم أي بسايتهم ، والحال ان الذين كانوا كذلك إنما هم القليل ، ونسب الى نفسه ملازمة النبي (ص) لأن يملأ بطنه ، وهذا أمر لو تم زاد عليه فيه أنس وشاركه فيه جماعة من اهل الصفة ، وما أدري كيف زاد حضوره على سائر المهاجرين والأنصار ، والحال ان أيام اسلامه ثلاث سنين قبل وفاة النبي (ص) وهم حضروا عند النبي (ص) من مبدأ الهجرة وبعضهم قبلها ، ولو سلم فليس هذا جواباً عن اشكال عدم تحديث المهاجرين والأنصار مثل حديثه في الغرابة ، فان زيادة حضوره عند النبي (ص) لا تقتضي أن يختص بالغرائب دون

(١) في باب إذا انتمل فليبدأ بالمؤمن من كتاب اللباس والزينة . (٢) في آخر

ابواب المزارعة وباب حفظ العلم وغيره باختلاف .

بطانة النبي (ص) وأهله واكابر الصحابة ، ولبت شعري كيف يرتضون عذره هذا وهم يزعمون ان النبي (ص) لا يصنع شيئاً إلا بمشاورة ابى بكر وان ابا بكر لا يفارق النبي (ص) ليلاً ولا نهاراً طول أيام اسلامه بل قبل البعثة وهو لم يرو إلا أقل القليل بالنسبة الى روايات ابى هريرة فهل يرون أن ابا هريرة أوعى منه للعلم وأحفظ ، وكذا الحال في عطاء الصحابة ، ولا سيما أمير المؤمنين عبد الله القرآن وصاحب الاذن الواعية الذي لم يفارق النبي (ص) من طفوليته الى ساعة وفاته وهو لم تكن له من الرواية عندهم إلا القليل بالنسبة الى ما رواه ابو هريرة .

ثم ان عدم الاعتداد بأبى هريرة لا يختص بالصحابة والتابعين بل يعم غيرهم ، فقد حكى ابن ابى الحديد (١) عن ابى جعفر وابن قتيبة : « ان ابا يوسف ذكر عن ابى حنيفة انه قال : الصحابة كلهم عدول ما عدا رجلاً ثم عد منهم ابا هريرة وانس بن مالك ، وان ابا اسامة روى عن الأعمش قال : كان ابراهيم صحيح الحديث فكنت إذا سمعت الحديث أتيتهم فمرضته عليه فأثبته يوماً بأحاديث عن ابى هريرة فقال : دعني من ابى هريرة انهم يتركون كثيراً من حديثه » ، وبؤيد ما عن ابى حنيفة ما نقله السيد السعيد (ره) عن نضر الدين الرازي في مسألة النظرية من رسالته المعمولة لتفضيل مذهب الشافعي ، ان الحنفية طعنوا في ابى هريرة وقالوا انه كان متساهلاً في الرواية .

هذا ولو أعرضنا عن طعن من سبق ذكرهم ، فلا ريب أن ابا هريرة كان من أعداء أمير المؤمنين « ع » وأنصار محاربيه ومن مبغضيه ، وقد عرفت ان بغضه علامة النفاق والنفاق اكبر الفسق المانع من قبول الرواية ، وما زال ابو هريرة من المجاهرين بعداوة إمام الهدى وخذلانه ونصرة أعدائه ، حتى انه كان يضم الحديث على رسول الله في نقصه . نقل ابن ابى الحديد (٢) عن ابى جعفر الاسكافي : « أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية اخبار قبيلة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ، منهم ابو هريرة وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير » . ثم ذكر ما اختلقوه وذكر عن ابى هريرة ما استحق به عند معاوية ان يوليه اماراة المدينة

ثم نقل عن ابي حمفر وابن قتيبة : ان سفيان الثوري روى عن عبدالرحمن بن القاسم عن عمر بن عبد الغفار ان ابا هريرة لما قدم الكوفة مع معوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس اليه ، فجاء شاب من الكوفة فجلس اليه فقال : يا ابا هريرة أنشدك الله أستمعت من رسول الله (ص) يقول لعلي بن أبي طالب (ع) : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ؟ فقال : اللهم نعم ، قال : فأشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه ثم قام عنه .

هذا كله مضافاً الى شهادة النبي (ص) بأن ابا هريرة من أهل النار ، روى صاحبنا الاصابة والاستيعاب وغيرها في ترجمة فرات : « أن ابا هريرة والرحال بن عنفدة والفرات ابن حبان خرجوا من مجلس النبي (ص) فقال مشيراً اليهم : لفرس أحدكم في النار أعظم من احد وان معه لقفا غادر ، فكان ابو هريرة والفرات يقولان بعدها : ما امنا بعد هذا حتى ارتد الرحال وقتل مع مسيلمة » . (أقول) : مرادها تأويل الحديث بحمل لفظ أحدكم على الواحد لا الجميع وهو خلاف الظاهر والاستعمال المستفيض ، قال تعالى : « أبودأحدكم أن تكون له جنة من نخيل واعناب » ، « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية » ، « شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت » ، « حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا » ، « يود أحدكم لو يعمر الف سنة » . « وإذا بشر أحدكم بالآتي ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » ، الى غير ذلك مما لا يحصى من الآيات وغيرها ، مضافاً الى أن النبي لا يمكن أن يسقط شأن جماعة من امته بالاجمال وهو يريد واحداً خاصاً .

ولولا خوف الملل لودنا في بيان أحوال هذا الرجل ، وفيما ذكرناه تبصرة ومعتبر ، فاذا كان هذا حال ابي هريرة وهو اكثر روايتهم رواية فكيف يحلف المنصف على صدور جميع ما في صحاحهم .

وأما ما ذكره الفضل من اتصال بسب ابي بكر برسول الله (ص) في الأب الثامن فغير نافع ما لم تحصل التقوى وطاعة المولى ، وقد كان ابو لهب أقرب منه نسباً على أن أبناء تيم من أرذل بيت في قريش فلا يفيدهم شرف الاصل وكل الناس من آدم ونوح .

وأما قوله : « كان أبو بكر قبل البعثة من أكابر قريش وأشرفها وصناديدها » الى آخره ، فيكذبه ما رواه الجاحظ مفاخرآ به كما في شرح ההج (١) من « أن أبا بكر كان من المعذنين بمكة قبل الهجرة » ، وان نوفل بن خويلدة المعروف بابن العدوية ضربه مرتين حتى أدماه وشده مع طلحة بن عبيد الله في قرن ، وجعلها في الهاجرة عمير بن عثمان ، ولذلك كانا يدعيان القرينين » ، فان مثل ذلك لم يفعله إلا بأذنها وعبيدهم لا بأشرفهم وصناديدهم .

وأما قوله : « كان صاحب اموال كثيرة حتى اتفق جميع أرباب التواريخ انه لم يبلغ مال قريش مبلغ مال أبي بكر » ، فلا أدري من هؤلاء أرباب التواريخ فاني لم أجد أحداً ذكره ، وغاية ما ادعاه الجاحظ في مقام المفاخرة كما ذكره ابن أبي الحديد في الشرح (٢) ان ماله كان اربعين الف درهم وهذا لا يعد مالاً في قريش لو سلمنا أن أبا بكر يملكه .

وأما قوله : « كان يعين رسول الله بماله وأسبابه » ، فيكفيره من دعواه الكاذبة إذ كيف يصح ورسول الله (ص) لم يرض أن يأخذ من أبي بكر شيئاً إلا باليمن عند الهجرة في تلك الحال الشديدة . كما رواه البخاري (٣) واحمد (٤) عن عائشة ، وذكره ابن الأثير في الكامل (٥) والطبري في تاريخه (٦) ، وكيف يمكن أن يدعي لأبي بكر بذل المال وقد اشفق أن يقدم بين يدي نجواه صدقة يسيرة وترك أهل المحامح بلا شيء يوم الهجرة وأخذ ماله معه وكان خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم ، كما رواه احمد عن اسماء بنت أبي بكر (٧) ورواه الحاكم وصححه على شرط مسلم (٨) ، وايضاً قد تزوجت ابنته اسماء الزبير وهو فقير لا يملك سوى فرسه ، فكانت تخدم البيت وتسوس الفرس وتدق النوى لناضحه وتعلمفه وتستقي الماء : وكانت تنقل النوى على رأسها من ارض الزبير التي اقطعها اياه رسول الله (ص) وهي على ثلثي فرسخ من منزلها ، كما رواه البخاري (٩)

- (١) ص ٢٦٧ ج ٣ . (٢) ص ٢٧٤ ج ٣ . (٣) في باب هجرة النبي (ص) الى المدينة من أواخر أبواب الجزء الثاني من صحيحه . (٤) ص ٢٤٥ ج ٥ . (٥) ص ٤٩ ج ٢ . (٦) ص ٢٤٥ و ص ٢٤٧ ج ٢ . (٧) ص ٣٥٠ ج ٦ . (٨) ص ٥ ج ٣ . (٩) في باب الغيرة من كتاب النكاح .

ومسلم (١) واحمد (٢) ، فلو كان ابو بكر من أهل البذل فأبى هو عن ابنته وهي بتلك الحال ؟ نعم ادعت اسماء أن أباهما أرسل اليها بعد ذلك خادماً كتمتها سياسة الفرس قالت : فكأنما اعتقني .

وأما ما نقله عن رسول الله « ص » انه قال : ما دعوت أحداً الى الاسلام إلا أظهر تردداً ما خلا ابا بكر ، فكذب ظاهر فإن علياً وخديجة أظهر منه سلماً وتسليماً ، وكيف يدعي التردد لأبي ذر وأشباهه ممن جاؤا الى النبي (ص) قاصدين الاسلام رغبة فيه ، والحق ان ابا بكر انما أسلم لما سمعه من بحيرا الراهب وغيره في ارتفاع أمر النبي (ص) وبعد صيته وانتشار حكمه وكذلك عمر .

وأما قوله : « فأخذ ابو بكر يدعو الناس الى رسول الله (ص) وآخر ذلك اليوم الذي أسلم أنى بعيون أشراف قبائل قريش » الى آخره ، ففيه نظر قال ابن ابى الحديد (٣) في شرح الخطبة التي مدح أمير المؤمنين « ع » في بعضها النبي (ص) بقوله : « لم يسلم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر » قال : « في الكلام رمز الى جماعة من الصحابة في أنسابهم طعن كما يقال ان آل سعد بن ابى وقاص ليسوا من بني زهرة بن كلاب وانهم من عذرة من قحطان ، وكما قالوا أن آل الزبير بن العوام من أرض مصر من القبط . قال الهيثم بن عدي في كتاب مشالب العرب : أن خويلد بن اسد بن عبد العزى كان أنى مصرأ ثم انصرف منه بالعوام فتبيناه ، فقال حسان يهجو آل العوام .

بني اسد ما بال آل خويلد يحنون شوقاً كل يوم الى القبط

الى أن قال : لعمر أبى العوام أن خويلداً غداة تبناه ليوثق في الشرط

« أقول » : ولو ساعحننا الفضل في أن هؤلاء من عيون الرجال وأن كل قبائلهم من أشراف القبائل ، فلا نسلم أن اسلامهم بدعوة ابى بكر كما يشهد له ما ذكره علي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية واحمد زيني المشهور بدخلان في السيرة النبوية ، حيث ذكر أن السبب في اسلام طلحة وعبدالرحمن اخبار الرهبان لها بنذبة النبي { ص } ، غاية

(١) في كتاب النكاح في باب جواز ارداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق .

(٢) ص ٣٤٧ ج ٦ . (٣) ص ٢٣ ج ٢ .

الأمر انها اخبر ابا بكر بقصة الرهبان قبل اسلامها ، ثم أسلما على يد رسول الله { ص } كما أن اسلام هؤلاء لم يكن في أول يوم ، ولو كان ابو بكر بهذه المنزلة من لطف الدعوة بحيث أسلم بسببه هؤلاء الجماعة في اول اسلامه لظهر له الأثر الكثير الكبير بعد ذلك بحيث تسلم مكة عامتها في أقل من مدة سنة وما رأيانهم نقلوا اسلام أحد بسببه غير هؤلاء الذين سماهم مع عبد الرحمن بن عوف ، وقد كشف عن كذب هذه الدعوى ابو جعفر الاسكافي في رده على رسالة الجاحظ كما حكاه ابن أبي الحديد (١) عنه قال : « ما أعجب هذا القول إذ تدعي العنانية لأبي بكر الرفق في الدعاء وحسن الاحتجاج وقد أسلم ومعه ابنه عبد الرحمن فما قدر أن يدخله في الاسلام طوعاً برفقه ولطف احتجاجه ولا كرهاً بقطع النفقة عنه وادخال المسكروه عليه ولا كان له عند ابنه عبد الرحمن من القدر ما يطعمه فيما بأسره به » الى أن قال : « وكان ابو قحافة فقيراً مدقماً سيء الحال وابو بكر عندهم مثيراً فأض المال فلم يمكنه استمالته الى الاسلام بالنفقة والاحسان ، وقد كانت امرأة ابى بكر ام عبد الله ابنه لم تسلم وأقامت على شركها بمكة وهاجر ابو بكر وهي كافرة فلما نزل قوله تعالى : { ولا تمسكوا بعصم الكوافر } ، طلقها ابو بكر فن عجز عن ابنه وأبيه وامراته فهو عن غيرهم من الغرماء أعجز » ، ثم قال ابو جعفر : « وكيف أسلم سعد والزبير وعبد الرحمن بدعاء ابى بكر وليسوا من رهطه ولا من آراه ولا من جلسائه ولا كانت بينهم صداقة متقدمة ، وكيف ترك ابو بكر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة لم يدخلها في الاسلام برفقه وحسن دعائه وقد زعمتم انها كانا يجلسان اليه لعلمه وطريف حديثه ، وما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الاسلام وقد ذكرتم انه أدبه وخرجه ، ومنه أخذ جبير العلم بأنساب قریش وما أثرها ، فكيف عجز عن هؤلاء الذين عددناهم وهم منه بالحال التي وصفنا ، ودعا من لم يكن بينه وبينه انس ولا معرفة إلا معرفة عيان ، وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب وقد كان شكاه وأقرب الناس شهاً به في أغلب أخلاقه ، ولأن رجعت الى الانصاف لتعلمين ان هؤلاء لم يكن اسلامهم إلا بدعاء الرسول وعلى يديه . وأما قوله : « ولا يقدم رسول الله { ص } إلا بمشاورته » فان أراد به المشاورة عن

حاجة فهو ظاهر البطلان لأن النبي {ص} أعظم قدراً وأجل شأناً من ذلك ، كيف وهو • يؤيد بالوحي مسدد بالعصمة ، وإن أراد به المشاورة لاعتن حاجته فوقوعها في الجملة مسلم كما أمره عز وجل بقوله (وشاورهم في الأمر) ولأرباب ان هذه المشاورة المنزهة عن الحاجة إنما هي للتأليف كما يدل عليه نفس الآية السكرية قال تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله » فإن قوله سبحانه : (ولو كنت فظا لانقضوا) دليل على ضعف إيمانهم وأنه غير ثابت عن صميم القلب ، فلا بد أن يكون الأمر بمشاورتهم للتأليف ، مضافاً إلى أنها نازلة في العصاة المنهزمين في أحد ، ومثلهم يحتاج إلى التأليف وقد أخذ الفضل قوله (لا يقدم الا بمشاورته) مما ورد عندهم من نزول قوله تعالى « وشاورهم في الأمر » بابي بكر وعمر كما سبقت روايته قريباً عن الحاكم والبيهقي والواحد في جهاد أمير المؤمنين « ع » من القسم الثاني المتعلق بالفضائل البدنية وأما قوله : (كان يبذل ماله في إعانة المسلمين) فيظهر لك مافيه مما ذكرنا ، وقال أبو جعفر رداً على زعم الجاحظ أن مال أبي بكر كان أربعين ألف درهم فأنفق في نوائب الإسلام كما في شرح النهج (١) ، قال أبو جعفر : « أخبرونا على أي نوائب الإسلام أنفق هذا المال وفي أي حاجة وضعه فإنه ليس بجائر أن يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت حفظه وينسى ذكره وأنتم لم تقفوا على شيء أكثر من عتقه بزعمكم ست رقاب لا يبلغ ثمنها في ذلك العصر مائة درهم » .

وأما ما رواه من قوله (ص) (أن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر) فهو بهزل أشبه ، لأنه إن أريد المنة على رسول الله (ص) بالانفاق عليه فيبطله روايتهم السابقة امتناع النبي (ص) من أخذ البعير منه إلا باليمن ، على أن النبي (ص) غني عنه وعن أمثاله وقد تكفل علياً « ع » في حياة عمه شيخ البطحاء وطها فضله على المسلمين عامة بعد الهجرة ، فكيف يحتاج إلى من أبي بكر ، وإن أريد المنة عليه بالانفاق في سبيل الله فهو مما لا وجه له بل المنة لله ورسوله عليه ، كما أن أعظم المنة لرسول الله (ص) عليه

بالصحة لاله (قل لاتمنوا عليّ اسلامكم بل الله بمنّ عليكم ان هداكم للاسلام) وليت شعري لم لم يتخذ رسول الله (ص) خليلاً أبخلاً منه بالخلة على من هو بزعمهم أهل لها؟ ام لما نفع منها وهو خلة النبي (ص) لله تعالى كما يظهر من اخبارهم ، ففي حديث البخاري في آخر باب قول النبي سدوا الابواب إلا باب ابى بكر قال فيه : « لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً » وهذا ليس بمانع لان خلة المؤمنين مما يزيد في القرب الى الله ، والخلة له ، مع أن: صف الخليل مختص بابراهيم (ع) وليس من أوصاف نبينا المعروفة ، وانما يوصف بأنه حبيب الله : ومن المشتبه مارواه البخاري أيضاً لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذته خليلاً ولكن اخوة الاسلام أفضل : فان اخوة الاسلام نفس الخلة الاسلامية : فما وجه الاختلاف الحقيقي بينها والافضلية : ولو كانت الاخوة أفضل من ذات الخلة لكانت اخوة النبي (ص) لأبي بكر أفضل من خلته الله سبحانه .

واما قوله (ثم لما أخذ المشركون في ايداء المسلمين وتعذيبهم قام ابو بكر باعباء اذية قریش) فهو كما سبقه في السكذب والهزل لان من لم يقدر على دفع الأذى عن نفسه حتى أدموه وأوثقوه مع طلحة في جبل واحد كيف يقدر على دفع الأذى عن غيره ، وهل كان اعظم من شيخ البطحاء وأسدي الله ورسوله حمزة وأمير المؤمنين وهم لم يقدروا على دفع الأذى عن المسلمين فكيف قدر عليه ابو بكر وهو من ارذل بيت في قریش كأترويه ، ومن هذا الباب او أكبر دعوى ذبه عن رسول الله (ص) لكن غره مارواه البخاري عن عروة بن الزبير : « قال سألت ابن عمرو بن العاص أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي (ص) قال قال بينا النبي (ص) يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبسة بن ابي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل ابو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي (ص) قال اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله » وما أدري أنظر الى متن الحديث ودلالته على ان هذا أشد شيء صنعه المشركون بالنبي (ص) والحال انهم صنعوا معه أشد منه أضعافاً كثيرة كحصاره وأهله وقومه بالشعب سنين وتشريدته من مكة مراراً ورميه بالحجارة حتى ادموا جبهته الشريفة وساقيه وكسروا رباعيته وادخلوا حلق المغفر في وجهه الشريف الى غير ذلك من أفعالهم الشنيعة ، ودلالته أيضاً على أن

رسول الله (ص) لا حراك به ولا قوة حتى يخنقه عقبة خنقا شديدا ولا يقدر على تخليص نفسه ، وان ابا بكر شجاع قوي القلب والبدن والجانب حتى أخذ بمنكب عقبة ودفعه من دون ان يلاقيه بالمثل ، ام انظر الى سنده ورجاله وهم من اسوأ الرجال فان منهم عروة وابن ابن العاص الخارجيين ، ومنهم من تقدمت ترجمته في مقدمة الكتاب وهما يحيى بن كثير المدلس والوليد بن مسلم مولى بني أمية الكذاب المدلس عن الكذابين ، ولا سيما في روايته عن الازداعي كبهذه الرواية ، ومنهم محمد بن ابراهيم التيمي راوي المناكير كما قاله أحمد بن حنبل مع انه متهم في حق ابي بكر كمروءة .

وأما قوله (كان يشتري المعذبين من الكفار) الى آخره فقد أجاب عنه ابو جعفر كما حكاه عنه ابن أبي الحديد (١) بعد قول الجاحظ اعتق أبو بكر جماعة من المعذبين في الله وهم ست رقاب منهم بلال وعامر بن فهيرة وزبيرة النهدي وابنتها ، ومربى تجارية يعذبها عمر بن الخطاب فابتاعها منه وأعتقها وأعتق أبا عيسى ، قال أبو جعفر : (أما بلال وعامر فأما أعتقها رسول الله (ص) روى ذلك الواقدي وابن اسحق وغيرهما ، وأما باقي مواليتهم الاربع فان سألناكم في دعواكم لم يباغ منهم في تلك الحال لشدة بغض مواليتهم لهم إلا مائة درهم أو نحوها فاي خسر في هذا) .

وأما قوله (فأنزل الله فيه ثاني اثنين) الى آخره فبرده عليه ان الاستدلال على فضله بهذه الآية بامور كلها باطلة (الأول) قوله تعالى : ثاني اثنين بدعوى دلالة على ان أبا بكر أحد اثنين في الفضل والشرف ولا فضل أعظم من كون أبي بكر قريبا للنبي (ص) في الفضل ، وفيه انه لو اريد الاثنية في الفضل والشرف لكان النبي (ص) بالمحاذ انه المراد بالثاني متأخرا رتبة عن أبي بكر في الفضل والشرف وهو كافر ، فليس المراد بثاني اثنين إلا ما هو ظاهر اللفظ اعني مجرد الاخبار عن المدد وهو لا يدل على الفضل بالضرورة (الثاني) انه جعله صاحبا للنبي (ص) والصحبة في هذا المقام العظيم منزلة عظمى ، وفيه ان الصحبة بما هي صحبة لا تدل على أكثر من المرافقة والاصطحاب وهو قد يكون بين المؤمن وغيره ، كما قال تعالى : « قال لصاحبه وهو يحاوره اكفرت

بالذي خلقك هـ، وأما خصوصية المقام فلا أثر لها إلا إذا كانت لحاجة ورغبة في أبي بكر لذاته فيكون الدال على الفضل هو الرغبة في صحبة أبي بكر لذاته وهو ممنوع إذ لا إشارة في الآية السكرية إليه ، وأخبارهم مدخولة ، على أن رواية البخاري وغيره الواردة في هجرة النبي (ص) مصرحة بأن أبا بكر هو الذي طلب الصحبة لما قال النبي (ص) قد أذن بالخروج إلى المدينة ولا شك عندنا أن النبي (ص) لم يصحبه إلا خشية أن يطلع عليه أحداً حيث أحس بخروجه وجاءت به بعض روايات القوم كما نقله السيد السعيد (ره) عن أبي القاسم الصباغ من علماء الجمهور في كتابه النور والبرهان ، وكيف يكون في صحبة أبي بكر خير للنبي (ص) وقد ابتلى به فوق بلانه واحتاج إلى مداراته في دفع الخوف عنه ، ولو كانت لأبي بكر فضل لعبير الله سبحانه عنه ببعض الفاظ التعظيم والاكرام كالأخ والنفس ونحوها لا بالصاحب كما عبر عن علي بالأففس والذين آمنوا . (الثالث) انه قال له رسول الله (ص) : لا تحزن ان الله معنا أي معنا بلحاظ نصرته ورعايته لنا ومن كان شريكاً للنبي (ص) في نصرته الله له كان من أعظم الناس ، وفيه ان المقصود بالنصرة والرعاية واقفاً هو النبي (ص) وأما أبو بكر فتابع محض ولذا خصه الله تعالى بقوله : فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين الآية ، والتبعية في النصره لأجل الاجتماع لا تدل على فضل بالضرورة . (الرابع) قوله تعالى : « فأنزل الله سكينته عليه » ، فان كثيراً من الناس قالوا : ان السكينة مخصوصة بأبي بكر لأنه المحتاج إليها لما تدخله من الحزن والهمع بخلاف رسول الله (ص) فانه عالم بأنه محروس من الله تعالى ، وفيه انه لا يتجه ارجاع السكينة إلى أبي بكر لأن إهداها وأبده بمجنود لم تروها ، ودعوى عدم حاجة النبي (ص) إلى السكينة باطلة إذ لا يستغني أحد عن لطف الله وتأيبه وتثبيت قلبه ، كما قال تعالى في قصة حنين : « وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » ، فلما خص الله نبيه بالسكينة في آية الغار ولم يجر أبا بكر مجرى المؤمنين في ثبوت السكينة له معه كفف عما لا خفاء به عليك ، كما ان ظهور الحزن منه في موطن لا ينبغي للمؤمن حقاً ان يحزن فيه دليل على نقصانه فانه قد ظهر على يد النبي (ص) من الآيات البينة والكرامات

الظاهرة ما يشهد لكل مؤمن بالحفظ والسلامة كانبات الشجرة ونسج العنكبوت وتمشيش الطائر وخروج النبي (ص) من بين القوم في حال لا يرجي لغيره الخروج فيها ، الى غير ذلك ، فالآية من أوضح الأدلة على ذم أبي بكر لعدم ادخاله له بالسكينة ، ودلائلها على حزنه في مقام لا يحزن فيه كامل الايمان بل المؤمن ، واعراضها عن مدحه أصلاً ودلائلها على حزنه المحرم كما يقتضيه النهي ، فكيف يقاس من يحزن ويهلع مع هذه الآيات الواضحة بمن شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله وبات على زي النبي (ص) بين من يطلبون سفك دمه ولا يرجي منهم الخروج .

(فان قلت) يرد النقض على بعض ما ذكرته بما جاء في الأنبياء قال تعالى : « فأوحى في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف » فان موسى مع نبوته وعظيم شأنه وثبات ايمانه ووعده الله له ولأخيه بأن يجمع لهما سلطاناً وانهم لا يصلون اليها وانها ومن اتبعهما الغالبون أوجس في نفسه خيفة حتى نهاه الله تعالى ، فكيف ينكر على أبي بكر حزنه عند ظهور الآيات له ، وايضاً فقد نهى الله سيد رسله فقال : « ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » . وقال تعالى : « ومن كفر فلا يحزنك كفره » . وقال تعالى : « قد علم انه ليحزنك الذي يقولون فلا يحزنك قولهم » . فكيف يلام ابو بكر وينكر عليه وهو من امته (قلت) : أما موسى فلم يحزن خوفاً على نفسه أو من عدم غلبته بل خاف ايقاع السحرة في أوهام البسطاء ! مكان معارضة آياته تشبهاً في مقام الجدال بالامور الصورية الكاذبة ، فيعسر عليه الانتصار والغلبة سريعاً ، ولذا قال سبحانه : « لا تخف انك أنت الأعلى إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى » . فليس نهيه نهى تحريم بل للتطمين بالنصر السريع بالقاء عصاه ، ومنه يعلم الوجه في قوله تعالى : « ولا تك في ضيق مما يمكرون » . وقوله سبحانه : « ولا يحزنك قولهم » . وأما نهى الله تعالى له عن الحزن على الكافرين وكفرهم فالمراد به التنبيه على عدم الاعتناء بهم وعدم استحقاقهم للحزن والأسف عليهم باهلاكهم أنفسهم كما قال تعالى : « ولا تذهب نفسك عليهم حسرات » . وهذا هو ظاهر الآيات بلا حاجة الى تكلف بخلاف نهى أبي بكر ، على أن تلك الآيات لو لم تكن ظاهرة بما قلنا فلا بد من حملها عليه للعلم بكمال الأنبياء وعصمتهم

بخلاف أبي بكر ولا سيما مع سهولة الحل في تلك الآيات دون ما يتعلق بأبي بكر ، بل هو متضح الحال وان حزنه لاشفاقه من القتل كما تدل عليه الأخبار .
وأما قوله : « واثني عليه في كتابه العزيز في مواضع عديدة » ، فهو كذب مفترى بدليل ما رواه البخاري في سورة الأحقاف من كتاب التفسير عن يوسف بن ماهك : « ان مهوان قال : ان هذا يعني عبد الرحمن بن أبي بكر الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما أتعداني ، فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا ان الله أنزل عذري » . إذ لو نزلت آية في مدح أبيها لاستثنتها أيضاً ، فمن أين جاؤا بالآيات العديدة ، ولا ينافي هذا العموم آية الغار لنزولها في رسول الله (ص) ولكنها دلت على خطابه لأبي بكر وهو ليس نزولاً فيه ، وأشهر ما زعموا نزوله في أبي بكر قوله تعالى : « وسيجزيها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزي »
رووا ذلك عن عروة وعبد الله ابني الزبير ، وهو مع كونه عن رأيها قول محل التهمة وأعدى عدو لعلي ومن حاربه يوم الجمل ، وقد مر أن بغضه فضلاً عن حربه علامة النفاق والمنافق فاسق لا يقبل رأيه في التفسير وروايته ، ولا كرامته ، على انه معارض برواية اخرى فقد رووا نزولها في علي (ع) أو أبي الدحداح أو غيرهم ، وقال ابن حجر في الصواعق (١) : « ولا يمكن حملها على علي خلافاً لما افتراه بعض الجهلة لأن قوله وما لاحد عنده من نعمة تجزي يصرفه عن حمله على علي لأن النبي رباه فله عليه نعمة أي نعمة تجزي واذا خرج علي تعين أبو بكر للاجماع على ان ذلك الأتقى أحدهما لا غير »
وأقول : تكرر هذا الكلام بينهم وتشددوا به وهو جهل وتعصب إذ ليس المراد بقوله تعالى : « وما لاحد عنده من نعمة تجزي » ، هو الذناء على الأتقى بأنه لا يد لاحد عنده إذ لا يوجد أحد من بني آدم إلا ولأحد نعمة عليه إذ لا أقل من أحد أبويه أو غيرها من المربين والكافلين سواء في ذلك علي أم أبو بكر أم غيرها ، بل المراد هو الثناء عليه بأنه لم ينفق ماله لأجل مكافأة أحد بنعمة له عليه ، بل انفق ماله ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولذا صح الاستثناء في الآية فإنه لا معنى لاستثناء قوله : إلا ابتغاء وجه

ربه الأعلى من مجرد مدح الشخص بأن لا يد لأحد عليه ، ثم كيف جاز لهم أن ينفوا نعمة رسول الله (ص) على أبي بكر ألم ينعم عليه بدعوته الى الاسلام ورفع شأنه ، ألم ينعم عليه بالغنائم وغيرها ! وما نعموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله .

وأما قوله : « ولم يقدر أحد من الشيعة أن يدعي أن رسول الله (ص) غزا غزوة وتخلف عنه أبو بكر » ، افلو صح فهم يقدرون على اثبات تخلفه عن أمر النبي (ص) في الخروج تحت لواء اسامة ، ويقدرون على اثبات انه ما قاتل ولا هم يقتال إلا مرة واحدة كما رواه القوم لما تقدم ابنه عبدالرحمن في غزاة أحد وطلب المبارزة فقام اليه ابو بكر فقال له النبي (ص) : شمس سيفك وامتنعنا بنفسك مشيراً الى جنبه ، مع حنو الولد على أبيه ، ويقدرون على اثبات انه فر في مقامات الزحام كخبر واحد وحينئذ كما سبق نقله من أخبارهم وتستر بالعريش في بدر فأبي فائدة في عدم تخلفه .

وأما قوله : « واجماع الأمة على ان رسول الله (ص) كان يقدمه على أصحابه ويفضله عليهم » فهو من تخيلات امة أبي بكر وتسويلاتهم .

وأما ما نقله عن محمد بن الحنفية فهو مما رقه قلم الاهواء ولا حجة لهم بنقلهم على خصوصهم ، وكيف يفضلونه اذير المؤمنين (ع) وهو مولى المؤمنين والمؤمنات ، وقال في خطبته الشقشقية : « لقد تقمصها ابن ابى قحافة وهو يعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر غني السيل ولا يرقى إلى الطير » ، وما زال يتظلم منه ومن اصحابه .

وأما ما حكاه عن ابن عمر فقد سبق انه من موارد الطعن عليه ومن كذباته الواضحة ، فهل ترى أعجب من ابن عمر يسمع نداء آية المبالغة بأنه نفس سيد النبيين وآية التصديق بأنه مع الله ورسوله ولي المؤمنين الى امثالها من الكتاب والسنة ثم يجعله من سائر المسلمين ويجعل فضل أبيه وصاحبيه مفروغاً عنه ما هذا إلا النغي والحق وبما ذكرنا من بيان حال صحابهم في المقدمة وغيرها تستغني عن التعرض لبقية ما ذكره الفضل من الأحاديث والتكلم في أساسيدها ومتونها ومعارضاتها .

وأما ما زعمه من جعل رسول الله (ص) لأبي بكر إماماً في الصلاة تلويحاً الى خلافته وانه صلى بهم أيام مرضه ، فهو من كذباتهم ، والحق انه لم يصل بالناس إلا

في صلاة واحدة وهي صلاة الصبح تلبس بها بأمر ابنته ، فعلم رسول الله (ص) ، فخرج
 يتهادى بين علي والعباس أو ابنه الفضل ، ورجلاه تخططان في الأرض من المرض وبما
 لحقه من تقدم أبي بكر ومخافة أمره بالخروج في جيش اسامة ، فنجاه النبي (ص)
 وصلى ثم خطب وحذر الفتنة ، ثم توفي من يومه ، وهو يوم الاثنين ، وقد صرحت
 بذلك اخبارنا ودلت عليه اخبارهم لافتدتها ان الصلاة التي تقدم فيها هي التي عزله النبي
 عنها وانها صبح الاثنين وهو الذي توفي فيه ، أما (الأول) فلما رواه مسلم (١) عن
 عائشة قالت : « لما نفل رسول الله (ص) جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال : مروا أبابكر
 فليصل بالناس ، قالت : فقلت : يا رسول الله (ص) ان ابا بكر رجل أسيف وانه متى
 يقيم مقامك لم يسمع الناس فلو أمرت عمر ، فقال : مروا أبابكر فليصل بالناس ، قالت :
 فقلت لحفصة : قلولي له ان ابا بكر رجل أسيف وانه متى يقيم مقامك لا يسمع الناس
 فلو أمرت عمر ، فقالت له ، فقال رسول الله (ص) انك ان كنت صواب يوسف مروا
 أبابكر فليصل بالناس ، قالت : فأمره ابا بكر يصلي بالناس ، فلما دخل في الصلاة
 وجد رسول الله (ص) من نفسه خفة فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخططان في الأرض
 فلما دخل المسجد سمع ابو بكر حسه فذهب يتأخر فأومأ اليه رسول الله (ص) فجاء
 رسول الله حتى جلس عن يسار ابي بكر فكان ابو بكر يصلي قائماً وكان رسول الله يصلي
 قاعداً يقتدي ابو بكر بصلاة رسول الله والناس يقتدون بصلاة ابي بكر ، ورواه
 البخاري (٢) ونحوه (٣) ، وهو كما تراه صريح في ان اول صلاة صلاها ابو بكر هي التي
 عزله النبي (ص) عنها ، وتدل عليه اخبار اخر ايضاً .

وأما (الثاني) وهو انها صبح يوم الاثنين فلما رواه الطبري (٤) عن عبد الله
 ابن ابي مليكة قال : « لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله (ص) عاصباً رأسه الى
 الصبح وأبو بكر يصلي بالناس فلما خرج رسول الله (ص) تفرج الناس فعرف
 (١) في باب استخلاف الامام اذا عرض له عذر من كتاب الصلاة . (٢) في باب
 الرجل يأثم بالامام ويأثم الناس بالأموم من أبواب صلاة الجماعة . (٣) في باب قبل
 الباب المذكور . (٤) في تاريخه ص ١٩٦ ج ٣ .

أبو بكر ان الناس لم يفعلوا ذلك إلا لرسول الله (ص) فنيكص عن مصلاه فذفع رسول الله (ص) في ظهره وقال صل بالناس وجلس رسول الله (ص) الى جنبه فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس وكلهم رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد يقول : يا أيها الناس سمعرت النار وأقبلت الفتنة كقطع الليل المظلم وإني والله لا تمسكون علي شيئاً إني لم أحل لكم إلا ما أحل لكم القرآن ولم أحرم عليكم إلا ما حرم عليكم القرآن » الحديث .

وأما (الثالث) هو انها في يوم وفاة النبي (ص) فلما حكاها في كنز العمال (١) عن ابن جرير عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال : « صلى أي النبي (ص) في اليوم الذي مات فيه صلاة الصبح في المسجد » وما في الكنز ايضاً (٢) عن أبي يعلى في مسنده وابن عساكر عن انس قال : « لما مرض رسول الله {ص} مرضه الذي مات فيه أتاه بلال فأذنه بالصلاة فقال : يا بلال قد بلغت فن شاء فليصل ومن شاء فليدع ، قال : يا رسول الله فمن يصلي بالناس ؟ قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فلما تقدم أبو بكر رفعت الستور عن رسول الله فنظرنا اليه كأنه ورقة بيضاء عليه خميصة سوداء ، فظن أبو بكر انه يريد الخروج ، فتأخر ، فأشار اليه رسول الله {ص} أن صل مكانك فصلى أبو بكر فما رأينا رسول الله {ص} حتى مات من يومه . ومنه ما في الكنز ايضاً (٣) عن أبي الشيخ في الأذان عن عائشة قالت : « ما مررت على ليلة مثل ليلة مات رسول الله {ص} يقول : يا عائشة هل طلع الفجر ؟ فأقول : لا يا رسول الله حتى اذن بلال بالصبح ثم جاء بلال فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله ، فقال النبي : ما هذا ؟ فقلت : بلال ، فقال : مري أباك أن يصلي بالناس » .

فقد ثبت من جميع ما ذكرنا ان اول صلاة تقدم فيها أبو بكر هي التي عزله النبي {ص} عنها وانها صبح يوم الاثنين الذي توفي فيه ولم يتقدم في غيرها ، فما في بعض أخبار عائشة من أن الصلاة التي تأخر فيها أبو بكر عن النبي {ص} هي الظهر وانه صلى بالناس في مرض النبي {ص} أياماً مردودة بالأخبار المذكورة ، مع انها ليست حجة علينا ، ولا سيما

ان النبي (ص) قد نبز عائشة وصاحبتها بأنها صواحب يوسف ، وهي ايضا محل التهمة في حق أبيها ، وأقرت بكذبها في المقام بما أظهرته من سبب الاستعفاء : فانها تقول في كثير من أخبارهم ما حملي على كثرة مراجعتي إلا اني كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقام النبي (ص) إلا تشام الناس به ، فمع هذا ونحوه كيف تعتبر روايتها وتقدم على ما يخالفها كما لا تعتبر خبرها بأن النبي (ص) هو الأمر بتقديم أبي بكر بل إنما أمر أن يصلي بالناس بعضهم فانتهزت عائمة الفرصة فأمرت بتقديم أبي بكر ، كما يشهد له خبر عائشة السابق في رواية أبي الشيخ حيث أخبرت في آخره بأن النبي قال : سري أبالك أن يصلي بالناس : فانه كاشف عن أن الأمر بتقديم أبيها قد صدر منها ، لكن ادعت انه عن أمر النبي (ص) ، ويشهد لعدم تعيين النبي (ص) للمصلي ما في الاستيعاب بترجمة أبي بكر عن عبدالله بن زعمة قال : « قال النبي (ص) : مروا من يصلي بالناس » ، لكن زعم ابن زعمة « انه أمر عمر بالصلاة فلما كثر سماع رسول الله « ص » صوته قال : فأين أبو بكر بأبي الله ذلك والمسلمون » ، وهو غير مقبول منه لأنه يقتضي قطع صلاة عمر وتأخيره وتقديم أبي بكر وهو حادث كبير لو صح لشاع ، ويشهد ايضا لعدم تعيين النبي « ص » للمصلي بالناس ما اخبر به أنس في الرواية المذكورة ان النبي « ص » قال : « يا بلال قد بلغت فن شاء فليصل ومن شاء فليسدع » ، فان مراد النبي « ص » هو التخيير في أمر الجماعة والامامة لا اصل الصلاة بالضرورة ، وحينئذ فيكون خبر الراوي في تنمة الحديث بأن النبي « ص » قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، من الاضافات التي قضت بها السياسة .

وكيف يجتمع زعمهم ان النبي « ص » هو الأمر بتقديم أبي بكر وانه صلى بالناس أياماً مع جعله من جيش امامة ولعن من تخلف عنه ، و (ايضاً) لو كان النبي « ص » هو الأمر المصر على تقديم أبي بكر وقد قصد التلويح الى خلافته فاما معنى خروجه « ص » بأول صلاة صلاها أبو بكر وعزله عن الجماعة وهو بتلك الحال الشديدة المشجية تخط رجلاه في الأرض ويتهادى بين رجلين حتى صلى بالناس من جلوس صلاة المضطرين ، فلا بد أن يكون مريداً بخروجه المستغرب رفع ما لبسوه على الناس من ان رسول الله

صلى الله عليه وآله هو الأمر بتقديعه ، و (ايضاً) لو كانت صلاته بأمر النبي « ص » وصلى بالناس أياماً لا صلاة الصبح فقط فلم لم يحضر صلاة النهار يوم وفاة النبي « ص » بل كان بمنزله في السج ، و (ايضاً) لو كانت صلاته بأمر النبي « ص » ومرغوبة له ومريدا بها التلويح الى خلافته التي يعلم بوقوعها وانها على الهدى كما زعموا فما الذي حدث حتى خرج على تلك الحال وخطب تلك الخطبة العالية وقال : سمعت النار وأقبلت الفتن ، فلمنصف يعلم من هذا ان صلاة أبي بكر لم تكن عن امره بل كانت فتنة اتخذها اولياؤه حجة وكانت اول نار سمعت على الحق وفتنة مظلمة . ولذا لم يمتد بها رسول الله « ص » وصلى مبتدئاً فانه لو صلى اماماً لهم من حيث وصل اليه ابو بكر خلعت صلاته على الأقل من تكبيرة الافتتاح فتبطل : فاذا كان مبتدئاً تمين أن يكون الناس قد ابتدؤا معه غير معتدين بصلاة ابي بكر وإلا كانوا سابقين على النبي « ص » في بعض أفعال الصلاة وهو غير جائز في الجماعة ، ومن الواضح ان عدم اعتداد النبي « ص » بصلاة أبي بكر دليل على انها ليست بأمره وانها أول فتنة أصابت الاسلام .

هذا ومن الأوهام والخيالات زعمهم ان النبي « ص » قدمه في الصلاة تلويحاً الى خلافته والحال ان امامة الصلاة عندهم لا يعتبر فيها العدالة فضلاً عن الاجتهاد ونحوه من شروط الامامة العامة : فكيف تكون تلويحاً الى الزعامة العظمى والرياسة الكبرى . وأعجب من ذلك ما كذبوا فيه على امير المؤمنين « ع » انه قال كما في الاستيعاب : رضينا لدنيانا من رضى رسول الله « ص » لدينا ، إذ مع معلومية تظلم امير المؤمنين منهم وسخطه عليهم الى حين وفاته كيف يحمل الخلافة من أمر الدنيا ويجمع الرضا بها تابعاً للرضا امامة الصلاة التي تجوز حتى للفاجر بزعم القوم .

وأعجب من الجميع زعم الفضل معارضة ما دل على خلافة امير المؤمنين بما اشير فيه الى خلافة أبي بكر فان هذا من اخبارهم فلا يكون حجة على خصومهم حتى يوجب المعارضة ، ولا سيما انهم اقرؤا بأن النبي « ص » لم يخلف أباً بكر ورووه عن عمر مستفيضاً فيلزم تكذيب ذلك أو تأويله ، ويبقى ما دل على خلافة امير المؤمنين بلامعارض مع ان ما زعموا الاشارة فيه الى خلافة ابي بكر نادر لا يصلح المعارضة وغير دال

على مرادم أصلاً ، إذ لا دلالة أصلاً في خبر جبير بن مطعم على ان الشيء الذي كملت المرأة فيه النبي ﴿ص﴾ من الأشياء التي مرجعها السلطان كما لا دلالة بقولها لم أجذك على ارادة الموت ، وقول جبير كأنها تريد الموت ظن أو احتمال والظن لا يفي من الحق شيئاً .

وأما ما رووه عن عائشة من قول النبي ﴿ص﴾ في مرضه : « ادعي لي أباك وأخاك » الى آخره ، فقد كفانا أمره عمر بقوله : « ان النبي ﴿ص﴾ - وحاشاه - بهجر » مع احتمال ان يريد النبي ﴿ص﴾ ان يعطيه مالا ويكتب له فيه أو يكتب له في الصلاة بالناس التي زعموا أمر النبي ﴿ص﴾ بها أو نحو ذلك ، على ان هذا الحديث مقطوع الكذب إذ كيف يتصور ان يأمر النبي ﴿ص﴾ عائشة بدعوة أبيها وتحتل أن يكتب له بالخلافة فلا تحضره والحال انها تدعوه بلا دعوة ، اخرج الطبري في تاريخه (١) عن الأرقم ابن شرحبيل قال : « سألت ابن عباس أوصى رسول الله ﴿ص﴾ ؟ قال : لا ، قلت : فكيف ذلك ، قال : قال رسول الله ﴿ص﴾ : ابعثوا الى علي فادعوه ، فقالت عائشة : لو بعثت الى ابي بكر ، وقالت حفصة : لو بعثت الى عمر ، فاجتمعوا عنده جميعاً فقال رسول الله ﴿ص﴾ انصرفوا فان تك لي حاجة أبعث اليكم فانصرفوا » . ونقل السيوطي في اللثالي المصنوعة عن الدارقطني انه أخرج عن عائشة قالت : « لما حضر رسول الله ﴿ص﴾ الموت قال : ادعوا لي حبيبي فدعوت له ابا بكر فنظر ثم وضع رأسه ، فقال : ادعوا لي حبيبي فدعوا له عمر فنظر اليه ثم وضع رأسه ، وقال : ادعوا لي حبيبي ، فقلت : وبلغكم ادعوا له علي بن ابي طالب فوالله ما يريد غيره ، فلما رآه أفرد الثوب الذي كان عليه ثم أدخله فيه فلم يزل محتضنه حتى قبض ويده عليه » ، ثم نقل السيوطي عن ابن الجوزي انه قال موضوع ولم يذكر له دليلاً ، ثم نقل عن الدارقطني انه قال : غريب تفرد به مسلم بن كيسان الأعور ، وتفرد به عن ابنه (٢) اسماعيل بن أبان الوراق ، ثم قال السيوطي مسلم روى له الترمذي وابن ماجه وهو متروك ، واسماعيل بن أبان من شيوخ البخاري ، ثم قال : وله طريق آخر وأنها الى ابن عمر ، قال : « ان رسول الله ﴿ص﴾

قال في مرضه : ادعوا لي أخي فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه ، ثم قال : ادعوا لي أخي فدعوا له عمر فأعرض عنه ، ثم قال : ادعوا لي أخي فدعوا له عثمان فأعرض عنه ، ثم قال : ادعوا لي أخي فدعوا له علي بن ابي طالب فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له : ما قال ؟ قال : علمني الف باب يفتح لي من كل باب الف باب « اقول : مضمون الحديث معتبر لاعتضاد طرقة بعضها ببعض ولا سيما ان مناقشة الدارقطني باسمايل ليست في محلها لأنه ممن احتج به البخاري في صحيحه ووثقه عامة علماءهم حتى الدارقطني في احدى الروايتين عنه كما في تهذيب التهذيب ، واما مسلم بن كيسان فدعوى انه متروك غير مسموعة كيف وقد اخرج له الترمذي وابن ماجه في صحيحيهما وروى عنه عدة عديدة وفيهم أكابر روايتهم كشعبة والثوري والحسن بن صالح وعلي بن مسهر والأعمش وسفيان بن عيينة وابن فضيل واسرائيل وشريك وورقاء ومحمد بن جحادة وزيد وعلي ابن مسهر وعلي بن عباس وجريير بن عبد الحميد وغيرهم كما في تهذيب التهذيب .

وأما قوله : « والاجماع فضل زائد » الخ . فقد سبق ما في دعوى الاجماع في اوائل مباحث الامامة .

وأما قوله : « ولما سمع المنافق ان هؤلاء مطعونون فرح » الى آخره . ففيه ان المنافق يعلم ان صاحب الدين ومؤسسه هو رسول الله (ص) خاصة فلا طعن في الدين إلا بالطعن به نفسه دون آحاد أئمة أو جيمها ، ولذا طعن الله سبحانه بالأمة فما كان منه نقصاً في نبيه الكريم قال سبحانه : « افان مات او قتل انقلبتم على الآية . ونحن ما زدنا على هذا الطعن ، على ان المنافق لا يرى فرقاً بين المشايخ الثلاثة وعبد الملك والمنصور والرشد واشباههم ممن فتحوا الفتوح ومصرروا الأمصار واتخذهم القوم أئمة وامراء المؤمنين ، فكما لا يجوز منا ترك القول بالحق في الآخرين لأجل ان لا يفرح المنافق لا يجوز منا تركه في الأولين ، ولو أنصف المنافق لرأى ان من دلائل صحة الاسلام فساد امرائه وهو لا يزداد إلا رفعة وساءا .

ثم ان الطعن لو صح لم يختص بأمة نبينا (ص) هو جار في الامم السالفة كما في أمر السامري وبلعم وغيرهما وكل ما جرى في أمة نبينا (ص) جرى في الامم السابقة

حذو النمل بالنمل والقذة بالقذة كما صرحت به اخبارنا واخبارهم ، فهل يحسن من
الخصم ترك القول في السامري وأمثاله لئلا يفرح المنافق حتى يحسن منا ترك القول
بأشباههم ثم ما باله لم يوجه الاعتراض أولاً الى إمامه معاوية حيث نسب الى أخ النبي
صلى الله عليه وآله ونفسه ومن كان منه بمنزلة هرون من موسى كل مكروه وسبه على
المنابر والمنابر فكانت اللازم عليه أن يدعو أولاً بدم الفلاح على معاوية وسائر
بني أمية وأشياءهم ، ولو دعا لا منا وحمدنا الله على ذلك .

ثم الجزء الثاني وبليه الجزء الثالث



فهرس الجزء الثاني من دلائل الصمد

(المائة الخامسة - في الامامة ، وفيها مباحث :)

صفحة	
٣	المبحث الأول - وجوب عصمة الامام .
١٥	« الثاني - الامام يجب أن يكون أفضل من رعيته .
١٩	« الثالث - طريق تعيين الامام .
٣٢	« الرابع - تعيين الامام بعد رسول الله - دلالة العقل على امامة امير المؤمنين
	(تعيين امامة على القرآن) وهي آيات :
٤٤	١ - إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا .
٥٠	٢ - يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك .
٦٤	٣ - آية التطهير .
٧٥	٤ - آية المودة في القربى .
٨٠	٥ - ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله
٨٢	٦ - آية المباهلة .
٨٧	٧ - فتلقى آدم من ربه كلمات .
٨٩	٨ - إني جاعلك للناس إماماً .
٩١	٩ - سيجعل لهم الرحمن ودا .
٩٣	١٠ - إنما أنت منذر ولكل قوم هاد .
٩٦	١١ - وقفوهم إنهم مسئولون .
٩٩	١٢ - ولتعرفنهم في لحن القول .
١٠١	١٣ - والسابقون السابقون اولئك المقربون .

صفحة	
١٠٢	١٤ - أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام .
١٠٤	١٥ - آية المناجاة .
١٠٨	١٦ - واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا .
١١٠	١٧ - وتعيها اذن واعية .
١١١	١٨ - سورة هل أنى .
١١٦	١٩ - والذي جاء بالصدق وصدق به .
١١٩	٢٠ - هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين .
١٢٠	٢١ - بأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين .
١٢١	٢٢ - فسوف يأني الله بقوم يحبهم ويحبونه .
١٢٦	٢٣ - والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون .
١٢٩	٢٤ - الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرراً وعلانية .
١١٣	٢٥ - آية الصلاة على النبي .
١٣٣	٢٦ - مرج البحرين يلتقيان .
١٣٤	٢٧ - ومن عنده علم الكتاب .
١٣٦	٢٨ - يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه .
١٣٧	٢٩ - اولئك خير البرية .
١٣٨	٣٠ - هو الذي خلق من الماء بشراً .
١٤٠	٣١ - وكونوا مع الصادقين . واركموا مع الراكمين .
١٤٢	٣٢ - اخواناً على سرر متقابلين .
١٤٥	٣٣ - وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم .
١٤٩	٣٤ - وصالح المؤمنين .
١٥١	٣٥ - اليوم أكملت لكم دينكم .
١٥٣	٣٦ - سورة النجم .

صفحة	
١٥٦	٣٧ - سورة العاديات .
١٥٨	٣٨ - أ فمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون .
١٥٩	٣٩ - ويتلوه شاهد منه .
١٦١	٤٠ - فاستوى على سوقه .
١٦٢	٤١ - يسقى بماء واحد .
١٦٤	٤٢ - من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .
١٦٥	٤٣ - ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا .
١٦٧	٤٤ - أنا ومن اتبعني .
١٦٨	٤٥ - أ فمن يعلم ان ما أنزل اليك من ربك الحق .
١٦٩	٤٦ - ألم أحسب الناس أن يتركوا .
١٧٠	٤٧ - وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى .
١٧١	٤٨ - ويؤت كل ذي فضل فضله .
١٧٢	٤٩ - من اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق .
١٧٣	٥٠ - وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .
١٧٤	٥١ - وكفى الله المؤمنين القتال .
١٧٥	٥٢ - واجعل لي لسان صدق في الآخرين .
١٧٦	٥٣ - سورة العصر .
١٧٨	٥٤ - وتواصوا بالصبر .
١٧٨	٥٥ - والسابقون الأولون .
١٨٠	٥٦ - وبشر المحبتين الى قوله : ومما رزقناهم ينفقون .
١٨٠	٥٧ - إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى .
١٨١	٥٨ - من جاء بالحسنة .
١٨٢	٥٩ - فأذن المؤذن بينهم .

صفحة	
١٨٣	٦٠ - إذا دعاكم لما يحبيكم .
١٨٤	٦١ .. في مقعد صدق عند مليك مقتدر .
١٨٥	٦٢ .. ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون .
١٨٦	٦٣ .. ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون .
١٨٨	٦٤ - تراهم ركعاً سجداً .
١٨٩	٦٥ .. والذين يؤذون المؤمنين .
١٨٩	٦٦ .. واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض .
١٩١	٦٧ .. وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق .
١٩٢	٦٨ .. أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .
١٩٣	٦٩ .. وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر .
١٩٤	٧٠ - طوبى لهم وحسن مآب .
١٩٤	٧١ - فأننا منهم منتقمون .
١٩٦	٧٢ - هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل .
١٩٧	٧٣ - سلام على آل يس .
١٩٨	٧٤ - وأما من أوتي كتابه بيمينه .
١٩٨	٧٥ - اخواناً على سرر متقابلين .
٢٠٠	٧٦ - يعجب الزراع ليفيظ بهم الكفار .
٢٠١	٧٧ - أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .
٢٠١	٧٨ - كشكاة فيها مصباح .
٢٠٣	٧٩ - ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً .
٢٠٤	٨٠ - وعد الله الذين آمنوا .
٢٠٥	٨١ - الذين إذا أصابتهم مصيبة .
٢٠٦	٨٢ - ما في القرآن آية إلا وعلي رأسها وقائدها وشريفها وأميرها ولقد

عاتب الله أصحاب محمد وما ذكر علياً إلا بخير .

٢٠٩

٨٣ - فاسألوا أهل الذكر .

٢١١

٨٤ - عم يتساءلون عن النبأ العظيم .

(فائمة في آيات امر شتم بها المائنة)

تقدم اربع منها في غضون الأبحاث السابقة واثنتي عشرة ملحقها بها :

٢١٧

١ - واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .

٢١٨

٢ - وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى .

٢١٨

٣ - أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه .

٢١٩

٤ - هذان خصمان اختصموا في ربهم .

٢٢٠

٥ - أفن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه .

٢٢٠

٦ - اولئك كتب في قلوبهم الايمان .

٢٢٠

٧ - وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم .

٢٢١

٨ - أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا .

٢٢١

٩ - واسوف يعطيك ربك فترضى .

٢٢١

١٠ - إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون .

٢٢٢

١١ - والشمس وضحاها .

٢٢٣

١٢ - رب اشرح لي صدري .

(تعيين امامة على بالسنة) وهي عرة أماديت :

٢٢٦

١ - حديث النور .

٢٣٢

٢ - ويكون خليفتي ويكون معي في الجنة في قصة وانذر عشيرتك

الأقربين .

صفحة	
٢٤٠	٣ - حديث الوصية .
٢٤٣	٤ - حديث من أحب أصحابك اليك وإن كان أمر كنا معه .
٢٤٤	٥ - لكل نبي وصي ووارث وإن وصي ووارثي علي بن أبي طالب .
٢٤٥	٦ - ولكن جبرئيل جاءني وقال لا يؤدي عنك إلا أنت أورد رجل منك .
٢٤٩	٧ - اختصاص آية المناجاة بعلي .
٢٤٩	٨ - حديث المباهلة .
٢٥١	٩ - حديث المنزلة .
٢٥٤	١٠ - إني دافع الراية غدأ الى رجل يحب الله ورسوله ...
٢٥٩	١١ - برز الايمان كله الى الشرك كله .
٢٦٠	١٢ - الأمر بسد الأبواب إلا باب علي .
٢٦٧	١٣ - حديث المؤاخاة .
٢٧١	١٤ - إن علياً مني وأنا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي .
٢٧٤	١٥ - إن فيك مثلاً من عيسى .
٢٧٦	١٦ - لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق .
٢٧٧	١٧ - حديث . . . ولكنه خاف النمل .
٢٨٠	١٨ - حديث الطائر المشوي .
٢٨٤	١٩ - أنا مدينة العلم وعلي بابها .
٢٨٧	٢٠ - من آذى علياً فقد آذاني .
٢٨٩	٢١ - حديث تزويجه بفاطمة الزهراء .
٢٩٢	٢٢ - اجلس يا أبا تراب .
٢٩٣	٢٣ - حديث كسره للأصنام من فوق الكعبة . ولا يجوز على الصراط إلا من كان معه كتاب بولاية علي وغيرهما .
٢٩٥	رد الشمس له .

حديث السطل والماء والمندبل وحديث لا سيف إلا ذو الفقار فتى إلا علي .	٣٠١
٢٤ - الحق مع علي وعلي مع الحق لن يفترقا حتى يرثا علي" الحق وما بمعناه .	٣٠٢
٢٥ - حديث الثقلين وما يؤدي معناه .	٣٠٤
٢٦ - حديث السكاه .	٣١٠
٢٧ - أهل بيتي أمان لأهل الأرض . اجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخيراً	٣١١
٢٨ - حديث اثني عشر خليفة .	٣١٤
المبحث الخامس - في ذكر بعض الفضائل التي تقتضي وجوب إمامة علي عليه السلام .	٣٢٠
فضائله حال الولادة .	٣٢٦

(فضائل عمر الولادة وهي نفسانية وبرنية ومارمية)

أما النفسانية فينظمها مطالب :

المطلب الأول - الإيمان .	٣٢٩
المطلب الثاني - العلم .	٣٣٢
المعلوم كلها مستندة إليه .	٣٣٥
المطلب الثالث - الاخبار بالمغيبات .	٣٤٢
المطلب الرابع - في الشجاعة .	٣٤٥
المطلب الخامس - في الزهد .	٣٤٥
المطلب السادس - في الكرم .	٣٤٧
المطلب السابع - في استجابة دعائه وحسن خلقه وحلمه .	٣٤٧

صفحة	
٣٥١	(القسم الثاني) في الفضائل البدنية وينظمها مطلبان : (الأول) في العبادة .
٣٥٣	(المطلب الثاني) في الجهاد .
٣٦٣	(القسم الثالث) في الفضائل الخارجية وفيه مطالب : (الأول) في نسبه .
٣٦٥	(المطلب الثاني) في زوجته واولاده .
٣٧٥	(المطلب الثالث) في محبته .
٣٧٩	(المطلب الرابع) انه صاحب الحوض واللواء والصراط والاذن .

استمر الطان على الجزء الأول

- ١ — في صفحة ١٠٢ سطر ٧ يرجى بعد كلمة « والأطراف » أن تضاف هذه العبارة (وإن شئت قلت لو وضع جزء على جزء فإن لاقاه بكله لزم التداخل وعدم زيادة الحجم وإن لاقاه ببعضه ثبتت التجزئة) .
- ٢ — في آخر صفحة ٤٣٤ سجل تأريخ الطبع خطأ في سنة (١٣٨٩) والصحيح انه سنة (١٣٦٩) يرجى تصحيح نسختك .